



الرَّعْمَالُ الْكَافِلَةُ الْكَافِلَةُ الْكَافِلَةُ الْكَافِلَةُ الْكَافِلَةُ الْمُحْدِينَ أَبِاظِـة

الجسزء السسايع

الأنسام الخضراء اذكريات بعيدة العسنة اللعسة احين بمسل الميزان السباحة في الرسال وبيقي شحب





verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

• الأيام الغضراء



الأيسام الخسطسراء

احببتها وأنا لا ادرى ما الحب ، عرفه الناس معنى أو عرفوه شجوا وأسى وألما ، أو لعلهم عرفوه خيالا وأحلاما ورؤى ، أما أنا فعرفته لعبا فى الملعب ، وتقاذقاً بالكرة ، وقفزا وجريا وضحكا ، ولهوا عابثا ، كنت ألقاها لم أغير من ملابس المدرسة شيئا اللهم إلا تلك المريلة التى كانوا يضعونها فوقى ، وكانت تلقانى هى أيضا بلا تجمل أو زواق اللهم الا أن تخلع هى أيضا تلك المريلة التى كانت توضع عليها ثم نلتقى فى فناء منزلما أو فى فناء منزلما بغير ميعاد مدبر أو اتفاق سابق وإنما ينزل كل منا إلى صاحبه ويكون اللعب فى أقرب فناء من اللقاء . .

أحببتها يوم ذاك وأحبتنى ، أحببتها كها أحب الكرة التى كنا نلعب بها أو كها أحب الحبل الذي كنا نقفز من فوقه ، وأحبتنى هي أيضا كحبها لهذه الأشياء ، وما كنا ندرى من الحب الاحبا ألمذه الأشياء .

كان كل منا يرى الآخر مكملا للعبه ، كها يرى الكرة والحبل مكملين للعبه . كان كل منا يحب الآخر كجزء من مرح الطفولة وحلاوة اللعب وعربدة اللعب .

لم تكن تعرف من أنا بالنسبة اليها وما كنت أدرى ، قصارى الأمر بيننا اننى كنت أعرف انها بنت لأنها ترتدى ملابس الأولاد . لم أكن أعرف اننى ولد لأننى أرتدى ملابس الأولاد . لم أكن أعرف الأنثى فيها ، ولم أكن أعرف معنى الأنوثة جميعا ، بالنسبة الى الرجل ، ولم تكن تعرف الرجل فى ولا معنى الرجولة الذى أمثله ، لا ولم تكن تعرف الرجل بالنسبة للأنثى .

لم يكن هذا الجهل يمنعنى أن أقدمها على نفسى وأترك لها فرصة أن تغلبنى فى بعض الأحيان ، وليس فى كل الأحيان ، وأن أهفو اليها مسرعا اذا سقطت وتسارع هى الى اذا وقعت ولكن أكان هذا قبل أن ندرك شيئا عن الهوى . أم أنه كان بعد أن أدركنا شيئا من معناه ، أكان

هذا الاهتهام بها وتبعن في الطفولة الأولى البلهاء أم أنه كان ونحن في أواخر الطفولة مشرفان على الوعي أو بعض الوعي . • •

أثراه حين كنا في الطفولة الواعية التي تحس ولا تبين ولا تشعر ولا تعبر وتخفق ولا تنطق !! أتراه كان كذلك . . وكيف لي أن أذكر ؟ .

لقد شب حبى معى فاختلطت أدواره وتمازجت أيامه فيا أدرى كيف عرفته وكيف استبان في كامل الوعى منى ؟ أترانى عرفته حين كنت ألقاها ونحن في بواكير الشباب فتعلو وجهها الحمرة وتمسك بلسانى لعثمة فتمر بي وأمر بها لا يحيى الواحد منا صاحبه إلا بهذه الحمرة وإلا بتلك اللعثمة . . لا . . لقد عرفت الحب قبل ذلك . . عرفته وجيبا وخفقا في الفؤاد شديدا إن أنا ذكرتها ، وإن أنا خلوت إلى نفسى فقد كنت أذكرها كليا خلوت الى نفسى وعرفته هاثم الفكر حدرا أخشى أن يكون حبها وهما من الأوهام . قرأت عن الحب وسمعت به من الرفاق وعرفت ما الرجل وما الأنثى ورحت أنطلق في فسيح الفضاء لا أفكر الا فيها . . أحثى كلها فكرت في حبها أن يكون وهما من الأوهام . .

وفى يوم لقيتها وقد خلا بنا الطريق ، وعلت الحمرة وجهها وأمسكت اللعثمة لسان ، ولكن الطريق خال بنا نسير فى اتجاه واحد متباعدين ، فوجدتنى أثوب الى نفسى بعض الشيء ووجدتنى أقرب منها ، ووجدت حمرة الخيجل تزداد وضوحا على وجهها ولكنى كنت قد جعت بعض نفسى ، وكنت قد دربت لسانى طويلا على الجملة التى سينطلق بها ، فها أن اقتربت حتى القيت جملتى مفككة المقاطع متباعدة الكليات ولكنى نطقتها وسمعتها وأجابت وأود لو أجابت بغير لسانها الا أنها أجابت على أية حال نعم أذكر ما قلت وماشيه وحدك يا هناء » .

وأومات براسها أن نعم ، ثم ترابطت الكليات فرحت أحادثها وراحت هي تضحك أو تبتسم أو تسكت لا تقول شيئا . . لا شيء على الإطلاق اللهم إلا قولتها في آخر حديث لي :

_ أخاف أن يرانا أحد . .

فأتلفت حولي مذعورا وما أن أثق من خلو الطريق حتى أقول لها:

_ لامتخافي . .

ثم أعود الى حديث طويل ما زلت أدرج فيه من موضوع الى آخر حتى استطعت آخر الأمر أن أرجوها لتسمح لى بانتظارى لنقطع هذا الطريق سويا ، ولم تجب إلا بجملتها الوحيدة .

.. أخشى أن يرانا أحد ..

ولكننى ظللت مع الأيام ألتقى بها فى الطريق وأحكى لها وتستمع هى . . لم أقل لها ... احبك ... فقد خشيت إن أنا قلتها ألا ترانى بعدها أبدا ، لفد كان الطهر الذى يشيع حولها غيفا

يمسك لسانى بل يمسك عقلى أن يفكر في التصريح بحبى لها ، وينقضى الطريق ، وأعود الى الوحدة ، وأعود إلى خوفي ألا تكون عبة لى ، ولم أخلص من حيرتى وخوفي إلا بالمذاكرة العنيفة ، فقد انتهيت إلى أننى ما زلت في المرحلة الثانوية وأنها قد تتزوج قبل أن أحصل أنا على شهادة التوجيهية ، فذاكرت ومنيت نفسى أننى اذا صرت في الجامعة قد أجد بعض الجرأة أن أخطبها ونتزوج ، ذاكرت كها لم أذاكر من قبل وأصبحت أعد السنين عدا وأطارد الزمن في عنف وإصرار حتى أصبحت في التوجيهية ، وسمعت همهمة تدور حولي أن هناء معرضة للخطبة ، ولقيتها في الطريق وسألتها فازداد وجهها احمرارا وتلعثم لسانها وهي تقول :

- ـ نعم . .
- _ وماذا فعلت؟
- ـ رفضت الخطبة . .
 - _ صحيح ؟.
 - _ صحيح . .

ولم أسأل لماذا رفضت فقد أبي حبى أن يجعل للرفض سببا الا أنها هي تحبنى والهيت الزمن بالمذاكرة ، كنت لا أفيق من الكتاب إلا في موعد عودتها من المدرسة ، لا أفكر إلا في أن أحصل على الشهادة لأصبح جديرا بها وكنت أفكر اذ ذاك في شيء آخر طالما ضقت بالتفكير فيه ، لقد كان أبي خريج جامعات أوروبا وكان أمله أن يرسل بي إلى جامعته لأنال فيها الشهادة التي نالها ، وقد كنت تواقا الى تحقيق أمله هذا ، فقد كان أملي أيضا ، ولكني كنت كلها فكرت في نالها ، وقد كنت تعيدا ، بل بعيدا عن مصر كلها ، لا أشم النسمة التي المتاب شعر هناء ولا أتنفس الهواء الذي تتنفسه ، ولا أشرب الماء العذب الذي جرى في دمائها والذي يتحول على وجهها حمرة خمجل كلها لقيتها ، كلها فكرت في ذلك أحسست شيئا قويا عنيفا وبيب بي ألا أسافر . .

كان التفكير فيها وفي السفر يعسر على كثيرا من الكتب فاسرح وأطيل التفكير ، حتى لقد كان صديقي أشرف ينتبه إلى انصرافي عن المذاكرة فيسألني عها بى ، وقد كتمت عنه حبى فترة طويلة من الزمان فقد كنت أخشي أن يجعله سخرية ويجعل منى ضحكة له ، ولكنه اكتشف حبى حين رآني معها في الطريق ، فلم أستطع الكتهان وألقيت إليه بخبيئة قلبي في جد حازم جعله يأخذ مأخذا لا محال فيه لغير المشاركة العنيفة ، ولكن هذا لم يمنعه أن يحثني على المذاكرة بدلا من السرحان ، فنفضت إليه خشيتي أن تتزوج قبل أن أحصل على الشهادة ، وخشيتي أن أسافر الى الغرب ، وكان يقول :

سهل تتردد فى السفر من أجل هذا . . . إنك إن لم تسافر وتزوجتها لظللت طول عمرك تكرهها لأمها كانت حجر عثرة فى سبيل مستقبلك ، ولظلت هى طول حياتها تكره نفسها وتكره زواجها بك لأنه منعك من المستقبل اللائق بك ، لا ، اخطبها وسافر . ولكن لابد لك ان تسافى .

وحصلت على الشهادة وراح أبي يجهز لسفرى ، ورحت أنا أتحين الفرصة لأحادثه فى أمر خطبق ، ولكن كيف ؟ . . كنت طفلا كبيرا فى السابعة عشرة من عمرى أحس أنا أبى كبير وأفهم كل شيء ، بل لعلى كنت معتقدا أننى أفهم ما لا يفهمه أبى نفسه ، ولكن من يعترف معى بكبرى هذا وعقلى وحكمتى ! كان أبى وأمى يعاملاننى كأن طفل لا أزال ، حتى لقد فكرا أن يرسلا معى خادما الى الخارج ليرعى شأنى ويقوم على أمورى فيا استطعت أن أصرفها عن هذا التفكير إلا بشق الأنفس وكثير اللجاج ، بل وبالبكاء أيضا . . نعم بالبكاء فقد كنت حتى ذلك الحين أبكى إن أصر أبى على أمر لا أريد تنفيذه .

كيف إذن أحدثهما عن حبى وعن رغبتي في الخطبة وهما يريان أنني ما زلت محتاجا إلى . . !!

لم أجد من ألقى إليه بما أنا فيه الا صديقى أشرف الذى عرف حالى جميعا أثناء المذاكرة ، قصدت إليه فى بيته وظللت أقول وأقول . . وأبين له كيف أنهم يجهلون فى بيتى قدرى وكيف أنهم يستصغرون شأنى ويستهينون بعبقريتى ، وكان أشرف يكبرنى بعض الشيء فانتهز الفرصة وراح يقف منى موقف المرشد الناصح وأنا أضيق بحديثه غاية الضيق حتى لم أطق أن أكمل الجلسة وخرجت من عنده وأنا أشد ضيقا عما كنت حين قصدت إليه . .

وتحدد موعد السفر ، وما لبث هذا الموعد أن حل ، وأصبحت فى اليوم الذى سأسافر فى مسائه . وقد عزمت أمرى على مفاتحة أبى وقد هيأ لى الوهم أننى ما أن أخبره برغبتى فى الزواج حتى يسارع الى أهل هناء فيخطبها لى فى نفس اليوم ، بل فى نفس الساعة .

قصدت الى حجرة أبى وقد أعددت نفسى إعدادا تاما ، ولكن لم أجد أبى فقد انصرف فى باكر الصباح ليكمل ما أحتاج اليه وأخبرهم فى البيت أنه لن يرجع إلا بعد الظهر .

ولم أطق أنا البقاء فخرجت عازما ألا أعود أنا أيضا إلا بعد الظهر..

وبعد الظهر عدت وما كدت أصل الى الحى حتى تدافعت الى أذنى زغاريد تنبعث من بعيد ويقترب صداها كلما اقتربت الى البيت ، ماذا ترى بعث هذه الزغاريد ؟ ليس هناك إلا سبب واحد .

لا بد أن أشرف أخبر أبي برغبتي في الزواج من هناء وأراد أبي أن يفاجئني بهذه المفاجأة الهائلة الرائعة العظيمة ، كم هو عظيم أبي هذا !! كم هو وفي أشرف صديقي ! أحقا تحققت

الأحلام ؟ أحقا هدأ لى مضطرب الفؤاد واستقرت بى نفسى الحائرة ؟ وتزداد الزغاريد قوة وكأنها تجيب أن نعم . . نعم ، لقد تم لك ما تريد . .

وبلغت مصدر الزغاريد ، انه بيت هناء ، اذن فهو ما فكرت فيه ، وإذن تحققت الأمال ووجدت بالباب سيارات وقوما متجمعين ووجوها يطيب البشر من قساتها . . ولكن أين أبي من هؤلاء ؟ أين سيارته . . وأين سائقنا ، أين نحن في هذه الجموع ؟ لا . . لم يكن هناك . . عدوت جريا الى منزلنا فوجدت أبي جالسا في مكتبه ، ورأى اضطرابي وأدركه ولكن لم يلفت أمره ولم يسألني ، « ما لك » بل قال في صوت شوق عاطف :

_ أين أنت ياأخي ، أتترك البيت في هذا اليوم وسيأتي الناس لتوديعك وأمك تهفو أن تقضى معك هذه الساعات التي تسبق سفرك .

_ والله كنت . . كنت أودع أصحابي . . أبي . .

- ... نعم ...
- ــ أبي . .
- ــ نعم . .
- ــ ما هذه الزغاريد؟

_ يا سيدى هناء تخطب اليوم ، وأنا ذاهب لأهنىء أباها فقد دعانى الرجل وألح على أن أذهب وهو يريدك أيضا أتأتى ؟ ·

وتلعثمت وأنا أجيب أبي بأسى قانط مرير:

ــ لا . . لا يا أبي فانى سأنتظر مع أمى . . وأنتظر المودعين وابتسم أبي ابتسامة وجدتنى أمامها عاريا من سرى الكبير ، لقد كان الرجل يعرف كل شيء ، قال لى ذلك . . قالها دون أن ينطق كلمة واحدة ، قالها في ابتسامته تلك التي ترقرقت على محياه . . وخرج . .

وخلوت أنا إلى حجرى ، لم أنتظر المودعين ولم أجلس إلى أمى وانما لجأت إلى الكذبة التى يستعملها الجميع إذا شاءوا أن يخلوا إلى أنفسهم . . نعم ادعيت مرضا وصداعا وخلوت الى حجرى . . أستعيد الأيام ، أيام الفناء والكرة والحبل والطريق واللعثمة والحمرة ، والأحاديث ، ذهب هذا جميعه ، هذه الخائنة ، ولكن ما ذنبها ! وهل تملك من أمر نفسها شيئا ، بل هل أملك أنا من أمر نفسى شيئا ! هانذا مسوق الى السفر ، مرغم على السكوت حتى لا استطيع أن أنبث بخالجة نفسى ورغبتى ، ما ذنبها ، إنما يجكم عليها من يجكم على . .

آه من الآباء!! فكرت ألا أسافر . . ولكن ماذا أقول . . وكيف أعصى أبى ، لا إنى سأسافر لا لأنى خائف من أبي ولكننى سأسافر لأنى زعلان من أبي . . ولماذا أزعل منه! هل أخبرته بشيء . . لقد كان يعلم . . وماذا كنت أنتظر . . أن يأتي هو الى ويقول لى سأخطب لك هناء . . وماله !! ولماذا لا يفعل ؟ نعم سأسافر لأننى زعلان .

وسافرت ومضت السنون بي في أوروبا وخطابات أشرف توافيني بأخبار هناء فتحيى في القلب حبا كان خليقا أن يضعف .

رأيت المرأة في الغرب . . رأيتها في أوضح صورها بشاعة ، وكانت رؤيتي لها تعيد حبى لمناء إلى شبابه الأول ، أرى العيون الفاجرة ، فأذكر عيونها المسبلة ! وأرى الوجوه البريثة فأذكر حجرة وجهها ! وأرى الأجسام الفائرة فأذكر جسمها الذي لا يبعث إلى ذهنك إلا فكرة الورود تتفتح عنها أكيامها في حياء وفي زهو وفي كبر ، أرى النسوة عاريات وأن سترت أجسامهن الملابس ، فأذكر ذراعيها العاريتين يسترهما جلال الحياء فيها وبراءة الأجواء التي تشيع من حولها . ورأيت الغرب فعرفت المرأة فازداد حبى لحبى الطفل الذي تركته في مصر بين أيد غريبة عنى وعنها وعن طفولتنا وصبانا ومطالع شبابنا . .

كنت قد أوشكت أن أنتهى من دراستى حين جاءن خطاب من أشرف يحمل إلى نبأ عجيبا . لقد مات زوج هناء . مات . . يا لفرحتى !! ودوى عن الفرحة ضمير برىء يستجدى أن يفرح للموت . . عدت الى خطاب صديقى . . يا له من مقصر ، ألا يذكرنى إن كانت هناء تعيسة بموته وما مدى تعاستها ، ولم يذكر الخطاب أين تسكن . . أوحدها أو مع والديها ؟

ولم يحن موعد عودتى الى مصر الا وأنا أعلم كل شيء عن هناء . . أين تسكن ، ومتى تخرج ، ومقدار حزنها ، ومدى تمتعها بالحياة ؟

عرفت کل شيء . .

ووصلت الى مصر ، فكان أول ما عملت أن اتصلت بها بالتليفون . .

ــ أتراك تذكرينني . . .

- أعرف الصوت ولا أصدق أذني . . أتراك هو؟

ـــ أنا هو . .

ب أنت . .

ـــ أنا . . عرفتني . .

- _ وهل تتصور أن أنساك . . وهل تتصور أنني نسيتك ؟
 - _ أكلمك لأعزيك . .
 - _ شكرا . . متى أراك ؟ . .
 - . وتلعثمت وأنا أقول:
 - _ ترينني ؟!
- ــ طبعا . . ما لك هكذا وكأنك لم تسافر الى الخارج . لا تزال اللعثمة تعتريك . .
 - _ متى أراك؟
 - _ كما تحب ! . .
 - _ الأن؟
 - ـ الأن . .

واتفقنا على الموعد وذهبت إليه . . غير أن فى الصوت جرأة ، وفى الحديث امرأة وفى اللهجة اقبال . . ماذا ترى حدث ، أن تدعونى هى إلى اللقاء وقد كانت لا تلتفت إلى وأنا أحدثها فى الطريق ، هذا الصوت ، وهذه اللهجة ليست غريبة على ، إننى أعرفها ، سمعتها ، ولكن بلغة غير اللغة ، نعم لقد كن هكذا يجادثننى فى الخارج . . ترى ألم تصبح هناء . . هناء .

وأقبلت فى الموعد ، امرأة . . ربتة العود عالمة العينين خبيرة النظرات ، متجملة الوجه ، متأنقة الملبس ، وجلست . .

وتحادثنا . . كنت أحادثها عن أيام الطفولة والصبا وراحت تحادثنى عن الأنوثة التى التقيت بها في أوروبا ، بل راحت تنبئني عما فعل بها زوجها . .

ذعرت . . ليست هذه هناء ، انها امرأة . . عرفت مثيلاتها الكثيرات ، ليست هذه حبى ، ليست هذه طفولتي ، لا ولا هذه أحلامي . . أرجعوا الآيام ، أعيدوا اليها طفولتها ، وصباها وبواكير شبابها لأرى طفولتي وصباى وبواكير شبابي . .

كان لقاؤنا الأول هو الأخير . . حاولت أن تدعوني فها زادني هذا إلا بعدا ، لقد فقدت هناء التي عرفتها فها خلقت الا امرأة . . امرأة كاملة ولكن ليس لى فيها ذكريات ولا آمال .



أهبيطت وهجسي

لاتلمنى يا صديقى وأنت كثير اللوم . نعم إنى أسرف فى انفاق المال وأرمى به فى كل متجه لا أفكر فى العاقبة ولا أريد أن أفكر فيها . ولكن لا تلمنى فها تدرى أنت مقدار السعادة التى أحس بها وأنا أقذف بهذا المال ، لا . . لا تدرى وأرجو الله ألا تدرى أبدا وأرجو الله ألا تحس بهذه السعادة التعسة التى أحسست بها .

قد انقطعت عنك شهورا فيا تعلم من أمرى شيئا ، وقد كان آخر ما بيني وبينك أنك عرفت بخطبتى وهنأتنى في لقاء عابر سريع ثم درت أنا في هذه الدوامة التي لم أفرغ منها إلا اليوم . .

لم تعرف شيئا عن خطيبتى . . نعم لم تعرف شيئا عن ندى . . أحببتها يا أخى منذ أنا صبى يدرج إلى باكر الشباب وأحبتنى ، رأيت فيها فتاة منسوجة من الإشراق ، فهى حيثها تحل فرحة نشوى ، المرح مجالها ، والنور مسبحها ، والصفاء محياها ، والطهر هى . .

أحببتها يا أخى فخطبتها فازددت حبا لها . . وأى عجب أن أحب خطيبتى ، ومرت بنا فى أيام الخطبة فترة وسنانة حالمة حييت فيها بقلب خافق ينتابه الذعر من الغد فقد اعتادلى الذعر منذ غمرتنى هذه السعادة . ولكننى كنت حين أسير معها أنسى سعادتى وذعرى ولا أذكر إلا أننى أسير مع ندى وقد التف ذراعها على ذراعى فأحس كأن ذراعها ستار يحجب عنى من الدنيا شرورها ويفسح أمامى مجالات الجال فيها والاشراق . .

كان هذا يا صديقى . . ثم كانت ليلة اتفقنا فيها على أن نذهب الى السينها فى الغد وتركتها وأنا أفكر فى هذا الغد وأنتظره حتى جاء فاشتريت التذاكر ، وذهبت اليها قبل الموعد وانتظرتها على أسفل السلم فى بيتها . وطالت بها الغيبة فأخذت أصيح فى مزاح جاد وأخذ أهلوها

يضحكون من ثورتي المرحة ويشاركونني فيها حتى بدت أخيرا على رأس السلم مشرقة حلوة ضاحكة مشاركة في الصياح المرح ، وراحت تنزل السلم وثبا ، ولكنها توقفت في منتصفه هنيهة لم يلحظها إلا أنا ، وتابعت وثبها الى أسفل حتى أدركتني . .

وسحبتها من يدها إلى الخارج دون أن أتيح لها أن تعرض أناقتها على أمها وأبيها . واحتوانا الطريق وفي نفسي غصة جاهدت نفسي على إخفائها بعض الحين ثم لم أطق السكوت :

- ــ ندى . .
- ــ هيه . .
- ــ لماذا توقفت وأنت تنزلين السلم ؟ . .

وكان السؤال مفاجأة لها فقد كانت تأمل ألا يرى أحد توقفها . .

فقالت في تردد:

- ٢ ١١ __
- ــ نعم أنت . . لماذا توقفت . .
- ـ يا أخى . . مسألة بسيطة . . ألا يفوتك شيء أبدا؟!
 - _ وماذا ستفعل ؟!
 - ـ أتخفين عني . . عني أنا؟!
- _ أنا طبيب فان كنت لا أعجبك فدعيني أذهب بك إلى أي طبيب يعجيك . .
- ــ يا سيدى الحكاية لا تحتاج إليك والحمد الله . . ابعد عنى وابحث عن رزقك مع غيرى . .
 - ـ بل معك أنت . .
 - س يظهر ان الزبائن انفضوا عنك في هذه الأيام . . على أي حال أمرك . .

وذهبت بها الى العيادة وكان اليوم أجازة فانفردت بها فى عيادتى ورحت أسألها فى دقة عن كل ما تحس به . . وأخذ قلبى يزداد خفوقا مع كل إجابة ، واتصلت بأحد أطباء التحليل من أصدقائى وطلبت إليه أن يذهب إلى عيادته فورا . . وذهبنا . . النتيجة سرطان فى الدم . . عرفت أنا النتيجة ولم تعرفها هى . .

وعدت بها إلى المنزل . . نعم أنا طبيب . . وأعرف ألا أمل مطلقا . . لكننى انسان أيضا يا أخى . . ومحب . . أنا لا أطيق الحياة خالية من هذه المريضة . . لا . . لا أطيقها . لم أخبر أحدا من أهلها بمرضها وحملت العبء وحدى وأنا وحدى بين الناس جميعا الذي كان خليقا أن يتهاوى تحت هذا العبء ولكني حملته ..

تركتها فى البيت وخرجت وحدى إلى الطريق إلى قلبى المحطم ، أمرن لسانى على ما سيقول ، وأهيى نفسى للطريق الذى اخترته . ولكننى فى وحدى هذه لم أشعر بحيرة ولم أفكر فى طريق آخر غير الطريق الذى وسمته لنفسى فى سرعة خاطفة واستقر أمرى عليه . .

ذهبت فى اليوم التالى إلى أهلها وأخبرتهم أنى مسافر إلى الخارج فى مهمة علمية ، ورحت . أدور بالحديث معهم حتى أقنعتهم أنه لابد من الزواج العاجل ، وجاءت هى بعد أن انتهينا إلى هذا القرار ، وفوجئت به ثم ما لبثت أن دخلت غرفة وحدها ونادتنى فذهبت إليها :

س أحمد . . ماذا عرفت أمس من تحليل الدم . ؟

كنت قد أعددت نفسى لكل مفاجأة فصنعت ضحكة كبيرة وقلت:

- ــ عرفت أنه لابد من الزواج السريع . .
 - ــ أهذا وقت الضحك ؟
- ــ وماذا أعمل مع خطيبتي العبيطة التي تربط تعجيلي الزواج بتحليل الدم؟
- ــ لماذا لم تخبرني أمس عن رحلتك إلى الخارج . . أنت لم تخف عني شيئا . .
 - ـ أخفيت هذا الشيء . .
 - ي للذا ؟
- لأننى اعتقدت أنه لو تم لهيا لى مفاجأة سارة أفاجئك بها ، وخشيت أن أخبرك ثم لا يتم فيسبب لك هذا ضيقا لا أريده لك أبدا .
 - أحمد . . هل أنت صادق ؟
 - ــ وهل کنت عمری کاذبا ؟
 - _ أحمد إن خائفة . .
 - ولم أستطع أن أتحكم في لساني وهو يقول:
 - ــ وأنا أشد خوفا . .
 - وارتاعت المسكينة فانتفضت تقول:
 - ـ لماذا . . لماذا يا أحمد ؟

واستعدت نفسي الجازعة وقلت لها:

ـ أخاف من السعادة التي تغمرني . . أخاف من السعادة يا ندى . .

واغرورقت عيناى بالدموع ، وتعلقت بجفنيها دمعتان ، فأما دموعى فبعض الألم الذى أخفيه ، وأما دموعها فمن حديثي إليها عن سعادتي . .

والتقت الدموع . . دموع الألم ودموع السعادة . . فاعجب معى يا أخى من إحساسين على طرق نقيض كان التعبير عنهما واحدا!!

أتسخر منى يا صديقى ؟ بربك لا تفعل فانه يحلو لنا حين نغوص فى أحزاننا أن نجعل من أنفسنا فلاسفة وإن كنا فى عميق إحساسنا نعرف أننا لسنا من الفلسفة فى شيء..

ولكننا نخادع أنفسنا ونرتاح الى هذا الخداع مع علمنا أنه خداع . .

أتسخر منى يا صديقى ، لا تتعجل السخرية . . فسوف أفسح لك مجالا للسخرية لا ينتهى أمده ، لا تفرغ سخريتك كلها ، فان كان فيها قلت ما يثير هذه الابتسامة الهازئة التى تضعها على فمك فان فيها عملت ما يثير قهقهتك الساخرة العالية . . فاحتفظ ببعض سخريتك ولا تفرغها جميعا فان ما قمت به بعد ذلك يحتاج إلى كل السخرية التى تزدحم فى نفسك . .

سافرت إلى أوروبا مع زوجتى . . نعم سافرت بعد أن أعدت قراءة ما كتب عن مرض زوجتى وبعد أن تأكدت ألا فائدة ترجى من السفر . . إلا أننى وجدت مجلة غير علمية تقول إن هناك بحثا يدور عن هذا المرض سافرت إلى هذا البحث . . ألم أقل لك احتفظ بسخويتك . .

توهمت أنني قد أجد أملا بجانب هذا البحث الدائر . . وإلى هذا الأمل سافرت . . وتجسم الأمل في نفسي حتى كاد أن يصبح حقيقة ، وفي أوربا أنكرت أنني طبيب وأصبحت أفعل ما يقول به الأطباء ملتمسا في كل كلمة أملا أزيد به أمل . . مكثت مع زوجتي ولا عمل لى إلا تنفيذ ما يقول به الأطباء الباحثون لا أناقشهم في شيء ، ولا أفكر إلا فيها يقولون ، وقد أعلم أنهم مخطئون ولكنني أخطىء نفسي وأصدقهم . وأخفى على زوجتي ما يقولون وما أعلم وأوهمها أنني أعمل في البحث الذي جئت من أجله وأوهمها كلها عرضتها على طبيب أنه صديق لى يريد أن يفحصها . ليست زوجتي غبية أيها الصديق . لقد عرفت أنها مريضة ، وعرفت أن مرضها خطير ولكنها لم تشأ أن تشعرني بمعرفتها حتى لا تنغص على فرحتي بأنني استطعت أن أخفى عنها مرضها . . وكانت تراني أمامها سعيدا دائها فلم تشأ أن تشعرني أنها عرفت بمرضها حتى لا تقطع هذه السعادة المصطنعة التي كنت أخلقها لنفسي أمامها . . أكانت كاذبة هذه السعادة جميعها أم كان بعضها حقا . . لا تسخريا صديقي . . لقد استطعت ـ وأنا الطبيب .. النا أقنع نفسي أن الأطباء سيشفون زوجتي من المرض . .

نعم . . توهمت هذا ، وأحببت وهمى وعشت فيه ، حتى أصبحت السعادة التى كنت أفتعلها ، حقيقة أومن بها لا تقبل منى شكا ولا نقاشا . .

وتلومني لأني طلبت إليك أن تبيع كل ما أملك ، وتلومني اليوم لأني طلبت اليك أن تبيع أدوات العيادة . . لا . . لا تلمني يا صديقي . . لقد اشتريت بما أرسلت إلى من نقود أملا ضخا ووهما حلوا أحببته وأحببت العيش فيه وبه . .

واليوم يا صديقى ماتت زوجتى ، ومات الأمل ، ومات الوهم وطالعتنى الحقيقة بلا خداع ولا كذب ولا وهم . .

لقد أسرفت في الانفاق وما أقل ما أنفقت في سبيل هذه الأيام التي تخليت فيها عن الحقيقة وعن العلم وفرغت إلى هذا الأمل الذي أنشأته وذلك الوهم الذي أحببته . .

اتسخر منى . . اسخر ما شاءت لك السخرية ، أما أنا فأقسم لك . . أقسم بها . . لو عادت الأيام إلى الوراء لفعلت ما فعلته ثانية وثالثة وألفا . . أيها الصديق لقد كرهت الحياة وأحببت الوهم فمن لى بهذا الوهم . . من لى به . .



أخلفت الموعد

دق جرس التليفون في منزل الأديب الكبير الأستاذ شريف لطفى ورفع الأستاذ سهاعة التليفون فبلغ سمعه صوت ناعم حلو:

- من ؟ . . الأستاذ شريف ؟
 - ــ أنا هو . .
 - ـ صباح الخبر يا أستاذ . .
 - صباح الخير . .
- ــ أنا يا أستاذ إحدى المعجبات بكتابتك ، وأتمنى أن أراك . . أرجوك أن تحدد لى موعدا . .

وارتبك الأستاذ بعض الحين ، فهذه أول مرة تكلمه فيها سيدة على غير معرفة وكاد يغيب في طوايا ذكريات سعيدة لولا إحساسه أن هناك من ينتظر رده فسارع يقول :

- متى تريدين الموعد ؟
- ـ الآن . . في هذه اللحظة إن أمكن . .
 - _ الآن! . . في هذه اللحظة؟
- ـ ياأستاذ أنا أكلمك بعد تردد طويل ، كنت أخاف أن أضايقك ورددت نفسى عن تليفونك أياما بلغت شهورا ، وأخيرا جمعت جرأة لا أعرف من أين حصلت عليها لعلها من كتابك الأخير . . واستطعت أن أكلمك . . وأريد أن . .

- ـ. أنت غير محتاجة إلى هذا الاعتذار الطويل يا . .
 - _ منى . . أسمى منى . .
 - _ يا آنسة ؟
- _ نعم آنسة منى إذا شئت ، وما أحب إلا أن تقول منى . . منى بغير شيء قبلها ولا بعدها .

وخفق قلب شريف خفقا عنيفا وهو يقول:

- _ طيب يامني . . أراك الآن ولكن أين أنت ؟
 - _ أنا في الجيزة . .
 - ـ طيب أنا سأنتظرك في جروبي . .
- ... متشكرة ياأستاذ . . متشكرة جدا يا أستاذ . .

ووضعت منى السياعة وظل الأستاذ لحظات ممسكا بالسياعة ، ثم قفز إلى ذهنه خاطر أرسله يقول : (يا منى . يا منى » ولكن هيهات فقد انقطع الخط وانتهى الأمر . فوضع شريف السياعة وهو حائر ! كيف سيعرفها أو كيف ستعرفه ؟ وهما لم يلتقيا ، أتراه صديق يجزح معه ؟ ! ولكن لا ، فيا عوده الأصدقاء هذا المزاح ، وإن مكانته لا تسمح بمثل هذه الصغائر . . على أية حال ماذا عليه لو ذهب إلى جروبي وجلس إلى إحدى موائده فطالما جلس إلى موائده . . فإنه هناك وفي جروبي بالذات يستطيع أن يستعيد الذكريات . . وسمع الأستاذ نفسه تضحك منه ضحكة ساخرة هازئة . . ذكريات ؟ أي ذكريات يا أستاذ وهل لك ذكريات . . لقد قطعتها حياة خالية بلا حياة فيها ولا ذكريات . . أي ذكريات . . يا أستاذ ا!

وغضب الأستاذ من نفسه وزجرها فى عنف . . وحاول أن يجيب ولكنه وجد نفسه وجها لوجه أمام كرسى جروبى ، وقد وقف الخادم أمامه يبدو عليه أنه ينتظر أمره ، ويفرض عليه فى الوقت ذاته أن يطلب شيئا ، وانصرف الخادم وخلا الأستاذ إلى نفسه . .

أليس لنا ذكريات أيتها النفس ، كم أنت خبيثة تنكرين الماضى وتتنكرين للأيام الخوالى أما تذكرين أيام الهوى !! أيام أن كنت خالية إلا من الحب ، فارغة إلا من الأمل ، خفيفة إلا من الأحلام . .

وأمعنت نفس الأستاذ فى الإساءة إليه ، وراحت تجيبه فى سخرية . . متى ؟ . . متى يا أستاذ كان لى حب ، أو أمل ، أو أحلام ؟ فانى والله منذ عرفتك خالية بلا حب فارغة بلا أمل خفيفة بلا أحلام . . وهأنذا اليوم بلا ذكريات . . أستاذ أتراك تريد أن تضحك منى أيضا

كها تضحك من قرائك ، فتؤلف قصة تجعل من نفسك بطلها ، وتريدنى أن أصدق ما تقول ؟ وأجاب الأستاذ في غير احتفاء بهذه السخرية ، فقد غمرته الذكريات فهو منها في طوفان . .

أما تذكرين . . أما تذكرين ؟

وقالت النفس . . لا . . لا أذكر . ولكن الذكريات راحت تنهال في خاطر شريف كجدول مزدحم الأمواج .

كان إذ ذاك صبيا مشرفا على الشباب ، ملهوفا إلى الغد لا أمس له ولا حاضر وإنما عيناه شاخصتان إلى المستقبل يرقبه من خلال الغيب عجلان ، يود لو أن الأيام تقاصرت ، ولو أن الليالى انحسرت ، يحب الشمس المشرقة ثم ما يلبث أن يكرهها ويرى فيها قديما لابد أن يزول لتأتى الشمس الجديدة شمس الغد شمس الشباب . .

كذلك كان شريف ، وكانت بثينة هى الجارة . . فتاة فى ربيع العمر من الشباب على وجهها حمرة الفرح ، وعلى صدرها استكبار الواثق المزهو ، ولف الشباب عودها فهى عود مورق تعرف الأوراق أين تنبت فيه ، وكيف تنبت ؟ ا غضة كالغصن الجديد مشرقة كالزهرة ، حلوة فتانة ، تنظر إلى الغد بعين وسنانة حالمة وتلتذ كل لحظة تعيشها وتعتصر كل لذة في هذه اللحظة ، وتنبت لنفسها ذكريات من الأمس ولا ذكريات لها ولا أمس ، ولكنه الشباب يحب الماضى والحاضر والمستقبل . .

كانت بثينة أكبر من شريف فلم تجد بأسا أن يجلس إليها وأن تجلس إليه ولم يجد أهلها و لا أهله في ذلك بأسا ، وانعقدت بينها صداقة كان هو فرحا بها ، وكانت هي فرحة به أيضا ، وكانت بثينة تحب الأدب والأدباء ، وكانت تخص أديبا معينا بحبها ، وكانت تقرأ على شريف لحذا الكاتب بالذات فتكثر القراءة وكان هو يقبل على ما تقرأ في تكاسل وعزوف ، ومرت الأيام ولم تلحظ بثينة أن الأيام مرت وأنها أطلعت في وجه شريف الغض شعيرات تتلوى ، وأنها جعلته يشترى الكتب لكاتبها المفضل إن أصدر جديدا ، أو لغيره إن لم يصدر هو .

أحب شريف الفتاة وأحب الأدب في غمرة حبه الأصيل . . وأحست الفتاة بحبه للأدب ولم تحس حبه لها . .

ومضت الأيام حتى كان يوم فوجىء فيه شريف ببثينة تتزوج ، وكان زوجها هو كاتبها المفضل . .

ومنذ ذلك اليوم ولا أمل له فى حياته إلا أن يصبح كاتبا مثل زوج بثينة . . وإلا أن يجد زوجة تعجب به كها أعجبت بثينة بكاتبها . .

ذهبت بثينة من حياة شريف وتركت له الأدب ، وذلك الأمل الضخم الذى رصد حياته كلها لتحقيقه . .

ومرت الأيام . . وشريف عاكف على الدراسة والقراءة العنيفة التى لا تعرف الوهن ، وسافر إلى الخارج يجمع إلى الأدب العربي الأدب الغرب ، وجهد في الغرب ، لم يقض لحظة مع فتاة ولم يترك هنيهة دون أن ينتفع بها ، حتى اذا أتم ما أراد لنفسه أن يتم ، عاد إلى مصر ، وبدأ عمله أستاذا للأدب في الجامعة وكاتبا في الجرائد والاذاعة ومؤلفا للقصص الطويل منها والقصير . .

وانهال انتاجه على عشاق الأدب ضخها رائعا كثيرا متدفقا فها هو إلا بعض العام حتى كان اسمه على كل لسان ، تهمس به العدارى فى وله ، ويتشدق به شداة الأدب فى إكبار ، وينقده الأدباء فى مرارة ، وهو فى شغل عن هذا جميعه بأدبه وبأمله فى أن تحبه قارئة مثل بثينة وتعجب به ، وتقصد اليه تقدم بين يديه اكبارها واعجابها وحبها . فيخطبها ويتزوجها وينشآن بيتا كأحلام العدارى أو خيال الشاعر الولهان . أو كبيت بثينة وان كان لا يدرى ما فعل الله بشنة .

ومرت الأيام وراح أهل شريف يلحون عليه أن يتزوج وهو يصرفهم عن هذا الحديث كلها تحدثوا به ، فان ألحوا تركهم وخرج إلى مقعده فى جروبى . . هذا المقعد الذى يجلس إليه الأن فيستعيد الذكريات . . ذكريات بثينة وقراءتها له وتسخر منه نفسه كلها حاول أن يجعل من الأيام الماضية ذكريات . . ولكنه لا يحفل بسخريتها تلك بل هو يسترجع الذكريات . . وقد كان خليقا به فى يومه هذا أن يذكر . . فقد آن له أن يحقق الأمل ، أمل حياته جميعا . . كم هو فرح . . فرح ؟ ا

ما أضعف الأديب حين يحاول أن يبين عن خالجة نفسه ، أكل ما يصف به نفسه الآن أنه فرح ! فرح فقط ! وماذا تملك غيرها أيها الأديب . . إنك لن تحاول أن تزوق الكلام لنفسك كها تزوقه لقرائك ، والمشاعر الانسانية معروفة (لا تتغير . . أنت فرح ولن تحاول أن تعبر عن فرحك لنفسك) لأن نفسك تعرف مقدار فرحك فقد لازمتك منذ أن كنت صبيا إلى الآن ، وها هو ذا أملك يتحقق فأنت فرحان ينتاب فرحك بين الحين والحين غصة خوف أن لا تعرفك الفتاة ، وتطمئن نفسك بأن صورك تملأ الجرائد ثم تخشى أن تختلف الصورة عن الحقيقة ثم نفكر في آخر صورة لك . . ثم ها هي ذي الفتاة تقف إلى منضدتك . . نعم انها واقفة إلى منضدتك . .

ـ الأستاذ شريف . . صباح الخير . .

ويقف الأستاذ شريف ذاهلا حائرا فها كان يتوقع أن يرى كل هذا الجهال . . لا . . فها بثينة

بهذا الجمال . . لا ولا أمل هو يوما أن تكون فتاته بهذا الجمال لا . . وقبل أن يسترسل به الخيال يفيق الى وقفتها ووقفته فيقول :

- ـ الأنسة . . آسف . . أقصد مني . .
 - ــ أنا هم . . .
- _ أهلا وسهلا . . تفضلي . . اقعدي . .

وتقعد منى ثم ما تلبث أن تضحك ضحكة عالية مرحة منطلقة خالية لا يمسك بها شيء فهى رنين حلو ولكن شريف ينظر إليها في تعجب . .

- _ خيرا . . ماذا حدث ؟
 - ــ انظر . .
 - _ ماذا ؟

ــ لقد طلبت جلاس وتركته يذوب حتى ملأ المنضدة ولم تلتفت إليه أعرف أن الفنانين يسرحون ولكن لم أكن أعتقد أنهم يسرحون إلى هذا الحد . .

وارتبك شريف فها يدرى ماذا يقول أو يفعل ا وراحت منى تتحدث فى حديث آخر بعد أن نظف الخادم المنضدة ، راحت تشرح له اعجابها به وبكتبه ومقالاته ، وراح هو فى خجل حيران وفى نشوة فرحانة يسألها عها أعجبها وهو يتمنى أن تسكت نقد بلغ به الخجل مداه ، ويتمنى ألا تسكت فها لقى هذه السعادة جميعها قبل اليوم ، وبين رغبته فى سكوتها وأمله فى استرسالها راحت منى تتحدث فى انطلاق مرح فى اعجاب كبير وهى تنظر إليه نظرات يملؤها الاكبار فقد كانت ترى فى جلستها تلك اليه أملا لا سبيل الى تحقيقه . .

وطال الحديث وشريف ينظر إلى الفتاة لا يحول عينيه عنها والسعادة تغمره من كل جانب . . فجهال الفتاة معجزة واعجابها به يفوق اعجاب بثينة بكاتبها لم يبق له من أمل بعد هذا . لا أمل له أكثر من هذه السعادة التي يعيشها الآن ويتنفسها ويلتذ بكل نسمة فيها . .

وتمكنت منه رغبة فى الانطلاق فها يطيق أن يستقبل كل هذه السعادة جالسا إلى كرسى ، انه يريد أن ينطلق إلى الشوارع إلى الميادين . . إلى الفضاء بل إلى الزحام . . إلى الدنيا جميعا فى هدوئها وضجتها ، فى سكونها وحركتها . . إلى كل الدنيا . .

قال لمني :

ــ هلم بنا . .

- _ إلى أين؟
- _ إلى الشارع . . أريد أن أسير . . هلم . .
 - _ إلى أين ؟
 - _ إلى أي مكان . .
 - ــ ولكني لا أستطيع . .
 - _ لاذا ؟ . .
- ــ لأنني أنتظر خطيبي هنا . . فقد طلبت إليه أن يأتي إلى هنا . .

ولم يسمع نثريف شيئا نما قالت بعد خطيبي . . فقد جمدت عيناه تنظران إلى عينيها وجمدت شفتاه لا هما مفتوحتان ولا هما مغلقتان . .

وجمدت خلجات وجهه بين الدهشة والألم وبقايا فرحة تنحسر لتفسح مكانا لألوان شتى من المشاعر لا مجال فيها لفرح أبدا . .

وبعد فترة لا يدرى أقصرت أم طالت انتبه إلى نفسه ناظرا إليها فوجد صورته فى عينيها الشابتين ، وجد صورته الجازعة مطبوعة على عينيها الضاحكة المستبشرة ، رأى صورته فى عينيها فأطال التحديق . لقد نسى الأستاذ شريف شيئا وذكرته صورته ما نسى . نسى ذلك الشيب الذى اشتعل فى رأسه فحرق مستقبله ، وفى لحظة وامضة أدرك الاستاذ شريف ألا مستقبل له . وأدرك ألا ماضى له أيضا . لقد أكل الأدب ماضيه ومستقبله ، وألهاه عن السنوات التى تمر لا تراعى القلب الشاب ولا الأمل الطفل وانما هى تدمغ حيث تمر فتجعل من صبى الأمس عجوز اليوم . .

كان الأستاذ شريف يقترب إلى الخمسين من عمره ولا يحس.

ولم يفق الأستاذ شريف إلا حين جلس إلى مكتبه وأخرج ورقة وقلما وكتب عنوان قصته الجديدة . .

﴿ أَخْلُفُتُ الْمُوعَدُ ﴾ . .

ملاعب العسبط

على ضفاف الصحراء ، جلس حمدان بن ربيعة يمد طرفه إلى الأفق البعيد ، فلا يرى بعينيه غير انطباقة السهاء على الرمال ، فيخترق بفكره هذا الأفق ويوغل إلى ما وراءه . . إلى هناك . . إلى ملاعب الصبا ، ومدارج الطفولة ، هناك حيث انطبعت يوما على الرمالات البيض آثار ركبته ويديه وهو طفل يحبو ، وآثار قدميه الطفلتين وهو حدث يتعثر في خطواته الأولى ، وهناك حيث محت الرياح آثار قدميه الصغيرتين وهو صبى يدرج إلى الشباب ، وويل لحمدان من ذكرياته لأيام الصبا ، فهى أولى ذكريات وعاها عقله ، وهى أحلى ذكريات صنعتها له الأيام .

كان ذلك منذ نيف وعشرين عاما ، وكانت الحياة بين يديه لعبا مع الأطفال من أترابه . .

وكانت هى بينهم تلعب كما يلعبون ويجرى عليها من أحكام اللعب ما يجرى عليهم لا يراعون أنها ابنة شيخ القبيلة . . وما شأنهم بأبيها ؟ إنما هى عضو فى جماعتهم لا يعنيهم من شأنها إلا مرحها ولعبها وإتقانها لهذا اللعب . .

وهكذا عاش حمدان في جهالة الطفولة لا يدرك مقدار السعادة التي تتيحها له هذه الجهالة وإنما يدرك قواعد اللعبة التي يمارسونها تمام الإدراك ، ويتقن هذه اللعبة كل الاتقان .

وكانت هى _ لمياء _ تعجب بمهارته ، وتنضم دائها إلى الفريق الذى يضمه . . سعيدة أن تراه إلى جوارها لا تعرف سببا لهذه السعادة ، سعيدا هو أن يراها إلى جواره . . لا يدرك باعثا لجذه السعادة . .

ومرت الأيام ، وويل لحمدان في جلسته هذه حين يذكر مرور الأيام . . لماذا مرت ؟ الا تعرف هذه الأيام شيئا إلا أن تمر فتجعل من العقول الجاهلة الحالمة السعيدة عقولا مبصرة

واعية سُقية ، أما كانت تستطيع هذه الأيام أن تتوقف فلا تمر ، أو تتمهل فلا تثب هكذا وثبا عنيفا يطيح بالأماني العذاب ، ويقضى على الأمال الباكرة المشوقة إلى أن تصبح حقائق واقعة ، مرت الأيام كالرحى الثقيلة تطحن سعادتنا الجاهلة ، وأنسنا الساذج . . مرت الأيام ، فألقت على وجه أباء حلاوة الشباب بعد عربده الطفولة ولمست جسمها فاذا هى فارعة الطول هيفاء غيداء تخطر كالمواء ، وتسعى كالأمل وتشرق كالشباب ولمست الأيام عقل لمياء الطفل الجاهل فتفتح إلى أفكار الشباب وصار يدرك سبب السعادة التي كانت تحسها ، وأصبحت تخجل من هذه السعادة وتحاول ما وسعها الجهد أن تخفيها في عميق نفسها .

ومرت هذه الأيام نفسها على حمدان فعلمته أن ذلك الشعور بالسعادة إنما هو الحب الذي يتحدث عنه الشعراء ويتهامس به الشبان ، علمته الأيام أيضا أنه فقير ، أبوه تابع لأجد وجهاء الحي ، وعلمته الأيام أن دونه ودون لمياء المستحيل ، فهي لن تصبح له في يوم من الأيام ، بل أنه لن يستطيع أن يكشف لها عن حبه مهما يعظم . . عرف حمدان هذا جميعه ولكن بعد فوات الوقت . . بعد أن كان الحب قد تغلغل في نفسه فهو بعض من الدماء التي تجرى في عروقه وهيهات للشاب المسكين أن يسيطر على حب هو بعض من دمائه . .

وكان الشبان من أبناء الأتباع يجتمعون فيتحدثون عن رجال الصحراء والكهوف حديثا بملأه الفخر وتحيط به هالات من التمجيد . وكان حمدان يستمع إلى هذا الحديث بأذن واعية وقلب خافق متطلع إلى المستقبل ، وكانت النسوة يستمعن إلى هذا الحديث في تظاهر بالخوف لا يخلو من الإعجاب ، ونظر حمدان إلى نفسه في قبيلته تلك فوجد نفسه ضائم الأصل ، منهار الأمل ، ووجد أنرابه يتمتعون بالمستقبل المشرق ، بينها هو بينهم تابع بلا أمل وتمكن اليأس من حمدان وامتلأت نفسه بالحقد على مجتمعه هذا الذي يجيا فيه فهو ينظر إلى أصدقاء الملعب نظرة كلها الحسد ، وينظر إلى لمياء في حسرة عنيفة ، وينظر إلى مستقبله في مرارة قاتلة ، ويراود ذهنه ذلك القصص عن قطاع الطرق ، ومن خلال هذا الطريق المحفوف بالمخاطر يلمع لعينيه وميض أمل ، وما يمنعه أن يصبح قاطع طريق ١٢ أهو غضب أبيه ؟ وما يهمه غضب أبيه ذلك الرجل الخامل الذي لم يستطع أن يصنع لنفسه إلا هذه الحياة الحقيرة ليس فيها غير الشرف والعفة والفقر والحرمان؟ أتعوُّه أمه؟ وما شأنها به وهي التي رضيت أن تشارك أباه حياته تلك المهينة ؟ . . لا . . إن شئيا من هذا لا يمكن أن يمنعه . . لعلها لمياء . . لا . . لا تستطيع لمياء أن تمنعه فهن ان بقى إلى جوارها سيظل التابع الفقير وستظل هي ابنة الأكرمين وسيراها يوم تتزوج ولن يستطيع حينئذ أن يمد لها يدا أو حتى نظرة . . أما اذا رحل واتخذ سبيله في قطع الطرق فلعله . . لعله يومثذ يستطيع أن يجمع مالا يعوضها به عن ضعة أصله ، ولعله . . ولعله يومئذ يستطيع أن يختطفها ويذكرها بالملعب وأيام الصبا ويناشدها ذلك الحب الطفل .

واتخذ حمدان طريقه وهجر منازله وأحلام صباه وملاعب طفولته وبدأ يمارس مهنته الجديدة في عنف لم تسمع به العرب من قبل ، وما أسرع ما تكونت حوله عصابة ألقت إليه قيادها فهو يدبر للهجوم ويتزعمه . ويث لنفسه الجواسيس في الأحياء فهو على علم بكل قافلة تهم بالمسير ، وهو يتخير من بين هذه القوافل أكثرها مالا فينقض عليها ولا بد له أن يصبب من أموالها ما يريد مها تكن هذه القافلة منبعة الحراسة كثيرة العدد .

كان حمدان جالسا على ضفاف الصحراء تمر بذهنه الأفكار عن أمسه الغابر وعن حاله هذا الذى صار إليه ، وكان أفراد العصابة قد عرفوا فيه حبه لهذه الخلوة فلا يقطعونها عليه فهم جالسون أو نائمون داخل المغارة ينتظرون الجواسيس القادمين ليعرفوا منهم القوافل المعدة للسفر . .

وجاء الجواسيس فتجمعت حولهم العصابة وألقى كل جاسوس بما يعرف من أنباء إلا واحدا بقى مترددا لا تبين عليه حماسة من يحمل أخبارا فسأله حمدان:

- هيه يا عامر مالك صامتا . . ما أنباؤك ؟
 - _ ليست هناك الا قافلة صغيرة ...
 - _ قافلة من ؟
 - قافلة لمياء . .
 - ا إدايل ــ
- ـ نعم لمياء بنت شيخ القبيلة . . تم زواجها بالأمس وهي في طريقها إلى منازل زوجها . .
 - زوجها . . أتزوجت . . متى ؟ ومن زوجها ؟
 - فأجاب عامر دهشا من هذا الاهتمام المفاجيء:
- تزوجت بالأمس من عكرمة الحضرمي، وسترحل إليه يوم السبت القادم..
 - ـ ولكنك لم تخبرني أنها خطبت قبل اليوم؟!
 - ـ لقد تمت الخطبة والزواح أمس . .

وأطرق حمدان مفكرا ، وكاد الدمع يفضح دخيلة نفسه ، ولكنه سرعان ما تمالك عن البكاء فسأله أحد أفراد عصابته :

ــ وما شأننا نحن بهذه القافلة الضئيلة . إنها ستخرج في يوم كثير القوافل وما أظنك ستترك القوافل الغنية الوفيرة الأموال لتأخذ قافلة هذه العروس . .

ولكن حمدان كان يرى فى قافلة هذه العروس آماله كلها قد تحققت فليس بينه وبينها إلا أن يمد بيده فاذا هذه الأوهام التى كانت تداعب خياله يوم ترك الحى قد أصبحت حقائق واقعة ، واذا حبه الذى كان أملا مستحيل التحقيق قد وافى ، فها هى لمياء بين يديه لم يمنعها عنه مانع من زوج أو أب أو قبيلة . . إنها حبه وصباه وشبابه . . وهو . . وتردد حمدان قليلا . . أجل هو . . أتراه أيضا حبها وصباها وشبابها أم أن الأيام قد غيرت هذا الحب ، نعم إنها لم تقل يوما إنها تحبه ، لم تقل ذلك بلسانها ، ولكنه رأى من عينيها أنها تحبه ، وسمع تلك البسمة التى كانت ترتسم على وجهها عند اللقاء إنها تحبه ، ولكن أترى ما كان يسمعه حقا أم هى أوهام عب وخيال شاب ؟ ا سوف يعلم ، وينهى حمدان إلى عصابته أنه اختار قافلة لمياء فيطيعون أمره فى صمت . .

ومنذ ذلك اليوم وحمدان لا يعمل شيئا إلا أن يترقب القافلة القادمة ، وإلا أن يهيىء للمياء كل وسائل الراحة حتى لا تضيق بحياتهم المقفرة ، فهو يقيم لها خيمة من الحرير تملأها الوسائد اللينة والبسط النفيسة والأرائك الأنيقة . .

وبدت القافلة فى الأفق واستعد حمدان وعصابته ، وما هى إلا بعض الساعات حتى كانت إغارة حمدان على قافلة العروس قد نجحت ، فاختطفت العصابة لمياء وهرب أفراد القافلة جميعا حين رأوا كثرة العصابة . .

وأدخلت لمياء إلى خيمتها واتخذت لنفسها مكانا على إحدى الأرائك وبعد قليل دخل حدان في أجمل ملبس، وانبعث في لهفة إلى لمياء يجثو تحت أقدامها . .

- ـ لياء . .
- ـ من ؟ اللص . .
- لمياء؟ انه أنا . . أنا . .
 - _ ومن أنت ؟
- ــ أنا حمدان . . ألا تعرفينني ؟
 - ــ ومتى عرفتك ؟
- _ أنا حمدان . . صديق الصبا . . أخو الطفولة ، ماذا أتراك نسيتني ؟ !
 - ـ أنا لم أعرفك حتى أنساك!
- _ إن وجهى لم يتغير كثيرا منذ تركت الحى ، فها هذا الجفاء . . ألأننى اختطفتك ؟ لقد حسبت أن هذا يزهيك . . أما ترين أننى ما فعلت هذا إلا لأننى أحبك . . نعم . أنا لم أقلها

قبل اليوم ، وكيف كان يمكن أن أقولها وأنت في سهاء بيتك ، وأنا في وضيع حقارتى . . أما اليوم فانظرى حواليك . . انظرى هذه البسط وتلك الوسائد وهذه الأرائك . . اليوم نعم . . اليوم أقولها أحبك . . اليوم أنت لى . . أنت حبى وصباى وشبابي . . حمدان يا لمياء ، ألا تذكرينني ، حمدان ؟

ـ لا . . أنا أعرفك . . لقد كنت أعرف حمدان آخر . . وجهه كوجهك وقوامه كقوامك ، ولكن نفسه غير نفسك ، لقد كنت أعرف حمدان آخر . . عرفته ونحن أطفال وعرفته ونحن شباب فكان فى الطفولة مرح النفس محببا إلينا حين نلعب ، قريبا من نفوسنا جميعا ، وكان فى شبابه رجلا شريف النفس عفيف الخلق ، أما حمدان هذا الذى يجثو هنا . . أما أنت فقاتل سفاك ، قاطع طريق ، أما أنت أيها الرجل فأنا لم أعرفك قبل اليوم ولن أعرفك . .

- ـ لقد ظننت . . لقد خيل إلى . . يالى من واهم مخدوع . .
 - ـ لم يكن حمدان واهما ولا مخدوعا . .

فيجيبها حمدان في لهفة منتشية:

- ــ اذن يا لمياء . . هو أنا . . أنا حمدان . .
- بل لست هو ولن تكونه . . لقد مات حمدان إلى غير رجعة . .
 - _ أتخاذعيني ؟
 - ـ بل لقد مات حمدان . .

ويثور حمدان من ذلك الهدوء القاتل الذي تطالعه به حبيبته فيا هو بمن يطيق هذه المداورة فهو يقول في ثورة عنيفة :

- بل هو حى أمامك . . وستكونين له شئت هذا أم أبيت . . أنت هنا ملكى . . أنت جاريتى . . أنت لا حول لك ولا قوة ، أنا كل شيء لك أنا مستقبلك ولا مستقبل لك إلا بى . . أفهمت ؟
- _ لقد فهمت هذا منذ جئت إلى هذه الخيمة . . نعم . . ان جارية اختطفنى اللصوص . . فأنا ملك لمن اختطفنى فيالك ثائراً ؟ ! أنت لم تقل هذا في أول الحديث وإنما ادعيت أننى أعرفك وأنك تعرفنى فكذبتك ، أما أننى ملكك فهذا حق . . أترى أيها اللص أننى لا أعارض في الحق أبدا . .
 - ـ لمياء . . لمياء . . بعض هذه القسوة . .
- ـ أى قسوة فيها أقول أيها اللص . . لقد أردتني جاريتك ، وهانذا أطيعك . . مرنى بما

- تشاء أطعك . . لن أخالف لك أمرا مهما يكن . .
- ـ حتى لو طلبت إليك أن تهبى لى قلبك؟ . .
 - _ وتجيبه لمياء في ضحكة ساخرة :
- _ أرأيت القلب يوهب بالأمر أيها اللص . . لا . . لا يمكن أن أطبع هذا الأمر . . اللهم الا اذا أردت أن تقتلني أو تسرق قلبي من بين ضلوعي . .
 - ... بعض السخرية يالمياء . .
- _ فبعض العقل أنت . . أتأمرن أن أهب لك قلبى . . حبى ويحك لقد أفرطت . . أهب أحلام شبابى وآمال مستقبلى لقاتل . . سفاك . . وأهبها إطاعة لأمره . . جهلت الحب يا فتى وادعيت كذبا . .
- ـ أعرف أننى أستطيع أن أنالك وأعرف أننى أستطيع أن آمرك فتصبحى لى وحدى ولكن لم يكن هذا حلمي . . لقد كنت أحلم بحبك لا بجسمك ، فأنت حرام على منذ اليوم . .
- ــ بعد أن اختطفتني وأنا في طريقي إلى زوجي ؟ ! ألم تفكر فيها عسى أن يقال عني . . ألم يدر بذهنك ذلك العار الذي ستلحقه بي ؟!
- لا والله لم يدر بذهني هذا . . فقد كنت أحسب أنني سألقى فيك حبى القديم . . أما اليوم . . أما وقد ذكرت أنت هذا العار فلا وحياتك ما كنت لأجعل العار يلحق بك أبدا . . ويخرج حمدان من ثيابه خنجرا لامع النصل فتجزع لمياء قائلة :
 - _ ماذا أنت صانع؟
- سأجعل منك أعظم امرأة في هذه الأحياء . . لقد طلب الرجال قتلي فلم يستطيعوا . . لأكونن قتيلك ، سأقتل نفسي بيدي ، وقولي أنت لمن يسألك إنك قتلتني لتدافعي عن شرفك فأنقذته . . فاذهبي أنت إلى السعادة في ظلال زوجك وحسبي أنا من الأيام ذكريات الصبا التي عشت بها ولها حتى اليوم . .
- وما أن يكمل حمدان قوله حتى يغرس الخنجر في قلبه في سرعة خاطفة وتذهل لمياء عن نفسها . . لا تعرف ماذا تفعل فيسارع حمدان قائلا في حشرجة :
- ــ أسرعى بالهرب . . أسرعى قبل أن يأى أحد . . أسرعى . . واذكريني ، اذكريني أننى قاتل وسفاك وقاطع طريق ولكنني . . أحببت . . ووفيت ومنعت اسمك أن يلم به السوء . .
 - وركعت لمياء إلى جانب حمدان في لهفة ملتاعة :
- ـ لماذا يا حمدان . . لماذا فعلت هذا منفسك ؟ ! إنما أردت بكلامي أن ترجع عن طريقك

هذا . . أنا هي لمياء التي عرفتها يا حمدان . . فارجع إلى الحياة لتعيش شريفا نقيا كها عرفناك . . حمدان . . حمدان .

وجرت دموع لمياء غزيرة على وجه حمدان . . دموع فيها حب قديم ، وفيها حزن جديد ، ولكن حمدان لم يحس بحب أو بحزن كان قد ترك الدنيا بكل ما فيها من مشاعر . .

وخرجت لمياء تنفذ ما أمرها به حمدان فى ذهول حائر ودون أن تحس ولت وجهها إلى منازل أبيها ، وما يأتى الصباح من الغد حتى تكون قد رجعت إلى الحي تقص عليهم ماكان من حمدان . . لم تقل إنها قتلته بل روت الحقيقة كها هى . . وكانما أرادت بها أن تنال من قلوبهم الغفران للص الذى غسلت دماؤه خطاياه . .



لضاء ولا وداع

هو _ وحدك ؟

هي ب ويحدى .

هو ــ وتجبينني ؟

هي ــ وأحبك !

هو منت على هذا الجال الآسر ، حتى ليخيل إلى أنك صنعت جسمك بيدك ، أوليخيل إلى أنك صنعت جسمك بيدك ، أوليخيل إلى أنك مكثت في عالم الغيب أجيالا عدة تسألين الله أن يخلقك نوعا وحدك من الجهال ، فيسمع سبيحانه سؤالك وأجاب سؤالك ، فكنت على ما أرى الآن لونا فريدا من الجهال بلا شبيه ولا قرين ، بل اللك حتى في رفيع سهائك لا يليك من ألوان الجهال تال ، فساؤك شاهقة الرفعة ، قريبة كل القرب من باربك ، وسهاوات الجهال الأخرى بعيدة عنك كل البعد ، فكانها هي الأرض ميك إن جاز لى أن أقارن .

هي ـ شاعر الت ؟

هو لا شأن لك بي . , أجيبيني أليت . . كيف أمكنك أن تكونى على هذا الجيال ؟ . . ثم كيف خرجت به غير مستور إلى الطريق وحدك بلا رقيب عليه عات شديد ؟

هي ... أغيرة ولم المعارف ؟

هو ــ إنما هو عجب . . أليس لك زوج ؟ أليس لك محب ؟ هل بلغ العمى بالعباقرة النابغين وبالأغنياء واسعى الغنى الى حد أن واحدا منهم لم يرك فيلقى بجبهته عند أقدامك عابدا مكبرا ؟

هي ــ بل هناك من كان يفعل ذلك .

هو ... كان ثم لم يعد . . فعزاء يا سيدتى . . وهل مات منذ عهد قريب ؟ هى ... بل إنه مازال حيا .

هو حيا ويتركك تخرجين وحدك ؟ حيا ويجعل منك هذه الشقية التي تجيب أول متحدث إليها ؟ حيا !! لعل أنفاسا تتردد في جسمه بين ذهاب وأوية ، ولعله يسير ويأكل ، ويشرب ، وينام . ولكنني ما زلت مصرا على أنه مات ، هو ميت وإن كان يملأ الدنيا بالحياة !

هى ... وأى عجب فى ذلك . . ها أنت ذا وحدك . . وأنت جميل ، الست حلو الحديث ، وحدك أرى وحدتك على وجهك ، وأراها فى حديثك المندفع الطويل الذى آده الصمت الطويل . وحدك أكاد لم أر شبخصا تحيط به كل هذه الوجدة التى تحيط بك , . أليست لك زوجة أو صديقة تلقى إلى واحدة منها هذا الحديث الذى القيته إلى الآن ؟

هو ــ أنا يا سيدى لا أزوق لك الكلام تزويقا ، ولا أختلقه اختلاقا ، وإنما رأيتك وحدك فاخذى جمالك ثم حادثتك فأجبتني فأخذتني وحدتك .

هي ... وحدة أحاطت فخرجت أبددها فكنت أنب ,

هو ــ فهي وحدة طارثة!

هي ـ بل وحدة دائمة سئمتها فبجزيت أمرى على هجرانها . , وأنت ؟

هو وحدة طالما تمنيت أن أبديها فعيجزت ، وكيف كان يمكن أن أبدها ؟ إنني أبحث عن امرأة ، وأريدها جميلة ، أراها فأرى سعادى في وجهها ، وأريدها ذكية ، أحادثها فيعود إلى حديثى يحمل منها فها وعطفا وهوى ، والنساء يا أخت الوحدة : إما ساقطة تعرض نفسها في السوق ، وأنا لا أشترى اخوى في الأدمية ، أو جهيلة لها زوجها أو خطيبها فلا أمل لي فيها ولا رجاء ، أو قبيحة لا بد أن أروض نفسى علي قبحها ، وبحسبي من الشقاء وحدى فلا خير لى عندها !! كذلك كنت ياأخت الوجدة قبل أن القالة !! وأقسم بالفنان الذي أبدهك ما كلمت واحدة قبلك دون تعارف ، وأقسم ما همت بذلك حتى رأيتك فقلت انطق ، فإن صمت فلا أحد يرى خزيى ، وان تكلمت .

هي _ هه . . وماذا إن تكلمت ؟

هو ــ الحقيقة أننى لم أفكر فيها يكون عليه الأمر لو تكلمت . . فها كنت أتوقيع أن تتكلمي وإن نطق القدر . هى ــ ولكن هذا اليأس يحيط بك طارىء ، فأنا لا أعتقد أنك تحيا فيه طوال يومك لا بد أنه ابن ساعة ثم يمضى .

هو ... ابن ساعة ويمضى ولكن كثيرا ما يعود ، يعود زاحفا بالوحدة والضيق ، فأرى نفسى وأنا بين الجموع منفردا .

ھی ۔ انت متزوج ؟

هو ــ نعم .

هي _ وزوجتك ؟

هو ــ كنت أحبها حتى تزوجنا .

هی ... فکرهتها ؟

هو ــ لا وجفك فيا عرفت الكره يوما ، ولكنى أصبحت أرى فيها الشقاء ، ان بلغ الشقاء ذروته . . جامدة كالقدر ، أنانية كالحيوان ، لا شأن لها بى ولا يهمها أين أضطرب في هذه الحياة ، كل شأنها أن تطلب فأجيب ، فلا شكر ولا حمد ولا ثناء ، ولا هى حتى تحبس سوء نفسها أو لسانها ،

هي 🚐 كانت تلك حالك يا مسكين . . !!

هو ــ ولا تزال . . صدر لى ديوان شعر عدت به إلى بيتى فرحا . . أول كتاب يصدر لى ، أعطيته لزوجتى فوضعته جانبا وراحت تستجوبنى فى كل حقير تافه من أمورها فتركتها وخرجت لا أدرى أين طريقيم ؟ هيه يا أخت الوحدة لقد بحت لك بكل شيء . .

هي ب بل ليس بعد ,

هو ... ماذا؟

هي ... فيم يدور شعر ديوانك ؟

هو ــ رعاك الله يا أخت وحدى ، إن زوجتى لم تسألنى ما سألته الآن . . لا عليك وأخبرينى أنت فيها خروجك وحدك وجمالك معجزة والليل أسود والذئاب كثير؟

هي ـــ أكبرته فتزوجته فأحببته .

هو .. ما أسعدك !! حب يقوم على الزواج . . حب دائم .

هي _ كان ذلك ,

هو ـــ ثم ؟ . .

هى ــ ثم راح الناس يمتدحون له جمالى فغاظه ذلك وأصبح يرى أن من يمتدحنى انما يقصد الى ذمه هو ، فهو يعتقد أنه قبيح الوجه . . كان جمالى وبالا على وعليه ، أبى أن يقنع من الدنيا بالمال الوافر والزوجة الجميلة فأراد أن يكون له من الجمال ما لم تهبه له الطبيعة ، فكفر بكل السعادة التى تحيط به وأحال حياتي وحياته شقاء مستعرا .

هو ــ وأية حياة تقوم بينكما؟

هى ــ لا حياة بيننا . . هو فى عمله طول يومه ، فاذا عاد عند المساء فالضيق والضجر والوان من السخط وأفانين من العذاب . . الزوجية بيننا هى هذا العذاب وليس فى حياتنا من معانيها إلا الشجار المستمر والغضب المتلاحق .

هو _ أشبهت حياتك حياتي . . مسكينة إ!

هي ــ أومثل هذه حياة ؟ . . إنها الموت .

هو ــ بل الموت خير منها . . فإننا عند الموت لا يختلف ولا نحترق في كل يوم مرات وإنما عند الموت لن نجد أجسامنا تلك تطالبنا بحقوقها بعد أن احترقت .

هي _ فخرجت أنتقم .

هو ـــ ولهذا خرجت أنا .

هى ــ أنتقم من زوجى الذي جعل شبابي شيبخوخة ومن نعمة جمالي نقمة ولعنة . أريد أن أنتقم .

هو _ وأنتقم أنا من زوجتي التي قتلت أحلام صباي ، ورؤى شبابي ، وصرعت كل نجاح لى في ضجيج سخطها وتفاهية رغبتها . . لن تحيدي شخصا صالحا لتحقيق انتقامك مثل أنا .

وشع في عينيها وميض كالشرر الساطع وهي تقول:

ــ أظنك على حق .

فأحاط هو ذراعها بذراعه وهو يقول:

ـ بل إنى على حق.

ــ وماذا ترید ؟

هلم بنا.

وسار الاثنان شعلتين من الانتقام والرغبة تشقان طريقهما إلى الحريق، وكان الطريق طويلا، وكانت الثورة في نفسيهما تبحث عن الطريق الطويل، وراح الحديث ينحدر بينهما في

قوة عارمة ، ثم ما لبث أن أصابه بعض وهن ، فاذا هو حديث طبيعى بلا رعد ولا نيران ولا وعيد ، ثم انتهى آخر أمره الى حديث هامس حلو يدخدغ الأذن والقلب والعقل ، وراح الناقيان يسكب كل منها على صاحبه أسلوبا من الفهم الهادىء الواعى ، فترتاح نفس كانت ثائرة ، ويهذا مضطرب كان راعدا ، ويسيران الطريق . . طويل طريقها ، ولكنه لجوى بلا غزل ، وأفكار معربدة بلا لذة ووهج أحمر يحف به ، ولكنه وهج النار وليس وهج النور . الحديث بينها يتصل بكلمة أو لا يتصل ، لم تسله إلى أين ، فقد كانت الأمكنة جميعها تستوى ، أما هو فقد كان يعرف طريقه ، وان كان يسلكه لأول مرة ، إنها شقة صديقه التي طالما دعاه إليها أغراه بأن مفتاحها عند البواب متروك لأقرب الأصدقاء . وعند البواب قائمة طويلة بهؤلاء الأصدقاء الذين يسمح لهم باستعال المفتاح وهو أول هؤلاء الأصدقاء .

نعم إنه يعرف طريقه.

وبلغا العيارة وسألا البواب عن المفتاح فأحداه وصعدا وفتحا الباب ثم أغلقاه عليهما . . منفردين .

قلبت هي عينيها في المكان ، وأمعن هو فيها النظر . ثم جلبها إلى صدره في عنف لم يكن بحاجة إليه فقد ألقت هي نفسها إلى صدره ، ولفف شفتها فغاصت هي في أعياق قلبه تريد بها أن تنجو من عذاب زوجها وأيامها وجمالها وضميرها . وأحس هو الشفاه اللاهية ، ولكنه أحس لحيب انتقام لا لهيب للة ، وأحست هي شفاهه الملتهبه ، ولكنها لم تحس الللة في هذا اللهيب وانفرجت الشفاه وتباعد الجسمان رويدا ، ثم ألقت بنفسها إلى كرسي وهي تقول :

ـــ أحس راحة . .

فقال وهو يراوغ في الإجابة :

- ــ بل ليس بعد . .
- ــ بل إن أحس راحة ورضا . .
- ـ إننا لم ننتقم من حياتنا بعد . .
 - ــ أما أنا فقد انتقمت .

.

ــ لقد انتقمت بحديثي إليك، وقد كنت أحسب أنني واجدة جديدا اذا ما جئت إلى هنا . . لا . . لا جديد . . لقد استرحت، وانتقمت . .

ويقول الشاعر مستخزيا:

ح وانى والله مثلك، لقد ارتحت بحديثي إليك وانتقمت، وما عدت أرجو بعد ذلك لذة . .

أترى . . لم تبق لنا لله . . لقد انتقمنا بالحديث ، وبالحديث بلغنا أقصى غايات اللذة . . فها بقاؤنا الآن ؟

- لعم . . ما بقاؤنا الآن؟ . .

فهلم . .

- إلى أين ؟

أنت إلى طريقك وأنا إلى طريقي . .

۔.. بلا ...

ـ بلا شيء على الإطلاق . .

ــ ولا وعد على اللقاء؟

ــ ولا وعد . .

۔ ولا وداع ؟

ــ ولا وداع . .

ــ فيا في الوداع ؟

حد فيه أنك ستقيم منه رؤى وخيالات ، وفيه أننا سنغدى عاطفة لعلها الآن تهم بالظهور . . فسلاما ولا وداع . .

س سلام . . ولا وداع . .

وعند الباب الخارجي فوجيء البواب بالشاعر يلقى إليه المفتاح إلقاء ، ثم فوجيء به يميل عينا بينيا تميل صديقته شهالا ، ويسيران بلا تحية ولا سلام ولا وداع . .

فوق السعادة

المنظر : حجرة معدة للجلوس اليومى ، أثاث أنيق في غير بذخ ، تجلس عليه الأختان ثريا وأمينة .

ثريا . . أنت التي دائها تغلطينني . .

أمينة ــ والله يا أختى أنا أقول الحق ، وطبعا أنا آسفة أن أراك دائيا هكذا . .

ثريا _ بل أنت دائبا تقولين عني غلطانة حتى لايقال عنك إنك تحابين أختك . .

أمينة _ يا ثريا إن المعاملة التي تعاملين بها زوجك لا ترضي أحدا . .

ثريا _ أي معاملة ؟ ا

أمينة ــ وهل قليل أن يخرج زوجك كل يوم غاضبا ، وأن يبيت كل ليلة حزينا . . من يرضى بهذا ؟ ا

ثرياً إنه هو الذي يختلق المشاكل . .

أمينة لنفترض ذلك ، انما واجبك أن تحلى أنت هذه المشاكل ولو أن ما أراه أنك داثها أنت . . وأنت وحدك التي تختلقين المشاكل . .

ثريا _ إنه دائها غضبان لا أعرف كيف أرضيه . .

أمينة ــ إنه غضبان مما يرى يا ثريا . . ماذا يفعل المسكين حين يجد نفسه . . كلما يدخل إلى منزله . . أمام وجه كشر ، !

ثرياً ـ وماذا أفعل إن كان يضايقني دائما؟!

أمينة ــ وفيم يضايفك . . أنت تعلمين قلة موارده ، وأنت مع ذلك لم ترحميه من الطلبات . . وأقول الحق ، إنه يكلف نفسه فوق طاقتها ، وأنت مع ذلك غير راضية . .

ثريا ــ وماذا أفعل في قلة موارده ؟ [

أمينة ــ أجننت !! فهاذا يفعل اذا لم تفعل أنت . . يجب أن تفعلى كل شيء يعاونه في حياته . . أو يجب عليك ــ على الأقل ــ أن تخففي من طلباتك . .

ثريا ــ وهل شكا لك هو من كثرة طلباتي؟

أمينة ــ لم يشك . ولكن لي عيونا ترى . .

ثريا ــ ولكنه لا يكلمني في مثل هذا أبدا . .

أمينة ـ فهو رجل صاحب حياء . .

ثريا ... ولكنه في هذه المرة ليس غاضبا من كثرة الطلبات.

أمينة ــ وهل تنتهى أسباب إغضابك له؟

ثرياً لقد غضب لأنني خرجت من غير إذنه ..

أمينة ـــ (ساخرة) بسيطة [[

ثريا ــ طبعا بسيطة ، نحن في القرن العشرين ، ولابد للرجل أن يثق في زوجته ، وإلا فلالزوم للحياة الزوجية نفسها .

أمينة ــ وهل في استئذانك له ما يجرح من ثقته بك .؟

ثريا ــ فلماذا أستأذن ؟

أمينة ــ اسمعى يا ثريا . . تأكدى أن زوجك يثق بك ، ثقة عمياء ، فهو بغير هذه الثقة لا يستطيع أن يعيش معك يوما واحدا . . ولكنه حاول أن يمنع كلام الناس ولا أحد يلومه عليها . .

ثريا _ وما شأننا بالناس؟!

أمينة ـــ كيف هذا ؟ الناس هم كل شيء . . الشرف سمعة . . فأنت شريفة ما دام الناس يرونك كذلك . أما إذا قالوا غير ذلك ، أصبحت كها يقولون . .

ثريا ـ ماهذا الكلام الفارغ ؟! الشريفة شريفة في نفسها .

أمينة ــ هذا هو الكلام الفارغ . . مافائدة الشرف اذا كنت ــ لا قدر الله ــ تجلسين في

البارات وتخرجين مع غير وزجك . . الشريفة يا ثريا هي التي تحافظ على سمعتها كها تحافظ على شرفها . . وواجب الزوج أن يمنع كل كلام يثار خول زوجته .

ثرياً ــ وهل يستطيع أحد أن يقول عنى كلمة . . والله . .

وتدخل الخادمة ،

الخادمة ــ جواب يا ستى

ٹریا ۔۔ أی جواب ؟

الخادمة _ جواب أرسله سيدى . .

ثريا _ هاتيه يا عليه . . (تأخذ الجواب وتبدأ فى قراءته ، ولكن عينها تترقرق فيها الدموع فتعطيه لأمينة) .

أمينة _ خذى اقرئيه أنت . .

ثريا ــ . . .

احببتك يوم طلبت يدك حبا أخذ على حياتي جميعا وأقسمت يومذاك . . بيني وبين نفسي . . أن أهيىء لك من أسباب السعادة ما لم يتهيأ لأحد في العالم . . وكان ظني يومذاك أنك ستنعمين بهذه السعادة وتسكبين على من فيضها ما أحيا به في أهنأ حياة . . وكنت في هذه الأيام ذا آمال كبار ، وكنت أنت شريكتي في آمالي ، فيا طمحت إلى شيء في نفسي إلا فكرت فيها سينالك أنت من خير إذا تحقق . ثم تزوجنا ومرت الأيام فاذا آمالي كلها تتحقق الاشيئا واحدا وددت لو كان وحده هو الذي تحقق ـ نعم يا ثريا . . لم أستطع أن أهيىء لك السعادة التي نشدتها لك في نفسي . ولست أدرى من منا كان المخطىء فيها حدث لنا ولكني أدرى تماما أنى لم أستطع أن أهيىء لك السعادة التي نشدتها . . وإنني اليوم تاركك . . راجيا لك أن تنالي بهما ما فوته عليك من السعادة . .

« ملحوظة : سأحضر الساعة ٦ لأخذ مذكراتي التي لا أحب أن يلمسها أحد غيرى ، وكل رجائي أن تتركى المنزل مدة ربع ساعة . .) .

د سامی ه

ثريا _ و باكية ومحاولة التجلد ، حسنا مادام هو الذي فعل هذا . . أنا لايهمني شيء . . أمينة _ وقد ظهر عليها كأنما تذكرت شيئا ، ثريا . . كم الساعة الآن ؟ ثريا _ أهذا وقته ياأمينة . . لا أعرف .

أمينة _ كيف لاتعرفين أنه سيحضر في الساعة السادسة .

ثرياب آه حقا . . الساعة الأن . . .

وتنظر في الساعة ثم تذهل حاثرة ، . .

أمينة ــ نعم أعرف أنها السادسة لقد تأخر الساعى فى إحضار الجواب . . لابأس . . سأحضر لك حقيبتك من الغرفة . . لتخرجي حالا . .

﴿ تَذْهُبُ أُمِينَةً ﴾ ولكن ماتكاد تخرج حتى تدخل الخادمة مسرعة » .

الخادمة ... سيدى ياستى . . دخل العارة الآن . .

ثريا ـ أجاء ؟ ﴿ فِي اصْطَرَابِ ﴾ . . سأدخل في الصالون فإن سأل قولي له خرجت . .

الخادمة _ حاضر . .

(يدخل سامي متجهم) ، . .

سامى ــ أين سيدتك يا علية ؟

الخادمة _ خرجت باسيدي . .

سامى ـ طيب ، ويهم بالدخول الى غرفته فتخرج أمينة ، .

أمينة _ و مضطربة ، أهلا سامي

سامى ـ أهلا أمينة ، عن إذنك . .

أمينة _ تفضل . .

«يدخل سامي » . .

أمينة _ أين ستك ؟

الحادمة .. « في صوت خفيض » في الصالون وطلبت الى أن أخبر سيدى بأنها خرجت . . يتهيأ لى ياستي أمينة أن في الأمر شيئا . .

أمينة ــ لا شأن لك ياعلية . اذهبي أنت الى المطبخ . .

الخادمة ـ أمرك ياستي . .

﴿ تخرج ، . . ﴿ يَدْخُلُّ سَامَى وَفِي يَدُهُ اللَّذَكُورَاتِ ﴾ . .

سامى ـ عن إذنك ياأمينة فأنا على ميعاد مهم . .

أمينة ـ اقعد ياسامي ، مازال أمامك وقت . .

سامى _ لا . . أرجوك . .

أمينة _ لا تخف . . أنا أعرف أنك غضبان من ثريا . . كالعادة طبعا ، ، ولكنني لا أعرف شيئا عن الخلاف ، فقد جئت لزيارتها فلم أجدها . .

سامي ... فلهاذا أقعد؟ ...

أمينة ــ أكلمك ياأخى . . ليس هذا من حقى ؟! سامى ــ يظهر أنك لاتعرفين شيئاً عن الموضوع أمينة ــ أى موضوع ؟

سامى ــ الذى حصل بينى وبن ثريا (يفتح باب الصالون » ولا يحس بهذا سامى ، بينها تراه أمينة فتتظاهر بأنها لم تره . . »

أمينة _ لاشأن لي سها . .

سامي ــ لاشأن لك بها . . أليست أختك . !

أمينة _ إن قلبى فوق أختى وفوق كل قوة فى الوجود 1 يجاول سامى أن يجيب فتندفع أمينة فى سرعة 1 أحبك وأنت تحبنى . . إلام نظل نخفى هذا الحب . ؟ لماذا لانتخلص من ثريا . ؟ لماذا لانعيش نحن فى ظل حبنا . . لماذا نحرم من الحق الذى يهيئه لنا حبنا . ؟

ثريا_ « مندفعة من الحجرة » الله . . الله . . أهذه هي الحقيقة اذن « أمينة تغالب الضحك » لا . . لاتحاولي ياأختى العزيزة أن تجعليه مزاحا فأنت تظنين أنني خرجت . . أهذا اذن ترينه دائيا على صواب وأنا دائيا المخطئة . . وأنت أيها الزوج المخلص . . أهو حب آخر اذن ماجعلك تقلب حياتي الى هذا البؤس وأنت مع هذا لاتخجل أن تكتب لى هذا الخطاب وكأنك المظلوم المسكين !!

سامى _ « مذهولا » اقسم لك يا ثريا؟ إن هذه أول مرة تكلمنى فيها أمينة بهذا الشكل . . أقسم لك . . أقسم لك بالله العظيم . . أقسم لك أن برىء . . أنا لا أعرف شيئا . .

أمينة _ « منفجرة في الضحك » أيها المغفلان . .

ثريا۔ وتضحكين ا!

أمينة _ لقد قالت لى و علية » إنك في الصالون ، وهذا طبيعي ، فلو كنت خرجت لقابلك سامي . . أيها المغفلان . . ان كلا منكها يجب الآخر . . وتلك هي السعادة . . إن السعادة تصنعانها بأيديكها ، ولكن الحب يصنعه الله . . عيشا معا ، وليظهر كل منكها حبه للآخر فتلك هي السعادة . . إن الحب لا يوجد إلا مرة واحدة ، ولكن السعادة تجيء وتذهب . . إن لحظة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سعيدة بين حبيبين هي الحياة . . هي الدنيا . . هي كل شيء . . الحب . . ويقترب كل من الزوجين إلى الآخر ، . .

الحب سيخلق لكم السعادة التي تنشدانها (ويتعانق الزوجان) عيشا . . عيشا . . عيشا . . فإنه الحب . .

د ستار ،

المطابق الأعطى

دس عبد الله أفندى يده في جيب صديريه وأخرج الساعة المعدنية و اللونجين ، التي لا تخل دقيقة واحدة ، فوجد عقاربها تشير إلى الثانية من بعد الظهر فرفع الطربوش عن رأسه في احتراس شديد ، وأخد ينفخ فيه بكل قوته ، ومسح أركانه بكمه ثم أعاد الطربوش الى رأسه ، وثبته في مكانه معتدلا قاثها لا يميل بمنة ولا يسرة ، ثم أمسك عبد الله أفندى بتلابيب نفسه ، وأخذ ينفض و جاكنته ، في قوة عنيفة ، ثم نظف كميه كلا منهها بالآخر ، ونظر إلى والدوسيهات ، القائمة أمامه فأخذ يرتبها في عناية شديدة ، وجمع الأوراق التي كانت أمامه وضعها في الدرج الأعلى من يمين المكتب ، فإنها الأوراق التي سيعمل فيها في صباح الغد . . وضعما أوراقا أخرى ووضعها في الدرج الأعلى من يسار المكتب ، فإنها الأوراق التي تم إنجازها وستأخذ سبيلها في الغد إلى رئيس القلم . وقام عبد الله أفندى بعد ذلك ، وزرر جاكنته ، وأمسك بأطرافها فجدبها إلى أسفل وأخذ طريقه إلى باب الغرفة في مشية متزنة لا هي بالبطيئة ، وأمسك بأطرافها فجدبها إلى أسفل وأخذ طريقه إلى باب الغرفة في مشية متزنة لا هي بالبطيئة ، ولا هي بالسريعة ، وإنما هي مشية ذات خطوات مرسومة محسوبة لا تخطيء ولا تخل ، فإن عبد الله أفندى رجل دقيق لا يخطىء ولا يخل .

وخرج عبد الله آفندى من الوزارة وجهته محطة الترام ، وكان مشغول الفكر إذ ذاك بهذه الدروس التي عليه أن يؤديها في يومه هذا . وكان ضيق النفس غاية الضيق بهذه الدروس التي يعطيها لصغار التلاميذ . وكان في ذلك اليوم أشد ضيقا من كل الأيام السابقة فإنه يفكر في عمره الذي سرقته معه هذه الدروس والذي انتهبته منه هذه الذرية التي توالت عليه منذ تزوج حتى عامه الفائت . . ستة عشر عاما هي شبابه . . ضاعت كلها في إعطاء الدروس ، ثم في إنفاق أجور هذه الدروس على الدروس التي يتلقاها أولاده هو ، وهكذا أصبحت حياته كلها دروسا في دروس تهب المال ودروس تتخطف المال ، وهو بين الأخذ والإعطاء آلة

حاسبة دقيقة كل الدقة ، ولكنها أيضا آلة ذات آمال وشباب ، فهى آلة حزينة كل الحزن ! وهكذا أصبح عبد الله أفندى صارما في حياته لا يطيق فيها لهوا ولا لعبا ، وهكذا أخذ نفسه بالدقة البالغة . . لا يبتسم إلا بمقدار ، ولا يضحك إلا عند الضرورة الملحة ، ولا تكون هذه الضرورة إلا عندما يلقى رئيسه في الديوان نكتة على مرأى منه أو مسمع !

ودقته هذه تلازمه في كل شيء . . في ملبسه ، في مشيته ، في عمله ، في منزله في سريره ، في بيته . . وتزداد دقته في مسائل الدين ، من صلاة إلى صوم الى كل ما أمر به الدين ما عدا الزكاة . .

وتقضى عليه الدقة ألا يسكن من العارات إلا الطابق الأعلى . . وتسأله عن السبب فيجيب :

«حتى لا يمر صاعد أو هابط على العيال » . « والعيال » هنا هي زوجته بطبيعة الحال . وتقضى عليه الدقة أن يصدر إلى العيال . . إلى زوجته . . الأوامر بألا ينفتح الباب بحال من الأحوال وهو غائب ، فإن طرق الباب طارق فليطرقه ولا تجيب هي ، وزوجته ــ رعاها الله ــ سيدة وقور نزحت معه من الريف ، وقد نزحت معها أخلاق الريف العفيفة . فأوامر زوجها تطاع في دقة . . دقة حازمة . . تلك الدقة التي يجبها زوجها ولا يجيد عنها أبدا . .

وقد امتدت هذه الأوامر إلى أولاده . . وامتدت طاعة الأم إلى أولادها . . فالأب يأمرهم فينفذون ، لا يدرون للأمر معنى ولا سببا إلا أنه واجب التنفيذ . .

ولكن أمرا واحدا لم يستطع الأولاد أن ينفذوه . . كان ذلك الأمر هو أن يكونوا أذكياء . . وكيف لهم أن ينفذوه وهم لا يفهمونه ! . . لقد أمرهم أبوهم : «كونوا أذكياء » فقالوا : «حاضر » ولكنهم لم يستطيعوا أن ينفذوا «حاضر» هذه أبدا . .

وكان عبد الله أفندى يأخذ أولاده بالشدة ، فقد كان يرى فيهم لصوصا لعمره الذى أضاعه في إطعامهم ، وإلباسهم ، وتعليمهم ولكنه لم يعترف لنفسه أن شدته على أولاده مبعثها أنهم أضاعوا شبابه ، بل كان يقنع نفسه ويحاول أن يقنع غيره أنه لا بد للأولاد أن يؤخذوا بالشدة حتى ينفعوا في حياتهم . . وكذلك كان عبد الله أفندى في دينه ، فهو متعبد لأن العبادة لا تكلف صاحبها شيئا ولكنه يقنع نفسه ويحاول أن يقنع غيره أنه متعبد حبا في الدين . .

وكان أكبر أولاد عبد الله افندى فى الخامسة عشرة من عمره ، وكان أمام أبيه مثالا للطاعة العمياء ، والأدب الجم ، والحياء المفرط ، فهو كسير العين ، منطبق الفم إلا إذا أكل ، ساكن الحركة إلا إذا أمره أبوه بإحضار شىء ! حتى إذا خلا بنفسه وبأصدقائه أصبح عربيدا لا يبارى

في عربدته فهو أضحوكة الإخوان ومسلاتهم ، وهو من يتصدى عنهم لكل عبث يمنعهم عنه الحياء!

لم بطل انتظار عبد الله أفندى للترام في يومه هذا ، فقد أخطأ السائق وجاء في موعده وركب عبد الله أفندى محاولاً الوقار ، ولكنه لم يستطعه ، فقد وجد نفسه في وسط كومه من الأدميين تصعد فصعد معها . . وكان الوقار يقتضي أن يجد عبد الله أفندى مكانا ليجلس فيه ، ولكنه لم يجد فوقف مكرها وجاء والكمسارى » فأخرج عبد الله أفندى من جيبه ثمن التذكرة لا ينقص ولا يزيد مليا ، فهو يعد لكل شيء عدته ، ألم أقل لك إنه دقيق ؟

ووصل عبد الله أفندى إلى البيت وصعد درجات السلم . . أربعا وثمانين درجة . . لقد أحصاها ويحصيها كل يوم . كأنما يخشى أن تنقص درجة ، وفتح باب منزله ونادى ..

- سيا أم سعيد . .
- ـ نعم يا عبد الله أفندي . .

وكان الجواب آتيا من المطبخ ، وكانت زوجته هي المجيبة ، فهي لم تكن تدعوه بغير « عبد الله أفندي » . . وارتفع صوته ثانية :

- ـ أين الغذاء؟
 - ــ جاهز . .
- ــ أسرعي ، فالساعة الثانية والنصف ودقيقتان ...
 - _ جاهز يا عبد الله أفندى ، جاهز . .

وخرجت زوجته من المطبخ تحمل الأكل الذي أعدته ، وجلسا إلى المائدة ، وقبل أن يمد يده إلى الطعام قال :

- ــ اليوم يوم الاثنين . .
 - .. نعم . .
 - ــ فأين سعيد؟
 - ـــ لم يجيء بعد . .
 - _ لم یجی ؟ کیف ؟
 - ــ الله يعلم . .
- ـ كيف هذا؟ . . لقد طالما نبهت عليه ألا يتأخر في الطريق .

- ـ لعل لديه عملا بالمدرسة . .
 - _ لا يكن . .
- على كل حال كل أنت ولن يلبث سعيد أن يجيء...

وقبل أن ينفذ عبد الله أفندى نصيحة زوجته ، طرق الباب فقام عبد الله أفندى ليرى من الطارق ، وفتح الباب فطالعه شرطى طويل عريض سأله في غير مبالاة :

- _ أنت عبد الله أفندى عبد السميع؟
 - ــ نعم أنا . .
 - تعال معى إلى القسم . .
 - ـ القسم ؟ لماذا ؟
 - ـ ابنك محبوس . .
- ــ ابنی ؟ . . ابنی أنا ؟ . . ابنی من ؟
- ابنك سعيد عبد الله عبد السميع . .
 - عبوس ؟ لماذا ؟
- ـ ضبط وهو يعاكس إحدى الفتيات في الطريق العام .
- ابنى يعاكس إحدى الفتيات؟ . . لابد أنك غطىء! . . هل أنت متأكد؟
- والله ان كان في هذه العيارة شخص آخر اسمه عبد الله عبد السميع ، وله ابن اسمه سعيد عبد الله عبد السميع أكون غير متأكد .
 - ـ طيب اذهب انت . .
 - وينصرف الشرطي ، ويتلفت عبد الله أفندي إلى زوجته :
- ــ أسمعت؟ . . أرأيت ابنك؟ . . هذا آخر تعبى وشقائى! ابنك يعاكس النساء في الطريق . . أرأيت؟
 - ـ يا أخى ألا يجوز أن يكون مظلوما؟ اذهب إليه أولا وانظر ماذا فعل . .
- ــ أنا أذهب الى القسم ؟ . . ماذا أقول لهم . . أنا الرجل المحترم الذى لم أخالف الدين يوما ، ولن أخالف القانون أبدا . . أنا عبد الله عبد السميع الموظف بالدرجة السادسة أذهب الى القسم من أجل ولد ضائع يعاكس النساء ؟ والله لن يكون هذا أبدا ! . .

- ـ وابنك؟ تتركه محبوسا؟ . . ابنك يا عبد الله أفندى؟
 - لا تتعبى نفسك . . لن أذهب يعنى لن أذهب!

ويتركها عبد الله أفندى باكية ساخطة حائرة ، ويذهب إلى المنضدة التى أمر بها أن تكون مكتبا فكانت ، ويأخذ من عليها حقيبة الدروس ، ويخرج تاركا زوجته ملهوفة لا تعرف ماذا تفعل ! . .

وخرج عبد الله أفندى إلى الشارع قاصدا إلى الدرس الأول ، وكان مكان التلميذ في أقصى الجيزة ، فركب عبد الله أفندى ، وركب حتى وصل إلى بيت التلميذ ، ماجد فتحى ، النجل الأصغر للوجيه الثرى الاستاذ فتحى الدرملى . . وكان عبد الله أفندى يرجو ألا يجد والد ماجد في المنزل ، فهو لا يطيق مزاحه في يومه هذا . .

وصل عبد الله أفندى متقدما عن ميعاد الدرس خمس دقائق فرأى أن يقطعها بالمشى أمام الدار . ولعله لم ير في حياته أشقى من ذلك الوقت الذى قضاه في هذه الدقائق الخمس! فهو جزع متألم ساخط ، غاضب من هذه البلوى التى انساقت إليه من جراء ابنه العربيد الذى يعاكس النساء في الشوارع . . ولم يكن عبد الله أفندى متشوقا إلى شيء قدر تشوقه إلى هذا الدرس ، فهو يريد أى شيء حتى وان كان درسا لينتزعه من التفكير في هذه المصيبة التي حلت على دماغه في يومه هذا . .

ومرت أربع دقائق ونصف دقيقة فاتجه عبد الله أفندى إلى باب المنزل ، وضغط الجرس ، وخرج له الخادم ولما أراد الدخول قال له الخادم إن ماجد لن يأخذ الدرس لأنه مويض . . وإنما كانت هذه مصيبة أكبر من وجود ابنه في السجن ! . . ولم يجد زوجته ليفرغ فيها غضبه فانصرف عن الخادم دون أن يلقى إليه التحية التقليدية التي عودته دقته أن يلقيها . . وقبل أن يخرج عبد الله أفندى الى الشارع وقفت سيارة أمام الباب ، ونزل منها السيد فتحى . . وتقدم عبد الله أفندى من السيد وسلم عليه في أدب ، وسأله :

- خبرا؟ ماذا أصاب ماجد؟
- لا شيء مجرد برد بسيط ولكن أمه تدلله . .
 - ـ شفاه الله . طيب استأذن أنا .
- بل تعالى ، فإنك لم تأحد مرتب الشهر . . .
 - ـ في فرصة أخري . .
 - ـ بل تعال . . ولماذا فرصة أخرى ؟ . . تعال .

وكان السيد فتحى قد تعود أن يمزح كثيرا مع عبد الله أفندى وكان مبعث ضحكه الأكبر، ذلك الوقار الذى يأخذ عبد الله أفندى به نفسه، وقد رآه فى ذلك اليوم أشد وقارا من أى يوم سابق، فأراد أن ينتهز الفرصة ليضحك منه..

ويدخل الاثنان إلى المنزل ، وما يكادان حتى يدق جرس التليفون فيرفع السيد فتحى السياعة ، ويقول لفظة واحدة في صوت مرتفع هي « آلو» ، ثم ينخفض صوته إلى الهمس الخافت فيا يسمع عبد الله أفندى إلا بعض كليات . . « عندى شخصية مدهشة » . . « سأحضره » . . وينظر عبد الله أفندى حوله فلا يرى أحدا . فيكاد يظن أنه هو هذه الشخصية المدهشة ! وما يلبث السيد فتحى أن يضع السياعة ، ثم ينظر إلى عبد الله أفندى قائلا :

- _ انت حظك هائل يا عبد الله أفندى!
 - _ حظى أنا؟!
- ـ طبعا أنت . . سأصحبك معى في جلسة رائعة . .
- ــ جلسة ؟ . . أنا يا سيدى لا أنفع في جلساتك أبدا ! . .
 - _ لا شأن لك . . تعال . .

واختل نظام عبد الله أفندى جميعه ، فهو لا يطيق أن يرفض أمرا لوالد تلميذ له ، ولكنه يبذل محاولة أخيرة :

- ــ یا سیدی آنا عندی دروس أخری . .
- س سأعوضك عنها جميعا ، وسأرفع مرتبك الشهرى . . ما رأيك ؟
 - ـ أمرك . .

ويجد عبد الله أفندى نفسه خارجا مع السيد فتحى ، ثم يجد نفسه فى سيارة ، ثم فى منزل! ثم يجد عبد الله أفندى نفسه آخر الأمر مع سيدة غاية فى الجمال! . . جمال كان يسمع عنه ، ولكنه لم يره فى حياته! . . فهى شقراء ، بيضاء ذات عينين خضراوين ، وقوام ملىء لا هو بالنحيف ولا هو بالسمين . . تماما كما يجب أن تكون . .

وينسى عبد الله أفندى ابنه الذى يرسف فى السجن . . وينسى تلاميده اللين ينتظرونه وينسى السيد فتحى الذى يقهقه قهقهة عالية صاخبة . . ينسى كل شيء ولا يذكر إلا أنه أمام جمال صاعق لا يمكن للعين أن تفلل ناظرة اليه ، ولا يمكن للعين أن تنصرف عنه . . ويضحك هذا الجهال من منظر عبد الله أفندى ، وقد زادته الدهشة استدعاء الضحك ويتكلم هذا الجهال :

ـ مالك؟ . . اقعد . . مالك لا تتكلم ؟

فيجيب عبد الله في ارتباك شديد:

ـ نعم . . نعم أتعد . .

وتبدأ الجلسة ، وتأتى السيدة الشقراء بالخمر ، وحينتذ يفيق عبد الله أفندى إلى نفسه قائلا:

- _ ماذا ؟ خر ؟
- ــ لا . , (ويسكى) . .
- ـ أنا لا أشرب الخمر يا سيدتي . .
 - ــ لأجل خاطري . .
 - _ لا يا سيدتى . .
 - ۔ خاطری أنا .
 - ـ اشرب . .

ويشرب . . وتنفك عقدة لسانه فيتكلم عن دقته فى الوزارة وعن أعماله كلها ، عن جهاده وعن ذكائه ، وعن لباقته ، وكلما تكلم ضحك السامعان ، وكلما ضحكا ظن أنهما معجبان به . .

وفجأة سألته الغانية :

- ـ قل لى يا عبد الله أفندى . . هل أنت متزوج ؟
 - _ نعم . .
 - _ وهل عندك أولاد؟

وما أن يسمع عبد الله أفندى هذا السؤال حتى ينخرط في بكاء شديد!!

ويذهل الجالسان ! ولكنه لا يبالى دهشتهما ، ويقوم المخبول مهرولا إلى باب الشقة وينزل فى سرعة بجنونة إلى الشارع لا يجيب الأسئلة التى تلاحقه . . وما أن يلمح أول تاكسى حتى يناديه وهو ما يزال يبكى . .

وقبيل المغرب كان عبد الله أفندى يسير معتمدا على ولده سعيد ناسيا كل شيء عن دقته . . فخطواته مضطربة تسرع حينا وتتمهل حينا ، ووجهه مضطرب يبتسم حينا ويعبس حينا ، onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحديثه إلى ابنه مضطرب ، ولكنه لا يعنف في هذا الحديث أبدا ، ولا يلقى فيه بأوامره وإنما هو حديث سلمي ، ميسور ، ولكنه مضطرب .

وصعدا معا إلى الطابق الأعلى دون أن يعد السلالم ، ودون أن يراعى أى رقم فى صعوده . .

ومنذ ذلك اليوم لم يذهب عبد الله أفندى الى منزل السيد فتحى أبدا . . ومنذ ذلك اليوم تعلم عبد الله أفندى ألا يلقى لأبنائه بالأوامر الصارمة ، وإنما هو يناقش ويبحث ويفهمهم ما يريد فى غير صرامة ، وفى غير عنف ، وفى غير دقة . .

مسنان ومسوى

كان الليل قد مد ظلاله على الصحراء ، وكانت الحيل قد أضناها طول السفر ، وكان الرجال قد هد المسير أجسامهم فهم أشباح تسير تعلقت أبصارهم بالأفق ، والأفق عنهم مستتر قد أسدل دونه المساء غلالة سوداء داكنة فهم لايبصرون موضع الخطو من خيولهم ولكنهم مع ذلك يلقون إلى الأفق أبصارهم . وكان زعيم الركب و إياس » صامتا لاينطق ، تحيط به المهابة ولئت به الإجلال ، يغضى عنه أصنحابه فتصمت السنتهم لاتبين عما مسهم من نصب . كان أياس في صمته هذا وغموضه أشبه ما يكون بقطعة من الليل الذي أدركهم ، كان قوى الاحتيال صلب العود ، رعه في يده يشرعه إلى السهاء محسكا به في تحد فكأنما هما معا تمثال من الصخر قده فنان من الإغربق . .

وطال الصمت واشتد الغلام وازدادت الجهاعة وفرسانها نصبا ، ولكن الطبيعة تأبي هذا الصمت! ولا تحفل بقوة إياس أو صلابته أو جلاله ، فها يلبث القمر أن يرتفع رويدا من أقصى الأفق فيرى إياس رفاقه وقد مالت أعناقهم ، وانحنت ظهورهم ، وما يلبث أن يرى الخيل وقد تعثرت خطاها واضطرب مسيرها! فيدرك حينئذ أنه قد آن له أن يتعب وأن يروح إلى رفاقه ويشعل النار ليصطلوا بها ويأذن لهم فيسمروا معه ، فقد كان دأبهم معه ألا يبدأوا حديثا لم يبدأه هو . . فاذا طاب له أن يسمر فهو فرد منهم يبيح لهم أن يظهروه على خافية أنفسهم وأن يسألوه فيجيب عن خاصة شأنه . .

وأشار إياس إلى الصحاب وما هو إلا بعض الحين حتى كانت النيران تشق الليل عن ضياء . والقى القوم أجسادهم على رمال الصحراء فأتاحت لهم مهادا لينا صلبا يريح الجسم ولا يلقى فيه الكسل ، وقال إياس :

_ تعبتم اليوم يارفاق !؟

- فقال أحدهم:
- _ أجل وربك قد مسنا التعب!!
- _ فياذا تشاءون . . نوما و سمرا ؟ . .
- ـ بل سمرا فيا نظن النوم ليسعى الى أجفاننا ونحن على هذا الإجهاد
 - ـ ففيم تريدون أن تسمروا ؟
 - _ أتريد أن تسالنا عن شؤوننا أم نسألك نحن؟
 - _ بل يسألكم أنا . . .
- _ ولماذا لاتتبح لنا أن نسألك فأنت تخفى عنا مالا يجوز إخفاؤه عن قوم هم أقرب الناس إليك ؟
 - ـ فاسألوا إذن . .
- _ نراك لاتحب النساء ولا تميل إليهن !! فإن عرضت لك إحداهن صرفتها عنك وانفلت إلى سائر مشاغلك ، وأنت الرجل فى زهوة الفتوة ، وريعان الشباب ، وبريق العمر !! فمتى يتصل أمرك بامرأة إن لم يتصل اليوم ؟

وأطلق إياس تنهيدة لاهية ، وتراقصت في عينيه دموع سترها الليل أن تبين وقال :

- _ من أحب الناس اليك ياقاسم؟
- _ لا أفهم سؤالك . أيهن تقصد؟ . .
 - ـ أقصد النساء جميعا . .
 - _ هن جميعا ؟
 - ــ هن جميعا .
 - ــ وتدخل فيهن أمي ؟ . . .
 - ـ نعم ، .
 - ـ فأمي أحب النساء إلى . .
- _ فتلك هي المصيبة عندى ياقاسم . . لكل رجل أم بدأ بها حبه للنساء . . أما أنا ياقاسم !! أما أنا فلا أم لي . .
 - ـ لا أم لك ؟!
- ـ مات أبى وأنا طفل لاأعى وتزوجت أمى رجلا قاسيا لا يرحم! فكانت تعينه فى قسوته على ، ورأيت على وجه الأم أقسى صور الحياة!! يهون الخطب ياصديقى إن نزل بك من عدوك ، وقد تحتمله ان أتاك ممن لاتعرف ، وإنه يوجع ان وجهه إليك صديق . . ولكنه لايهون . . لايهون أبدا ياأخى إن أنزله بك من تلتمس من عنده الرحمة والحنان!!! وهو قاتل ياأخى إن كان من أمك! عرفت النساء أول ماعرفتهن على يد أمى المقاسية هذه . فكرهت أمى

وكرهت فيها النساء جميعا هكذا ياأخى عرفت النساء وهكذا صرت معكم . . أقطع الطريق الأمن على سالكيه ، لارحمة تأخذنى ، ولاضمير يردعنى ، ولاوازع من خير يقعد بى ، ومن أين لى بهذه المعانى وقد سمعتها سياعا ولم أرها ؟ !

ـ بل أنت والله رقيق تسبق رحمتك شرك ، ويدرك عفوك بطشك . .

_ أترانى هكذا ؟ لعل القسوة التي رأيتها في أول العمر مست قلبى بشيء من الرقة . . حدثتك عن نفسى ياصاحبى فأطلت وأمامنا الصباح ملىء بالعمل فهلم لعل هجعة من النوم تعيد إلينا بعض النشاط . .

ونام القوم والقمر يأخذ سبيله إلى المغيب، وصحوا والشمس لم يبد فيها إلا شعاعات ضئيلة كحمرة في عين أصابها من السهر كلال..

وركب إياس وركب صحبه وماكادت الخيل تسير حتى لاحت لهم قافلة ضخمة وما أسرع ماأمر إياس صحبه أن يتواروا خلف أكمة على الطريق ! فها أن بلغت إليهم القافلة حتى خرج إياس وصحبه واحاطوا بالقافلة فها أبدت مقاومة بل سلم رجافا النساء والمال . وكان بالقافلة هودج ضخم أناخ به الجمل وخرجت منه امرأة رائعة الجمال بيضاء يشوب لونها حمرة . . خرجت عاتكة وهي حائرة تحمل على صدرها اللهب واليواقيت وليس فيها من جارحة إلا يكسوها من اللهب وكريم الأحجار ما لا يقدر بثمن . ورأت رجلا أمام هودجها فسألته :

ــ بربك من رئيس هؤلاء القوم ؟

وأجاب إياس وقد أخد بجيالها :

ـ أنا . . رئيسهم . .

ــ أحقا ماتقول؟!

ــ إنه الحق . .

- فإنى لاجئة إليك لائلة برجولتك ، وإنى بنت الأكرمين ، خد الأموال فلا تبق منها شيئا . . خد ما أحمله منها وما اقتنيته ولكن حريتى ياسيدى . . لاتسلبنى حريتى ياسيدى فها عرفت الأسر وما أظننى أطيقه . . أتراك ترد مستجيرة بك لائلة بكرمك عائلة برجولتك ؟

وأخذ إياس بهذه المرأة التي تلجأ اليه ، وسره أن تتوسم فيه خيرا وهو يقود عصابة وأحب أن يشكرها على هذا الخير الذي توقعته بنه ، وأوشك أن يذكر أمه وما قاسى منها . . ولكن أين هذه من أمه ؟ أين عينا أمه القاسية من هاتين المينين المسترحتين ؟ أين شفتا أمه المزمومتان لاتنفرجان الا عن الاساءة من هاتين الشفتين المنفرجتين هونا ترتعشان وتهتفان في طلب الرحة . . لا . . انه لاصلة بين أمه وهذه .

_ من أنت . . وما اسمك ؟

ـ أنا عاتكة بنت حويطب ، أبي يكرم الجار ، ويجير اللائذ ، ويعين على الزمان ، ما رد قاصدا اليه ، والقصر في معروف .

ـ اذهبي يابنت الكرام . . طليقة أنت وطليق مالك . :

ثم التفت الى اخوانه فقال لهم:

_ هبوا لي هذه القافلة .

ووهب الرفاق القافلة لإياس ، وسألت عاتكة عن إياس فعرفته ومضت دون أن تشكره بغير نظرة لقيها إياس بقلبه فنفذت الى الأعهاق واستقرت . .

وكان الأمير مايزال يبحث عن إياس وعصابته ، وكان جنده فى اثر اياس يريدون أن يأخذوه لأميرهم ليحكم فيه حكمه ويرى رأيه ، وكأنما أراد هذا اليوم الذى أطلق فيه إياس أسيرته أن يثبت فى حياة إباس فلا يزول أثره .

ما كادت القافلة المطلقة تغيب وما كاد اياس وجماعته ينفردون بالصحراء حتى أطبق عليهم جند الأمير من كل صوب ، حاربوا . . ولكن أين الجهاعة من جند الأمير . .

ومثل إياس أمام الأمير ، قطعة من العجز والاستخداء ، آسفا ! كسيف الوجه ، حطيم السيف لم يبق فيه من إياس الأمس بقية ، إلا من قوة الشخصية لمحة وإنما هو راكع يستجدى العطف وقد كان يمنحه ، ويسأل الشفقة وقد كان يمقتها ، ويلتمس الغفران وما كان يعرفه ، بقية رجل ! بقية باقية من إياس الأمس الذي كان يملأ الصحراء عنفا وقهرا وجبروتا ! بقية هي الجسم بلا كرامة ، وهي الدماء بلا عزة ، وهي المشاعر بلا حياة .

وفى زاوية من زوايا الحجرة ألقى به الحراس كقطعة من الهمل وشاء الملك أن يزيده ذلا فها التفت إليه ، بل هو ينظر فى أمور دولته يقيم من أمورها ما شاء ويصرف من شئونها مايبغى حتى إذا فرغ ولم يبق له من عمل يعمله ، التفت إلى إياس فى ازدراء مهين ثم رفع نظره وقال للحراس :

ــ لماذا جئتم به الى هنا ، ألم آمر أن تلقوا به الى السياف .

وامتقع وجه إياس . . وراح الحراس يتهامسون يلقى كل منهم التبعة على صاحبه ، وتحسس إياس صوته بكلمات تحركت بها شفتاه بعض الحين حتى استطاع آخر الأمر أن يكتمل الصوت هونا ويخرج إلى الفضاء ليبلغ مسامع الأمير . .

- _ ألتمس عفوك يامولاي . .
- ـ أى عفو تريد وقد كنت تملأ الصحراء رعبا ?
- ــ يعلم الله وحده ماعدوت على وحيد ، ولاقسوت على فقير . .
 - ــ ومال الأغنياء ، أظننت نفسك إلها تقسم الأرزاق؟
- ــ رضعت يامولاي الحقد وأنا طفل صغيرــ كرهت أمي فكرهت الناس جميعهم .

- ـ وماذا جني الناس حتى تصيبهم ببلائك . ؟
- ــ سعد الناس وماسعدت ، ورأوا العطف وذقت الهون . .
- ـ فشارك الناس سعادتهم وانس حقدك . اعمل فى شريف الاعمال تنل السعادة التى تبغيها ، أما أن تسرق وتنهب وتقطع الطريق الأمن على سالكيه فهذا اغتصاب للسعادة . والسعادة لاتغتصب أكنت حين تنام وتخلو إلى وسادتك ونفسك تحس أنك أبلغت نفسك مناها ، ونلت من السعادة مافقدت ؟ !
 - _ شهد الله يامولاي . . لا . .
- ــ فأى سعادة تلك التى تراءى وتهرف عن فقدانك لها أنت لص ، خرج عن أوامر الدين ولابد من عقابك .
- ـــ مولاى ، ان الله يقبل التوبة فوالله الذى خالفت أوامره والذى ماأشركت به يوما لو لم يمسك بى جنودك لكنت الآن فى موقفى هذا منك أطلب العفو تائبا راجعا إلى الله . .
 - ـ وأى جديد قد ألم بك حتى تسلم نفسك بلا جنود؟
 - ــ عرفت طريقي إلى السعادة الحقة يامولاي وقد كنت موشكا أن أسير فيه . .
 - _ وما الذي منعك ؟
- _ جنودك يامولاى . . تويتي أمامك الآن تخالها منبعثة من الخوف والله لايبعثها إلا خوفى من أن ألقى الله بلا توبة في الحياة .
- _ ايه إياس . . لاتخش هذا فان الله يعلم ما فى القلوب ، وأما نحن فها نعرف غير الأعيال الظاهرة فإن قتلت الآن فالله سبحانه وتعالى سيقبل توبتك فى الآخرة . .
- ـ انه سبحانه يقول إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ، وإنى يامولاى أتوب الآن ، وما كفرت بالله حتى أعود إلى الايمان ، وأما العمل الصالح فكل رجائى يامولاى أن تتيح لى الفرصة أن أعمله .
 - ـ ما أرى إلى ذلك سبيلا . .
 - ـ هييء کي الحياة يامولاي أعمل صالحا قبل لقاء ربي .
 - _ ألم تعمل في حياتك عملا صالحا؟
- _ لعلى يامولاى عملت ، ولكنى أتبعت الحسنة بالسيئة والسيئات يامولاى يذهبن الحسنات . . مولاى هب لى الحياة ، تهب للحياة انسانا نادما على شر أو غل فيه ، مقبلا على خير يهفو اليه . .
 - ــ وحياة الأمنين الذين روعت وأموال المسافرين التي نهبت . .
 - ــ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ...
 - ــ وماذا أقول أنا لربى إن لقيني عافيا عن مجرم . . صافحا عن لص ؟ . .
 - ـ الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا . .

والتفت الأمير الى حراسه يقول لهم : ــ ألقوا به في السجن . .

وألقى إياس إلى السجن ينتظر الحكم عليه ، هكذا المصير ! لم يجفل من السجن ولم يخف فقد كان يرى فيه إحدى نهايتين لطريقه الذى اختاره لنفسه من الحياة ، كان يعلم أنه طريق لابد أن ينتهى به إلى السجن أو الى الموت . وقد كان السجن أقرب النهايتين وهو ذا فيه . ومن يدرى لعله يؤدى به إلى الطريق الآخر ، فيجمع النهايتين في واحدة والأمر الله من قبل ومن بعد . .

هكذا كان يفكر إياس حين دخل السجان يحمل كيسا ملينا بالمال وسأله إياس: ـــ ماذا تريد ؟

- _ امرأة تريد أن تلقاك . .
 - ـ تلقاني أنا؟ ...
- ـ نعم . . لقد رفضت أن أدخلها إليك ولكنها أعطتنى هذا الكيس وبه مائة دينار ، ولم أر في حياتى حجة مقنعة مثل هذا المال الذي أحمله الآن . . مائة دينار ياسيدى ، إنها ستلقاك ، ستلقاك حتى وإن رفضت أنت أن تلقاها .
 - ... ومن هي ؟ ماشأنها ؟ ماذا تريد ؟ . .
 - ولم يلتفت اليه السجان بل قال للمرأة:
 - ـ ادخل ياسيدتي . . هذا هو طلبتك . .

ودخلت المرأة محجبة لا يبين منها شيء، وما انحسر النقاب عن وجهها حتى عرفها إياس . ـ عاتكة !! ماذا جاء بك إلى هنا ؟ إنى فى السجن والعيون رواصد لو رآك أحد فأبلغ الأمير أو أبلغ أباك فهاذا أنت قائلة ؟

- ــ وماذا يمكن أن اقول ، أأسمع أنك سجين ولا أسارع إليك ؟ فلست اذن بنت الكرام . ــ شكراً لله ياعاتكة .
- ــ قد جئتك بثياب وطعام ، وجثتك بمال حتى لاتقف بك قلة المال أن تعطى السجان أو من تشاء . .

ورأى إياس في عاتكة الرحمة التي لم ينلها من أمه ، وهاجت إليها في نفسه نوازع لا يدرى كنهها . أهي حب ؟ ومن أين له أن يدرى الحب وللاعته ؟ أهي إذن عواطفه نحو أمه لم تجد أما فجاشت إلى هذه الفتاة في ربيع العمر ؟ ومن أين له أن يدرى عواطف البنوة إلى الأمومة ؟ فيا هذه الصبوة التي ترقى في مشاعره وما هذا الحفق الذي يأخذ بقلبه ، وما هذا العجز الذي يسك بلسانه ، أهكذا الحب ؟

- لاتخف من أمرك شيئا يا إياس . .
 - ـ أنا لا أخفى شيئاً . .
- ـ هيه إياس . . لعلك تريد أن تبوح لي بشيء . .
- ــ هيهات . . وكيف لى أن أبوح ، وأنا بين يدى الغيب لا أدرى مايحمله لى فى غده أموتا أم عيشا الموت خير منه ؟ ! هنا من وراء الحياة مع الحديد والقضبان . . بماذا أبوح ياعاتكة ؟ !
 - _ قل مابنفسك ودع الغد يأتي بما يشاء . .
- ... بربك ياعاتكة لاأطيق ، إن قلت ماأريد فأنا بين اثنتين . . إما أن تحبيني فلا والله لاأطيق العيش بعدها والقيد في قدمي لأطير إليك ، وإما أن تمنعيني فتزداد نفسي كرها لنفسي ، ولا والله لاألومك إن أنت أقصيتني عنك ، وإني قاطع طريق . . لص أضعت حياتي في رمال الصحراء . .
- ــ بروحى أنت يا إياس . . لاتقل شيئا ، وعهد الله بيني وبينك لاأسمع منك شيئا إلا وأنت طليق . .

وأخذت عاتكة سمتها إلى الأمير وكان وجهها مقربا إليه فها وقفت بالباب حتى أذن لها الأمير ويين يديه وقفت . .

- ــ أيها الأمير . أحمل إليك توية ، وأنت ظل الله في الأرض فاقبل التوبة ترض الله . .
 - _ توبة من ؟
 - ـ توبة إياس . .
 - ـ وماشأنك به ؟

وقصت عاتكة على الأمير ماكان من إياس حين هو في الصحراء وحين هو في السجن . . كانت تروى قصتها وجسمها ينتفض من الألم ولسانها يهدر وكأنها تروى لنفسها فيا أن انتبهت إلى نفسها واقفة في رحاب الأمير وقد بلل الدمع لحيته . إلا وقد انتهت من قصتها . . وأشرقت دموع الأمير في عين عاتكة فيا تمالكت نفسها أن تصيح . .

ب عفا والله الأمير..

وطلع القمر على زوجين يسيران إلى الكعبة المقدسة . . هناك حيث يخلص إياس من ماضيه ليستقبل حياة جديد هو فيها وليد جديد ". حياة فيها رحمة وفيها حنان . . وفيها هوى . .



عطى الحطسر يسق

مند سنوات بعيدة في مشرق يوم يمر بالناس سريعا ، كان يوم نفضت البيوت أبناءها إلى الشارع صغارا فهم أطفال تتردد الحروف في أفواههم قبل أن تصبح كلاما . . أو صبيان تعانى منهم الأمهات ما تعانى حتى يتعلموا لبس ثيابهم ويخرجوا إلى مدارسهم ، أو شباب يقفون أمام المرآة حتى لتكاد صورهم أن تنطبع على هذه المرآة ، أو فتيات ، منهن الجادات الحاسيات يرتدين ما يقرب من ملابس الرجال ، ومنهن المعجبات بأنفسهن الجميلات يمشطن شعورهن لأمام تارة ثم لخلف تارة أو يعقصنه إلى يمين أو يلقين به إلى يسار أو هن يجعلن منه ذيل حصان أو حمار ، ثم ينتهى الأمر بالجميع من بنين وبنات ، من شباب وفتيات ، أن يلقفهم الطريق ليفضى بهم إلى حيث يجب أن يذهب كل منهم .

وقد كان اليوم هو افتتاح المدارس ، فالطلبة عائدون إلى معاهدهم وقد غمرت نفوس الأكثرية فيهم سعادة غامرة ، فهم عائدون إلى أصدقائهم وهم قد انتهوا من هذه البطالة التى استقبلوها أول الأمر فرحين مهللين والتى يودعونها اليوم فرحين مهللين فبين الطرفين من أشهر ثلاثة فراغ طويل ، وضيق ثقيل ، فهم حاثرون مع الوقت لا يعرفون كيف يقطعونه فهو يقطعهم بالملل والضجر والحنين ولو إلى الدراسة فان وسائل التسلية مها كثرت لا تملأ فراغ الشباب وهم ضجرون بهذا اليوم الذى قدر لهم فيه أن يلتقوا ثانية بمعادهم وتلك الوجوه التى لازمهم سنين أخر . .

هكذا كان أبناء الجيل يجمعهم الأمل في المستقبل وتتفرق بهم مناحي التفكير إلى شتيت المشاعر!!

ولكن فئة بعينها كانت مقبلة والفرح يغمر نفسها لا تجد بينها الحزين أو الآسف ، الأمل يشتعل في عينها اشتعالا ولو انكشفت نفوسهم لاخد عينيك منها شعاع حافل بالنور يرمى إلى

المستقبل اضواءه ، يود لو أن السنين تقاصرت أو امحت فيقرب البعيد ويدنو القصى . . كانت هذه الفئة هي الناجحة في شهادة البكالوريا والمقبلة على الجامعة أول إقبالها على الجامعة ذلك البناء الذي طالما مروا به فكان حافزهم إلى النجاح ، وباعثهم الى روح المذاكرة وأملهم الواضح القائم أمامهم لا يحجبه غيب ولا تستريبه الظنون . .

أقبلت تلك الفئة لم يتأخر من أفرادها فرد وتجمعت زرافاتهم ، كل أمام الكلية التي علق بها آماله وآمال أبويه معه .

وكانت كلية الحقوق مشجبا لأكثر الأمال ، فالواقفون أمامها من حاملي شهادة الدراسة الثانوية كثيرون يخطئهم الإحصاء وتختلف في تعدادهم الأراء ، حتى يخرج مسجل الكلية بالرأى الفصل والعدد الذى لا يقبل جدالا ، وإن كان يقبل الزيادة على مر الأيام . ويذهب الطلبة إلى مدرجهم وتنتظم الدراسة وتنتهى الحصة . . آسف . . أقصد المحاضرة الاولى ، ويسود الهرج والمرج ويتقرب الطلبة إلى الطالبات ، وتعرض الطالبات عن الطلبة ، وتأتى المحاضرة الثانية ، وتتابع المحاضرات ، ويمر اليوم الدراسي ويكاداليوم الأول من الكلية يفوت دون أن يحدث فيه جديد ، ونكاد لانخرج بهذه القصة التي تعانيها الآن لولا أن شاء الله فيلتقى خارج المدرج طالب وطالبة ثم يشاء سبحانه أن تكون القصة . .

ووقفا على عطة الترام فرحين أنها زملاء ، ولم يكونا من قبل زملاء ولم تجمعها في يوم مدرسة واليوم جمعتها غرفة مها تكن كبيرة متسعة إلا أنها على أية حال غرفة . . طال انتظارهما للترام ، فحدثها فأجابت ، فسخر من الأساتذة فضحكت ، فانتقد إلقاءهم فأعجبت ! فمدح بعضهم فوافقت ، فسألما اسمها فقالت ، فسألته اسمه وقال ، فأصبح حمدى وهند صديقين منذ اليوم ، وكان المنزلان متجاورين فالترام يحملها في الصباح ويعود بها في منتصف النهار أو أول الليل بعد الدراسة المسائية فها على أي حال ، متلازمان في الذهاب والعودة . .

كانت صداقة . . حتى كان يوم اعترض حمدى بعض الطلبة وسألوه أن ينتخب فلانا من الناس ليمثل السنة الأولى في مجلس الجامعة فقال :

- _ ولكني لا أعرفه . .
 - ــ ولماذا تعرفه ؟ . .
 - ــ لأنتخبه ا!
- ــ وهل لابد أن تعرفه حتى تنتخبه ؟
- _ إننى لا أفصل حلق عند ترزى إلا بعد أن أعرف مهارته فكيف أضع ثقتى في شخصي العرف ؟ !
 - ــ يا أخى ما شأنك ، سنحضر لك من حزبه جنيها . . موافق ؟

_ لولا أنكم زملاء لعرفت كيف أجيب ، أها الآن فيكفى أن تعرفوا أننى لن أكلمكم بعد اليوم .

_ يا أخى اسمع الكلام . . ماذا تظن أنك ستفعل بصوتك الذى ستعطيه . .

ــ أنا أعلم انه لن يفعل شيئا للمرشح ولكنني أعرف أنني يجب أن أحترمه ، وعلى كل حال لا تحدثوني في هذا الشأن مرة أخرى ، بل ولا تحدثوني في أي شأن . .

كان هذا النقاش على محطة الترام وكان حمدى ينتظر هندا ، وكانت قد جاءت ولكنها لم تشأ أن تشعره بوجودها ، حتى ينتهى من حديثه مع هؤلاء ، ثم مرت الأيام فأكملت سنتين وحمدى كها هو يحترم نفسه ، يعلو عن الصغار ، يقتنع بالرأى فيدافع عنه أقوى ما يكون الدفاع ، ويعارض رأيا فيحاربه أقسى ما تكون الحرب !!

لم يكن حمدى جميلا ، بل لعله كان أقرب إلى الدمامة ، ولم يكن غنيا ، بل هو إلى الفقر أقرب فكانت هند لا تفكر فيه الا قدر ما يفكر صديق فى صديق آخر يعجب به ويشتد إعجابه على مر الأيام . .

وفي يوم وجدت هند حمدى في حال من الاضطراب الشديد فسألته فلم يملك نفسه أن يجيب في حدة:

- ــ آسف يا هند ، لن أذهب معك اليوم إلى المنزل . .
 - _ خير إن شاء الله يا حمدي ؟ !
- _ كنت أود أن يكون خيرا ، ولكن للأسف إنه الشر الذي ليس بعده شر . .
 - ــ الله ، ماذا جرى يا حمدى ، قل بالله ولا تخف . .
 - ــ لقد سرق فراش امتحانا من الامتحانات وباعه الى . .
 - ـ وما يغضبك في هذا؟
- ــ ما يغضبني في هذا يا هند؟! أنت التي تسألين؟! فراش يسرق سرا هو أقدس أسرار الكلية ويبيعه إلى التلاميذ بالثمن الفادح فينجح الغني ويسقط الفقير..
 - _ فلماذا اشتريته يا أخي ؟
 - ـ حتى يكون في يدى الدليل . .
 - ۔۔ ای دلیل ؟
- ـ الدليل الذي أقدمه للأستاذ حتى يعرف أن الامتحان الذي وضعه قد سرق . .
 - ـ أتنوى أن تخبر الأستاذ؟
 - ـ الآن الساعة ، في هذه اللحظة . .
 - ــ هل أنت مجنون؟ طريق النجاح أمامك وتقفله!!

- النجاح . . أهذا نجاح ؟ . . ذلك هو الفشل . . النجاح أن نسعى ثم نصل . . إن النجاح في العلم أن نحصله ونفهمه ونعبر عنه ، أما أن نشترى الشهادة بالمال والمستقبل بالخديعة والغش ، فذلك هو الفشل وذلك هو الزور الذي يلازمنا طول الحياة . . اننا في الجامعة ، والعلم الذي نحصله اليوم هو أداتنا في الغد فيا نقول للمستحيل إذا وقفنا أمامه جهلاء ومعنا الشهادة أغبياء ونحمل ألقابا ؟ . . لا يا هند . . أنا لا أنتظر منك هذا السؤال !!

لم تستطع دمامة حمدى ولا فقره أن يقفا هذه المرة دون حبها لحمدى فأحبته ، أحبت فيه مثلا من الرجولة لم تشهده قبل اليوم ، وكان حبا . . !! ومرت الأيام وتخرج حمدى ، وتخرجت هند ، وعند باب الجامعة التفتت هند إلى حمدى وقالت :

- _ إلى أين؟
- _ إلى أين أنت؟
 - إلى الحياة . .
 - ــ وحيدة ؟ !
 - ۔ وحیدة . .
- ــ الطريق طويل . .
- ــ لابد أن أقطعه ..
- ـ قدماك لا تقويان . .
- ـ ليس لي غيرهما . .
- ـ وذراعك لا يطيل . .
 - لابد أن يعمل . .
- ـ ألا تريدين ساعدا ؟
 - لابد أن أعرفه . .
 - ــ ألا تعرفينني ؟
 - ـ أعرفك . .
- ـ أترضين بي عونا على الحياة ، وصديقا إلى الأبد؟
 - إنك صديقي . .
 - ــ أترضينني زوجا ؟
 - ـ أرضاك ولكن . .
 - ولكن ؟!
 - ــ والداى . .
 - ـ اسألمها . .
 - ــ سيوافقان . .

- الجمد لله . .
 - _ وتزوجا ...

ومرت الأيام وضربت الأيدى الفتية في لجيج الحياة وتغلبت عليها حينا وغلبت أحيانا ، ثم أصبح للزوجين بنون ، فانقطعت الأم عن المكتب ومكثت في البيت وواصل الأب جهاده ، ولكين الزبائن قلة والأطفال لا يرجمون ، والأصدقاء يشيرون على حمدى أن يستعين بسمسار ولكينه يأبي في ترفع ويشمخ في عنف وهند تري هذا فتزداد به إعجابا يمازجه الغيظ المكتوم ، حتى إذا مرض طفل لهما ولم يجدا ثمنا للدواء لجا حمدى إلى سمسار القضايا ، يشاطره .. وهو الجليل بحدى الى سمسار القضايا ، يشاطره .. وهو الجليل بحدى الى سمسار القضايا ، يشاطره .. وهو الجليل مرة في حياته عن عقيدة تمسك بها ورأي اقتنع به ، ولكن الأمومة الملهوفة ما تلبث أن المقبل المياني المائلة بها ورأي اقتنع به ، ولكن الأمومة الملهوفة ما تلبث أن الخاسرة ولكنها ترى حمدى يقبلها ليضمن مقدم الأتعاب ويزداد المال ولا تفكر العائلة في ثمن خاسرة ولكنها ترى حمدى يقبلها ليضمن المعائلة كل ما تأن به السنون من أحداث ولكن حمدى الدواء إذا مرض الطفل ، بل وتأمن المعائلة كل ما تأن به السنون من أحداث ولكن حمدى أما ذال يعمل مع السمسار وما زال يقبل القضايا الخاسرة ويلفق لها من وراء ضميره ، بل أنه أصبح لا يطلع هندا على قضاياه ولكنها تقرؤها وترى أية هوة يتردى فيها حمدى ..

ويل للأمهات! وويل للمال لقد أخذ منها زوجها ، وهل كان زوجها إلا ضميرا ورجولة وشرفا ، لم يكن زوجها وجها جميلا فهو دميم ولم يكن مالا كثيرا ، فقد كان فقيرا ، لم يكن إلا هذه الأخلاق ، ومن بين هذه القضايا رأت هند قضية ترفعها شركة كبرى وسألت حمدى :

- ـ لماذا أعطتك الشركة هذه القضية أليس لديها عام ؟
 - س أرأيت شركة بغير يجام ؟
 - ـ اذن فلهاذا تدافع عنها أنت؟
 - لأل أصبحت عجاميها , ,
 - ـــ ولماذا لم تخبرني ؟ , ,
 - لألى سأصبح محاميها اذا كسبت هذه القضية.
 - ــ وأنت تعرف هذه القضية ؟
 - ــ أجل أعرفها , ,
- ــ لابد أن محامى الشركة رفض المرافعة فيها وقبلت أنت؟
 - سر لعم . . مالل
 - ــ وشرفك . . وشرف المهنة . ؟
 - شرف المهنة , , لا شيء مقابل شرفي أنا . .
 - ــ وأين الشرف فيها تفعل؟!

- _ ان هذا خير من أن أستجدى أموال الناس لأشترى الدواء لابني . .
 - ـ أتغالطني أنا يا حمدي ؟ ! أنا أعرف رصيدك في البنك .
 - ــ أنا لا أطيق هذا النقاش كل يوم . .
- _ أما أنا فلا أطيق هذا الانحدار كل يوم . . لقد تزوجت فيك المثل الرفيعة ، الشرف ، الأمانة . .
 - _ كل هذا تنازلت عنه ، ولن أبقى بالمنزل لأسمع هذه الخطب الجوفاء . .

يخرج ويغلق الباب خلفه ، وتجلس هند وحدها . . ماذا بقى لها من زوجها ولماذا تبقى معه بعد اليوم ، ماذا يربطها ؟ ! ماذا تزوجت فيه ؟ إنها يوم تزوجته ، تزوجت أخلاقه ومثله ، أما اليوم ــ وقد فقدها ــ فهى لا تجد فيه شيئا . . اللهم إلا . . نعم اللهم إلا أنه أبو أولادها ، نعم هذه المخلوقات الصغيرة هى التى تربطها إلى زوجها . . لا شيء إلا هذه المخلوقات ، ولكن أتظل حياتها مع شخص تكرهه وتحتقره لأن أولادها يربطونها إليه ، لا . . لن تمكث ، ولكن أتظل حياتها مع شخص تكرهه وتحتقره لأن أولادها يربطونها إليه ، لا . . لن تمكث ، ولكنها إن تركته تكون قد جرت على أولادها هؤلاء جريمة تتضاءل أمامها جرائم حمدى ولكنها إن تركته تكون قد جرت على أولادها مؤلاء مريمة الزواج الذي أصبح هباء . . بيت هؤلاء الأولاد يموتون إذن حتى تتخلص من هذا الزواج الذي أصبح هباء . . نعم ليتهم يموتون .

ثم تصحو هند من هذا التفكير العميق جازعة هالعة . . لقد صرخ واجد من أولادها فهى تجرى إليه في سرعة مجنونة .

ـ ابنى الحبيب . . ماذا بك . . لماذا تصرخ . .

المساف والشطاء

دق جرس التليفون في مكتب الأستاذ أحمد اسهاعيل بالجريدة ، وانبعث إلى أذنه صوت ناعم حلو . .

- ـ الأستاذ أحد؟
- ـ نعم يا أفنلم . .
 - _ معجبة . .
 - ــ قدية ؟
 - _ بل جديدة . .
- ــ معجبة بماذا يا حسرة ؟
 - _ بجالك ..
 - ــ وأين رأيتني ؟ . .
- ــ ماذا أيها الفنان . . هل لابد أن أراك حتى أعجب بجمالك؟
- _ لا . . فاتتنى هذه . . من المكن أن تعجبي بجالى على السمعة نسيت أن جمالى بعيد الصيت واسع الانتشار . .
 - _ ويقولون فنان . .
 - _ من هؤلاء الذين يقولون . أنا قلت ؟
 - ــ كلهم يقولون إنك فنان . .
- ـــ لا عليك فاللغويون يقولون إن الفنان هو الحمار الوحشى . . لعلهم يقصدون أنني فنان بهذا المعنى . .
- ـــ لا يا سيدى . . لم يقدرك أحد الى هذا الحد إنما هم يقصدون أنك فنان موهوب ، لأغانيك الحلوة . . أنا أعبد أغانيك . .

- _ وما لهذا ولجمالي؟
- ــ ان هذا هو جمالك . . لم تدرك هذا من أول لحظة أيها الفنان , ,
 - ـ آه!. بيدو لي أنك فنانة أنت أيضا . .
- _ وماله ! . يا ليتني كنت . . إذن لا لتقيت بك مباشرة وأبديت لك إعجابي وجها لوجه بدلا من هذا التليفون الذي يفصل بيننا . .
 - ب أراه يصل بيننا . .
 - _ أنكتفي أنت بهذا الوصل؟
- ــ اسمعى ، أنا لى أصدقاء كثيرون ، كل همهم أن يوقعوا بى فى ورطة مضحكة . . وأنا يا بنت الناس كبرت على مسألة التليفون هذه فإن كان أحدهم أغراك فقولى له استح ِ . .
- _ آه . هذا ظنك . . لماذا كل هذا الشك ؟ . أعجب أن تعجب بك فتاة جميلة ؟ !
- ــ لا . . ليس عجيبا أن تعجيب بي فتاة ، ولكن العجيب أن تكلمني في التليفون والأعجب أن تكون جيلة . .
 - ـ أنا لست جميلة . .
 - _ لا يمكن أن تكوني جميلة . .
 - ــ لماذا ؟
 - ـ لو كنت جميلة لما خفت من لقائي . . ولما استترت مني بالتليفون . .
 - _ ومن قال لك إن خائفة ؟
 - _ حديثك هذا . ولماذا لم تتيحى أن أراك بدلا من هذا الحديث؟
- أولا .. أنا أجد في هذا الجديث للة تفوق للة اللقاء , فأنت حين تحدثني تتخيلني في صورة حلوة رقيقة وأتخيلك أنا أيضا في صورة فنان رقيق أليق متسق القسيات حلو الملامح وتظل هذه الصورة في ذهن كل منا حتى نلتقى ! فتتمدد الصورة التي في ذهنك حلاوة ورقة وعذوبة بخطوط جسمى ، وينعدم الخيال ، وأراك أنا فأرى شعر لحيتك وشاربك ، ورباط رقبتك ولعله يكون قبيحا يوم نلتقى ، ووجهك ولعلك تكون متعبا حين أراك . الجديث يطلق الخيال واللقاء عدده ، أنا أحب الجديث .
- _ وأنا أحب اللقاء . لا شأن لك بالحيال , سأجد التغير الذي أتخيله عنك بعد اللقاء .
- _ يبدو أنني أنا الفنانة وأنك أنت المعجب , , كلامك واقعي ، لا خيال فيه . .
- اسمعى يا ستى ، الواقع أننى معجب بكلامك ! وبخيالك ! وكفى أقسم لك أننى أستطيع أن أقرأ كلاما خيرا من هذا ان اقتصر الأمر بيننا على الكلام . . الكلام يأخد كامل بهائه حين نرى المتحدث ، ومادمت لا أراك فأرجو ألا نسترسل فى الحديث ، هذا إلى جانب أننى هنا فى مكتب العمل وأريد أن أفرغ للمواد المتراكمة أمامى . .

- _ أتريد أن تقطع الحديث؟
- _ مادمت لا تريدين لقائى . .
- _ ومن قال لك انني لا أريد ؟
 - _ انت . .
- _ أبدا ! . أنا لم أقل . . كل ما فى الأمر اننى أحببت أن نتمتع بالحديث ما أمكننا ذلك ثم
 - _ ولكني أريد أن نتمتع باللقاء ما أمكن ذلك ثم نتحدث.
 - _ مستعجل أنت؟
 - ــ نعم . .
 - _ فأين تريد أن تلقاني ؟ . .
 - ـ أنا أقعد عادة في لاباس منذ الرابعة من بعد الظهر . .
 - ۔ وکیف ستعرفنی ؟
- _ إنك أنت التي ستعرفينني . في مجلة الاذاعة اليوم أحدث صورة لي . . إنها أنا . . اذا أعجبتك . . فأنا . . البسي .
 - _ انها ستعجبني لاشك . .
 - _ بل في ذلك شك . . الى اللقاء . .
 - ــ إلى اللقاء .

وكان أحمد جالسا في مقعده المختار بمحل لاباس حين دلفت إلى المكان سيدة رائعة الجهال لم تتردد كثيرا قبل أن تقصد إليه وتجلس إلى النضد الذي اتخذه . .

- ـ ماذا أقول صباح الخير أم مساء الخير؟
- ولم يجد أحمد في التحية شيئا جميلا ولا لباقة فقال لها في بعض دهشة :
 - _ قولي ما شئت فإن جمالك غني عن أي تحية .
 - ــ لا أفهم . .
- ــ بل تفهمين وتريدين أن أزيد . . ومن أجلك سأزيد . . جمالك تحية من الله لكل من يلتقى بك ، أنت وحدك تحية فلا حاجة بك الى أن تقولى صباح الخير أو مساء الخير . .
 - وضحكت الفتاة ضحكة جذابة وقالت:
- ــ لا والله أنا قصدت أن أعرف منك الجواب على سؤالى . . فنحن فى وقت لا تدرى أهو صباح أم مساء ؟
- _ أما ترين أن الحديث عن الصباح والمساء قد طال بيننا وهو موضوع بدائي ؟
 - ــ نعم أرى ذلك ولكن فيم تريد حديثنا ؟!

- ـ لا أدرى ؟ فائت التي طلبتني وأنت الحكم بما تريدين الحديث فيه . .
 - ـ قليلة هي المواضيع التي أستطيع الحديث فيها . .
 - _ عجيبة [[
 - _ وأين العجب؟
- _ أنث فى التليفون كنت تخلقين الحديث خلقا وتسيرين به إلى الوجهة التى تريدين بلا تكلف ولا مشقة ولا عنت فأى جديد جد عليك فجعلك تعجزين حتى عن بدء موضوع الحديث ؟!

وكانت ابتسامة تجاهد في الاستخفاء تاويح وتختفي على شفتي الفتاة ، ورأى أحمد هذا الوميض من الابتسام فعجب له بعض الشيء وهم أن يسألها عها أطلق هذه الابتسامة على شفتها ولكنها عاجلته قائلة:

- ــ التليفون شيء آخر . .
- ـ يظهر أنك أنت شيء أسر..

وجزعت الفتاة جزعا أرشك أن تتضع معالمه على وجهها لولا حرصها الشديد وسألت :

- _ ماذا تقصد ؟
 - لاشيء . .
- ــ حسنا . . سأحدثك اذن مادام لابد من الحديث . لقد رأيت فيلم السهاء الزرقاء وأعجبني جدا . . هل أعجبك ؟
 - _ ما الذي أعجبك فيه ؟
- ــ المثل ـ حلو . جميل جدا . عيناه . عيناه . عجيبة من عجائب لزمن !!
- _ أكل ما أعجبك فى الفيلم عينا الممثل ـ ألم تفكرى فى المؤلف الذى بذل أقصى جهده أياما رشهورا لتتمتعى أنت بساعة تشاهدين فيها الفيلم ؟ ألم يعجبك المخرج الذى أراق جهده وأعصابه ، ألم تفكرى فى هذا الممثل ذى . . أكل ما فى الفيلم عينا الممثل ؟ . .
 - ـ يا أخى لقد حيرتني !!
- ــ اسمعى يا ستى . . لا تحيريني ولا أحيرك . . أنا سأنصرف وحدثيني في التليفون . .

وقام أحمد عن المنضدة دون أن يلاحظ هذا الغيظ الذي على وجه الفتاة والذي لم تجاهد في إخفائه .

وقبل أن يستقر أحمد على كرسى مكتبه من بعد الظهر في اليوم ذاته دق جرس التليفون : __ من ؟

- ــ أنا . .
- _ lak . . lak . .
- _ أسمع في أهلا شوقا . .
 - el K?
- _ عجيبة ! كأنك لم تكن معى في الصباح . .
 - ـ أنا لم أكن معك في الصباح . .
 - ـ ألم نلتق في لاباس؟
 - ــ لم نلتق . لم تكون أنت . .
 - وارتبكت الفتاة هونا ثم قالت:
 - _ کیف ؟
- ـ لا . لقد رأيت فى لاباس فتاة جيلة كعرائس المولد ، تحسن التخطيط والتزجيج وتضع الأحمر حيث يجب أن يوضع ، وتضع الأسود حيث لابد له أن يرتسم لكنها عاجزة لا تحسن شيئا آخر ، عاجزة ، لسانها ألكن وعقلها تافه . . وأنت لست كذلك . .
 - ـ أتشتمني ؟! أشكرك . .
- ـ أنا أشتمك ولكنى أنفى عنك هذه التفاهة التي رأيتها . . أتدرين لماذا رضيت أن القاك ؟ . .
 - ــ وبعد أن لاقيتني . .
 - ـ اتقسمين لى أنك أنت التى كنت فى لاباس اليوم . .

 - _ أتقسمين ؟
 - .. K أقسم ..
 - _ فلهاذا أرسلت غيرك؟
 - لأني . .
 - ـ قولى . . لماذا ؟
 - ـ لأن أرى نفسي غير جميلة . .
 - ... ومن أدراك؟! إن من لها عقلك هذا لا يمكن إلا أن تكون جميلة ...
- _ أتعلق الأن بخيط من الأمل واه ضعيف وأخشى إن أنا لقيتك أن ينقطع أمل الأخير . .
 - أنا أريدك أن تحبني . . وأخشى إن رأيتني أن تكرهني . .
 - ــ وماذا كنت تريدين أن تفعلى ؟
- ــ كنت سأجعل من صديقتي وجهى الذي ألقاك به ، وأكتفى أن تلتقى عقولنا في التليفون . .

سبل لأبد أن القاهم جميعا سالقى وجهك الذى يخفى جوهرة عقلك ، لا تخافى شيئا سافالجهال المختفى وراء الوجوه أبقى على الزمان وأخلد نضارة من جمال الوجوه . . لقد أحببت خديثك ، وحديثك هو معالم عقلك سافلا تخشى الاأعجب بوجهك . . تعالى . . ساجىء . . .

وفى اليوم التالى التقت الفتاة بأحمد ، . لم تكن جميلة ، وكان الخوف الذي ظل وجهها قد جعلها إلى الفبح أقرب ، ولم يحادثها أحمد عن الجمال ولم تحادثه عنه بل سرعان ما جرى الحديث بينهما مرتقيا فى سموات من الفكر والأدب والفن والفتاة تلاحقه حينا وتسبقه أحيانا ، وبعد لحظات أمحلت ظلال الخوف تنقشع عن وجهها رويدا رويدا لتجلو لأحمد وجها فيه بساطة وفيه رقة وفيه براءة وليس فيه جمال ـ وان كان أحمد قد رأى فيه الجمال كل الجمال ا

ولم يقم أحمد وحده ولا قامت وحدها ، وإنما تشابك ذراعاهما وسارا في الطريق فترة لاقت فترة ، وروحا لاقت روحا ، وذلبا لاقي قلبا . .

ولم يعد التليفون يدق في مكتب أحمد كثيرا . . اللهم إلا إذا أرادت زوجته أن يشترى لها شيئا قبل أن يعود الى البيت . . ماذا؟! ألم تفهم؟! لقد تزوجا . .

وظبيضة دانمية

(المنظر غرفة الأستاذ بجدى السيد المحامى وهو بجلس فيها ومعه أحد الموكلين). الموكل ــ أشكرك يا استاذ على مجهودك . .

مجدى ــ لا شكر على واجب يا عم حسين . .

الموكل ــ مسألة الأتعاب يا أستاذ . .

عدى _ ألم تكلم فيها عبد البارى أفندى ؟

الموكل ــ كلمته فيها . يطلب كثيرا . . قلت أكلم الأستاذ عسى الله أن يخفضها قرشين . .

مجدى _ (وهو يدق الجرس) ان كانت الحكاية حكاية قرشين يا عم حسين فالمسألة ...

الموكل ـــ البركة فيك يا أستاذ . .

(يدخل عبد البارى وهو شاب نحيف ذو وجه قريب من المومياوات وفي أعلى رأسه بضع شعيرات يصر عبد البارى أن يلصقها بالصابون) .

عبد البارى ـ طلبتني يا أستاذ .

مجدى ـ خد عم حسين معك وأرحه في الأتعاب .

عبد الباري ـ انه يا أستاذ يريد أن . .

عجدى _ عبد البارى . . لا تطل . . أنا لا أناقش الأتعاب . . خذه معك وتفاهما . .

عبد البارى ــ ولكن يا أستاذ . .

مجدى ـ من غير لكن . .

عبد البارى ـ أمرك يا أستاذ . .

الموكل _ أطال الله عمرك يا أستاذ . . ترفق بنا يا عم عبد البارى الدنيا غلاء . .

```
عبد البارى ــ (وهو يأخذ عم حسين إلى الخارج) يا عم حسين أنا عبد المأمور . .
                                                                تعال . . تعال . .
( يخرجان ــ بلتفت مجدى إلى التليفون ويهم بإدارة القرص ولكن ما يكاد حتى يدخل عبد
                                                الباري مهرولا في فرح واضح).
                                  عبد البارى ــ البك وكيل النيابة يا أستاذ!!
                                                   مجدى _ أى وكيل نيابة ؟
                            عبد البارى ـ البك وكيل النيابة زميل سعادتك . .
                                مجدى ــ أيهم ؟ لى زملاء كثيرون في النيابة . .
عبد الباري _ أنا لا أعرف اسمه يا أستاذ وإنما رأيته بالأمس في الجنايات وأنا أشاهد جلسة
       مجدى ـ طيب . . طيب انتهينا . . سله عن اسمه وانتظر حتى أناديك . .
                                        عبد الباري ـ والبك وكيل النياب . . .
                                              مجنى ـ ألم تسمع ما قلت ؟ ا
                                            عبد الباري ـ سمعت يا استاذ . .
                                        ( يخرج ويدير مجدى قرص التليفون )
                       عجدي الهام . . ألم تخرجي بعد . . ماذا قال الدكتور؟
                                              مجدى ـ طيب . . وسمير نام ؟
عجدى ـ والحرارة النخفضت ؟ طيب . . أنا منتظرك بعد ساعة . . لا تتأخرى
                                                                     وحياتك . .
                  (يضم السهاعة ويدق الجرس وبعد برهة يظهر عبد البارى)
                                               مجدى _ أعرفت اسم الزائر؟
                               عبد الباري ـ والله . . لم أجرؤ على السؤال . .
                                                       مجدى _ كيف هذا؟
                                          عبد الباري ــ اسأل وكيل النيابة ؟!
                                             بجدى ـ طيب قل له يتفضل . .
عبد الباري ــ (صائحاً) يا حسن قل للبك يتفضل (يلتفت للاستاذ) عندنا قضية
                                                                 سينظرها هو . .
                                                          مجدی _ اخرج . .
                                                    عبد الباري ـ حانس . .
```

(يخرج عبد البارى وحين يرى وكيل النيابة داخلا ينحنى وهو يزيد فى فتح الباب) . مجدى ــ من ! أهو أنت . . شكرى كيف حالك ؟ وحشتنى والله . . أين كنت طول هذه المدة ؟ آه ! حقا لقد كنت فى الصعيد . . كلانا معذور اذن . .

شکری ـ کیف حالك یا استاذ مجدی ؟

مجدى _ (مندهشاً) ماذا . . يا أستاذ ماذا ؟!

شكرى ـ أسأل عن حالك . .

مجدى ـ طيب . . طيب . . عرفت انك وكيل نيابة فلا لزوم لهذه الكلفة . .

شكرى ... آه . لا يا صديقى أنا لا أستطيع أن أفعل كها كنت فان زمن التهريج قد انقضى . .

مجدى _ (وكأنما لا يكلم شكرى) عجيبة أ.

شکری ـ عجبیة ۱۹

مجدى ــ اننا نعرف الوقار الذى يصاب به الموظفون بعد التعيين ، وهو من النوع الذى لا يدوم طويلا ولكن يظهر أن اصابتك كانت شديدة ، بعض الشيء . .

شكرى .. لا يا استاذ عدى إنما يجب أن يضع الانسان نفسه في موضعه الصحيح . .

مجدى ـ وما موضعك الصحيح؟

شكرى ــ أنا وكيل نيابة . .

عدى _ تهنئاتي الحارة . .

شكرى ــ أما زلت تمزح!. أهذا جزائي لأنني جئت إليك؟

عجدی۔ وکیف جئت ؟

شكرى ــ قرأت اللافتة بالأمس فعزمت على زيارتك وقد أخبرتهم الآن في المحكمة أنني سأكون عندك وجئت أزورك .

مجدى ــ شرف عظيم . .

شكرى _ أتهزل ١٩

بجدى ــ لقد حرت معك يا شكرى . . إن كلمتك . . كها كنت أكلمك في عهدنا الأول قلت لي يا أستاذ مجدى وان بجلتك واحترمتك قلت إنني أهزل!.

شكرى __ يظهر أنك لا تفهم الأمر . . افرض أنك جنت غدا مع متهم في قضية أحققها . .

بجدى ـ فرضنا . . وما البأس ؟!

شكرى ــ ما موقفى أنا ؟

جدى _ أأنت هنا الأن في قضية تحققها ؟!

شكرى _ لا ولكن . .

مجدى ـ هل في المكتب متهم ؟!

شکری ـ انتظر علی . .

عدى ـ ماذا أنتظر؟ هل هنا النيابة؟

شكرى ـ يجب أن أحترم نفسى في كل مكان . .

مجدى _ أى احترام ذاك ! أأنت في بيتك هكذا . . أيناديك أخوك بيا أستاذ شكرى ! .

عفوا أقصد بيا شكرى بك؟!

شكرى ـ الأمر مختلف . .

عجدى _ افرض أن أخاك محام . . ماذا تفعل ؟

شكرى _ حينتذ أمتنع عن نظر القضية التي يوكل فيها . .

بجدى ــ طيب هذا لأنه أخوك . . ولكن أصدقاءك وزملاءك لو امتنعت عن كل قضية يوكلون فيها فإنك لن تحقق في قضايا أبدا ! .

شكرى _ ولكن يجب أن أحافظ على كرامتي . .

مجدى ـ وهل أهان أحد كرامتك ؟! اذا ناديتك باسمك أهنت كرامتك . . اسمع يا شكرى إن بيننا صلة هى الشهادة التى أحملها أنا وتحملها أنت ، أما كرامتك فالمحافظة عليها تكون بالبعد عن مواطن الريبة والارتفاع بمستوى أخلاقك تلك هى الكرامة يا صديقى . .

شکری _ وعن ۱۹

(يدق جرس التليفون ويرفع مجدى السهاعة)

مجدى ـ نعم . . مكتب الأستاذ مجدى . . شكرى بك ! لحظة (يلتفت إلى الأستاذ شكرى) التليفون يطلبك . .

شكرى ـ آلو . . أنا شكرى . . ماذا ١١ الوزارة سقطت ومن أدراك ؟

. . . .-

شكرى ـ ومن الذي سيؤلف الوزارة . . الحزب الآخر؟

(يضع الساعة في يأس)

مجدى ـ ماذا . . أكنت مرشحا للوزارة ؟!

شكرى ــ أرجوك يا مجدى . .

بجدى ــ ما أهمية سقوط الوزراة بالنسبة إليك . . ماالذى يجعلهم يطلبونك في غير مكتبك ليبلغوك الخبر؟

شكرى ـ الوزير . . الوزير الذي بها . .

مجدی _ أي وزير ؟

شكرى ــ الوزير الذي كان سيشفع لي . .

عدى - أى وزير وأى شفاعة ؟

شكرى ــ لقد طلب الى النائب العام أن أستقيل لأن هناك اشاعات تتناولني عنده بسوء . ولى وزير فى الوزارة ، أقصد كان لى قريب وزيرا فى الوزارة رجوته فوعدنى خيرا . . مجدى ــ وبعد . .

شكرى ــ وهل فيها بعد؟ استقالت الوزارة . . استقالت يا استاذ . . يا مجدى ليس هناك أمل . .

مجدى ــ هون عليك ياشكرى . . هونها تهن . . هذه الإشاعات كانت خطيرة ؟! شكرى ــ بعض علاقات والإشاعات كانت فى حدود ضيقة يكتفى فيها بالنقل . . لكن . .

عدى ــ لاتدافع أمامى . . مادامت الإشاعات كانت فى حدود ضيقة فسمعتك مازالت شريفة . .

شكرى ــ مجدى . . أتقبلنى عندك فى المكتب ؟ مجدى ــ ماذا تقول يا شكرى ؟ شكرى ــ هل فى هذا غرابة ؟ ! أعمل معك بالأجر ؟ مجدى ــ لا ياشكرى أما هذا فلا أقبله . . شكرى ــ أترفض طلبى وأنا فى هذه الحال ؟ . .

بجدى ــ طبعا أرفض ياأخى . . إنك زميل ولن تكون إلا زميل دائها . . سوف تكون شريكى فى جميع أرباح المكتب سواء فى القضايا التى تتولاها أو فى غيرها . .

شكرى ـ ليس عندى الآن مايكفى لمشاركتك مصاريف المكتب.

بجدى ـ وأنا على استعداد لقبولها عندما تتوافر لديك . .

شكرى ـ سبحان الله!!

مجدی ـ ماذا یاشکری ؟ .

شكرى ــ كنت أظن أن الوظيفة التي شغلتها هي كل شيء ! ظننتها الوظيفة الدائمة الباقية واذا الله يكشف لي في لحظة أن هناك وظيفة أدوم وأبقى . .

مجدى ــ أى وظيفة تلك؟

شكرى ــ الصداقة . . من استطاع أن يحافظ عليها فقد استطاع أن يحافظ على الشيء الدائم في الحياة . . أسأت إليك فأحسنت وتكبرت فكنت أخى الأكبر . .

(يدق جرس التليفون فيرفع مجدى السهاعة)

مجدى ـ نعم . . شكرى بك سيكلمك . .

شكرى ــ آلو . . ماذا . . لم تستقل . . حسنا . . اسمع اكتب خطاب استقالة بالصيغة المعتادة على ورق رسمي وأحضرها الى هنا ، أتعرف العنوان ؟ أسرع . . لا شأن لك . . فقط اسرع . . مجدى _ انتظر . . شكرى ــ (يضم السهاعة) ماذا أنتظر رجعت في كلامك؟ مجدى ـ لا . . ولكن . . شكري ــ ان شعوري بأخوتك وتجربتي في هذه اللحظة البسيطة تساوي وظائف العالم أجمع . . لا ياعم لن أرجع اليها . . لن أرجع اليها أبداً . . (بعانقه ويدخل عبد البارى فيجدهما متعانقين فيظهر السرور على وجهه) عبد الباري ــ الست حرم سعاتك . . مجدى ــ دعها تتفضل . . واسمع ياعبد البارى . . اجعل الخطاط يكتب لافتة باسم الأستاذ محمد شكري المحامي وعلقها على الباب . . عبد الباري _ (في حزن شديد) ماذا ؟ من ؟ البك وكيل النيابة ؟ مجدى ـ افعل ماقلت لك . . عبد الباري ـ أمرك . . ولكن . . القضية !! مجدى _ اخرج . . عبد الباري ـ حاضر . . شكرى ـ أي قضية ؟! مجدى ـ سأقصها عليك فيها بعد . . (تدخل زوجة مجدى) شكري .. (مسلما) محمد شكرى وكيل النيابة . . أقصد المحامى . . مجدى _ (ضاحكا) أهلا إلهام . . هذا زميلي الأستاذ شكري . . الهام _ أهلا بالأستاذ . . بجدى _ لقد قبل الأستاذ شكرى بعد إلحاح أن يترك وظيفتة كوكيل للنائب العام ويشاركني في المكتب فتخيري مكانا نتعشى فيه الليلة احتفالا بهذه المناسبة . . الهام ــ وهل هناك أحسن من البيت؟! مجدى ــ وهو كذلك . . إلى البيت إذن . . إلى البيت يازميلي العزيز . .

(تسبقهم إلهام في الخروج)

شكرى ــ (في عينيه نظرة شكر عميقة) ألف شكر ...

مجدى ـ (رافعا سبابته إلى فمه) اسكت ..

وأنط .. ما دنيسي

لا .. لست فقيراً ، فلو كنت فقيراً فلعلى كنت أسكت أو أرضى بما كتب لى . ولست جاهلا . فلو كنت جاهلا لما أحسست بهذا البلاء الذي قدر لى ، ولا أنا أبله أو بمنون ولا ضعيف أو قبيح الوجه ، لا لست واحداً من هؤلاء جميعاً . . انه عيب واحد الذي أعرفه في نفسى ، لم أصنعه ، ولا يد لى فيه ولو كنت أعرف طريقة للتغلب عليه لبادرت إلى اتباعها . . ولكن ليست هناك طريقة . . عيب واحد أعرفه في نفسى . . هو أمى . . ماذا أصنع ؟! هل أنا الذي اخترتها ، أو أنا صنعت بها ما هي عليه . . لا . . لقد تم صنعها منذ زمن بعيد . . صنعها أبوها . . أو صنعتها أمها ، أو صنعت هي نفسها . لا أدرى ولكني أدرى أنني لم أصنعها !! وأدرى أيضا أنني لم أخترها لتكون أمى . . بل أن أبي هو الذي اختارها من بين نساء العللين لتكون أما لابنائه ، ثم وجدت نفسي واحداً من هؤلاء الأبناء . .

لن أنالها بشرٌّ ولن أذكر عنها أى سوء فهى تحينى ، ولا شرَّ بها أو سوء الا أنها تحبنى غاية الحب . . وحبها من نوع عجيب أوقع بى إلى ما أنا فيه اليوم !!

انها تحبى حباً عارماً مجنوناً ، لا تعليق عنى بعداً ، وهى منذ أول ما وعيت لا تعليق أن أصنع بيدى شيئاً ، وإن أعجب ما أعحب له أننى نجحت ونلت الشهادة العالمية برغم هذا التدليل الذى كانت تسكبه هى سكباً فياضاً بلا تفكير ، ومنذ ذلك الوعى الأول – رأيت لها صديقة لا تفارقها فى نهار ولا ليل حتى تقتضى الضرورة الملحة ، أو تفترقا لترى كل منها شأن بيتها ثم تعودان لا تفترقان . ومنذ ذلك الوعى الأول رأيت لهذه العمديقة ابنة أكبرها بسنوات قلائل . وقد كانت الابنة ترافق أمها فى زياراتها ، عمولة على الاكتاف فى أول أمرها ، ثم ساعية بخطوات متعثرة ، أذكر أننى كنت

أضحك منها، ثم استقامت خطواتها وأصبحت عربيدة لايقر لها قرار..

وكنت فى ذلك أشكر نفسى أن ألهو مع الطفلة ، ولا أرضى لنفسى أن تشاركنى فى لهوى ولكننى كنت أراها دائها فلا أجد لرؤيتها صدى فى نفسى غير أنها كانت تتعثر فى خطاها وكنت أضحك من تعثرها . .

ودار الزمان دورته وأصبحت الابنة المتعثرة الخطوات فتاة ريانة الصورة ! فيها جمال لا يبهرك في النظرة الأولى ولكنك تدركه مع طول التأمل ، ومع بعض التفكير ، وهي مؤدبة حسنة الحديث إذا تحدثت ، لا يروعك منها خيال جامح ، أو فكر متوثب . . وانما هي عقلية أكثرت من القراءة وأحسنت فهم ما قرأته ، كانت هكذا سامية . .

وحين أصبحت هكذا كنت أنا قد انتهيت من دراستى وخلفت ورائى الجامع الأستقبل الحياة . ولكن الحياة لم تشأ أن تستقبلنى وحدى ، أو أن أمى لم تفك قيودى وتطلقنى الستقبل الحياة وحدى بلا رباط يربطنى بها . ففوجئت بها يوما وأنا أهم بالخروج . .

- _ انتظر يا سميح فاني أريد أن أكلمك في أمر مهم . .
 - وقعدت بجوارها . .
 - ــ نعم . .
 - أنت الحمد الله كبرت وأريد أن أفرح بك . .
 - ــ تقصدين الزواج ؟!
 - ـ نعم . .
- ـ يا أمى ولماذا العجلة ، اننى لم أكد أنتهى من الكلية وأريد أن أستربح قليلا . . وابتسمت أمى وهي تقول :
 - ـ وهل. الزواج تعب ؟!
 - ـ أريد أن أجد وظيفة أولا وتستقر أمورى ثم أتزوج . .
 - ــ لا شأن لك بأمورك سأعطيك كل ما تحتاج إليه . .
 - نعم يا أمى ولكنك لا تعرفين للة المال الذي يكسبه الانسان بعمله .
 - _ ما هذا الكلام الفارغ ؟!
 - ــ أهذا الكلام فارغ!!

- _ طبعا . . ابعث لك عن حاجة أخرى . .
- _ أمرك يا أمي . . إذا وجدت فتاة تعجبني قلت لك لتخطبيها لي . .
 - _ ولكنك خطبت فعلا . .
 - .. 9 11 _
 - .. نعم أنت . .
- ــ وذعرت أن يكون كلامها جدا لا مزاح فه ولو أنى استبعدت أن يكون كذلك فاغتصبت ضحكة منعها من الانطلاق بقية خوف مازالت تتردد في نفسي . .
 - ــ متى كان ذلك يا أمى ؟! أنا خطبت !!
 - __ أنا يا أمي ؟!
 - ــ نعم أنت . .
 - ــ أجادة أنت ؟
 - ــ كل الجد..
 - _ كيف يا أمي ؟!
 - _ خطبت اك . .
 - ـ كيف خطبت لي ؟!
- ـ وما لى لا أفعل . . لقد كنت أعمل كل شيء لك ، ألا تسمح لى أن خطب الك !!
- ــ شريكة حيان ؟! المرأة التي سأقضى معها العمر كله !! ألا أختارها؟! لقد صنعت لى كل شيء ولكنك تسمحين لى أذ أختار رباط رقبق وقميصى وحلتي . . ألا تسمحين لى أن أختار زوجتي ؟!
 - ... لقد اخترتها وانتهى الأمر...
- ــ تقولین انك خطبت لی وأنا فی الحاصلة من عمری ولابد أن أهل خطبت اعتبروا کلامك هزلا ونسوا ما كان . .
- ـــ أنت واهم فقد غللت أجود خطبتك كل يوم منذ أنت في الخامسة من عمرك

حتى اليوم . . خمسة عشر عاما وأنا أذكر الخطبة بمخطبة جديدة ، وتريد أنت أن تهدم هذا جميعه ؟!

- _ أهدم ماذا؟ ما شأني أنا؟ ا
- ــ انها ليست خطيبتي ، أنا لم أخترها . . لقد اخترتها أنت فتزوجيها أنت . .
- ــ أنصت ، انها فتاة من أجمل الفتيات وأبوها غنى واسع الفنى ، وأمها فنية هى الأخرى وليس لها إلا هي ، فأنت بذلك ستأمن على مستقبلك ومستقبل أولادك . .
- _ اذا كان المستقبل هو غنى أبيها وغنى أمها فهو مضمون لا شك . . وما المستقبل ان لم يكن المال؟!
- ــ المستقبل هو الحياة جميعها . . المال جزء فيها ولكنه جزء لا يزيد . . من هي هل أحبها أم لا ؟ هل تتوافق روحانا ، هل . .
 - _ لا تخرف . . انها سامية بنت عديلة وأنت تعرفها وستتزوجها . .
 - ـ لا لن أفعل . .
- ــ بل ستتزوجها . . وعليك أن تختار بين الزواج بها أو الافتراق عني إلى الأبد . .
 - _ عنك أنت ؟!
 - ـ عني أنا فلو أن أصبعي هذا عصي أمرى قطعته . .
 - ـ نعم . . أعرفك انك تفعلين هذا . .
 - ـ ستتزوجها إذن . .
 - ـ أتزوجها . .

وتزوجتها . . مسكينة . . لو أننى أنا الذى اخترتها . . لو أننى الذى خطبتها لعشنا معا فى أهنا حياة ولكنى لم أخطبها ولم أخترها وانما تزوجتها . كنت أرى فيها أمر أمى وتهديدها وعسفها بى وظلمها لى ، كنت أرى فيها حرمانى من أن أختار أنا شريكة حياتى ، كنت أرى فيها جانبا مظلما من جوانب شبابى ، جانب اختيارى أنا لزوجتى ، فقلت هذه المتعة ففقلات اشراقة من اشراقات الشباب الكبرى ، ثم أصبحت زوجا دون أن تصحب زواجى ذكريات من نظرة التقت بأخرى ، أو ابتسامة أو تفكير . وويل للشباب يمضى دون أن يصحب معه ذكريات !! ذكريات الحب والاستخفاء والتفكير فيمن يحب ، وفى هذا تحبني هى أيضا . . لا ذكريات لى . . أنا زوج بلا ذكريات . .

ان زواجى حتما لا يحمل معه تلك الذكريات المادية المعروفة . . لم أقصد إلى أمى لأقول لها في خجل فرحان « أريد أن أخطب فلانة » لم تقصد هى الى السروس ، لانتظرها بما تحمل من أخبار ، لم أر أبي يفكر بعض الشيء ويتردد بعض الحين ثم يقول : ألا ترى الله متعجل بعض الشيء ؟! على كل حال مبروك . . « لا . . لم يتردد أبي . . فقد كان أبي لا يتردد في أمر تصدره أمى . . لا ذكريات لى من الزواج إلا أمران : تزوجت إلا أنى وجدت نفسي زوجا ، زوجا لفتاة لا عيب فيها إلا أنها تمثل أمرا مفروضا على أن أنفذه لا ذنب لها وأعرف ذلك . . ولكى أنا أيضا ما ذنبي . . أصبح البيت جحيها لى أنفذه لا ذنب في ريمان العمر وهي الفتاة في اشراقة الشباب ، أنا هنا في الحان مع صديقتي التي اخترتها أنا ، والتي استخفى بها والتي أحقق بها ما حرمتني أمي من تحقيقه . .

أنا هنا فى الحان ألجأ إليه بعد عمل ، لا أرى زوجتى ولا ترانى إلا محمورا فى آخر الليل ، ان كانت فى أول الليل ، ان كانت فى أول النهار ، ان كانت فى أول النهار خالية . .

مسكينة سامية . . لقد كانت جديرة بزوج رائع ، بل لقد كانت جديرة بأن أحبها أنا لو أننى أنا الذى اختتها . . ولكن أمها وأمى دبرتا الؤامرة فقضت علينا أن نحيا حياة ؛ الموت خير منها . .

لقد فكرت أمها وأمى فى أن يتزوج الابن من الابنة ولم تفكر منهما فى الابن أو الابنة ، انها رغبة اشتعلت فى نفس كل منهما فكنا نحن وقودها وكانت حياتنا الحريق .

أنا هنا في الحان أشرب مع صديقتي ، وزوجتي بالبيت لا أدرى ماذا تفعل ؟! أعلم أنها مسكينة لاذنب لها . . ولكن أنا . . ما ذنبي ؟!



Amelia Amelia

كانت معربدة مجنونة فى رأس عالم يجب أن تكتب له الشهرة ، ويصعد إلى قمة المجد ولم يسكت العالم عن التفكير وانما أخذ يذيع بين اخوانه العلماء هذه الفكرة التى سيطرت عليه ، وأراد العلماء الناشئون أن تكتب أسماؤهم كمساعدين لذلك العالم الكبير فيقفزون بذلك سلالم كثيرة إلى سماء المجد الذى يجلمون به . .

كانت الفكرة عجيبة! فهو يريد أن يصنع الأدميين خارج الأرحام ولكن ، ما الروح ؟ هو يعلم أن الجسم متكون من خلايا وهو يعلم عمل كل خلية في كل جزء من أجزاءهذا الجسم ، بل أنه يعلم مما تكون هذه الخلية . . ولكن كيف تسير ، وكيف تؤدى المهمة التي ألفتها عليها الحياة ؟ لم يكن يعرف ، ما هي الروح وكيف يستطيع الانسان أن يحيا ، ويسعى ، ويشعر ويحس ويتكلم ، ويفهم ، ويفرح ، ويجزن ، كيف ؟ لم يكن يعرف! وهل إذا وضع العناصر التي يتكون منها الجسم بعضها إلى بعض تنتج تلك المعجزة الضخمة التي حيرت العقول ؟! كان يعلم أن وضع هذه العناصر وخلطها لن يؤدى به إلا الفشل الحاسم السريع . .

وعجب العالم من هؤلاء الذين ينكرون الله !! كيف ينكرونه وينكرون معجزاته وهم فى أنفسهم معجزات لم يصل أحد إلى ادراك كنهها بعد ؟! وهداه عجبه هذا أن مجاول بعض الناس أن يثنيه عن فكرته جميعا ، فالنسل فى ازدياد والمشكلة تحل بالإقلال منه لا بالزيادة ، ولكن العالم ركب رأسه وأراد أن يثبت عبقريته . .

وأصبح تفكيره منحصرا في أن يهيى على قوارير زجاحية جوا مماثلا لجو الأرحام يضع فيه الحيوانات الإنسانية تسعة أشهر ثم تكون الولادة . .

واستمر فى تجربته تلك السنين ، ومساعدوه من حوله ينتظرون وفى كل مرة يرى سببا لفشل التجربة ، فيزيله ، وتمر الأعوام والأرحام الزجاحية عاقر ما تزال . . لا تهب البنين ولا البنات .

ثم شاء الله صبحانه وتعالى أن يسخر من هذه الحشرة المتعالمة فأمر وقال للقارورة كوني فكانت .

وكانت التجربة تجرى على قارورتين فأخرجت احداهما ولدا ذكرا وأخرجت الأخرى الأنثى .

وفرح صاحب الفكرة وأذاع فى العالم نجاح تجربته وارتقى إلى سهاء المجد فى لحظة واحدة . . لحظة أن بكى الطفل ويكت الطفلة .

وتسلق العلياء الصغار حبال المجد التي علقها كبيرهم ، واطمأنوا نفسا وقروا عينا ، لقد نجحوا في أكبر تجربة عرفها التاريخ وأرادوا أن ينسوا لحظهم أنهم لم ينشئوا انشاء وانما هياوا جوا ، وتركهم ربك في غيهم يمرحون . .

ولكن شيئا واحداكان يعكر على العالم الظافر فرحته المجنونة . . ذلك أنه كان حين يضع سماعته على موضع القلب من الطفل أو الطفلة لا يسمع تلك الدقات المنتظمة التي يجب أن يسمعها ، وإنماكان يسمع هديرا كهدير البحر الصاحب ، ويحاول أن يجد لللك من العلم تعليلا ولكن هيهات !! فسكت عن الأمر وحبسه حتى عن مساعديه لينال المجد كاملا ، والتهنئات خالصة ، حتى إذا خفت صوت المجد وهدأ صحب الناس ، وفرغ إلى معمله مرة أخرى بعد ضجيج الصحافة والاذاعة والتليفزيون والسينا همس إلى مساعده الأول بتلك الظاهرة التي تطالعه من هذين المخلوقين وحمل المساعدهذا السر في احساس بالخطورة وشعور بالرهبة واقترح على أستاذه ، أن يضعا الطفلين تحت الشر في احساس بالخطورة وشعور بالرهبة واقترح على أستاذه ، أن يضعا الطفلين تحت

وفى تكتم شديد أعدت أجهزة الأشعة ووضع قلبا الطفلين موضع البحث.. ولكن ما هذا ؟ نظر العالمان كل إلى الأخر نظرة ملؤها الدهشة واللهول ثم نظرا مرة أخرى إلى تلك الصورة التى ظهرت لها فى الأشعة . . لكم سخر الإله منها . . ان الطفلين بغير قلب ، لقد شاء الله أن تقوم الشرايين مباشرة بدون القلب ومحا القلب من أولاد القوارير . . ان حب الأمومة والرحمة التى يفيض بها قلب الأم هى التى تضع القلب فى الحمل أو رحم الأم . أما الزجاج البارد الأخرس فهيهات أن يهب القلب الملقد استطاع العالم أن يجعل جوه مثل جو الرحم ، ولكنه لم يستطع أن يجعل فيه رحمة الأمومة . .

كتم العالمان الخبر عن الناس فقاما على الطفلين يهيئان لها الغذاء الأمثل حتى درج - الطفلان وتعلما الكلام وفهماه ، ثم ذهبا إلى المدرسة وهناك سمعا اخوانهما يتكلمون عن أمهاتهم فتعجبوا ! ما معنى هذه الكلمة ؟ ما الذى تهدف إليه ؟ سألا العالمين في المنزل فشرحا لهما الأمر فتعلماه ، درساه كدروس المدرسة في الجغرافيا والتاريخ ولكنهما لم يحسا

وحين علم اخوانها أن لا أم لها ، أخذهم العجب ، بل إن الأساتلة أنفسهم قد عجبوا من أمرهما ، فهم قد سمعوا أن شخصا يولد فلا يعرف أباه ، وأمه !! وسمع الطفلان فيها سمعا أن شيئا في الحياة اسمه الرحمة ويآخر اسمه الحب وآخر اسمه الحنان وآخر اسمه الفرح وآخر اسمه الحزن وآخر اسمه السعادة وآخر اسمه الشقاء . . سمعا هذا جميعه وألحت هذه الألفاظ على أسهاعها ، فاذا سألا قائلها عن معناها حار كيف يصفها ، ثم لا يجد غرجا من حيرته إلا أن يقول هذه الأشياء لا يعرفها الناس في الألفاظ وإنما هي احساسات ؟ ا ما معنى هذه الكلمة وإنما ؟ ! وهكذا لا يجد الطفلان أحداً يسالانه إلا العالمين بالمنزل ... فيحاول العالمان أن يترجما لها ويحاولان أن يضعا التعاريف مثل تلك التي يعرفون بها النظريات العلمية ولكن ميهات أن يفهم الطفلان ولا يستطيع العالمان الكبيران أن يفهم هما . . ولا يجدان أخيراً شيئا يقولانه إلا أنه إحساسات وتزداد حيرة الطفلين ولكن قليلا ما تمكث هذه الحيرة . .

إلا أن اسما معينا كان يسمعانه كثيرا فلا يفهانه مثل كل ما لا يفهانه . . الله ؟ ! . . إنها يسألان العالمين عنه فيقولان الله الذي خلق كل شيء ـ وخطقنا . .

- ـ وخلقكما .
- ـ فلماذا مجمده من تصيبه سيارة فى الطريق ولماذا مجمده من ينال مالا كثيراً .
 هو نفسه الله مجمدونه عندما يقع لهم ما يسمونه حزنا ومجمدونه عندما يتم لهم
 ما يسمونه فرجا . .
 - ــ لأن الناس يؤمنون به . .
 - ـ يؤمنون ! . كيف يؤمنون ؟ ا
- ـ يؤمنون به أن يهبهم الصبر عند المصيبة ، ثم هم يشكرونه عند الفرح . .

ويسمع ولدا القوارير هذا الكلام فيضعانه من عقليهها حيث يضعان كل مالم يفههاه من قبل . . إلا أن ذلك ترك فيهها غصة ، ولكن العالمين يضطران آخر الأمر أن يشرحا لهما أنهها مختلفان عن الناس جميعا ويرويان لهما كيف جاءا إلى هذه الدنيا فلا يصيب هذا من نفسيهما شيئا ولا يفسر لهما شيئا . .

وتمر الأعوام ويبلغ الطفلان مطالع الشباب الأولى فتتحكم النزوة فيهها.. نزوة لا تتحكم فيها عاطفة ولا شعور ويخشى العالمان على مصيرهما فيزوجان الفتاة من الفتى ، ويقيهان المراسيم الدينية ولكن الفتاة والفتى لايفههان من هذه المراسيم شيئا وإنما يفههان أنهها سيتزوجان ، ويفههان هذا المعنى مجردا عن كل روحية فيه ، لقد سمعا أن الناس فيها بينهم يتحابون ثم يتزوجون ولكن ما هو الحب ؟ لم يعرف واحد منهها إنما قد عرف الرغبة .. فكان الزواج ثم كان لهما أطفال وكان الأطفال يموتون الواحد تلو الآخر فلا يحسان لذلك ألما ولا حزنا إنما هو شيء جاء فها فرحوا به ثم ذهب فها حزنوا عليه ويريان الناس من حولهما يجزنون ويريانهم يدمعون ويبكون لمصابها فيعجبان من الناس . .

وتمر الصور أمامهما كثيرة متلاحقة فهما يريان الناس تفرح وتحزن وتغضب وتنبسط وتتألم وتصح وتشقى وتسعد ويريان الحياة أمامهما تضطرب وتموج بهذه الإحساسات والمشاعر، وهما عنها بمناى، بعيدان عن كل ما تزخر به فيثب خاطر واحد إلى رأس كليهما فها يلبثان أن يذهبا للعالمين فيقول الفتى . .

- .. قلتها لنا أنتها اللذان سعيتها لمجيئنا في هذا العالم.
 - __ نعم . .
 - ـ فنحن نريد أن تخرجانا منه كم أدخلتمانا فيه . .
 - _ ولماذا ؟ ا
- لأننا نعيش فيه ولا نحبه لأننا نأكل كها يأكل الناس ونشرب كها يشربون ونتعاشر كها يتعاشرون ولكننا لانحس كها يحسون . . إننا مشتاقان إلى الإيمان . . إلى السعادة . . إلى الشقاء . . الى الألم . . إلى الفرح . . إلى الحزن . . إلى كل هذا الذى نراه يضطرب في إحساس الناس ولا يضطرب في أجسامنا . . لأننا لا إحساس لنا . نريد أن نموت . . ليس هذا العالم لنا . . إننا هنا عنا غلطة . . إننا هنا سخرية . . لقد أراد الله أن يسخر منكها فكنا نحن . . ألم تقولا إنكها حاولتها أن تصنعا مثلنا فها أفلحتها . . نحن سخرية العالم منكها . . ألم تقولا إن من يموت يختاره الله إلى جواره ، نريد أن نذهب إلى هذا الجوار فهناك سيعطينا الله ما حرمنا منه هنا . .

ويقول أكبر العالمين :

- ـ ولكننا لإنستطيع . . إن موتكها ليس من عملنا . .
- ـــ ولماذا ؟ ! إن الذين تقولون عنهم إنهم مجرمون يقتلون فى كل يوم فاقتلانا مثلما يفعلون . .
 - _ إننا لسنا مجرمين . .
- بل أنتها أشد إجراما منهم . . ألم تفكرا حين فمتها بتجربتكها . . أي شيء هذا

الذى تفعلان وتزعمان أن لكما قلوبا . . وتزعمان إن لكما إحساسا . . إننا نحن ونحن بلا قلب ولا إحساس لل نفكر فى العواقب ، أما أنت أيها العالم العبقرى فلم تفكر فى مصير انسان ليس بانسان . لقد أراد الله أن يسخر منك فكنا نحن . . فاقتلانا . .

- _ لا نستطيع . .
- _ اذن نقتلكما نحن . .

وأحرج الفتى من جيبه سكينا وأراد أن يطعن به العالم الكبير ولكن كان يعرف ما ينتويان فسرعان ما يخرج غدارته وسرعان ما يسقط ولدا القوارير صريعين مضرجين بدماء هى فى أصلها تنتسب للانسان وإن كانت قد ربيت فى بيت من زجاج ليس فيه من الانسانية عرق . . وتمت كلمة ربك واختار الفتى والفتاة إلى جواره وتكسرت القوارير ، فالرحم وحده هو الذى اختاره الله ليخرج منه الحياة . . والروح - قبل - من عنده مبحانه . . هو الله . .



the many the ofference

سماء ولاأرض

تأهبت الجيوش لحرب ، ولم يطمئن الملك إلى قواده فهو يشرف على كل شأن . ولا حديث له إلا الجيش وما اكتمل من عدده ، وعتاده ، والمدينة قائمة لا تعرف قرارا ، والناس مضطربون ، فمن لا يدهب منهم سيقدم ابنه أو أحاه أو أباه ، يدفعون ضريبة الدم للوطن والدين ، والألسنة كلها تدور فى أفواه أصحابها لا حديث لها إلا هذه الحرب ، والأعين كلها هالعة ، خائفة فهى تتجه إلى السهاء داعية فى خضوع ، واجية فى الحاح ، ثم ترتد إلى الأرض وقد هذأ هالعها واستقر مضطربها ، ولكن إلى حين قريب ، الحاح ، ثم ترتد إلى الأرض وقد هذأ هالعها واستقر مضطربها ، ولكن إلى حين قريب ، ثم ما تلبث أن تتجه مرة أخرى إلى السهاء ، وهكذا تظل مترددة بين لطف السهاء ، ورهبة الأرض . والجيش لاه عن هؤلاء جميعا ، الى الاعداد ، والتفكير فيها يحتاجه فى ورهبة الأرض . والجيش لاه عن هؤلاء جميعا ، الى الاعداد ، والتفكير فيها يحتاجه فى تلك الرحلة التى قد تطول حتى نهاية هذه الدنيا ، وقد تقصر فهى إذن سنة أو بعض السنة ، يلاقون فيها الموت ويخادعونه عن أنفسهم ، ويقودونه إلى أعدائهم ، والنساء باكيات . والقليلات منهن القليلات يقفن إلى جانب أزواجهن يلهمنهم العزيمة ، ويوحين اليهم بالمصابرة . مصابرة النفس ، ومصابرة العدو ، ومصابرة الزمن . .

ويصل الوحى إلى نفوس البعض ، أو هو يرتد عن النفوس الخائرة التى تذهب إلى الحرب لأنها لا تملك إلا ذهابا ، ولعل ذلك الوحى يصل إلى نفوس بعض الجند فيجد ألا عمل له فى هذه النفوس فهى مليئة بالإيمان ، مفعمة بالثقة ، وهبت نفسها الله وفى سبيله تحارب . .

وكان فى المدينة شاعر . . أراد أن يذهب إلى تلك الحرب ، فقد كانت العقيدة تملأ جوانب نفسه ، وقد شب لا أمل له إلا أن يحارب أعداء الله فى سبيل الله ، وقد كان الشاعر يعرف طريقه إلى جلسة الملك ذاتها ،

فهو يذهب إلى هناك ويجلس . . وما هي إلا لحظات حتى ينتهى الملك من أوامره التي كان يصدرها متلاحقة قاطعة ، فقد كان الجيش في سبيله إلى الرحلة اذا ما أقبل الصباح . .

ويقف الشاعر فيلقى قصيدة رائعة ثم هو يسأل الملك أن يسمح له بالذهاب مع الجيش فيقول له الملك:

- ـ ولكنك الشاعر الفرد، لو فقدناك وجدنا لك عوضا...
 - ــ أبقاك الله يامولاي ، أيمنعني هذا حقى ؟ !
 - _ وأنا أخشى عليك . .
- ــ أتخشى على الموت يا مولاى ولا تخشى قولهم ، قد جبن حين نفر الناس إلى الجهاد ، وخاف حين هم القوم إلى النضال . .
- ــ إنك يا أخى لتقول الشعر فتهب النفس الخائرة قوة ، وتلهم الروح الناكصة إقداما . .

خشكر الله لك يا مولاى ، فأين يكون مكانى إذن إن لم يكن بين قوم يناضلون ، قد يتعرض لهم الموت فيصيب من عزيمتهم . . ألا أكون أنا أجدر الناس بالذهاب إلى الحرب فأرد خوفهم شجاعة ، وتراجعهم إقداما . .

_ لكم أتمنى أن تبقى ، ولكننى لا أملك أن أبقيك فإليها أيها الشاعر . . إلى حيث تريد لنفسك ، وإلى حيث تريد لك نفسك من شوق . . أما اليوم فاننا سنريح أنفسنا ، من عناء ما كنا فيه ، ونهيىء أرواحنا لما ستقدم عليه بليلة بيضاء ، ينيرها الأمل فى المستقبل والإيمان بالله ، وما لا يغضبه صبحانه .

كان هذا النقاش يدور وقد جلست الجاريات ينتظرن انتهاءه حتى يقمن بالغناء وكان من الجاريات بثينة ، وكان شاعرنا يجب هذه الجارية حبا بعيدا عن الأمل ، فهو يعلم أن فما في القصر مكانا ، وأن لها في قلب الأمير مكانا . .

ولكن هذه الهوة البعيدة لم تمنع أحلامه أن تجمع بين أسوار عقله ، وان للأحلام جوحا إلى المحال ، ولا بأس عليها ، فيا هي الا سرحه ثم تصبح تلك الأحلام هباء لم يعرف بجموحها الا صاحبها ، وإنه لكاتم سرها لم يسمح لها يوما أن تذيع . . وهكذا كانت تثور أحلام شاعرنا شهاب به فتفكر في تلك السعادة التي قد تتهيأ له لو أن حبا مثل حبه وقع في قلب بثينة . .

كانت بثينة إذن بين الجاريات ، وسمعت ذلك انتقاش بين الأمير والشاعر فاشتد إعجابها بالشاعر ، فهى تعرفه شاعرا ينشىء القصائد الراثعات . . وهى تعرفه ينسج المعانى الخالدات ولكن لم تعرفه رجلا يبتكر الكريمات من الأخلاق ويبتدع العظام من التضحية . .

وكانت ليلة ثم كانت الحرب فذهب إليها شهاب وأحلامه ما تزال تجمح به فيرد جماحها ويقيت بثينة وإعجابها بالشاعر قد يصبح بجانبه إعجاب برجولته.

ويند في الجيش إلى الحرب ، ويحمى الوطيس ، وتهم الهزيمة أن تحيق بجيش شهاب فها يمنعها عنهم إلا الليل ، الذي يرغم الأعداء أن يرتدوا إلى خيامهم قبل أن يتم النصر لهم ، وإن كانوا قد وثقوا منه يكادون يحسون به بين أيديهم .

ويعود جيش الملك إلى جراحه يداويها ، وقد انكسرت العزيمة وخارت النفوس ، وأصبحوا ولا أمنية لهم إلا أن يرجعوا إلى ديارهم بتلك الفلول التى أبقى عليها الليل ، ويرى الشاعر ما ألم بجيشه فيعرف أنه قد آن للسانه أن ينطلق ليرد النفوس الخائرات إلى شجاعتها ، ويعيد الأفئدة الهائعة قوة واندفاعا ، ويذكر بقية الجيش الهزيم أن الجنة تنظر القادمين . . وينطلق شهاب يخطب ولم يكن حوله حين بدأ الا شرفهة ضئيلة استطاعت أن تخلص من أحزانها وخوفها لتقف قليلا إلى ذلك الفتى الذي استطاع أن يملك زمام نفسه ، فهو يدير الحديث في براعة وهو يبتكر المعاني النافذة آخذة سبيلها في قوة إلى قلويهم ، ولم تلبث هده الشرذمة إن اتسعت حتى أصبحت تضم الجيش كله ، وإذا الجيش لا يطيق أن يبيت ليلته على الهزيمة فهو يندفع في قوة عبقرية إلى الأعداء وكأنما هو جيش جديد غير ذلك الذي كان منذ صدر الصباح إلى غسق الليل ، فهو إذن لم ينهزم ، وهو اذن لا يعرف الأأن الأعداء على عرمى القوس منه ، وإنه ليس ينه وبين ينهزم ، وهو اذن لا يعرف الأأن الأعداء على عرمى القوس منه ، وإنه ليس ينه وبين الجنة إلا أن يزم هؤلاء الأعداء أو يموت .

ويندفع الجيش وصيحات شهاب ما زالت تدوى في جميع قلبه ، وكانت جيوش الأعداء تحتفل بالنصر الذى أصبحوا منه أقرب من هذه الأرض التي يجلسون إليها . وكان احتفالهم بالنصر خرا معتقة تدير الرءوس التقت بها نشوة معربدة في نفوسهم من فرحة النصر . .

وهكذا التقى جيش المسلمين يدفعه الحرص على الجنة ، وجيوش الأعداء يقعد بهم الحرص على الجنة ، وجيوش الأعداء يقعد بهم الحرص على الأرض ، التقت السياء والأرض ، والحق مدعيا قويا ، بالقوة سكرانة لا هية ، التقى الجمعان فكان نصر المسلمين حليا كاملا وما أن انبلج الصبح حتى كانت جيوش الأعداء تولى الفرار وكانت جيوش المسلمين تتاهب للعودة إلى بلادها ، النصر فيها ، والفرح يجيط بها من كل جانب .

وجلس الملك إلى قواده وعرف منهم ما كان من أمر شهاب وخطبته فهر يرسل في طلبه فها يلبث أن يجيء فيقول له الملك :

- ... هيه يا شهاب لقد كان والله لسانك أقوى من الجيش.
 - _ بل كان إيماني يا مولاي أقوى من العالم.
 - _ أريد يا شهاب أن أكافئك .
- انما لا یکافأ المرء لمثل هذا یا مولای ، لقد کانت مکافأتی فی العمل الذی أقوم به ، فقد کنت أحس وأنا أخطب قومی وأری استجابتهم أننی أسعد الناس جمیعا ، ولن تستطیع یا مولای أن تهب لی مثل هذه السعادة . . أجل یا مولای کان عملی نفسه هو الکافأة التی أتمنی أن أنالها . .
- ــ هو ما قلت يا شهاب وإنما أريد أن أعبر لك عن إكبارى ، ولن يكون هذا التعبير الا هدية .
 - _ وإن رجوتك أن تعفيني من قبولي الهدية . .
 - _ أمرتك أن تقبلها . .
 - ــ ومالي إلى رد أمرك من سبيل يا مولاى . .
- ـــ قد جعلت لك قطعة من الأرض ، تلك التي تجاور بيتك ، وجعلت لك بثينة جاريتنا ، هي لك هدية .
 - _ من یا مولای؟!
 - ــ بثينة . .
- _ تقصد ذلك القوام الأهيف ، هاتين العينين الصافيتين ، هذا الفم الملائكى ، هذا الشعر الأليل ، هذه . .
 - _ أجل إنها هي ومنذ الليلة هي ملكك . .

ويخرج الشاعر من ديوان الملك ، وقد ملك الغنى فيا فرح به وملك بثينة ، فهو لا يدرى كيف يشكر الله على ما أنعم ، ثم هو ما يلبث أن يحسب كل ما كان من أمر الملك وأمره حليا من تلك الأحلام الجاعة التى تثور به فهر ينظر إلى الأوراق بيده فيرى فيها أن بثينة قد أصبحت على خالص ملكه . . يراه حقيقة في يده لا تحتمل تكذيبا فيضم الورقة في جيبه ولكن هيهات لها أن تستقر فهى خارجة بعد برهة إلى يده وعينيه ، وهكذا تظل الورقة بين طى المصدق ونشر المكذب حتى يصل شهاب إلى منزله فيهي عاجل ما يبياً منزل ، هذا الحلم الجامح الذى اصبح حقيقة يراه بعينيه ويلمسها بيده بل يكاد يلمسها بفؤاده ، ويبحث عن حديث ويطول البحث والجارية صامتة تنتظر ما تنفرج عنه هاتان الشفتان اللتان أصبحتا تتحكيان في كل خطوة كتب عليها أن ما تنفرج عنه هاتان الشفتان . . شفتا شهاب فهو يقول :

- ــ أتراك تمذرين فقرى وتنظرين إلى غدى . . أعلم أن الفارق بين ما كنت فيه وبين ما أنت فيه كبير . . هل تعذرين ؟
- ــ يا لحنيبة الأمل !! حتى الشعراء ينظرون إلى الأرض . . ليس الفرق في المكان يا سيدي . .
 - ــ يعلم الله أن مكانا أنت فيه هو الجنة ، ولكنني أردت أن انظر من عينيك . .
 - ۔ او مكذا تبصر عيناى ؟ ا
 - مكارا تبصر عيون النساء.
 - _ بل قل هكذا تبصر عيون الإماء ..
 - ــ أنالم أقل ..
 - ــ تريد أن تقول . .
 - _ أحسابا على خافية الصدور؟!
 - ... وهل الشاعر إلا صدره وما يُخفى ؟ ا
 - ـ أو شاعرة أنت؟ ا
 - ــ بغير شعر . .
 - ــ وكيف ؟
- ــ ليخيل إلى أنك لسب الشاعر ، هل الشعر هندك هو تلك الألفاظ الرصوفة على وزن ، منتهية بحرف متحد ، ما أشبه الشعر اذن بطريق مرصوف تحده الحدود المستوية . .
- بل الشاعر هو تلك الروح العالية ، ترفع عن الناس عب، التعبير عن آلامهم وافراحهم فتطلقها لهم في النغمة المتسقة واللفظ الكريم . . الشاعر روح . .
 - _ فأين هي فيك ؟ ا
 - _ أفقدتها ؟
- ــ فإنني والله لأجدها في شمرك فالتلما، وأفتقدها من شخصك فأفقدها . .
 - _ أفقدت الروح!!
 - _ بل فقدها كلامك . .
 - ـ كأنك لا تمرفين المحب إن لاقى الحبيب ا
 - ــ فأين المحب وأين الحبيب ا
 - ـ فإنني أحبك . .
 - ۔۔ او رایتنی ۴
 - ــ مرات . .
 - ــ بین الجواری ؟

```
ــ وما في ذلك ؟
```

ـ فأنت تحب مني تناسق الوجه وانسجام القوام.

_ وما في ذلك أيضا؟!

ـ أو هكذا يحب الشاعر!!

۔ فکیف بحب الشاعر؟

ـ بحب الروح السامية لا الجسم الممشوق ، يجب التفكير الرفيع فيمن يحب . .

ــ أن تفقدين الروح السامية ، والتفكير الرفيع ا

... لئن كنت أفقدهما فأنا لا أعترف..

ــ فإنني أراهما . .

- كيف وانت لا تكلمني إلا اليوم . .

سـ أو يحتاج الحب الى أيام؟

ـ بل بإلى سنين . .

_ أي حب ذاك ؟

_ الحب الأصيل!

ـــ أو عرفته . .

ــ عرفته . .

ـ لغیری ؟

ـ نغيرك . .

- وتريدين أن أتركك له . .

ــ لم أقل . .

ــ ألا تطلبين كثيرا ...

- إذا كنت انسانا تكل الناس فالطلب فادح ، ولكنك الشاعر . .

ــ ولدني أحبك . .

ــ خيال . . لو لم يهبني الملك لك ما أحببتني . .

م أنت الوهم الذي أجسمه كلما تخيلت الحبيب . .

... نأنت يفطيء . . ما هكذا يكون الحب . . ما هكذا يحب الشاعر !

م أليس الشاعر انسانا!!

- بل هو الانسانية في أرقى مدارجها . . وما هكذا يحب . . ان كان حبك لى أبن نظرة فها أشبهك بالحيوان يختار روجة عندما ينظر اليها ، ولكن الانسان يختار حبيبه باتفاق الروح رانسجام الود ، واتحاد المثل الرفيع . .

ــ وحبى لك . .

ـ وهم . .

- _ أحبك . . ولكن من ذلك السابق ؟
- _ فتى ككل الفتيان ، ولكنني أحبه ، عاهدته وعاهدن فها حنث وما حنث . .
 - _ أتحبينه وأنت لاتملكين نفسك . .
- _ لقد كنت عند مالكى سلعة يشتريها ويهدى بها أو يبيعها وله على حق الطاعة ، ولكن قلبي لم يخطفه الخاطف بعد وما اشتراه مني أو من خاطفي أحد . .
 - _ ولكن الفتي خطفه منك . .
 - ـ بل أهديته اليه حبا بحب . .
 - ـ فان تبين لك أنه كاذب . .
 - ــ أعرض عنه . . وأحبه . .
 - ـ والجوح . .
 - ــ أضم نفسي عليه ، وأمنعه أن يلتثم فهو بقية حب كريم . .
 - ــ أتأذنين لى فى الخروج . .
 - _ إلى أين ؟
 - ـ إلى حبيبك . .
 - ــ أو تعرفه ؟
 - ــ نعم . .
 - _ (ضاحكة) فيا اسمه؟
 - ـ المحب المخلص . .
 - _ وما أدراك أنه مخلص !!
- ــ ليس في العالم انسان يمبه كل هذا الجهال بكل هذا الاخلاص ولا يخلص . . ولا يوجد
 - غير مخلص واحد هو من تحبين . .
 - _ فأنت تبارك هذا الحب!!
 - _ انما الانسانية هي التي تباركه . .
 - ــ فأنت تعتقني ؟ ا
 - _ وهذه أوراقك . .
 - ــ فأنا حرة ؟!
 - ـ ليس لمثلك الرق . .
 - _ فضل لا أنساه . .
 - _ أنت صاحبته ، لقد عرفت منك _ وأنا الشاعر _ الحب كيف يكون ؟!

ولا تنتهى الليلة حتى يكون فتى بثينة قد جاء الى بيت شهاب ويتم زواجه بها ويخرجان . . نعم لم يكن الأمر غير حلم جامح من تلك الأحلام الجامحة التى تعربد فى ذهن شهاب وان يكن

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى هذه المرة قد خرج الى عالم محسوس حقق به سعادة اثنين ثم عاد حلما ، كما كان يربط اليه ذكريات فيها السعادة . . شقاء الروح الشاعرة تحرم ممن تحب . . ولكنه على الحالين حلم فرحان باسعادة والشقاء جميعا . . اطمأن الى صاحبه فضمه بين أحناء كريمة تزف الى السهاء فها تعرف الأرض . .

الرههة القاسيحة

دخل الساعى الى لطفى أفندى يحمل اليه ظرفا من النوع الرخيص الذى يلاقيك به أطفال الطريق . وقد كتب عليه الاسم « لطفى عبد الكريم » في حروف واضحة وان كانت شوهاء .

وتناول لطفى الخطاب دون أن يلقى اليه اهتهاما ، وألقاه الى جواره ريثها ينتهى من الأعمال التي لا بد له أن يقوم بها واستقر الخطاب في موضعه ينتظر لطفى أن يفرغ . .

وفرغ لطفى من أعياله ، وكاد ينسى الخطاب ، لولا أن مرت بأذنه كلمة « البوسطة » ألقاها أحد زملائه الى آخر فتذكر ذلك المهمة التى أدتها له البوسطة فى صباحه هذا وتذكر ذلك الخطاب الملقى الى جانبه فأخذ يبحث عنه حتى وجده وراح يفتحه فى كسل وهو لا يفكر فيها قد يحمله اليه الخطاب ، ولا يحاول حتى أن يخمن فى من يكون مرسله !!

وانفتح الخطاب أخيرا وبدأ لطفى يقرأ ، ثم ما لبث ريقه أن جف وراح قلبه يخفق فى وجيب متدافع صاخب وتولت يديه رعشة ثائرة ، وعلا وجهه شحوب قانط أصفر ، وانبعثت على جبهته قطرات من الماء في يدرى أالقتها على جبهته يد صديق ، أم ثورة الدماء فى عروقه ؟ . . أصبح لطفى فى ومضة عين انسانا منفصلا عن العالم الذى يحيا فيه فهو لا يحس من حوله شيئا وانما هو بجميعه يحيا فى هذا الخطاب الرخيص الذى لقيه هذا اللقاء الفاتر . .

لقد كان هذا الخطاب الحقير يحمل أمرا كبيرا . .

وضع لطفى الخطاب أمامه وطلب الى الساعى أن يحضر له كوب ماء ، وانتظر حتى شربه وأغمض عينيه قليلا ثم عاد الى الخطاب ثانية يقرأ . لا . لم يفد كوب الماء ، ولم تجد هذه الاغياضة التى أصابها . فالخطاب مازال يحمل نفس الكليات ، أو مازالت هذه الكليات تؤدى نفس المعانى ، وإنها لمصيبة ! . زوجته خائنة ! . سميرة التى بذل لها أجمل أيام الحياة والتى

ضمتها واياه أحلى الأوقات . . عرفها وهو لم ينته بعد من دراسته فكانت له في هذه الأيام اشاراته تضيء له الطريق الى المستقبل ، وعرفته هي حين كانت آمالها في المستقبل حائرة مضطربة فوجدت فيه مرتعا لأمالها وتجسيها لأحلامها . . والتقت الأمال منها والقبول من أسرتيها . . فكان الزوج . .

ومشت بهما الأيام ، لا يفكر يوما أنه أساء اليها ، ولا يذكر أنه مس كرامتها في شيء . نعم انه يسمع عن هؤلاء الأزواج الذين يقبلون زوجاتهم كلها أصبحوا أو أمسوا . ويسمع عن هؤلاء الأزواج الذين لا يخرجون من بيوتهم الا اذا وقعوا بشفاههم على وجوه زوجاتهم ولا يرجعون الى بيوتهم الا وقعوا مرة أخرى . ولكنه لم يأت مثل هذه السخافات وكيف يقبل أن يجعل من وجه زوجته دفتر حضور وغياب ا مثل ذلك الذى تلزمه وظيفته أن يوقع عليه داخلا وخارجا . وهو يسمع عن الأزواج الذين يدللون زوجاتهم فيمتدحون ثيابهن مها تكن ثيابهن تلك ، ويمتدحون عقصة شعورهن على أية ناحية عقصن ذلك الشعر ، ولكنه هو لم يفعل مثل ذلك مع زوجته . .

لا . . انه لم يكن يدلل زوجته ولم يكن يقبلها مصبحا ومسيا ولم يكن يمتدح ثبابها وعقصة شعرها ، لقد كان يحترمها . . وهو يعتقد أنها ترضى منه بذلك الاحترام فهو يعرف عنها الذكاء اللى لا يقبل الملق ، والحصافة التى تأبى السخافات . نعم انه يلحظ أنها كثيرا ما كانت تغير الطريقة التى تصفف بها شعرها فكانت تجعله كذيل الحصان حينا أو كانت تلمه فى دائرة مكتملة وراء رأسها ولكنه لم يكن يلقى الى هذه التصفيفات بالا ، ولم يهتم اذ ذاك أن يمتدحها لها ، أو يذكر عنها شيئا بخير أو شر فقد كان يحب سميرة . . سميرة التى عرفها يافعا يدرج الى الشباب يذكر عنها شعد الى المستقبل . وسميره عنده أكبر من عقصة الشعر ومن تغيير الثوب ومن كل مظهر وشابا يصعد الى المستقبل . وسميره عنده أكبر من عقصة الشعر ومن تغيير الثوب ومن كل مظهر تتخذه انه يحب كيانها الذى أحبه يوما وما زال . .

أحب سميرة التي فضلته على جميع من سعوا اليها خطابا والتي اختارته بقلبها وعقلها من بين الكثيرين اللين تقدموا لخطبتها حين كان هو يكمل دروسه بالجامعة ا سميرة التي رفضت هؤلاء لننتظره . حتى لقد رفضت ابن عمها نفسه وهو الشاب الواسع الثراء ، الجميل . . الأنيق . . نعم لقد رفضت محيى الأدهم بكل ثرائه وجماله وأناقته لتختاره وهو . . محيى الأدهم . . الا يكون محيى هو من ارسل ذلك الحطاب ، وما له لا يكون . وما الذي يمعه ؟ انه شاب حقير وان يكن ثريا ، ألم يجمع ثراءه من التجارب القذرة التي تستخفى من القانون والتي يعظم فيها الربح لعظم المخاطرة التي تحيط بها .

نعم انه محيى الذى أرسل الخطاب. ومن يكتب هذا الكلام الحقير الا حاقد حقير جاهل، ويعود لطفى الى الخطاب مرة ثانية: (زوجتك تخونك . رجل يأتى الى منزلك كل يوم . . بعد خروجك . اسأل زوجتك عن هذا الرجل . مخلص » . ومن يكون المخلص ان لم يكن محيى ، إنه مخلص للشر الذى يغتل بنفسه والحقد الذى يشتعل بقلبه منذ رفضته ابنة عمد حين تقدم لها وهو يعتقد أن ثراءه لا يجعل لفتاة فرصة لتتردد فى قبول الزواج به . انه

من أرسل الخطاب وانه لكاذب. وحينئذ أحس لطفى بعض الراحة تعاوده .. . يعود رويدا رويدا الى تلك الحياة التى انفصل عنها منذ قرأ الخطاب . ثم أخذ يلوم ذلك الشك الذى ساوره فى زوجته الحبيبة المخلصة وأحس أنه بلومه هذا لنفسه يعيد لمأنينة التى طارت منه ويقر فى نفسه الهدوء الذى زايلها . ثم جاوز تأنيب نفسه الى نها . كيف يمكن أن يشك فى سميرة ألا ما أضعف ثقته ؟ أيكفى خطاب أحمى ، ذلك النوع الذى يلاقيك به أطفال الطريق حتى تتزعزع ثقته فى زوجته الوديعة ، ي حجل ذلك الذى تقبل سميرة أن يخون زوجها معه ، انه لا يرى فيمن حوله رجلا ما يم من سميرة . أتراه مثلا ذلك الرجل الذى اتخذ المسكن المقابل لمسكنه ؟! ذلك الزوجة الدميمة الغنية ، ولكن أى شيء فيه يعجب سميره! لانه يمتدح ثوبها المرضى من سميرة فتخون زوجها الذى تحقت فيه إمالها واستقر مستقبلها . لا . . يكون الرجل هو ذلك الساكن ذو الزوجة الدميمة انه ليس الرجل وليس أى رجل محمرة لعفيفة . .

بلغ لطفى بتفكيره الى هذا القرار حتى دعاه التليفون . من ؟ حمدى أفندى أبو . . مات ؟ كيف ؟ كيف مات ؟ وهل يحتاج الموت الى انذار ؟ . مات . . فمن ه . . لا أحد . . لم يبق لها فى هذه الدنيا العريضة غير زوجها كيف يبلغها الخبر ؟ عب أباها الى أقصى غايات الحب ، كانت ترى فيه حياتها جميعها ، فقد حرمت أمها ما تزال ، فكان الأب منها أبا وأما . ولكم ألحت عليه أن يقيم معها حين تزوجت و عليه ولكنه أبى ذلك وصمم على أن يعيش وحده لا يعينه الا معاشه الصغير ، ميرة ، كيف يبلغها الخبر ؟ !

الى منزله وفتح الباب ودخل . . ما هذا المعطف؟ انه يعرف هذا المعطف ، انه ر الجديد . اذن فقد كان الخطاب صادقا . اذن فسميرة خائنة . يقصد لطفى الى ويهم أن يدخل ولكن ما تلبث يده أن تتجمد مكانها . ماذا ينتظر أن يرى ؟ وماذا ن رأى مايتوقعه . ومرت بلهنه أمثال تلك المشاهد التى قرأ عنها فى الروايات والتى السينها والتى تصور الزوج المخدوع . اذن فهو الزوج المخدوع ! لماذا ؟ لماذا تخدعه اب لطفى الى موقفه على باب المخدع وقد تجمدت يده فى منتصف طريقها الى اب لمفنى الى موقفه على باب المخدع وقد تجمدت يده فى منتصف طريقها الى وقعه الى جهول من أمره وطريق يسير به ولا يعنى منه شيئا . لقد عاش طول عمره وقعه الى مجهول من أمره وطريق يسير به ولا يعنى منه شيئا . لقد عاش طول عمره الصغار . عفيفا عن مزالق الشباب ، تأبى عليه كرامته أن يستخفى كها يستخفى ، وما كان يمنعه عن ذلك الا كبره واعتداده بكرامته ، ثم ها هو ذا وقد أصبح على حييرة بلا كرامة على الاطلاق . . ماذا يفعل ؟ أيطلقها ؟ فيعرف الناس جميعا بزوال

كرامته ؟ أيقيم معها في منزل واحد فيظل أمام نفسه بلا كرامة ؟ أي الأمرين أكثر أهمية ؟ أن يكون أمام الناس بلا كرامة أم أن يكون أمام نفسه بلا كرامة ؟ وما الكرامة ؟ أليست هي أقوال الناس ورأيهم ؟ اذن فليبق حينا ثم يصطنع غضبة ويطلقها ولكنها لا يطيق أن يرى تلك الزوجة الخادعة فكيف يحيا معها بضمهما بيت ، بل وحجرة وفراش ؟ أما الفراش فلا . فسينفصل عنها ، والحجرة أيضا ، انه سينام منذ اليوم في الحجرة التي كانت نخصصة الأبيها حين كان ينام بها في زيارة . وعلى ذكر أبيها ، انها لم تعرف بعد ما أصابها في أبيها وكيف كان يمكن أن ينبئها ؟ ! وعلى ذكر أبيها أين تذهب سميرة ان هو طلقها اليوم ؟ الى الشارع فتعيش في البؤرة التي صنعتها هي لنفسها ؟ لكن لماذا خانت ؟ أيرضي أن يترك امرأة وحيدة بلا أب وبلا عائل في الطريق وحدها بلا معين ؟ نعم يرضى ولكن أليست هذه أنانية منه . اذن يظل معها طول عمره ؟ ! طول عمره مع خائنة ، خائنة دون أن يعرف سببا لهذه الخيانة ومع من . مع رجل لايحسن من أمور الدنيا شيئا الا أن يمتدح عقصة الشعر وقياش الفستان ولون الحذاء ، وطراز الحقيبة اذن فياذا يفعل؟ أيلقى بعمره جيعه لامرأة تافهة تصدق التعلق الكاذب مع عابر سبيل؟ نعم سيفعل . لقد طالما تغني بالمثل العليا فليكن هو مثلا أعلى في . . في ماذا؟ نعم ان الناس سينظرون اليه في مثله الأعلى على أنه مغفل خانع غبي ولكنه هو سينظر الى نفسه على أنه رجل ضحى بكرامته ليستر زوجته ويحميها من طريق موحش تسير فيه وحدها تفترسها ذئاب الطريق وضواريه فتقع يوما في يد ذلك الجار وربما في يد ابن عمها محيى الذي أرسل اليه هذا الخطاب . . ويل له من ذلك الخطاب! لم يكن الخطاب هو السبب في ذهابه الى المنزل وانما موت حميه . نعم لقد مات حموه فلم يبق لزوجته الا هو وسيظل لها وسيضرب عليها نطاقا من الرقابة فلا تتنفس الاوهو على علم بأنفاسها . .

اتخذ لطفى قراره هذا وهو يحس بهول هذا القرار فعاد أدراجه الى بيته يحاول أن يخفى النار الهائجة فى صدره ولكنها تتوقد وتشتعل فعيناه حمراوان ، ووجهه مضرج باللهب وانفاسه شعل . ويلتقى بزوجته فيكاد يصرخ فى وجهها بما كشفه من خيانتها ولكنه يجد خبر مومت أبيها قد غلب عليه فيقذف به فى وجهها قذفا وتنهار سميرة فلا يدركها وانما يصدر أوامره صارمة قاسية ، وكأنما يشفى بما يعتريها من ذهول حزين جازع وتذهل سميرة من موقف زوجها ذهولها من موت أبيها ولكنه لا يحفل بذهولها هذا وانما يدخل الى غرفة النوم فيأخذ حاجياته منها ويخرج بها الى الغرفة الثانية فيزداد ذهول سميرة ولا تجد الوقت مناسبا لتسأله عن تصرفه الغريب هذا !! ولكنها فى غمرة حزنها لا يفوتها أن تدرك أن شيئا خطيرا طرأ على زوجها .

ويمضى ذلك اليوم وتتبعه أيام وتجد سميرة نفسها فى موجة عاتية من أوامر زوجها الحازمة الصارمة التى لا تحتمل تعليلا فى ظاهرها وان كانت فى باطنها تحمل الشك الذى يكاد يصل الى المصارحة . ففى اليوم التالى لانتهاء المأتم أخبرها انه استأجر شقة فى حي آخر ألقى اليها النبأ دون أن يبدى سببا ودون أن يجعل لها مجالا للسؤال عن السبب . وأحست يومذاك أنه قد يكون

متشككا في أمرها . وانتقلت الى البيت الجديد . . كان يخرج الى عمله ثم يفاجئها في ساعات مختلفة من اليوم ليرى ماذا تصنع ؟ فأحست أن الأمر عنده بلغ مرتبة أعلى من الشك . وأصدر اليها الأوامر ألا تجيب طارقا على باب ، فأحست انه يكاد يكون على يقين من أمرها ، وكانت عندهما خادمة واحدة فاذا هي تجد البيت مليئاً بالخادمات فأصبحن ثلاث في خدمتها وهي تعلم أنه بخيل لا يحب أن يبذل هذا المال الكثير فعرفت انه على يقين من أمرها . وانتظرت أن يفاتحها ولكن الشهور مرت وهو صامت لا يتكلم ويقيم في حجرة غير حجرتها . بل بالبيت ساعات مختلفة من النهار فلم يعد له موعد معين أبدا ! هو يعلم اذن أنها خائنة ، فلهاذا يبقى عليها ، ان كبره وغطرسته يأبيان عليه أن يعلن الى الناس أن زوجته تخونه ولكن . . لا . . انها تعرفه . . لقد كان خليقا أن يطلقها فور علمه بخيانتها ولكنه لم يفعل ، فلهاذا ؟ لعله يشفق عليها . . نعم ان هذا أقرب الى تفكيره وهو أقرب لما تذكره من تغيره هذا المفاجىء والذى بدأ يوم مات أبوها . . نعم انها تذكرت ذلك اليوم . . تتذكره جيعه . .

انه يوهم نفسه الآن انه يضحى بنفسه ليضمن لها العيش ، ولكن أى عيش هذا اللى تحياه فى بيت هو السجن ، زوجها فيه رقيب وليس زوجا ، يرقب أنفاسها التى تتردد فى صدرها . . يفتح باب غرفتها فى المساء ثم يقفله ليرى ان كانت وحدها أم لا ، يترك عمله مرات فى خلال الاسبوع ليفاجئها من حيث لا تنتظر . يحيطها بالعيون الرواصد من الجواسيس ويطلق عليهم اسم الخادمات . لا . لا يمكن أن تظل على هذه الحياة . ولكن الى أين ؟

واضطرب لطفى فى عمله ، وأصبحت الحياة حوله شكا ، فحيثها أدار عينيه وجد القلق والحيرة والهلع . يخيل اليه أن جميع من يلقاهم يعرفون أنه زوج مخدوع . يفر من الطريق . يخشى أن يلقى فيه جاره القديم ، أو ابن عم زوجته عيى ، ويخشى أن يلقى أى جار لمنزله الأول الذى تمت فيه الحيانة لا يستطيع أن يخلو بذهنه ليفكر فى شيء غير الحيانة ، لا يستطيع أن يخلو باحساسه الى شيء غير الشك . يعزم على السفر ويقطع التذكرة ويركب القطار ولكن قبل أن يتحرك القطار يكون هو قد قفز منه وسارع الى بيته ، يذهب الى السينها ويهم بالدخول فيقطع التذكرة ولكنه يسارع بها الى البيث . .

وسميرة لا تخرج من البيت أبدا! بل باقية لاتبرحه ولكن ماذا تفعل في ذلك البيت؟! انها تنظفه مرات ومرات ولكنه لا يستغرق مهما تنظفه الا بعض الوقت ثم تفرغ الى هذا الشقاء الذي يحيط بها في عودة زوجها المفاجئة . وفي تلك العيون المبثوثة حواليها من خادماتها . وذات يوم تتذكر سميرة انها لم ترتب أوراق زوجها من زمن بعيد فتدخل الى حجرته وتفتح أحد الأدراج فيروعها هذا العدد الهائل من تذاكر القطارات وتذاكر السينها وكلها جديدة لم تستعمل ، وكأنما تمثلت هذه التذاكر أمام عينيها شقاء زوجها بها ولها . وكأنما رأت في هذه التذاكر السليمة جريمتها وعفو زوجها والعقاب الذي يقع عليها من جراء هذا العفو في لحظة .

فلا تكمل بحث الأوراق الأخرى وانما هي تمسك قلما وتأتى بورقة وتكتب الى زوجها خطابا .

ويدخل الساعى الى لطفى بالخطاب يخبره أن خادمته قد جاءت به . ويفتح لطفى الخطاب في لهفة ويقرأ . .

د أعلم آنك تبقى على لاننى لا ملجا لى اذا تركتك ، وأعلم انك تقوم بتضحيتك هذه . . أنا هو ذلك لترضى بها مثلا أعلى أقمته لنفسك ولكنك نسيت شيئا مها فى تضحيتك هذه . . أنا هو ذلك الشيء لقد قسوت أنت على نفسك ـ ما فى ذلك شك ـ ولكن قسوتك على أشد وأعظم . أنت قاس على برحمتك ، قاس على بعطفك ، قاس على بسترك على ما تعلمه عنى ، ان تكن أنت قد قبلت لنفسك هذه التضحية فأنا لا أقبلها . وان تكن ظننت الرحمة فى نفسك حين تأوينى فى بيتك ، فانى أرى الرحمة بى فى أن أترك هذا البيت ، ان تكن الرحمة عندك أن تضمنا جدران بيت على كره ، فاننى أرى الرحمة بى تتمثل فى الفراق بيننا . فانى أعلم منذ زمن بعيد أن لا حياة بين زوجين تقوم على العطف دون الحب . اعطف على اليتيم والمقطوع وابن السبيل أما زوجتك فأحبها أو طلقها . .

ولن تجدى فى البيت حين تعود وأرجوك أن تعود بعد أن تنتهى من عملك فلم يعد هناك ما يدعوك الى قطع عملك للعودة المفاجئة فأنا لست بالمنزل . وأرجوك قبل أن تعود أن تمر بالمأذون وتطلقنى . أما أنا فسأعمل خادمة ، فان لم أجد عملا سأتسول على أبواب الأضرحة ، وثق أننى بهذا أكون قد أنقلت نفسى من رحمتك القاسية » .

وقرأ لطفى الخطاب وأعاد قراءته واغرورقت عيناه بالدموع . لقد حاول أن يضحى بشيء لا يمكن التضحية به _ كرامته _ لم يستطع أن يجعل من نفسه مثلا أعلى ولكنه سعيد بفشله هذا ، سعيد بأنه غير ملزم الآن أن يترك عمله أو يقفز من القطار قبل أن يتحرك ، أو يدخل البيت بتذكرة السينها كاملة بنصفيها . . انه منذ اليوم سيمشى في الشوارع مرحا لايبالي أي السان سيلقاه في الطريق ، لقد تخلص من العار الذي حاول أن يقيم حوله تضحية ومثلا أعلى . .

وتخلص من تضحيته التي كلفته قطعة من حياته ، وكانت الأيام فيها باهته حاثلة الله ن فمنذ اليوم ، أهلا بالحياة ووداعا أيتها التضحية . .

عودة السيد سكر

نعم فان اسمه السيد سكر ، والسيد اسم ، أطلقه عليه أبوه قبل أن تلغى الألقاب لتحل كلمة السيد محلها ، وأما السكر فهو اسم صنعته له القرية ، ولم يكن ذلك عن بله من أهلها ولاغفلة ، وانما كان ذلك في الحرب الأخيرة ، حين أصبح السكر من المواد التي تشرف الحكومة على التصرف فيها ، فلا يعطى الا باذن . . وتصدى السيد للتجارة ولم يكن له بها شأن ، وانما رأى تجارة التموين رابحة ، ففتح دكانا خاصا لتجارة السكر ، واستصدر رخصة للتجارة ، وهيمن على كل شيء حلو في البلدة ، فأصبح لا يستطيع أي انسان في القرية أن يشرب قهوة أو شايا بسكر الا اذا أذن له السيد ، وأصبح لا يستطيع أي انسان في البلدة أن يصنع فطيرة حلوة أو أرزا بلبن الا اذا كان صديقا صدوقا للسيد .

وفى القرية كثير ممن حاولوا مصادقة السيد ، فأباها عليهم ، فلم يجدوا شيئا ينفسون به عن غضبهم إلا أن يطلقو ا عليه و السيد سكر ، فصحبه الاسم منذ ذلك الحين ، وهو فرح به ، راض عنه ، يكاد يوقع به مايضطره الأمر الى توقيعه ، وقد نشأ جيل ما بعد الحرب لا يعرف أن للسيد سكر اسها آخر كان له قبل أن يلتصق به السكر ويصبح جزءا منه لا يتجزأ .

لم تقف تجارة السيد سكر عند السكر وحده ، بل تجاوزته الى مختلف أنواع البقالة ، وأصبح كثير الذهاب الى البندر ليشترى حاجيات دكانه ، وكان يذهب فى كثير من الأحيان الى المعلم حسونة وهو من كبار التجار هناك ، وكان يشترى منه ما يحتاجه دكانه الصغير من بضاعة .

توطدت الصداقة بين السيد والمعلم حسونة , حتى لقد دعاه المعلم الى زيارة بيته هو في القرية .

ولكنه كان منذ صباه يحب أن يظهر بالغنى والكرم ، وقد اقتضاه هذا الكثير من المال ، ولم تصده قلة المال عن التظاهر بالكرم والغنى .

وهكذا وجد نفسه آخر الأمر ويعد دعوات كثيرة أجابها للمعلم حسونة . . وجد نفسه مضطرا الى أن يقتطع بعضا من رأس ماله يجدد به منزله ويشترى أدوات ماثدة ، استعداداً للحوة المعلم حسونة .

حتى اذا أتم أهبته ، تجرأ وتقدم للمعلم حسونة ، ودعاه أن يشرف بيته فى القرية . . هو والعائلة . .

وشرف المعلم حسونة مصطحبا معه ابنته وابنه ، وكانت الابنة غاية فى الجمال ، ولم يكن السيد قد رآها قبل يوم دعوته هذه ، فيا أن رآها حتى بهره جمالها . .

وقضى الضيوف يومهم يمرحون ، ولكن المضيف قضى يومه خائرا ملتهب الخاطر مشتت الفؤاد مصعوقا بجهال الابنة . . سكينة .

وكثرت زيارات السيد للمعلم حسونة ، وازدادت الصلة وقويت ، والسيد يهم في كل يوم أن يخطب سكينة من أبيها ، ثم يمسك بلسانه خجل لا يبارحه .

نعم لم يكن السيد يعرف عن سكينة الا أنها جميلة ، ولكنه أيضا لم يكن يعرف أن هناك شروطا أخرى الى جانب الجهال ، لابد من توافرها فى زوجته . . لا . . لم يكن يعرف ولم يهمه أن يعرف عن سكينة الا أنها جميلة ، والاأنها بنت للعلم حسونة .

وأخيرا لم يطق صبرا فتكلم . . ولكنه لم يكلم المعلم حسونة ، وانما قصد الى خاله هو :

- ـ خال .
- ۔ خیر یا ابنی .
- ــ أريد يا خال أن تخطب لي .
- ــ وماله يا ابنى ما أحب الى أن أفعل . . أتريد أن أختار لك أم أنك اخترت ؟
 - ــ والله يا خال أنا اخترت .
- ــ من العروس؟ . . أظنها فاطمة ابنة عمتك ، فأنت تميل لها منذ كنتها طفلين . .
 - ـ والله يا خال الزواج قسمة ونصيب، وأنا اخترت من البندر .
 - وقال الخال ملهوفا:
 - ــ من البندر؟!
 - ـ نعم يا خال . .
- ــ يا ابنى ومالنا نحن وماللبندر . . ألم يعجبك أحد من أقاربك أومن البلد كلها حتى تختار من البندر ؟
 - ـ والله يا خال القسمة .
 - وأى قسمة ؟ . . اننا مازلنا على البر . . ان شئت خطبت لك فاطمة .

- _ لا يا خال .
- _ يا ابني بنت البندر لا ترضي عن عيشتنا.
- ـ لا عليك يا خال فأظن أنها سترضى . . فقد جاءت هنا مع أبيها وأعجبتها البلدة .
 - أمرك يا ابنى أخطب لك من تشاء .

وهكذا ذهب السيد سكر الى المعلم حسونة وقد اصطحب خاله ليكون لسانه ــ بدلا من لسانه هذا الذي أعيته الحيلة ــ ويخطب له سكينة .

وتكلم الخال وخطب سكينة في لباقة أدهشت السيد ، وتم الأمر في يسر ، وما هي الأ بضعة شهور حتى شهدت القرية فرحا راثعا للسيد وهو يزف الى عروسة من البندر .

واستقرت الحياة بالسيد ، وأخلت تجارته تتسع بعد أن أصبح حموه يعينه بالمال والبضاعة ، واستقرت الحياة بالسيد راديو وأصبح دكانه مجلس الصفوة المختارة من أهل القرية ، وكثر عند السيد الأوز والبط والفراخ ، وهيأت له سكينة عيشا رضيا ، واستطاعت أن تحبيه فيها ، الا أن بقاءها في القرية لم يكن يرضيها أبدا! ولكنها لم تشأ أن تفاتح زوجها في ذلك ، لأنها تعرف مدى تعلقه بالقرية .

وكانت سكينة خليقة أن تظل على صمتها مدة أطول من الزمان ، لو لم تظل أمها تستحثها أن تذهب الى البندر لتكون بجانبها ، حتى لم تجد سكينة بدا من أن تكلم زوجها .

- ـ سيل . .
- ـ نعم يا سكينة ..
- ــ ماذا تنوى أن تفعل؟
 - _ فيم يا سكينة ؟
 - ـ في حياتك .
- ـ وأى شيء يمكن أن أفعل فيها؟ ألست مبسوطة؟
 - ـ مبسوطة والحمد اله . . ولكن . .
 - _ ولكن ماذا يا سكينة ؟
- ــ ولكن ألا تفكر انك قد تصبح أبا، ويحتاج ابنك الى المدرسة.
 - _ أحقا ماتقولين يا سكينة .؟
 - ــ والله لست متأكدة .
 - ـ على الله ياسكينة .
 - ـ ليس هذا ما أسألك عنه .
 - _ ففيم سؤالك؟
 - ـ سؤالي عن مستقبلك ، لقد أصبحت تاجرا كبيرا في البلدة . .

- _ الحمد لله .
- ـ ألا تريد أن تصبح أكبر من ذلك؟ . . .
- _ ومن هذا الذي لا يريد أن يكبر يا سكينة ؟
 - _ أنت
 - _ أناع .. ولماذا .. ع
- ــ وماذا تنتظر فى هذه القرية ؟ انك تاجر كبير مارست السوق وعرفت أسراره وخبرت كل خفية فيه : . لعلك تصبح أكبر من أبى نفشه .
 - _ أصحيح ياسكينة ؟
 - ـ طبعا وسأكلم أبي ليبحث لك عن دكان بجواره وتصبح من تجار البندر . .

وكان الدكان موجودا ، فقد أعدته أم سكينة منذ زمن بعيد ، وما هى الا أيام حتى شهدت القرية عربة نقل تحمل بضاعة السيد ، وعربة أخرى تحمل أثاث السيد وحقائبه والأوز والفراخ والبط ، شهدت القرية أيضا السيد يحمل الراديو معه خشية أن تصيبه العربة بالعطب ، كما شهدت القرية أيضا دكان السيد يقفل أبوابه على فراغ فيه ، ثم شهدت القرية هذا الموكب ينزح عنها ورأس السيد يتلفت خلفه في حنين ، وينظر الى الأمام في حيرة ، وأحس الناس أن السيد يترك الاستقرار الى حيث الحيرة والدوامة التي لا يعرف لها قرارا .

ونزل السيد فى بيته الجديد بالبندر بجوار بيت المعلم حسونة وزار دكانه أيضا فرضى عنه ، وبدأ يضع بضائعه .

وواجهت سكينة مشكلة الغذاء ، وخافت أن تطلب من السيد نقودا لتشترى لخيا وخضرا وخبرا ، كما يفعل أهل البندر فقد كانت في القرية تذبح من الفراخ والحيام اذا أرادت أن تأكل لحيا ، وكانت حديقة المنزل الصغيرة تمدها بالخضر ، وكان الفرن يمدها بالخبز . .

ولكنها لم تفكر كثيرا ، فسرعان ماسحبت السكين ، وقصدت الى حيث انزوت الفراخ والأوز والبط ولكن هالها أن وجدت الفراخ كلها ميتة ، ووجدت الأوز والبط يترنح ، فأعملت السكين فيها جميعاً . .

وظل السيد أياما عديدة كلما عاد الى المنزل وجد زوجته تقدم له الأوز والبط ، وعجب من حالها هذا ، ولكنه كان فى غمرة من الكساد التى استقبلته به المدينة ، فنسى أن يسأل عن هذا الاسراف . . نسى هو وظلت الزوجة على عادتها ، ولكن التسمم لم ينس أن يسرى فى الأوز ، وكانت ليلة !! فقد سعى التسمم أيضا الى السيد وسكينة ، فما استطاعا أن يبلغا بيت المعلم حسونة الا بشق الأنفس ، وسارع المعلم بهما الى المستشفى ، وبقيا بها أياما يدفعان ثمن الأكل الدسم المحلى بالسم . .

وعاد الزوجان الى البيت بعد شفائهها ، فوجداه قاعا صفصفا . . حتى الراديو لم يبق عليه اللصوص . . كل شيء أخذوه حتى بقايا الأوز والبط . . كل شيء . . لم يبق في البيت شيء . .

وفى الصباح الباكر من اليوم التالى شاهدت القرية عربة واحدة تحمل بضائع السيد وحدها بلا حقائب ولا أثاث ولا أوز ولا بط ولا فراخ ، وشاهدت القرية السيد يمشى وراء البقية الباقية من بضائعه وزوجته أمامه ، ويده فارغة . . لا تحمل الراديو . .

ويلغ الزوجان البيت، وجلست سكينة على الحصيرة، والتفت الى السيد..

- _ مبيد . .
- ــ ماذا تريدين ؟ . .
- ــ ستصبح أبا ياسيد . .
 - ــ وماله . .
 - ـ أين سألد . .
- ــ هنا . . هنا سيولد ابنى ، وهنا سيتعلم ابنى ، وهنا سيعمل ابنى فى الغيط أو فى الدكان ، أو فى أى شيء ، ولكن هنا . . ستكون حياته ، وهنا سيكون مماته . . هنا على هذه الأرض فى هذه القرية .



nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و ذكريات بعيدة



ذكسريات بميسدة

د وفي يوم دخلت إلى حجرتها الأجدها تجفف دموعها وتودع الكراسة صندوقها دون أن تهتم بإدخالها إلى الدولاب فقد أصبحت مطمئنة إنهى لم أمد إليها يدى ».

ئانت تبیح لی کل مکان فی حجرتها ، فکلها ملعبی وکل شیء فیها من لعبی لا یذودنی عن فیها احد ، بل کانت تنهر کل من بحاول أن یبعدنی عن شیء لها ، فکل عزیز عندها یها احد ، بل کانت تنهر کل من بحاول أن یبعدنی عن شیء لها ، فکل عزیز عندها ی لی وکل آنیة أو علبة أو منضدة قربان مقدم لنزوات طفولتی وعبث یدی ، وحین تصل ی مقتنیاتها تصبح بین یدی القدر لا ینقلها من الکسر أو التلف إلا الحظ وحده ، ولم یکن رفیقاً باشیاء جدتی . فیا طالما حطمت لها من أشیاء ویا طالما أتلفت لها من أدوات ، لما انتهرت جدتی أی أو أمی إذا حاول واحد منها أن یعاقبنی أو یردعنی عن حجرتها . قد کنت أجد نفسی أسیرا لأوامر أبوی فی أی غرفة أدخلها فی البیت ، فأنا مقید حینشل أن أحطم شیئاً أو ألمس شیئاً أو ألمو بشیء ، ویظل هذا القید من الحوف لازمنی حتی أن أحطم شیئاً أو ألمس شیئاً أو ألمو بشیء ، ویظل هذا القید من الحوف لازمنی حتی الی غرفة جدی فأنا إذن حر طلیق أحطم ما أشاء أن أحطم وألهو ما شاء لی اللهو ، أحس هذه الغرفة أقوی من أمی وأیی جمیعا ، أقف منها بحصن یعجزان أن ینفذا دونه إلی . .

ىء واحد لم تبحه لى جدتى ولم أكن أدرى سر حبها له ومنعى عنه ، ولم يكن هذا الشيء بانتباهى ، ولا بما يغرى الطفل أن يلهو به . . إنما و صندوق قديم لا يبدو من قدمه إلا التى تدل دلالة واضحة على الزمن الذى صنع فيه أما هو فقد كان أنيقا دائيا ، فنحاسه

الذي يحليه ذو بريق لم يكن يوما حابياً وخشبه أنيق نظيف لم تستطع السنون أن تعدو على نظافته أو أناقته .

وكنت أرى جدتى فى كل يوم تمسك به وتفتحه فينفرج عن كراسة ذات شريط جديد دائما ، يعلو الكراسة الكثير من غبار السنين أحال بياض أوراقها إلى غبشة كتلك التى نغشى نظرة الناظرة إلى التاريخ البعيد . وكانت جدتى تقلب صفحاتها الواحدة بعد الأخرى وتظل رانية إليها بنظرات حسيرة ، ولا تنتهى إلى الصفحة الأخيرة حتى تذرف سكبا من الدموع وحينئذ تعيد الكراسة إلى شريطها ثم تودعها فى إعزاز صندوقها الأثير .

وهكذا أصبح هذا الصندوق طلبق الوحيدة ، فهو الشيء الوحيد عند جدق الذي لم أستطع الوصول إليه ، فكنت كلما أقبلت عليه أريد أن أمسك به تفزع جات قائلة :

.. I' all ..

وتسارع إلى الكراسة تقفلها وتحيطها بالشريط فى عجل ثم تعيدها إلى الصندوق دون أن تصل إلى مرحلة البكاء ، وهكذا كنت أعدو أيضا على هذه الدمعات التى كانت ترتاح لها جدتى فأحرمها منها . وقد كان هذا على إيلامه لها أهون عندها من أن تترك الكراسة أو الصندوق بين يدى ويدى الحظ .

وكبرت رغبتى فى الوصول إلى هذا الصندوق بل أصبحت كلما دخلت غرفة جدتى ألعب حول الدولاب الذى يستقر فيه الصندوق . . أملى ومطلبى . . لم أكن أفكر فيه إلا لأنه الشيء الوحيد الذى منعتنى عنه جدتى . . وحين كبرت بعض الشيء وذهبت إلى المدرسة ووجدتنى أقلب فى كراسات وأكتب فيها وأقرأ أصبحت أعجب من نفسى إننى لا أبكى كما تبكى جدتى حين تنظر فى كراستها . . وهكذا أصبح الصندوق والكراسة التى تستلقى فى أحضائه سرأ عجيباً لا يفارق ذهنى غموضه ولا يكف تفكيرى عن محاولة الوصول إلى حقيقته واستجلاء ما يخفيه من أسباب تستجلب هذه الدمعات إلى عينى جدتى . . إننى أقرأ فلا أبكى فهاذا يبكيها هي . . إننى قد أبكى حين أهجز عن القراءة وتمتد عصا المدرس إلى ولكننى حين أقرأ لا أجد ما يبكى . . ولقد حاولت مراراً أن أثير فى نفسى مكامن الدموع حين أقرأ فإذا الدموع جامدة وإذا البكاء عصى عنيد لا يسعفنى فيزداد سر جدتى وصندوقها استغلاقا على .

وفى مرة فاجأت جدتى وهى تقفل كراستها وقد بلغت مرحلة الدموع وراحت دمعات تنهمر على وجهها الناصع البياض تركت فيه آثار السمن الذى أصبح نحافة وآثار السنين التي مرت غضونا كثيرة . .

ونظرت إلى جدتى مليا وسألتها:

لاذا تبكين؟

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي ألقيت فيها هذا السؤال ولكنها كانت دائيا لا تقول شيئا سوى أن تنظر إلى صورة جدى التي علقتها بحيث تظل رانية إليها من أريكتها التي لا تكاد تتركها ، ثم هي تتالك أمر نفسها في سرعة حازمة وتحيد عن السؤال الذي ألقيته وتقدم بين يدى قربانا جديداً بما تحفظه عندها لألعب به وأحطمه ، وكنت دائها أنخدع بهذا القربان عن السؤال الذي أبحث عن جوابه وأنصرف إلى ما قدمته إلى ألعب به أو أحطمه حسبها يقضى الحظ . وفي هذه المرة حين سألت جدى أجابتني بنفس طريقتها وقدمت إلى كراسة وقلها وقالت :

_ أكتب هنا ما تعلمته اليوم .

وكنت قد إعددت نفسى الا أنخدع إلا أن الهدية كانت شيقة فقد كنت أحب الكراسات حبا عارما لا أدرى لماذا ؟ الأننى ظللت سنوات عديدة أهفو إلى كراسة جدى أم لأن شكل الكراسة الجديدة كان أثيراً عندى دائيا . . لا أدرى ! ولكن الذى أذكره أننى خدعت في هذه المرة أيضا وتناولت الكراسة ورحت أهوش صفحاتها بحروف ما تلبث أن تصبح رسوماً . . وقامت جدي إلى الدولاب فاودعته صندوقها وعادت إلى جلستها وراحت ترنو إلى وأنا أكتب أو ألهو في كراستي التي كانت جديدة . . وكان لا بد لعينيها أن تتجها إلى ما أخطه في الكراسة وثبتت نظرتها في كتابتي فترة طويلة ثم قالت .

ــ هشام . . أتعلمني ؟

ونزل على السؤال كحدث مفاجىء لم أتوقعه ولم أجد بين شفتى إلا

_ ماذا ؟

فعادت جدى ترنو إلى في ابتسامة طيبة ودود وقالت:

_ أتعلمني ؟

قلت لجدت وأنا أضحك:

... أتضحكين على ؟

وظلت ابتسامتها العليبة على وجهها وهي تقول:

? IšU _

فقلت في براءة :

_ إنك تقرثين الكراسة كل يوم وتبكين .

وعلت وجهها هرة أكسبت السنين على وجهها جالا ورونقا وقالت:

_ آه يا عفريت .

ومدت يدها تدغدغ ملتقى صدرى بذراعى . . موطن تعلم أنه لا يخطىء في إضحاكى . . فضحكت وضحكنا . ومرت الأعوام .

كبرت وأصبحت أعرف أن لجدتى فى كراستها سرا ، وأصبحت أدرك أنه لا بد أن يكون هذا السر وثيق الصلة بذكرياتها ، وأصبحت أدرك أيضا أنه لا يجوز لى أن أقحم نفسى على ذكريات جدتى وسنين شبابها ، ولكن شوقى إلى معرفة هذا السر لم تخفف منه السنون بل لعلها زادته تحرقاً .

وعرفت مع الأيام أيضا أن جدى لا تعرف القراءة والكتابة وزادت معرفتى هذه السر استغلاقاً ، كها زادت رغبتى في معرفته تغلغلا في نفسي ولكن حرصى على ألا أقحم نفسى على أسرارها أو على سرها الوحيد بالنسبة إلى جعلنى أحيط رغبتى هذه بسياج محكم من الصمت والتجاهل كلها رأيت كراستها الحبيبة بين يديها . .

وفى يوم دخلت إلى حجرتها لأجدها تجفف دموعها وتودع الكراسة صندوقها دون أن تهتم بإدخالها إلى الدولاب فقد أصبحت مطمئنة أننى لم أمد إليها يدى . حولت جدتى عينيها عن صورة جدى وابتسامة دافئة ما تزال معلقة بشفتيها وقالت :

ـ هشام . . ألا تنوى أن تعلمني القراءة ؟

وكدت أن أقول ، لماذا ، ولكنني سرعان ما نظرت إلى الصندوق فاختطفت الكلمة من على شفتي قبل أن أطلقها وقلت :

ــ أنا تحت أمرك .

وقالت وقد أشرق وجهها بالفرح

ــ صحيح ا؟

فقلت شاعراً أنني أحقق لها أملا كبيراً :

ـ طبعاً . .

فقالت في حزم والاشراق على وجهها لايبارحه .

ــ قم إلى هذا الدرج ستجد كراسات وأقلاما هات واحدة وقلما وتعال علمني .

وبدأت أعلم جدى ، دون أن أشق عليها فى التعليم فكنت أعلمها حرفين أو ثلاثة فى اليوم ولكن قليلا ما دامت هذه الآيام فقد هاجم جدى مرض بدا فى أول أمره هيئاً ثم ازداد خطورة وحاولت أن ألهيها عن مرضها بالتعليم .

وحاولت هي أن تستجيب لي ولكن المرض كان أقوى منها ومني فلم تستطع .

مرت أيام مرضها الأول وهي تستطيع أن تصل إلى الدولاب لتحضر الصندوق وتستطيع أيضا أن تصل إليه فتعيده ثم أقعدها المرض فكانت تطلب إلى أن أحضره لها وتطلب إلى أن

أعيده . وكانت دموعها تزداد غزارة . . حتى كان يوم قالت لى فيه :

ـ هشام . . يخيل إلى أنني سأموت قبل أن أتعلم القراءة .

فقلت لها في تأثر بالغ

ـ بعد الشر عنك يا ستى .

فقالت وقد علت وجهها حمرة من الخجل كخجل العذاري.

ـ أتعرف ما تحويه هذه الكراسة واحتضنت الكراسة في حب كأنها تحتضن السنين والذكريات وقلت لها :

... ٧ -

فازداد وجهها حمرة وعدرية وقالت:

ــ إنها مذكرات جدك . . فقلت :

۔ مذکرات جدی ؟

سدخلت إلى مكتبه فوجدته يقرؤها وسألته عنها فقال إنها مذكرات حبى لك كنت أكتبها أيام خطبتنا .

ـ أكان يراك وأنتيا خطيبان ؟

_ ألا تعرف أن أبي عقد عقدى على جدك ثم انتظرنا فترة طويلة حتى يتم جدك التعليم وهكذا كان يرانى دون أن نتزوج . وكان يكتب هذه المذكرات بعد كل لقاء لنا وكنا نلتقى كل يوم تقريبا .

ونظرت إليها في خبث وقلت:

ـ أكنت ترينه وحدك ؟

فازدادت خبجلا وخالط صوتها نغم من الفرح النشوان وهي تقول:

ــ امش يا قليل الأدب . . كنت القاه أمام أمي وإخوتي . .

- آه - طيب - طيب . . لا تزعل . .

وقالت جدى والنشوة ما تزال فى عينيها القديمتين وقد خالطهما البريق فهما عينا فتاة فى بواكبر الشباب حتى خيل إلى أن جدى عادت بعينيها ووجهها القانى من الحنجل إلى تلك السن التى خطبها فيها جدى . . قالت :

_ هشام

ثم صمتت فقلت :

_ نعم

فقالت

ــ هشام . . أتقرأ لى هذه المذكرات؟

فسارعت أقول وقد أحسست أنني موشك أن أصل إلى أعياق سرها: ــ يا سلام يا ستى . . اقرأها واقرأها واقرأها .

فقالت على عادتها:

_ صبيح ؟

فقلت:

_ صحيح جداً

فقالت في استخذاء.

_ قم إلى الباب واقفله بالمفتاح فإنك أول من يقرؤها . . فأنا كيا تعلم لم أقرأها أبدا ولم أبحها لأحد أبداً . . اقرأها لى أنت . . هل أحسنت إقفال الباب ؟

وكنت قد رجعت عن الباب واستويت على كرسى بجوارها ، وأعطتنى الكراسة فأخلتها بيد ملهوفة وراحت هي ترنو إلى صورة جدى متهيئة لأن تسمع هذا الكلام الذي استغلق عليها السنوات الطوال . وفتحت الكراسة وقبل أن أعلو بصوتي لأسمعها رحت أمر بعيني على الصفحة الأولى .

لقد كانت كراسة ذكريات لا شك في ذلك . ولكن لم تكن جدى هي محور هذه الذكريات . . كان جدى يحب فتاة أخرى غير زوجته . . رعاك الله يا جدتي كم أضعت من دموع وكم أفنيت من أوقات وكم بذلت من جهد في تجديد الشريط الذي يلم الذكريات وفي تنظيف الصندوق الذي ينضم على المذكرات . . وانتاب لساني نوع من الشلل الداهش الحزين واجتاح قلبي عاصف من الألم والحرقة والإشفاق على جدتي والحب لها ، وفي لمحة خاطفة اتجه ذهني إلى طريق آخر . . هل كانت سدى هذه الدموع . . هل كانت هذه المجهودات التي بذلتها في المحافظة على الصندوق وتجديد الشريط بلا جدوى . . هل كانت نظراتها الطويلة على السنين الطويلة في صفحات الكراسة هباء . . . أكانت جدى تسعد بشيء قدر سعادتها بهذه النظرات الجاهلة وهذه الدموع المنسكبة وهذه العناية البالغة . . . ألم يستطع جدى أن يترك لها في هذه الكراسة الخادعة حياة لها تحيا بها في سنوات الكهولة والشيخوخة . . لقد سعدت جدى بالكراسة سواء كان ما تحويه حبا لها أم خداعا لها . . لقد سعدت . لقد خيل إلى أن الصفحات قد أصبحت مطبوعة برسوم حروفها في عقل جدتي وعلى قلبها . . مطبوعة بحروف أكثر ثبوتا ويقاء وعمقا من هذه الحروف الملقاة على صفحات الكراسة . وخيل إلى أن نظرات جدتي قد احتفرت على السنين حفرا في أوراق المذكرات أكثر جمالًا من كل حب وأصدق إحساساً من كل كلام . . أيذهب هذا جميعه سدى . . وأيقظتني جدتي من سرحتي الطويلة لتقول في صوت تردد بين الخجل والتشوق والفرح . .

_ اقرأ

ونظرت إلى جدتى طويلا وقلت:

_ يا سلام يا ستى . . كم كان يحبك جدى . . كم كان يحبك . . .

ونظرت جدى إلى الصورة المطلة عليها وابتسمت وهي تقول وقد تعثرت الألفاظ مخجلها:

_ نعم . . أعرف . . اقرآ

ورحت أقرأ جاعلًا اسم الجبيبة التى تروى عنها المذكرات هو اسم جدتى حدرا دائها مبتعدا دائها عن كل لقاء لم يكن فى بيت ، غتارا الكلام العام الذى لا توحيه مناسبة بعينها . . وظللت أقرأ وظل وجه جدتى يتهلل ونظرتها إلى الصورة تزداد إنعاما فإن غشت عينيها الدموع راحت تزيجها عن عينيها وتنعم فى صورة جدى حتى انتهيت من المدكرات ولم تكن طويلة وهدات . . لقد بلغت آخرها ولم أخطىء ونظرت إلى جدتى ورأيتها فى سبحتها ما تزال رانية إلى الصورة فحولت نظرى إلى الصورة معها وخيل إلى أن جدى يبتسم لى شاكرا فابتسمت له أنا أيضا رغم ما جعلنى أعانى من حيرة وحسرة على ذكريات جدتى ، ورغم المجهود الذى بدلته لأستر حقيقة مذكراته .

نعم لقد حطمت في غرفة جدى كل مقتنياتها العزيزة ولكنى تركت لها أحلامها المودعة في صندوق الذكريات والسنوات الطوال من الحب التي عاشتها في ظله لم أحطم منها شيئاً . .



المستحصورة

د وكانما اهتدى صميدة إلى النجاة من حيرته فما هي إلا دقائق غير معدودة حتى كان جالسا إلى فهيمة ويمتع عينيه بفهيمة التي طالما اعجب بها وطالما تمنى أن تكون زوجته ،

استقيظت نفيسة مع الفجر وراحت تسخن العيش وتعد الفطور لزوجها صميدة ثم قصدت إليه فوكزته فتقلب في فراشه بين اليقظة والنوم فها هي إلا الوكزة الثانية كان صاحبا يسأل:

- _ مالك ؟
- لاشيء . الشمس طلعت .
- _ وما شأني بها إن طلعت . . هل أنا خفير على باب الشمس ؟
- ـ والله فايق على الصبح . . . قم . . . غير ريفك واذهب إلى المكتب .
 - **ـ المكتب؟**
- ـ نعم المكتب . . . أليس اليوم موعدك مع إساعيل أفندى لترى حسابك ؟
- _ آه ... صحيح ... ولكن إساعيل أفندى لا يذهب إلى المكتب قبل الساعة العاشرة .
- ــ وما الباس . . . انتظره حتى تأخد حسابك قبل أن يجيء الفلاحون الأخرون ويعطلونك .
 - س يا ستى وماذا وراثى ، وما البأس أن يعطلوني وهل سأذهب إلى المحكمة ؟

- ــ المحكمة . . . العفو . . لا يافالح لن تذهب إلى المحكمة ولكن ستذهب إلى البندر .
 - _ البندر؟ ماذا أفعل في البندر؟
- _ ماذا جرى لعقلك ؟ ألا تدرى ماذا ستفعل فى البندر . . . أنا أريد جلبابا وملابس وينتك تريد أن تجهز . . . أنسيت . . . لقد واعدنا حسنين أننا سنزوجه منها بعد القطن مباشرة وابنك على لابد أن يذهب للدكتور . . . لن يعيش اذا تركناه بهذا الحال .
 - _ أمن أجل ضعف بسيط يذهب إلى الدكتور؟
- ــ أهذا ضعف بسيط . . . الولد لا يستطيع أن يمشى خطوتين ، وأنت فى كل يوم تقول إنك ستأخله إلى الدكتور بعد القطن . . . أجننت . . .
 - _ هيه وماذا أيضاً .
 - ـ وأنت تريد ملابس . . . الشتاء داخل علينا وليس عندك شيء يدفئك .
 - ر والفلوس تكفى لكل هذا ⁹
- ـــ ولماذا لا تكفى . . أم ترى يكفينا من الساقية نعبرها . . . تزرع أربعة أفدنة وتشقى طول السنة ثم لا تجد ما يكفى لهذه الأشياء البسيطة . . . تكفى . . . لابد أن تكفى الفلوس .
 - _ وإن لم تكف ماذا أفعل بها . . . أرجعها لإسماعيل أفندي .
 - ــ يا أخى قم وجعت قلبي على الصبح .
 - _ وهل هذا صبح؟
 - ــ ألا يعجبك؟
 - أيعجبك أنت؟
- _وما الذي لا يعجبك ياسي صميدة . . . ماذا تغير علينا . . ألست أنا أنا نفيسة التي حفيت رجلاك لتتزوج مني . . أصبحت لا أعجبك اليوم . . . والله عشنا وشفنا .
 - ـ أنا . . . أنا حفيت رجلاي؟
 - ــ لا أنا . . . أظن أنا التي خطبتك . . . هه . . . انطق .
- ــ أعوذ بالله . . . يا شيخة اتقى الله . . . ألا تكفين عن النكد أبداً ؟ ! ارحمى . . . الرحمى . . . أنا لحم ودم .
- ــ والله أعلم لحم فقط . . . بلا دم . . أين الدم عند أب لا يريد أن يعالج ابنه المريض .
 - ـ أعوذ بالله . . . أين السم الهارى ؟
 - _ على الطبلية . . . قم ألق حبة ماء على وجهك وتسمم وتوكل على الله .
 - _ أتعرفين الله أنت؟
- ـــ الحمد لله . . أصلى الفرض والسنة ، وشريفة ونظيفة ولا يستطيع أحد أن يقول عنى كلمة . . . أما أنت . . .
 - _ نعم . . . مالي أنا؟

- ــ ألا تعرف . . . الحشيش قاطع نفسك وكل يوم تجرى وراء امرأة وذيلك نجس .
 - _ وما شأن الحشيش بالدين ؟
- ـــ اخرس . . . وأنت ماذا تفهم في الدين يا ضلالي . . قم . . . وخل لها نهاية .
 - _ وإن لم أخل لجا نهاية ماذا ستفعلين؟
 - _ هه ... سأترك لك المكان لتستريح .
 - وخرجت نفيسة من الحجرة وقال صميدة:

_ غورى . . . امرأة نكدة . . . أهذا صباح يا عالم . . . الله يقطعك يا نفيسة ويقطع من أشار على بك . . قال تملك فدانين . . وصدقت . . وكنت عبيطا مجنونا . . . الفدادين تملكها أمها . . . أم ممسكة حريصة ، بلغت التسعين وترفض أن تموت قال تملك فدانين صدقت ، وحسبت الأم ستموت عن قريب ولكن الظاهر والله اعلم — أننا جميعا سنموت وستظل أمها بهانة على ظهر الدنيا تملك الفدانين وتخرج لنا لسانها ونحن في الآخرة . . .

وقبل أن يكمل دخل إلى الحجرة ابنه على . . . ضعيفا هزيلا لا يكاد يقيم مشيته . واستقبله الأب باشًا أول الأمر ولكنه ما لبث أن قطب جبينه وأحس قلبه كأنما تعتصره يد شديدة البأس قوية . . .

_ مالك يا على ؟

وصمت على وعاد الأب يقول:

_ لا والله يا ابنى إنك مريض فعلا . . . يانفيسة . وجاءه صوت امرأته ثم ما لبثت أن . تبعت صوتها إلى الحجرة .

- ـ مالك . . . ماذا تريد ؟
- ـ جهزى على . . . سآخله إلى الدكتور اليوم .
 - _ أزغرد لك . . .
 - ــ الولد مريض جداً . .
 - _ الم أقل لك . . . إنه لا يأكل شيئاً مطلقاً .
 - _ جهزیه .

وخرج صميدة إلى الطريق وما لبث ذهنه أن ترك مرض على وفكر فى زوجته هذه التى تأبى الا أن تصب عليه السخط فى كل يوم . . . ثم عاد يفكر فيها ينتظره من حساب عند الكاتب . . ماذا سيدفع لهذا الكاتب فى عامه هذا . . . ترى ماذا سيبقى له . . . إنه يزرع أربعة أفدنة إن بقى له أقل من ماثة جنيه فلا شك أن الكاتب سرقه . . . ماثة جنيه على الأقل . . . ماذا أفعل بالماثة جنيه ؟ أولا أهيص الليلة . . . أذهب إلى عبد الباقى أبو سليهان وأشترى نصف قرش . . . لا بل قرشا . . . أنا لم أدخن قرشا فى حياتى أبداً . . . سأدخن الليلة قرشا . . .

وسامر بطبيعة الحال على فهيمة العضلة وسأجدها واقفة بباب بيتها كعادتها وقد شمرت عن ذراعين ينسكب عليهما ضوء المصباح فهما في لون العسل النحل ذي الشمع الصافي ويل من ذراعيها ... لماذا لم أتزوجها ... الفدانان ... قطع الله من أشار على بها وبالفدانين .. كانت فهيمة أولى ... جمال كجهال الصور في الجراثد ... ترى هل الحور العين في الجنة سيكن في جمال فهيمة .. وأنا من يوصلني إلى الجنة ... أنا عاص ... أمن أجل الحشيش ... إنما الخمر والميسر ... الحمر ... الحمر ... وما صلة الخمر بالحشيش ... المسكر خر ... كلام مشايخ ... وهم ألا يشربون الحشيش ... إنهم كالأطباء بجرمون الدخان ويشربون مائة سيجارة في اليوم ... يهيا لي أن المشايخ ضمنوا الدخول إلى الجنة فهم يقعلون ما يريدون ... وما لهم لا يضمنون الدخول إليها وهم يرشدون الناس إلى الصراط المستقيم ... أهم يرشدون الناس إلى الصراط المستقيم ... أهم يرشدون ...

وقطع عليه تفكيره صوت فتوح البرموني وهو يقول له :

- _ صباح الخير ياصميدة .
- _ صباح الخير يا فتوح . . هل جاء إسهاعيل أفندى إلى المكتب؟
 - _ نعم .
 - _ أكنت مناك؟
 - ــ نعم .
 - _ هل تحاسبت ؟
 - _ أنا غلطان ياصميدة .
 - ــ لاذا ؟
 - _ لأن قلت لك صباح الخير
 - _ لماذا . . . ماذا فعلت لك؟
- ــ مائة سؤال . . يا رجل حرام عليك . . ألا تعرف كيف يكون الحال بعد الحساب؟
 - _ آه . . . والله لك الحق . . . سلام عليكم .
 - _ وعليكم السلام.

وفى عزمة القادم على الخطير من الأمر حث صميدة أقدامه أن تسرع فأسرعت ودخل إلى إسهاعيل ، وكأنه يهاجم قلعة عصية الأبواب وقال فى زئير مضطرب بعض الشيء .

_ السلام عليكم.

ونظر إليه إسهاعيل أفندى طويلا . . . طويلا . . . وكلما طالت النظرة من إسهاعيل خمدت الحدة من صميدة حتى إذا أجاب إسهاعيل أفندى .

ــ وعليكم السلام .

فى صوت يجمع إلى السخرية عدم المبالاة والهزء. كان صميدة وقد أصبح أقرب إلى الخوف منه إلى اعتدال المزاج أو الجرأة لا قدر الله.

فإن إسهاعيل الهندى هذا على كل شيء قدير . . . وقال صميدة في صوت أصابه كثير من التخاذل :

۔ هل حسابی جاهز يا إساعيل بك ؟

وقال إسهاعيل أفندى في صوته الساخر لا يزال .

ـ نعم يا خلف الحبايب.

وحاول صميدة أن يستمد من مزاح إسهاعيل أفندى بعض شجاعة فقال في صوت يتأرجح بين الرهبة والجرأة:

ـ تشكر . . . كم بقى لى ؟

وأمسك إسهاعيل أفندى بدفتره الكبير وراح يردد:

- صميدة عبد التواب . . . صميدة عبد التواب . . . ها هو ذا يا سيدى . . . جلة ماله مليم خسالة وجنيه مائتان وسنة عشر جنيها .

وحينثا صفق قلب صميدة من الفرح . . . ثروة . . . إذن فسيدخن قرشين من الحشيش . . . قرشين وإن فقد الوعى بعدها سنة بأكملها .

وتابع إسهاعيل قراءة الحساب.

- منه يا سيدى منه . . . منه . . . أربعون جنيها قسط شراء وستة وستون جنيها وأربعائة مليم إيجار وأربعون جنيها وسبعون مليها كيهاوى وثهانية جنيهات خفر وثهانية جنيهات مقابل استخدام آلات وسبعة جنيهات مقابل إدارة : المجموع يا سيدى مائة وسبعون جنيها . . . وأربعائة وسبعون مليها . . .

وسقط صميدة مشدوها هلعا على الكرسي .

ماذا ا

ودون أن ينظر إليه إسهاعيل أفندى تابع حسابه . يكون مجموع ما بقى له يا سيد . . . تسعة وعشرون جنيهاً وثلاثون مليها . وعاد صميدة يقول فى لهفة :

_ ماذا ؟

ودون أن ينظر إليه إسباعيل أفندى قال :

ــ انتظر .

100

ثم أخذ يهمهم بالأرقام همهمة لا تكاد تفصح ثم قال:

_ تمام تسعة وعشرون جنيهاً وثلاثون مليهاً .

_ سنة أسود من الحبر يا أولاد . . . كم يا إسهاعيل أفندى . . . كم . . . ؟

كشر إسهاعيل أفندى عن أنيابه في غضبة مستأسدة:

_ ما سمعت . . . إن كان هذا جيعه من أجل الجنيه الذي آخذه منك كل سنة فلا داعي

_ وتريد جنيها أيضاً يا إسهاعيل أفندى .

_ أنت حر . . . وعلى كل حال السنوات القادمة أكثر من الفائتة . . لا تغضب في السنة القادمة إن جعلت غيرك يقدم عليك في الرى أو أخرت عنك الكيباوى أو إذا . . وقاطعه صميدة . .

- _ وتريد جنيها أيضاً يا إسهاعيل أفندى .
- وقال إسهاعيل أفندي في جراءة وعدم مبالاة .
- ــ يا أخى قلت لك أنت حر . . . قم . . . قم . . .
- _ أمرك يا إسماعيل أفندي . . . أمرك . . . خذ الجنيه يا إسماعيل أفندي .
 - ــ لا أبداً . . . لا لزوم له .
 - _ أنا غلطان يا إسهاعيل أفندى .
 - ــ أبداً . . . لاذا . . .
 - ــ هات رأسك . . . أبوسها .
 - _ لا . . . لا . . . أنا لست بزعلان . . . خذ . . هذه هي نقودك .
- ــ وهذا هو جنيهك . . . لا تكن غضباناً يا إسهاعيل أفندى . . . سلام عليكم .
 - وقال إسهاعيل أفندى لهجته الساخرة الهازئة .
 - ـ وعليكم السلام يا سيدى ورحمة الله ويركانه .

وخرج صميدة إلى الطريق . . . أهذه هي نتيجة الشقاء لمدة عام بأكمله . . . ماذا أفعل الآن . . . أظن الولد هو أهم شيء الآن . . . الولد . . . مسكين على .

وقصد صميدة إلى بيته وصحب ابنه إلى البندر .

وفجأة الطبيب هناك بأن الطفل مريض بالزائدة الدودية ولابد أن تجرى له عملية لاستئصالها .

- ــ وكم تكلف هذه العملية ؟
 - _ عشرة جنيهات.

ولم يزد: حمل ابنه على كتفه ولم يشتر شيئا بما أرادته زوجه أن يشترى وعاد إلى القرية . . . ماذا سيفعل . . . عشرة جنيهات للعملية وجهاز البنت هذه هى السنة الثالثة فى خطبتها كيف يؤخر زواجها بعد الآن . . . لقد قبض مهراً ثلاثين جنيهاً لابد أن يقدم جهازا باربعين جنيها على الأقل من أين لى بالأربعين جنيهاً ونفيسة تريد ملابس وأنا أريد ملابس ماذا سأفعل جذا المبلغ . . .

سار يفكر تقوده قدماه إلى حيث لا يدرى له مقصداً أو إلى حيث تحدد رغبة خفية اتجاهه ومقصده . . . كان يقصد بيث عبد الباقى وقبل أن يبلغه تصدت له فهيمة وهى تقول :

- _ ماذا بك ياصميدة ؟
- وصحا صميدة على صوت فهيمة فإذا هو ينفض عن نفسه كل ماهي فيه من حيرة .
 - ـــ لا شيء يا فهيمة . . . لا شيء .
 - ــ لماذا لاتزور؟
 - _ أنا خدام .
 - ــ تعال .
 - _ أشترى نصف . . أشترى قرشاً من عبد الباقي وأجيء حالا .
 - _ وأنا ألهب الفحم في انتظارك.

وكأنما اهتدى صميدة إلى النجاة من حيرته فها هى إلا دقائق غير معدودة حتى كان جالساً إلى فهيمة ويمتع عينيه بفهيمة التى طالما أعجب بها وطالما تمنى أن تكون زوجته . . . وما هى إلا أنفاس قلائل حتى قال :

- ـ فهيمة . . . أتتزوجينني ؟
 - ــ وكم تدفع مهرأ ؟
 - _ وكم يرضيك ؟
 - ــ نلاثون جنيها .
- ـــ لا أملك إلا خمسة وعشرين ,
- ـــ لأجل خاطرك . . . لقد كنت عزمت بعد المرحوم ألا أتزوج أبداً . . ولكن أنت . . . أنت . . . لا أستطيع أن أرفض لك أمراً .
 - ــ منی نتزوج ؟
 - ۔۔ متی تشاء
 - ب الآن .
 - ـ الأن .

وجاء المأذون وخرج واطمأن صميدة بعد حيرة فلم يعد يحاول أن يفكر كيف سيواجه المطالب المتزاحمة حوله . . . لهد انتهت حيرته . . . لا لم يعد حائراً على الإطلاق .

 وكان الزواج وأقبلت هبة عليه إقبالة خائفة أول أمرها
 فيا تدرى ما مصيرها مع شخص لم تفكر يوماً أنه سيكون زوجها وإنما هو ابن العم . »

حلوة هى . . كالأمل . . كالموعد وقد حققه اللقاء . . كالنشوة وقد عربدت . . حلوة كالقلب السكران . . كالفكرة الحالمة . . كالفكريات المأنوسة الهائثة ، عينان ساجيتان فيهما إلى الحب دعوة وفيهما العفة المنيعة وشعر منسرح كآمال الشباب ، وقم دقيق ذو تعبير يختلط بين المعوة والتمتع فما يدرى من يراها والابتسامة وامضة عن شفتيها ماذا تقول ؟ ولا يجد من يراها بداً من أن يبتسم ثم يقف الأمر به عند الابتسام يردعه جمالها وابتسامتها أن يزيد .

نشأت بين إخوة من الذكور فالبيت لا عمل له إلا أن يتقصى رغباتها فيحققها فمطلبها أمر قبل أن تين عنه إنما هي الإشارة العابرة أو التلميح البعيد فإذا ما أرادت قد تم ، وكان للذكور صحاب وكان للعائلة أقارب ولكن الجميع كان يقف منها موقف المكبر المعجب ولم يستطع أحد أن يقف منها موقف المحب ، والشباب يعدو إلى الفتيات في خعلى واسعة فيلتهم سنوات الطفولة التهاماً فيا أسرع ما كبرت هبة وما أسرع ما أخذت أمها ثم أبوها يتلفتان حولها عن العريس الذي يصلح لها ثم ما أسرع ما أصبحا يتلفتان عن أي عريس ولكن السنين ثقالا العريس الذي يصلح لها ثم ما أسرع ما أصبحا يتلفتان عن أي عريس ولكن السنين ثقالا بطيئات وجمال هبة الصارخ يقف دون الشباب أن يتقلموا فكأنما هذا الجيال سياح حولها لا يرى أحد من الشباب نفسه أعلا أن يعدوه إليها ، كان الأقارب والأصحاب ينظرون إليها وكأنها في مستشرف رفيع لا سبيل أن يرقى إليه واحد منهم .

وتستطيع هبة أن تطلب إلى أبيها ما تشاء . ويستطيع أبوها أن يقدم إليها ما تصبو إليه لكنها أبدأ لا تستطيع أن تقول كبرت ولا يستطيع أبوها أن يجيب إشارتها إن هي قالت .

فكانت هبة تنظر إلى الأيام نظرة واجفة هالعة . . . ماذا لها في مطوى الغيب . . . أين تلقى بها خوافي المستقبل . . أتراها تصبح . . لا . . إنها لا تطبق أن تنطق الكلمة . . أتصبح عانساً . . ويلى . . أهذا الجهال كله لا يجد من يقدره . . كيف . . إنها لا تنسى النظرات الحافلة بالإعجاب والإكبار وهي تحيط بها . . يأتى إلى البيت أقرباؤها ويأتى أصدقاء كثيرون ويأتى . . إلى البيت ابن عمها مسعود .

وكلهم . . كلهم يرنو إليها في إكبار ذاهل . . . أما مسعود مسعود فإنه يتطلع إليها أملا بعيد المنال ولكن الأمريقف به عند هذا التطلع لا يزيد منذ هما طفلان ونظرته لا تتغير وها هو هذا يسعى في حياته سعياً حثيثاً موفقاً وينال شهادته ثم يلقى إلى الحياة آماله فتستجيب له الحياة استجابتها الباسمة ويصبح مسعود ذا شأن ولكنه مع ذلك يخشي أن يتقدم لخطبة ابنة عمه فجهالها أعظم من أن يرضي به زوجاً ولا يحس مسعود بهذا الموقف الضنك الذي هيأه جمالها لها . والأب يرى زيارات ابن أخيه ويرى نظراته الوالهة المحبة ثم يرى إحجامه وصمته ويمسك به كبر الأب أن يشجعه ، والأم ترى ما يراه الأب ويسمك بها خوفها من زوجها أن تصطنع ما تصطنعه الأمهات من تشجيع الخطيب أن يخطب بناتهن ولكن الأيام تمر والابنة تكبر والسنون -إذا مرت بالبنات الناهدات فهي قلق وذعر والأوقات كالحة والتفكير هلع حتى المرآة لم تعد تستطيع أن تمنح هبة ما كانت تمنحه لها من فرح وطمأنينة بل إن خوفها يزداد كلما شاهدت جالها . وهي ترى مسمودا وقد كانت تراه منذ هما طفلان ولم يكن يزيد عندها عن فتي مثل كل الفتيان اللَّذِين يقفون حول سياج جمالها وقفة العباد أمام الوثن . ولو لم تمر بها السنون القلقة لكان مسعود هذا أبعد ما يكون عن تفكيرها وآمالها . فقد كان لها من أصدقاء إخوتها ومن أقاربها من لا يقارن بمسعود في لباقته وذكائه أو قوة شخصيته . أما مسعود فها هو إلا تلميذ يحسن أن يذاكر دروسه ويحسن أن ينجح في الامتحان ثم هو لا يحسن بعد هذا من الحياة شيئاً . وحين أفلح مسعود في الحياة لم يكن الأمر عندها يعدو أن فتى من أقاربها أطاع رئيسه فأحسن رئيسه إليه بأن رقاه وأصبح الأقارب يتحادثون عن ذكائه وعن تقدمه ولم تستطع يوماً أن تتصور أن مسعودا يستطيع أنَّ يؤدي عملا يتسم ببعض ذكاء أو ببعض لماحية أو بعض فهم . إنما هو مرؤوس بحسن إطاعة الرؤساء أو رئيس بحسن تنفيذ ما رسمه له رؤساء آخرون وهكذا لم تستطع أن تجارى أقاربها في إعجابهم بمسعود ، ولكنها مع ذلك لا تمنع نفسها أن تفرح بهذه النظرة الذاهلة الدالة على الإعجاب الشديد والإكبار المأخوذ الذاهل آلق تعلقت بأهداب مسعود مناهما طفلان حتى سعت بهما الأيام هذا السعى الحثيث فجلعت منها فتاة تكاد تصبح عانساً وجعلت منه فتى ناجحاً يلهج بنجاحه الأقارب والأصدقاء . وتمر الأيام ويوشك الأب أن يتنازل عن كبريائه وتجد الأم أن خوفها على مستقبل ابنتها أعظم من خوفها غضب زوجها فما أن يأتي مسعود لزيارتها حتى تعمل على أن تختلى به وتلقى الحديث وكأنها لا تقصد ما يرمى إليه :

- ــ ماذا جرى يا مسعود يا ابنى ؟
 - ــ ماذا يا أبلق ؟
 - _ ألا تلاحظ أنك كبرت ؟
 - _ نعم . أعرف . .
 - _ ومأذا تنتظر .

وفهم مسعود ما تقصد إليه أو كاد ولكنه قال فى تظاهر شديد بالغباء ماذا أنتظر فى ماذا ؟ وأطلقت الست أم هبة تنهيدة . عاجبة طويلة ثم قالت بعد أن مصت شفتيها : __ ألا تعرف ؟ .

وكأنما ألصقت هذه الحركات ابتسامة على شفق مسعود فهو يبتسم في تخابث ساذج وتقول.

_ يا بنى الشيء لا يخجل من أوانه . . لابد أن تتزوج يا مسعود وظل مسعود رانياً إلى أبلته فى دهشة وقد اضطرمت فى نفسه آمال عريضة كانت تراود نفسه فى يأس باهت متخاذل ويكاد الآن يراها حقيقة يخشى أن يصدقها ثم تعود إلى خلانه فيصبح يرمه شراً من أمسه وغده أشد قتاما من ماضيه . فإن الأمال مها تكن واهنة بعيدة التحقيق أحلى مذاقاً من مرارة اليأس ويوشك أن يقول فيخلله لسانه أن يقول وتعينه زوجة عمه :

- ـ ألف يتمنى كلمة منك يا مسعود . . وافق أنت ولا شأن لك .
 - ويقول مسعود ذاهلا:
 - ـ ألف يتمنى أن يزوجني ؟
 - أنت لا تعرف حقيقة مكانتك يا مسعود . .
 - ــ إذن فأنا أتمني . .
 - وعلام الخوف فارتج عليه وعادت زوجة عمه إلى إسعافه . .
- ــ قل . . قل ماذا تتمني ولا شأن لك . . اترك الباقي لى أنا . . واستجمع وقال في سرعة من يخشى ألا يكمل جمله . .
 - ــ أتمنى أن أتزوج . . .
 - وأشرقت الابتسامة في وجه أم هبة وهي تطلق.

. . 🖇 🗕

وقال مسعود:

_ مبة .

وسارعت الأم تقول:

ـ فهي لك . .

والجمت مسعود الفرحة فصمت حينا ثم قال:

. . . . _

وعاد الذعر إلى الأم . .

_ ماذا . ألا تريدها ؟

س بل أريدها . .

ــ فهي لك .

.. Y .. Y lykal abli ..

_ وكيف تريدها إذن ؟

_ إذا قبلت أنت أن تزوجيها لى فمعنى هذا أنك أنت ترضين عنى . . أو أنك ترضين عن الوظيفة التي أشغلها والمرتب الذي أناله وأنا أريد أن ترضى هي . . وأن ترضى برغبتها الخالصة دون أي تأثير منك أو من صمى .

وعادت الإشراقة إلى نفس الست فقد كانت تدرك ما تعانيه ابنتها من غاوف.

وكان الزواج وأقبلت هبة عليه إقبالة خائفة أول أمرها فها تدرى ما مصيرها مع شخص لم تفكر يوماً أنه سيكون زوجها وإنما هو ابن العم الحنجول ، والمحب الواله الذاهل إذا نظر إليها . ما الزواج من رجل لم تره . . إلا فاغراً فاه من الدهش والفم الفاغر لا ينطق فهو لا ينطق ، أتراه يتضح عن رجل يجيد فن الحياة كها يجيد أن يفرج شفتيه وكها يجيد أن يطيع الرؤساء وينفذ أوامرهم ؟ أتراه ، يحسن من الحياة ما يحسن من الوظيفة . . ؟ !

وأقبل مسعود على الزواج إقبالة مذهول أيضاً فقد كانت الأمال — إن شاءت هذه الأمال أن تبلغ به أقصى غاياتها — تهيىء له أنه يستطيع أن ينال من هبة نظرة رضا . أما أن تهب له ابتسامة عطف أو حتى ابتسامة بغير عطف أما هذه فإن آماله لم تجرؤ أن تصل إليها ولكنه اليوم ينال هبة بجميعها بابتساماتها بل بقبلاتها . . . ماذا ؟ نعم بقبلاتها بل بكل شيء بل . . . والأعجب من هذا أنها لا تستطيع أن تمنح إنسانا آخر في العالم ما تمنحه له من نفسها ولا استثناء من هذه القاعدة . لا ينال إنسان آخر في العالم ما يناله هو من هبة . . لماذا . . ماذا أنا . . وماذا أصبحت حتى أنال كل هذا الهناء أتراها تحبني أم أنها . . ؟ أم أنها ماذا ؟ . . ما المذى يجعلها

تقبلني زوجا إن لم تكن تحبني أتحبني .. ومالي لا أسالها .. عجيب أمر الناس . أتراها ستقول لي أكرهك إن كانت تكرهني .. وإن كانت تكرهني وكانت عندها الشجاعة التي تقول لي أكرهك أتراى أصدقها .. . سأقول لنفسي حينتل . . لا .. إنما هي تريد أن تلهب حبي لها ولا يمكن أن تكرهني ، فإن أحداً لا يصدق أن من يجبها تكرهه .. وترى على أصدقها إن قالت إنها تحبني . . أتراى إذا خلوت إلى نفسي أصدق من أعياق قلبي أنها تحبني ؟ ! عجيب أمر نفسي هله . . كثيرة الشكوك لا تصدق ما يملو ها ولا تصدق ما يسؤوها دائمة الحيرة عديمة الاطمئنان ثائرة متقلبة . وكيف لها أن ترضى أو تطمئن وهي لا تدرى ماذا يرضيها وهي لا تدرى أين الحقيقة في مشاعر من تحب بل هي لا تدرى إن كانت تريد هذه الحقيقة أم لا تريدها فيا كنت المسمى إلى معرفة الحقيقة لو أن معرفتي هذه ستنتهي بي إلى إن هبة لا تحبي أنا لا أريد حقيقة المناعر فا مبيل لي إليها وإن كان هناك سبيل فأنا لا أريده . . . أنا أريد الواقع دون الباعث إليه . . أريد ما أراه أمامي ولا أريد أن أعرف لماذا يحصل . ما لي وللنفوس وما تخفيه إلها احراش وغابات تستخفي بين شعابها الكثة وحوش أشد ضراوة وفتكا من وحوش الغابات الحياة أنني زوجتي ويكفيني منها أنها زوجتي ويكفيني من الحياة أنني زوجها .

وفى اندفاعة عمومة هالعة استبق مسعود الأيام ليتم الزواج فيا هو إلا بعض زمن حتى كانت هبة ومسعود في بيت واحد ولم يستطع مسعود على رغم ما ناقش به نفسه من كذب وصدق لم يستطع إلا أن يسأل هبة .

- ۔ مبة . . مل تعبیني ا
 - ــ لقد تزوجتك . .
- ـ ليس هذا جواب سؤالي . .
- ـ بل إن سؤالك لن يجاب بأبلغ من هذا .
 - ... قد تتزوجينني دون حب . .
- _ لو كنت نشأت في بيت غير بيت أبي لجاز لك أن تقول هذا . .
 - ــ لا أفهم .
- ــ انت تعرف ان ابي لا يمكن ان يفعل شيئاً لا أرضى عنه فكيف يزوجني دون رضائي .
 - سد قد ترضين أن تتزوجي مني ولا تستطيعين أن تحبيني .
 - ـ هراء . . . إن الزواج أشد قوة من الحب .
 - ـــ فأنت لا تدرين الحبّ . . أنا أحبك حبا لا أجد شيئاً في العالم أقوى منه .
- ــ بل أنك أنت الذي لاتعرف الحب . . انني حين أقبلك زوجا أضع حياتي وحياة أولادي كلها أمانة بين يديك وليس في العالم حب أقوى من هذا . .

- ـ إذن فأنت . .
- ــ لقد تزوجتك . . أليس كذلك ؟

ولم تكن هبة كاذبة فيها ظهرت به من حب فهى منذ تزوجت مسعودا وهى تقنع نفسها أنها تحبه ولما كانت نفسها ذات إباء وكبرياء فقد سرعان ما صدقت أنها تحبه بل أنها زادت فاقتنعت أنها تحبه . . منذ هما طفلان . . وكهذا اطمأنت هبة أنها لم تتزوج زيجة ملهوفة تخشى أن يفوتها القطار فهى تتعلق بالعربة الأخيرة منه وإنما هى تتزوج زواجاً تقوم أسسه على الحب وأنها إنما تستقل من القطار أوفى عرباته راحة تصعد إليها فى لا عجلة لاهفة ولا اندفاعة طائشة هالعة إنها تصعد مطمئنة الخطوات على ريث من أمرها وتدبر هادىء مستريح . فهى إذن تحبه وهى إنها تحبه تتزوج منه . . اقتنعت ومر عام . . بل لم يكد عام أن يمر . . ودخلت هبة إلى زوجها حجرة مكتبه وعلى كتفها طفلها الأول سعيد وقالت هبة وهى تغالب الدموع أن تنفجر من عينيها . .

- _ هل أستطيع أن أكلمك؟
- ... ودون أن يرفع رأسه عها يقرأ قال ...
 - ـ تفضلي . .
 - ـ تذكر يوم زواجنا ؟
 - ... فقاطعها:
 - ـ لا زلت تذكرين ؟
 - وقالت في غيظ مكبوت:
 - ... ليس الوقت طويلا على كل حال ...
- ـ لقد جاء في أثناء هذا الوقت ولد باكمله.
- ــ نعم . . ولكن ليس الوقت طويلا مع ذلك . تذكر أنني قلت لك إنني أضع حياتي وحياة أولادي أمانة بين يديك .
 - ــ نعم . . وهأنت ترين أن أعمل ليل نهار لأوفر لك واسعيد كل أسباب السعادة . .
- ــ لقد نسيت أن بين طوايا حيال هذه التي أودعتها أمانة في يديك كرامتي . إنها أعز ما تضمه حيال من مقومات . .
 - ـ فلسفة عالية على.
 - بل حقيقة إن كنت تجهلها فأنت تجهل الكرامة .
 - ـ وهل مست كرامتك ؟
 - أولا هذه اللهجة التي تكلمني سا.
 - ما لما ؟
 - وعلا صوتها في غيظ.

- ـ أنت تعرف مالها وإلا فأنت تقبل أن يكلمك بها الناس . .
- ــ لعلى كنت مشغولا على أنني لم أقصد أن أمس كرامتك . . المثل هذا . . .
- ــ لا تكمل . لقد اردت أن أنبهك إلى شيء أخطر من ذلك . . أنت تخرج مع سكرتبرتك . .
 - وذهل مسعود وقال في حيرة :
 - _ مع من . . . اتتجسسين على ؟
 - ـ لا .. ولكن أخبارك تصل إلى دون أن أسعى إليها .
 - ... وما البأس أن يرانى الناس مع سكوتيرتى . .
 - ... في غير مواعيد العمل . .
 - ــ وفي أي وقت .
- ــ تلك هي إذن كرامتي المضاعة . . فعليك أن تختار . . أن أبقى في البيت أو تبقى على سكرتيرتك .
 - ـ لا يمكن أن أختار . . لا يمكن . .
 - _ لماذا .. ماذا بينكما ؟
 - _ إنها زوجتي .

قالها وعادت إلى فمه الانفراجة البلهاء وإلى عينيه النظرة اللهالة وحدقت فيه هبة طويلا . . ثم احتضنت ابها وتركت الغرفة . . وحاولت . وحاولت كثيراً أن تترك البيت ولكن فراعى طفلها الواهيئين كانتا تمسكان بها ببيت الأب في عنف جبار لا تطيق التغلب عليه . . . فهي باقية . . . باقية .



فسيطا بسيان

و أنت ياصديقي أحببت في مجدك وأحببت في صورتك التي رسمتها . . أحببت في رأى النقاد في عملك . . ولن يبقى من هذا جميعه شيء . .

لم تعرف خطه على الظرف فقد كانت المرة الأولى التي يكتب لها . وبيد مرتجفة إمسكت الخطاب :

أطويل طريقنا أم قصير ؟ إلى أين تقودين خطاى ؟ . حرفتك منذ عرفتك هوى جامحا وحبا عاصفاً ، وأفانين من السعادة يشويها الخوف وألوان من الهناء يخالطها الأسى فها استمتعت بسعادة ولا خوف ولا هناء ولا أسى مثل هذه المتعة التى ذقتها من نبرة صوتك وفيها الحنان أو نبرته وفيها غضب ، أو من عينيك أنظر إليهها فهها واد من الحب الظليل الحار العاصف النضير ، ثم أنظر إليهها فهها حينا خوف وهما حينا أسى وهما حينا كل شيء ووميض وابتهال .

إلى أين بنا الطريق . إلى أين ؟ أطويل سبيلنا . . لكم أرجو أن يطول ؟ أم قصير . . لكم أخشى أن يقصر ؟ .

أنت خائفة . . دائماً إذا خلوت إلى فكرك وخلصت من فؤادك . . تخافين ، ثرية أنت باذخة الثراء . وأنا لا أملك إلا هذه الريشة التي أرسم بها . . ولكنى أكسب منها أموالا طائلة إن لم تصل إلى إيراد ثرائك فهى لا تقل عنه كثيراً . ولكنك مع ذلك خائفة . . وتابين أن تقولى مبعث خوفك ويهيىء لك الرهم أننى لا أعرفه . . لماذا يظن الناس دائماً أن غيرهم أقل منهم ذكاء ؟ إننى أعرف خوفك ومبعثه ، بل إنى أيضاً أمهد لك العلر أن تخافى ويشتد بك الحرف ،

فقد شاء حظك أو شاء حظى أن يتقدم لخطبتك قبلى إنسان كشفت حقيقة نفسه فإذا هو ولا مطمع له إلا مالك فأنت منذ ذلك اليوم تأبين أن تصدقى أن بين الناس من يحبك لأنك أنت . .

أنت وحدك بلا مال ولاثراء . . مسكينة أنت لكم تنظرين إلى المرآة . . ولكم تُكذبين ما تقول لك المرآة . . أنت جميلة . . ألا تدرين أنك جميلة . . ألا تدرين . . أتذكرين أول يوم رأيتك فيه ؟ أتذكرين ماذا فعلنا ؟ لم أكن أعرفك وإنما رأيت هذه الوضاءة تشع من حولك فإذا ما حولك جميعاً لا شيء إلا أنت ، وقد كان ما حولك كثيراً . أضواء باهتة ونساء جثن يشهدن عرض الأزياء فجعلن من أنفسهن معرض أزياء . . ومعرض جواهر أيضاً . وموسيقي حنون ناعمة ونساء صنعتهن أيد ماهرة صناع يعرضن أنفسهن قبل أن يعرضن أزياء المتاجر ، وصحب وتصفيق وضجيج . . تلاشي هذا جميعاً ولم يبق في عيني إلا أنت . . أنت وحدك وجمالك الصاخب عالى الضجيج حلو الرنين علب الأغاني باهر وهاب . وظللت أرنو إليك فيا شهدت من الأزياء أو النساء أو الأضواء شيئاً . . وحين قارب الحفل الانتهاء كنت أنت وثقت أن عينين من مثات العيون لم ترتفع عنك وكنت أنا قد بلغت من حيرتي يأساً . فما أدرى كيف يتم بيننا اللقاء . . لم أكن أريد حينذاك إلا أن يقدمني إليك أحد . . وكالغريق في المحيط المترامي الأطراف تمتد إليه يد لا يدرى من أين امتدت ، جثت أنت . . نعم . . أنت صوب المائدة التي أجلس عليها . . وحملقت . . ولكنك كنت ما زلت قادمة إلى المائدة ، وحملقت ودارت بذهني احتمالات فيها ستفعلين . . أتراك ستثورين في أن ظللت أرنو إليك طوال العرض . . أتراك ستصفعين وجهي . . أتراك ؟ لم يستطع واحد من هذه الاحتبالات أن يمنع الفرحة التي راحت تهز قلبي هزأ . . فإن سأتعرف بك ، ثائرة كنت أو غاضبة لا يهم . . المهم أنني سأتعرف إليك . . وجئت . . ووقفت إلى مائدتي وظللت جالساً أحملق منتظراً هجومك أو منتظراً ما هو أشد من هجومك ولكنك لم تفعلي شيئاً من هذا وإنما مددت يداً طيبة إلى أختى التي كنت قد نسيتها مع ما نسيت من ناس وأشياء . . وحينئا وقفت وقبل أن أعرف اسمك قلت . . .

_ أتسمحين يا سيدتي أن أرسم لك صورة ؟

وكان من الطبيعى أن تنظرى إلى نظرتك إلى مجنون ولم أحفل حينداك بما تظنين ، وإنما كانت لهفتى إلى أن أرسم صورة لك هى كل ما يسيطر على . . خيل إلى أنني لو رسمت صورة لك سجلت قطعة فريدة من إبداع الحالق لا تتكرر ولا يجوز لها أن تتكرر فالعمل الفني إذا ما أعيد سقط عنه جلاله . لم أحفل بما قد يتواثب إلى ذهنك من أفكار فيا رأيك ؟ وما ظنك بي أنني بجنون إذا ما قارنته بهذا العمل الفني الكبير الذي أريد أن أسجله . . ولا أدرى لماذا فكرت في هذه اللحظة العابرة أن حياتي الفنية . . بل حياتي متوقفة على لفظة منك . وأدركت أختى الموقف وسارعت .

- ــ أخى فريد حسنى .
- ولم تزل عنك دهشتك كلها ولكنك قلت في نغمة حسية الجرس.
 - _ أهلا وسهلا **.**
 - وقالت أختى:
 - _ طبعاً تعرفين أنه رسام .
 - وابتسمت فيارأيت ابتسامة أحلى ممارأيت على وجهك .
- _ إن لم أكن أعرف فقد عرفني هو وضحكت أختى ولم أملك أن أضحك ، وقلت أنت :
 - ... أراك متعجلا على أن ترسمني .
 - _ الآن قبل اللحظة الأتية .
 - ـ يا سلام . . . ولماذا العجلة ؟
 - _ أخشى أن تمر الأيام على هذا الجال . بل أخشى أن تمر الدقائق .
 - وضحكت وضحكت أختى ثم تجهمت أساريرك فجاة وقلت:
 - _ أتعرف من أنا؟
 - وقلت وأعتقد أن وجهى كان ساذجاً وأنا أقول:
 - ــ أبداً . . . ولكني لم أعرف لجيالك مثيلا .
 - وعادت الابتسامة إلى وجهك ثم قلت.
 - ــ أخشى أن يكون هذا غزلا .
 - ــ أنت تعرفين من أنا ؟
 - ـ نعم قرأت عنك ورأيت لك بعض الصور.
 - _ أتعتقدين أنني أقبل لكرامتي أن أقول ما أقول لمجرد الغزل؟
 - ــ إذن . .
- ــ أنا يا سيدى . . رسام . . رسام رأى وجها لم ير له مثلا من قبل وما يعتقد أنه سيرى له مثيلا من بعد . . أنت عندى الآن وجه ، مجرد وجه . أنا لا أعرف من أنت ولا يهمنى أن أعرف . . إنما أعرف هذا الوجه . . ولا أريد أن يحر الزمن قبل أن أرسم هذا الجهال فيه . . وأنا لا أريد منك إلا رسمك . . إنه جمال أراد له الله أن يكون واحة ندية للبشرية العانية . . سيدت أخشى أن يحر الزمن . . أى قدر ضئيل من الزمن على هذا الوجه وأنا أريده هو الآن .
 - ــ أتخشى الزمن إلى هذا الحد؟
- ــ قاس لا يرسم الجيال . . لو كان الزمن يعقل لمر بجيالك هذا فتركه دون أن يوقع عليه بغضونه أو يلمس شعرك الزاهي المتكبر بثلجه ولكن الزمن عر ولا يُعفى أحدا . . وأريد أن أرسمك قبل أن يحر .

وارتسمت في عينيك أمواج من الخوف وأمواج من الفرح وازداد بهما الشعاع وقلت : _ لك أن ترسمني .

أنت لم تعرفى أى أمل حققته بألفاظك القليلة هذه . . والتقينا بعد ذلك وكانت صورتك التى كتب عنها النقاد أضعاف ما كتبوا عن صورى جميعاً وبلغت من المجد فوق ما كنت أهفو إليه . ولكن شيئاً من هذا لم يجعلنى أطير بهذين الجناحين اللذين كنت أطير بها وأنا أرنو إليك فى أول لقاء أو هذين اللذين كنت أطير بها وأنا جالس إليك . . لقد عبدت الله المصور في صورتك وأحببتك آية من آيات الفن الأسمى الإلهى . . أحببتك منحة من السهاء وأحببتك أملا لى وأحببتك جمالاً لا يُطاوله جمال ، وحاولت أن أخطبك ولكنك رفضت . . لم أكن أتوقع هذا الرفض أبداً . . نعم عرفت عن ماضى أيامك هذه الخطبة الفاشلة التى أرادها طامع فى مالك . . أتراك من أجل غلطة واحدة من الزمان من أجل غلطة واحدة من الزمان تعرضين عن الحياة ومن أجل خطيئة واحدة من رجل ترفضين جميع القاصدين إليك ؟ تعرضين عن الحياة ومن أجل خطيئة واحدة من رجل ترفضين جميع القاصدين إليك ؟

فمن تستقبل الحياة إن لم تكن أنت ؟ وعلى من تقبل الحياة إن لم تقبل عليك أنت ؟ أنت فى جمالك هذا الشاهق الأبي ، وفى شبابك هذا الزاخر بالحياة . . اجعلى منى حياتك فأنت كل حيات .

ولم يعرف خطها على الظرف فقد كانت المرة الأولى التي تكتب فيها إليه . وبيد مرتجفة أمسك بالخطاب :

لكم تشبه يا صديقى ذلك الفتى الذى تقدم إلى خطبتى طامعاً فى مالى . لا تجزع . . فإنك مثله لا فارق بينكما ولا اختلاف . . لقد أحب كل منكما شيئاً زائلا منى . . أحب هو المال وما أسرع ما يزول الجيال . وأنت تعلم وأنت تذكر كم كنت ملهوفاً على رسم صورتى قبل أن تمر بى الأيام فتطمس جمال وجهى وتذهب بشعرى كم كنت ملهوفاً على رسم صورتى قبل أن تمر بى الأيام فتطمس جمال وجهى وتذهب بشعرى المتكبر المزهو . أنت شبيه بذلك الفتى كلا كما أحب زائلا . أنت يا صديقى لم تحبنى أنا . . أنا جميعاً بكل شيء في ، بروحى وجمالى وفكرى ومالى وكل ما يكون هذا الكيان الذى أمثله في هذه الحياة . . لو أنك يا صديقى أحببتنى جميعاً إذن لهذا خاطرى واطمان ولقبلتك زوجا قائلة لنفسى . . إن ذهب الجمال بقي الفكر . . ولكنك واأسفاه . . لم تعب إلا جمال وجهى فقط . . وما أسرع ما يزول . . أحل ما أسرع ما يزول .

أنت يا صديقى أحببت في مجدَك وأحببت في صورتك التي رسمتها . . وأحببت في رأى النقاد في عملك . . ولن يبقى من هذا جميعه شيء . . ستجدد مجدك بصورة أخرى وسيقول

النقاد عها سوف ترسمه كلاماً ينسيك ما قالوه عن صورتى ولن يبقى منى لك إلا وهم تقف دونه من الأيام سدوف وضباب.

لقد التقى جمال وجهى بريشة الفنان فيك ولن بخلق هذا اللقاء حباً . لو التقت الروح منى بالروح منك لو التقيت أنا جميعاً بك لكنت الآن سعيدة ولكنت الآن آمنة حين أقول لك إنى أقبلك زوجا .

إنى يا صديقى قد أحببتك . . وقد أحببت فيك شيئاً خالداً . . أحببت فنك . . وفنك هو روحك ولكم كنت آمل أن أجد خطابك هذا الذى قرأته والذى أرده إليك يخبرنى أن لى عندك ما لك عندى ولكنك ، وهذا ما أحبه فيك ، صريح لا تبدى إلا ما تخفى . . ولقد وجدتك تحب في شيئاً أنا واثقة أنه لن يدوم . فأيام الربيع قصيرة ، وهى للمرأة أشد قصراً فإن جاء الخريف وثلاه الشتاء وبحثت حولى ولم أجدك فواضيعتى يوم ذاك . . واضيعتى . . إننى أيها الصديق الحبيب ممن يعدون للشتاء منذ هم الربيع . ولكم يؤلمنى أن أخبرك أننى لن أقبل عرضك هذا . فالشتاء ونحاصة شتاء المرأة بارد قارس باهت وما أحب أن ألقاه وحدى لقد نعمت بما نلته منك . وبحسبى هذا من جمالي ذكرى . ولن أقول وداعا . . فإننى أحب دائماً أن ألك ، وسأظل دائماً أراك فالصداقة تستطيع أن تمند إلى كل الفصول . . فإلى اللقاء . . إلى لقاء دائم .



مسودة النزفاريث

د وكانت فايزة تحس بنظراته سواء كانت تراهما أو كانت مولية له ظهرها . كانت تحس النظرات ولا تراها » .

كانت الحاجة زكية لا تترك فرصة دون أن تطالب زوجها الحاج عبد الرحيم العجل بأن يزوّج ابنها مدبولي الذي تجاوز مطالع الشباب والذي ترى أمه أن زواجه قد تأخر.

ولم يكن الشيخ عبد الرحيم يؤجل طلب زوجته عن فقر فهو بمحمد الله غنى يملك عشرة أفدنة تنتظر الزيادة . وما كان يماطلها عن بمخل فهو يحب ابنه أشد الحب ولا يرجو من حياته شيئاً إلا أن يسعد ابنه الوحيد هذا . . بل أن السبب الحقيقي الذي من أجله لا يريد الشيخ إتمام الزواج هو هذا الحب الذي يكنه لابنه ، وقد كانت مطالبة زوجته تزيده إصراراً على التأجيل الذي قد يصل إلى الإحجام . . وكيف يقبل على تزويج ولده وهو ينظر إلى أمه هذه المجتفاء التي لا يكاد جلدها أن يخفي عظامها . كومة من العظام حاول على السنين الطويلة . . الطويلة جميعاً .

لا يزال الشيخ عبد الرحيم يذكر ذلك اليوم الأغبر الذى أخبره فيه أبوه أنه كبر وأصبح لابد له من الزواج عملا بالحديث الشريف من استطاع منكم الباءة فليتزوج ولم يصبر أبوه حتى يختار هو العروس بل اختيرت له وتم الاتفاق على زواجهها دون أن يسراها ودخل بها . . وكانت ليلة أسود من الحبر . . كانت عظاما ولم تكن زوجة . . وقد كانت أحلامه . . كل أحلامه أن يتزوج من امرأة ثقيلة الأرداف حتى لا تستطيع حملها ، إذا أمسك بلراعها غاصت أصابعه

فى تجاويف وكهوف من البشرية الحية الطازجة . . فإذا زوجته هذه العجفاء الهزيلة وصبر نفسه وقال قد استطيع على الأيام أن أسمنها فأنا فى تسمين العجول بارع مشهود لى فى القرية جميعاً . ولكن براعته فى تسمين العجول لم تجد شيئاً فى تسمين الزوجة .

وعاش معها عشرين عاماً تزيدها الأعوام هزالا وتزيده هو يأساً وضيقاً بالزواج . وقد جعله ينصب نفسه مبشراً ضد الزواج فلا حديث له إلا أن ينفر الشباب من الإقدام على نصف دينهم وهو لا ينتهى عن ذكر الأيام الحالكة الظلمة التى قضاها فى ظل زواج جاف من امرأة ليس فيها من صفات المرأة إلا أن اسمها فى دفتر المواليد أنثى .

لم يحقق الزواج إذن من أحلام الشيخ عبد الرحيم شيئاً وأنه يريد ابنه أن يستمتع بحياته ويخشي عليه أن يلقى في الزواج ما لاقاه أبوه من أهوال تطالعه بها الحاجة عزيزة التي ازدادت على الأيام عظاما وازداد وجهها غضوناً وازداد زوجها منها نفورا ولها كرها.

ولم يكن الشيخ يجد شيئاً يُفرح كربه منذ أيام زواجه الأولى إلا أن يظل ليله يستمع إلى فتيان القرية الذين أصبحوا على الأيام شيوخاً مثله وهم يروون مغامراتهم مع نساء . . نساء مكتملات لا كومات من العظام كذلك التي يتركها في البيت .

وحديث الرجال في القرية لا ينتهى حول النساء . فالأفواه لا تمل من ترديده والأذان لا تملّ من سياعه . فكيف إذن بالشيخ عبد الرحيم وهو الرجل الذي يعتبر نفسه غير متزوج .

أما مدبولى ابن الشيخ عبد الرحيم فله فى الزواج مذهب آخر . . فهو يفلح الأرض منذ استطاع أن يمسك الفأس . وقد كان يشاهد فايزة وهى تقدم بالطعام لأبيها صالح أبو عرابى الذى يعمل فى حقل الشيخ عبد الرحيم . وكان يعجب بقوامها الفارع وبابتسامتها التى تومض ومضاً إذا سمحت للخيار الذى تضعه على نصف وجهها أن يسقط وكان يتدله بهاتين العينين يشع منها بريق من الحياة ونشوة من الشباب . وكان يظل رانياً إليها وهى مقبلة ثم يظل رانياً إليها وقد حملت الأوانى فارغة وعادت بها فلا يكل النظر . . وكانت فايزة تحس بنظراته سواء كانت تراها أو كانت مولية لها ظهرها . كانت تحس النظرات ولا تراها . وكانت تحس معها نشوة تدخدغ فؤادها الغرير ثم تحس لذعة من الفقر فإن الزواج غير متوقع بينها وبين ابن الشيخ عبد الرحيم الثرى القانط من الحياة والكاره للزواج كرها أصبح فى مثل شهرة الشيخ نفسه .

وكان مدبولى يعلم أن أباه لن يقبل هذا الزواج . . فهو يعلم أن أباه لا بحب من النساء إلا المليئات وفايزة في مقاييس آبيه عجفاء لا تصلح للزواج . . . كما أنه يعرف أن أباه بحب أن يزيد أفدنته العشرة ببضعة أفدنة أخرى تجلبها له زوج ابنه ولن تجلب ابنة صالح أبو عرابي شيئا يزيد هذه الأفدنة . . بل هي ولا شك ستكلفه مهراً وليلة زفاف وفيا يبتلع قد يصبح مع الأيام عدة أفواه من الأطفال . وهكذا كان مدبولي يُدرك أن أباه لن يُرحب بهذا الزواج بحال من

الأحوال . . فلم يجد مناصاً من أن يكتم هواه ويتظاهر امام أبيه أنه يوافقه على رأيه .

وكان من بين أصدقاء الشيخ عبد الرحيم . أحمد افندى متولى . رجل عاش عمره نصف فلاح ونصف حضرى فهو يذهب إلى المدينة كل يوم وللبيت فى القرية كل ليلة . وقد تزوَّج من المدينة وجلب زوجته معه إلى القرية وامتدت صداقات الزوجة بزوجات أصدقاء زوجها . . وكانت زكية من بين أولئك الصديقات . وقد استطاع الشيخ عبد الرحيم أن يرى زوجة أحمد أفندى من بعيد ، وقد كانت هذه الرؤية البعيدة تكفيه أن يحكم على جمالها فها كان يعنيه من جمالها إلا أنها ذات قوام ملىء بل هى تزيد عن القوام الملىء فكان يكن لها إعجابا ويكن لزوجها حسدا وتزداد حسرته بامرأته العجفاء .

وفي يوم قالت زكية لزوجها :

_ يا شيخ عبد الرحيم

وأجابها في نفوره الذي لا يتغير :

_ مالك ؟

ــ والدة الست هانم تعيش أنت.

_ حماة أحمد أفندي ؟

ـ نعم . والمأتم اليوم في البندر ، ألا أذهب للعزاء ؟

... طبعا . . أطلب لك عربة ونذهب معا . .

وذهبا . . وبينها هما عائدان رأى الشيخ عبد الرحيم في عيني زوجته كلاما يثور بها أن تتحدث فلم يحاول أن يسألها حتى إذا بلغا المنزل واستقر بهما المقام أو كاد قالت زكية :

- ــ أما يا شيخ عبد الرحيم ربنا رضي علينا .
 - ۔۔۔ خیر . .
- ـ الست هانم لها ابنة أخت لو أصبحت من نصيب مدبولي . . وقاطعها الشيخ عبد الرحيم :
 - ـ يا امرأة حطى في عينك حبة ملح . . أتذهبين للعزاء فتخطبين لابنك ؟
 - یاآخی الحی ابقی من المیت . . بنت . . أما بنت . . مال وجمال .
 - ـ يا امرأة اعقلي.
 - ـ والله لو رأيتها لعرفت أنني أنا العاقلة . . وأمها تتمني النسب .
 - 9136 ...
 - ــ أمها تتمني .
 - ـ هل سالتها؟

... النسوان يفهمن لغة بعضهن بعضا . . أخلت منها في الحديث وأعطيت فوجدتها راغبة فينا أشد الرغبة . .

_ في مأتم أمها!

_ وماله . . أمها مريضة من عشرين سنة . . أتنتظران تظل البنت عانسا لأن سنها ماتت عن مائة سنة يا أخى أرجو أن نعيش مثل عمرها . . أو حتى أقل بثلاثين سنة . المهم أن أم البنت . .

ويقاطعها الشيخ عبد الرحيم .

- خطبت البنت من أمها في مأتم أم أمها .

وقالت زكية في حزم:

ـ نعم . . وقبلت . . لو رأيتها تعذرني . . عود يا شيخ عبد الرحيم . .

ـ وقال الشيخ عبد الرحيم في سرعة .

... هيه . . رفيعه . .

ــ العفو عود . . عود مليء ووجه كالقمر وأبوها غني . .

... عرفت الأخبار كلها.

ــ بعد الاربعين نتوكل على الله .

ولم يجب الشيخ عبد الرحيم . . ومرت الأيام الأربعون . . مرت على الناس جميعاً سريعة لاسمة لها ولكنها مرت في بيت الشيخ عبد الرحيم وهو لا يسمع شيئاً إلا عن جمال البنت .

علية وحلاوة علية وعود علية وغنى أبي علبة وطيبة أم علية حتى أصبحت علية داء مستعصياً في لسان زكية وفي أذن الشيخ عبد الرحيم وفي حياته . إنها المرأة حين تريد . . وقد أرادت زكية فهيهات أن يعمى الشيخ عبد الرحيم كان بين اثنتين أن يطيع زوجه أو يدهب واحد منها إلى مستشفى المجاذيب ، . ولما كان الرجل لا يريد لنفسه ولا لزوجته هذ النهاية فقد أسلم أمره لله وأطاع زوجته . وكلم أحمد أفندى أن يحدد لهم موعدا عند عديله وتحدد الموعد وخرج موكب الشيخ عبد الرحيم ليخطب لابن الشيخ عبد الرحيم .

ولوكنت في القرية يومداك لرأيت الشيخ عبد الرحيم في عهامته الجديدة وجبته المصنوعة من الجوخ الاخضر وتحتها المفطان الحريرى ذو الخطوط الحمراء ولرأيت الشيخ وقد أفلت ذقنه من الحلاق بعد أن سلخها فهى كالجزرة لولا بعض البودرة التي يعدر عليها العرق فتتناقص .

ولرأيت الست زكية في فستانها الكريب دشين وقد غطته بالمعطف الأسود الحريري واتخلمت على رأسها خمارا يدور حول أسفل ذقنها شأن سيدات المدن .

ولرأيت خادمة المنزل في فستان جديد وقد صحبتها الست زكية لنكون مظهر غني ودلالة سيادة أمام الأصهار . . وقد امتنع مدبولي عن اللهاب أول الأمر ولكن أباه تحت وطأة الحاح أمه أمره فأدخل نفسه في الجلباب الحريري الجديد والمعطف الصوفي الذي وضعه على نفسه على رغم الحر الشديد وأدخل رأسه في طربوش أحضره له أبوه . . وخرج الموكب . .

ولم تستطع زكية حين رأت نفسها وزوجها وابنها ، والحادمة في العربة ذات الجياد المطهمة لم نستطع أن تملك نفسها فأطلقت زغرودة عريضة تردّد صداها في القرية جيعا ولكنها لم تكتف بها بل ظلت طوال مرور العربة في القرية تطلق الزغاريد ، وتفسر لزوجها السبب في كل زغرودة تطلقها . . فهذه للحاجة فهيمة . . حبيبة العمر ولا بد أن تشاركها الفرحة وهذه لفاطمة العدو اللدود التي كرهتها منذ دخلت القرية ، وهذه للحاجة منيرة الحاضنة لتستدعى زغرودتها المشهورة وهكذا حتى خرجت العربة من القرية .

ولو أنك انتظرت فى القرية بضع ساعات لوجدت هذا الركب عائدا كها هو لم يتغير منه شيء أبدا إلا الزغرودة وزكية . كان الركب عائدا بالعربة نفسها وزكية واقفة فى العربة وقد رفعت الخيار الذى كان يغطى رأسها وصفحتى وجهها وأمسكت به بيديها كلتيها وراحت تحوكه نهابا وجيئة خلف رأسها . ثم راحت فى الوقت نفسه ترسل الأصوات النائحة الصارخة والكليات الفاجعة . . يا مصيبتى . . يا قلة بختى . . يا خيبتى عملتها بيدى . . وتقلب عينك فى الركب فتجد الجميع لم يغب منهم أحد ولم يمت أحد بل أنك تجد أيضا السعادة فى وجوه الجميع . .

لقد ذهب الشيخ عبد الرحيم وخطب علية فعلا . . الفرق الوحيد أنه لم يخطبها لابنه مدبولى وإنما خطبها لنفسه ولعل هذا يفسر لك كل شيء من حزن زكية ونواحها إلى سعادة الآخرين وفرحهم .

فالشيخ صد الرحيم فرح لأنه حقق أمله آخر الأمر . ومدبولى فرح لأن أباه قبل أن يزوجه فايزة مقابل أن ينزوج هو علية والخادمة فرحة لأن فرحين سيقامان فى المنزل بدلا من فرح واحد .



وجحمات نظسر

ولم أستطع السكوت ، فهاجمتها في عنف . . وثبت إلى ذهنى الابتسامات التي تومض وتختفى ، ووثب إلى ذهنى ذلك الرجل الذي يلازمها ولا يتركها ، ، فثرت » .

قالت الزوجة: نعم إنه كان يشترى لى كل ما كنت أتمنى أن ألبسه . . فساتين ومعاطف من فراء الثعلب ومن فراء أجنة الحراف ذلك الذى نقول عنه الأستراكان شديد الغلاء ومعاطف من الزبلين والأرمين والفيزون . . لا أدرى ما هى هذه الأنواع من الفراء . . أو أننى على الأقل لم أكن أحريها وإنما لبستها جميعا ، وأثرت بها من الإصحاب ما أثرت بل أثرت بها أيضا الحسد والحقد فى نفوس الصديقات وغير الصديقات وكان يشترى لى المجوهرات والحلى . . من الماس والمؤلؤ والزمرد وغير هذا من الأحجار التى يخالها الناس لروعتها صناعية وهى حقيقية بعيدة الجلور والأصول . وكنا نقطن مسكنا إن رآه خرج السينها لأخرج عنه فيلها وأسهاه بيت الأحلام . . أثاث من شتى الدول وبيوت الأثاث فى العالم أسهمت فيه بأوفى نصيب وكانت السيارة لا تكمل العام عندنا ، فهى دائها أحدث طرازاً وهى دائها أغلى نوعاً .

وأشهد لم يكن زوجى زثر نساء ، وأستطيع أن أقول عن ثقة إنه لو أحب أن يكون زثر نساء الأتاحت له نساء كثيرات ـ وكثيرات جداً ـ أن يتحلى بهذا اللقب ، ولكنه لم يكن . . وقد كان زوجى لا يشرب الحمر إلا في حفلات تضم قوما تصله بهم مصلحة عمل . . وكان حينذاك حريصا كل الحرص ، خبيرا عميق الحبرة . . فإن كان للناس الذين تربطهم به مصلحة ميل إلى الشراب فهو يقدمه لمم إن كانوا في بيته ، وهو يطنب في وصف المشروب الذي يقدمه ، ويتحدمث عنه في إحاطة وعلم ومرونة . وإن كان هؤلاء القوم من الذين يميلون إلى الصلاة وذكر

الله والتمثّل بآياته ، فهو حينئذ يمسك بمسبحة من المرجان الأحمر ذات جلية من خالص الذهب ، ثم هو يدير الحديث إلى النحو الذى يستهويهم فيتحدث بالإحاطة والدربة والمرونة نفسها التي يتحدث بها عن الخمر وأنواعها . . وإذا أبدى أحد الجالسين إعجابه بالمسبحة نظر إلى هذا المعجب فإن كان ذا مكانة قد تنفعه ، عاجل يُهدى إليه المسبحة ، ويُصر على هذا الإهداء ، حتى يأخذها المعجب ، وإن لم يكن ذا مكانة كبرى استطاع في لباقة أن يلوى الحديث إلى وجهة تبعده عن المسبحة . وكان منظر زوجي طريفاً حين يدعو إلى بيته فريقين عن يرجو لديهم نفعا ، أحد الفريقين من هواة الخمر ، والفريق الثاني من هواة الدين ، فكنت تراه يمسك كأسه بيد ، وإحدى مسابحه المرجانية باليد الأخرى ، ويدير الحديث على الناحيتين موجها إلى كرني الحديث الذي يُرضيه .

كانت مصالحه هي كل شيء في حياته ، وما كان هذا ليغضبني لولا أنني وجدت نفسي في بيته مصلحة من مصالحه ، ووسيلة من وسائله للبلوغ إلى أغراضه ، فهو لم يقدم لى هدية من حلى أو ملابس إلا وشفعها بجملته الخالدة أحضرت لك هذا لأننا سنتناول العشاء الليلة عند فلان بك أو فلان باشا .

كان يخيل إلى أننى معرض يضع عليه غناه ليرسل الثقة بما ألبس أو أتحلى به إلى نفوس المتعاملين معه . لم ألبس شيئاً غاليا إلا لأعرض على فلان أو فلان من الناس لم ألبس شيئاً له ولم ألبس شيئاً لأننى أستحقه . . . ينسى عيد ميلادى وعيد زواجى وأعياد ميلاد أولادنا ، ولكنه لا ينسى أبداً أن يحمل لى معطفاً أو حلية غالية ، لأننا سنتناول العشاء أو الغداء في مكان يضم قوما ذوى أهمية .

وكانت حياتى معه أشبه ما تكون بحياة الزائرين الرسميين فى البلاد الأجنبية فهو كل صباح يطالعنى برنامج اليوم من زيارات ومواعيد ، فاترك بطاقة فى بيت فلان ، أو ألبى دعوة من فلان ، أو أدعو فلانا آخر إلى وليمة . . قد يجد الزائر الرسمى ضمن البرنامج فترة يقضيها فى حرية ليشاهد معالم المدينة التى يزورها أما أنا فلم يكن لى هذا الحق ، فالبرنامج لا يفوت يوماً ، والبرنامج كامل لا يترك ساعة ، وقد يداخل الزائر اليومى أمل أن تنتهى الزيارة الرسمية ويعود إلى بلاده وحريته أما أنا فلا أمل لى ، فهو زوجى ومصالحه تزداد كلها تقدمت به الأيام ، والبرنامج ثابت لا يتغير فيه إلا الأشخاص .

تقطعت صلتى بالبيت ، تقطعت صلتى بالأولاد ، وأصبحت جزءاً من سيارته ، ومعرضاً لغناه ، ووسيلة لأماله .

ومرضت يوما فاعتذرت عن عدم تنفيذ البرنامج ، لازمت سريرى وجاء هو من الخارج وسأل أمه عنى ، فقالت إنني خرجت ، ولكنه دخل فوجدني نائمة في السرير فسألني :

- ۔ أين كنت؟
 - ۔ هنا .
- _ أمى تقول إنك خرجت.
 - ۔ لم يحصل .
 - ۔ أمي لا تكذب
 - _ وأنا لم أخرج .

وشتمنى وشتمته ، وتركنى وخرج ، قمت إلى ملابسى فجمعتها وخرجت تاركة الحل والمعاطف لتنفع زوجته القادمة في الدعوات التي ستلبيها .

ولم يطل بي الانتظار في بيت أبي فقد جاءت ورقة الطلاق.

* * *

وقال الزوج: لا أعرف سيدة تملك من الفراء أو الحلى ما كانت تملكه زوجتى ... لم أقلم إليها إلا أغلى الأشياء وأثمنها . ولم أر يوما ابتسامة شكر على وجهها .. لم ترض عن شيء أهديته إليها ، لم أر في عينيها تلك السعادة التي طمعت يوما أن أرها في عينيها .. لم يكن ينقصها شيء ، ولكنها مع ذلك كانت ساخطة دائماً مغضبة دائما ، لا ترضى ولا تدع لى فرصة أهنا فيها بالسعادة التي حاولت أن أخلقها في بيتنا بالمال الوافر الذي بذلت في سبيله دمى وأعصابي .

كان الأصدقاء يدعوننا إلى الحفلات فتعتدر بوهكة ، أو تدعى المرض ، وحين أعود أجدها قد خرجت مع أصدقاء آخرين ، وإذا سألنها أين كنت ثارت وغضبت وراحت تصرخ فى وجهى ، فأسكت أو أذهب إلى أمى فى غرفتها حتى تنام زوجتى فأعود إلى غرفتى . وكنت أخشى أن أطلقها فأجنى على أولادى ، وإن كان هذا التفكير فى ذاته يحتاج إلى إمعان . فهى أم تكن تهتم بالأولاد ولا تعباً بهم ، بل كنت أنا أراقب سيرهم فى الدراسة ، وأرعى من أمرهم مالا ترعاه هى ، وإن شغلتنى الحياة قامت أمى على شأنهم فى حدب يفتقدونه فى حضن أمهم فلا يجدونه . إلا أننى - مع ذلك - كنت واثقا أن الأم ضرورة للأولاد لا يطيقون عنها غناء فصرت طالما ألحت أمى أن أقسو أو أطلق ، فكنت أتغاضى عن قولها وأصبر . . فالطلاق فى حياة رجال الأعال فضيحة ، وأنا لا أحب أن يلوك الناس اسمى ، فقد يؤثر هذا على مصالحى وعلى أولادى .

تكرر منها الاعتذار عن الحفلات التي تدعى إليها ، وتكرر اعتذارى أنا أيضا بمرضها ، وكنت ألمح على الوجوه التي تسمع الاعتذار شبح ابتسامة لا تبدو حتى تفنى ، ولكن بعد أن تترك في نفسى هاجسا قوى الوخز ثم لاحظت أنها تلازم مجموعة معينة في خروجها ، ولا حظت أن

بين هذه المجموعة رجلا في مثل سنها غير متزوج ، ولا حظت أن هذا الرجل بالذات هو الذي يأتى بها إلى البيت ، ولا يفارق الجهاعة حتى تفارقها هي وداخلني الشك ، ولكني أبعدته عن نفسي بحرصي على بيتى وسمعتى وسمعة أولادها . . أولادى . .

وفى يوم ادعت المرض وخرجت إلى عشاء كنت مدعوًا إليه عند د . . . ، باشا وحين رجعت ذهبت إلى أمى أسالها هل زوجتى بخير فأنبأتنى أنها لم تعد إلا منذ دقائق . . . وقصدت حجرة نومنا فرجدتها فى السرير .

- _ أين كنت؟
 - ــ هنا .
- ـ أمى تقول انك خرجت .
 - ــ لم يحصل .
 - _ أمى لا تكلب.
 - ــ وأنا لم أخرج .

ولم أستطع السكوت ، فهاجمتها في عنف . . وثبت إلى ذهني الابتسامات التي تومض وتختفي ، ووثب إلى ذهني ذلك الرجل الذي يلازمها ولا يتركها . . فثرت . . وتركت لها الحجرة لأنام في حجرة أخرى . وفي الصباح كانت قد غادرت البيت تاركة المجوهرات والفراء . وكانت الابتسامات ما تزال تلح على تفكيرى ، وكانت صورة صديقها مازالت ماثلة أمام عيني . . فطلقتها .

* * *

وقالت أم الزوج .

لم أر رجلا كان يهتم بزوجته مثل ما كان يهتم ابنى بزوجته ، ولم أر امرأة تقابل الهدايا الشمينة التى يقدمها إليها زوجها بهذا البرود والتعالى اللذين كانت تقابل بهها زوجة ابنى هدايا ابنى . . ومع ذلك لم يكن ابنى يكف عن إحضار الهدايا إليها ، ولم تكف هى عن برودها وتعاليها . . ولو اقتصر الأمر على ذلك لهان . . إلا أنها كانت تهمل أولادها . . أولاد ابنى ، فاقوم أنا على شأنهم ، وأرعى أمرهم مع أن صحتى لا تحتمل هذا ، ولكن ماذا كنت أفعل وأنا أراهم ضائمين ، ولا يهتم بهم أحد أو يراقب مأكلهم وملبسهم إلا الخدم . وانتهى بهم وبى الأمر أننى كنت أقرب إليهم من أمهم ، يجبوننى أكثر من حبهم لها ، ويلجأون إلى في مطالبهم ، ولا يلجدوها في البيت لو أرادوا اللجوء إليها .

ولو كانت تصاحب زوجها فى الدعوات التى يضطره عمله إلى تلبيتها لسكت . . فإن ابنى من رجال الأعهال الكبار ، وأصدقاؤه من الأغنياء ذوى الجاه والسلطان ، ولكنها مع ذلك لم

تكن تأبه بهؤلاء الأصدقاء العظام ، بل كانت تخرج دائها مع أصدقاء لها ، لا هم في العير ولا في النفير ، ومع ذلك لم أكن أتكلم ، وكم . وكم جاءني ابني يشكوها إلى فكنت أقول لا عليك يا ابني إنها زوجتك على كل حال وأم أولادك فاحتملها فيسكت - يا عيني يا ابني - ولا يتكلم .

إلا أننى سمعت من صديقاتى أن همسا يدور حول صلة بين زوجة ابنى وبين صديق لها فى الجهاعة التى تخرج معها دائها . وسمعة النساء هى شرفهن وشرف أزواجهن وأولادهن . ماذا أفعل ؟ إن كان ما سمعت صحيحا فهى مصيبة ، وإن لم يكن صحيحا فإن هذه أمور الكذب فيها كالصدق ، والسمعة هى ألسنة الناس ، ومادامت الألسنة تتحرك فى الأفواه فالفضيحة واقعة ، يستوى فى ذلك الكذب والصدق . . هل أخبر ابنى ؟ . . . لم أجرؤ فقد أشفقت عليه أن أفعل ، أأطلب إليه أن يطلقها ؟ . سيسالنى لماذا وقد كنت تدافعين عنها .

وجاءت من عند ربنا . عاد يوماً من عشاء كان مدعوا إليه ، ولم تذهب هي بدعوى المرض : وسألنى عند عودته عن صحتها ، فأخبرته أنها لم تعد إلا منذ قليل . . ولم أكن كاذبة . . الحمد لله لقد أصبح ابنى سعيداً في بيته . . ولم يشعر الأولاد بنقص في حياتهم . .

* * *

أتسألني ما الحق في هذا جميعه ؟ . . . وهل أدرى ؟ . . وكيف أدرى ؟ . . . أتستطيع أنت أن تدرى ؟ . .



استففسر المسه

« وبلغت به الجرأة أنه صار يعلق البندقية على كتفه ويطلب البهائم في رائعة النهار فإذا مقودها في يده ثم ما هي إلا يوم أو بعض يوم حتى تلحق به الفدية » .

بكرت الشمس إلى مكانها من السهاء فوجدت جماعة من قرية المهدية قد خوجوا من ديارهم وأخذوا سمتهم إلى طريق القرية الرئيسي الذي يؤدي إلى موقف السيارات العامة وكأن بينهم اتفاقا صامتاً على المكان الذي يقصدون ، فقد ألقى كل منهم إلى الآخر تحية وحاول كل منهم ما وسعه الجهد أن يكسو صوته برنين من الفرح . وساروا طريقهم . كانوا خمسة رجال عبد الصمد الحياني ومسعود عبد الخالق وراضي عبد الرحمن والسيد أبو الليل ومحمد العضل ، وكانوا يقصدون إلى السجن ليستقبلوا سعد الله الحياني بعد أن قضي في السجن خمسة عشر عاما لارتكابه جريمة سرقة .

فأما عبد الصمد فهو أبو سعد الله . وأما مسعود وراضى والسعيد أبو الليل فهم أفراد العصابة القديمة وأما محمد العضل فهو شاب لم يعد الثانية والعشرين من عمره . أطبق الصمت عليهم بعد أن تبادلوا التحية وذهل كل منهم إلى الماضى والحاضر والمستقبل يفكر فيها كان وما هو كائن وما محياته .

أما عبد الصمد فهو يدعو الله أن يهدى ابنه إلى صراط مستقيم حتى يتيح له الأمن على حياته ومستقبله وما تلبث الأمال أن ترنو إليه بعين طيبة . خمسة عشر عاماً لا شك أنها قد هدت العاصى وأسلست من طباع سعد الله ما كان جامحا . . وها قد تهيأ له من الأرض ما يكفيه فلو

أنه فلح أرضه لا ستغنى عن الليل وما فيه من سرقات مضرجة بالدماء ... أكان سعد الله يسرق للهال أم هو حب المخاطرة والتلهف على مديح من معه والحرص على هذا الخوف يشيعه في كل من حوله من ناس وبلدان ولكن خمسة عشر عاماً قد مضت فأى طريق يا ترى يسير فيه سعد الله . وأما مسعود فقد كان يفكر في خروج سعد الله تفكيراً يختلف كل الاختلاف عن تفكير عبد الصمد . فقد قضى هذه السنوات يفلح الأرض في غير معرفة بأسرار ها فامتنعت الأرض أن تكافىء جهده فهو منذ ذلك الحين في فقر مدقع صاحبه احتقار قوم كانوا يُظهرون له الولاء في ظل سعد الله حتى إذا خلوا به بعيدا عن زعيمه أنزلوا به المذلة والهوان وقد كان يعلم أنه لا يقدر على الليل وحده فهو منذ بدأ حياته فيه تعود أن يكون مقوداً غير قائد . وهكذا رضى عن المخاطرة التى تعود عليه بالربح الوافر بكسرة من خبز يغمسها في الزجر العنيف الذي يأخذه به صاحب الأرض متولى العضل . فهو اليوم في فرحة غامرة . . لقد عادت أيام المجد أو هي بسبيلها أن تعود ولينزلن الأهوال بكل هؤلاء الذين اعتدوا على كرامته وليكونن متولى العضل في بسبيلها أن تعود ولينزلن الأهوال بكل هؤلاء الذين اعتدوا على كرامته وليكونن متولى العضل في الطليعة منهم .

وأما راضى عبد الرحمن فهو حاثر لا يدرى مصيره . فهو فى هذه السنوات قد أخذ نفسه أن يقوم بالسرقات الصغيرة التى لا تحتاج إلى كثير من شجاعته وليس يدرى اليوم أيستطيع أن يخاطر بحياته مرة أخرى ويشارك سعد الله فى مغامراته التى تغلب عليها الجرأة المجنونة التى لا تعبأ بالعواقب . . . فلقد تزوج وأصبح له طفلان وهو يريد لهذين الطفلين أن يجدا أباهما حتى يشتد عودهما ويتمكنا من لقاء الحياة .

وأما السيد أبو الليل فقد تجشم المسير حفاظا على الود القديم ، فيا عاد له من الليل مأرب فقد أصبح اليوم عجوزاً يتوكأ إلى الستين من عمره .

وأما محمد العضل فهو ابن متولى العضل شب منذ وعى الحديث وهو لا يسمع من مسعود حديثا إلا حديث سعد الله وأيام مجده الأول فأحلامه منذ ذلك الحين ومسالك فكره لا موضوع لها إلا سعد الله إن نام رآه وإن صحا تخيله وإن لعب مع الأطفال كانت اللعبة حوادث سعد الله إذا سعى به السن إلى الشباب كان سعد الله مثله الأعلى .

وشاءت الأقدار أن يكون محمد العضل ضامر الجسم هزيلا ضئيلا وأدرك — منذ توقف جسمه عن النمو ألا سبيل له أن يكون شبيها لسعد الله أو رفيقا له في مغامراته . . فالتفت إلى أرض أبيه يزرعها فأتقن زرعها وأخذ يحمل عن مسعود بعض عبثه راضيا أن يكون الثمن حديث مسعود عن سعد الله . . فيا منعه ضعف جسمه أن يجب سعد الله بل لعل هذا الضعف قد زاده حبا له وإقبالا على الحديث يجرى عنه . فهو لهذا يتخذ سبيله مع هؤلاء القوم ليرحب

بالقادم العزيز ويراه في أول لحظة يتمكن فيها من رؤيته لا يريد أن تفوته هذه الفرصة التي قضي الأعوام الطوال في انتظارها .

وبلغ القوم السجن والشمس تعلن الظهيرة ولم يطل بهم الانتظار حتى خرج إليهم سعد الله الجيانى . وتعانق الأب وولده ثم فرغ سعد الله إلى أصدقائه حتى إذا بلغ إلى محمد قدمه إليه مسعود بأنه ابن متولى العضل فصافحه وأشار الأب إلى سيارة أجرة قريبة من السجن وركبوا فيها جميعا واتجه الركب إلى القرية . وحين اقتربت السيارة من المهدية . وجدوا جماعة كبيرة من الناس منتظرة بظاهر البلدة تعلن فرحها بالطبل والمزمار . وأصر المستقبلون أن ينزل سعد الله من السيارة ويدخل بلدته بين مظاهر الحفاوة هذه التي ينتظرونه بها . . وكان ما أرادوا .

وحين استقر بهم المقام فى بيت عبد الصمد دار الحديث بعيدا عن السجن وإنما هى أنباء القرية وما جرى فيها . واستمع سعد الله واستمع ولكن سؤالا ما يزال يلح عليه إلحاحا غير هين يريد أن يلقيه ولكنه ينتظر من القوم أن يفصحوا عنه دون سؤال ولكن الأحاديث تدور والأنباء تلقى إليه واحدا بعد الآخر وليس عن جواب هذا السؤال كلام . وكأنما دبر القوم مؤامرة صمت فيما يتصل بهذا الموضوع وطال صبر سعد الله وطال حتى لم يعد يستطيع صمتا .

ــ أين عبد الهادى الأكتع؟

وكأنما كان الحديث آلة عظيمة الضجيج أصابها العطب فجأة فهوم الصمت المفاجىء على أجزائها . . صمت الجميع ونظر كل منهم إلى الآخر وعاد سعد الله يقول :

_ خير يا جماعة . . هل أصابه شيء ؟

وعاد الصمت مرة أخرى وعاد سعد الله يقول:

ــ لابد أن شيئا أصابه وأنتم تخفون . . . لا يمكن أن يتأخر الأكتع عن لقائي .

وكان سعد الله محقاً . . فعبد الهادى رفيق العمر . . لعب وسعد الله فى الملعب الصغير فى ظل الطفولة ثم كان صديقه الأول ويده اليمنى فى مغامراته — لقد صاحب سعد الله حياة الأكتم جميعاً . . بل لقد شاهد الحادثة التى جعلت اسمه الأكتم . فى ذلك اليوم السحيق البعد من تاريخها يوم داست الجاموسة على ذراعه وتناوله حلاق الصحة بما زاده سوءاً حتى إذا أدركه الطبيب أصلح ما أمكنه إصلاحه من الذراع المهشم فظل عبد الهادى بعد ذلك بذراع ينثنى ولا يمتد ولم تكتف القرية بهذا الذى أصابه وإنما أطلقت اسم الأكتم فلازمه وظل يكبر معه ومع الأيام حتى اندثر اسمه الأصلى وهو عبد الهادى أبو جراد . وحين كان سعد الله يمازحه .

_ أراك لم تغضب من قول الناس عنك الأكتع.

فكان يقول في ابتسامة خالية من الغضب:

ــ الحقيقة أن اسم الأكتع أحسن عندى من اسمى الأول فسعد الله محق إذن حين يسأل

عن الأكتع ويلح فى السؤال ولم يجد مسعود بدأ آخر الأمر من أن يقول: ـــ لقد كون عصابة وأصبح رئيسها وأظنه يخشى أن يجىء حتى لا تجعل منه مساعداً مرة أخرى.

وتصعق القوم دهشة آخذة حين يجدون سعد الله قد انفجر ضاحكا مقهقهاً لا يتوقف ثم يقول والضحكة مازالت عالقة بالفاظ حديثه:

_ .. لا .. حد الله بيني وبين هذا .. دعوه بأت ، فلن يجد عندي ما يخشاه .

ويفرح الأب بهذه الإجابة تدنيه من الأمل الذى طالما داعبه ، وتهدأ الحيرة فى خاطر راضى ويفرح الأب بهذه الإجابة تدنيه من الأمل الذى عاش ويقول فى نفسه و بركة يا جامع . . ، ويأخذ الجزع بمجامع مسعود فإنه يرى الأمل الذى عاش له طول هذه الفترة يوشك أن يولى ولكنه ما يلبث أن يقول لنفسه يطمئنها لعله ينتوى أمراً جليلا لا يصلح له الأكتع وتوشك نفسه أن تصدقه . ويظل عمد العضل حائراً لا يدرى ما يقصد إليه سعد الله بهذا الحديث الذى يسوقه .

ويأتى الغداء فهو غداء ضخم فخم يتصدره خروف بأكمله ويعود الحديث إلى الضجيج يصاحبه ضجيج آخر من مطالب الطاعمين حتى إذا رفعت الأطباق والصوالى علا فى السهاء صوت الأذان فإذا بسعد الله يصاحب كلهات الأذان .

ــ الله أكبر ... الله أكبر ... هيا يا أبى تقدمنا لنصلى العصر . ويقلب ملىء بالفرح تقدم عبد الصمد وحلجات السرور تهز صوته هزا . ــ الله أكبر الله أكبر

وانتظمت الصفوف من خلفه ولكن مسعود لا يطيق . لم تعد الأيام القادمة تحمل له من المجد الضائع شيئًا فهو ينفتل من باب البيت ويلحق به محمد العضل . . أهذا هو سعد الله ! ها هو ذا يقيم الصلاة شأنه القرية جميعا . . لكم غررت به الأحلام .

شاع أمر سعد الله بين الناس وتسامعت القرى من حوله أنه قد تاب إلى صراط مستقيم وأنه يقيم الصلاة ولا يقبل الحرام . . . وباركوا منه هذه التوبة وفرح هو بجباركتهم وسعت به وبهم الأيام . . عجيب أمر هؤلاء الناس ما له يرى من كان يحييه خائفاً مرحباً قائماً غير جالس قد أصبح اليوم يلقاه في يسر وهدوء وجالساً غير قائم ؟ أتراه اختار طريقا غير جدير به ؟ أين التحايا الهاتفة ؟ أين الترحاب المشرق . . أين الإجلال والإكبار حيث بدا ؟ أين هذا جميعه ؟ بل إن بعضهم قد زاد الهوان هواناً فاصبح يطالب بحقه في رى أرضه قبل أن تروى أرض سعد الله . . وأن بعضهم ليطالب بالجرن قبل أن يدرس قمح سعد الله حاول أن يقول « اختشوا » أو « النار لا تأكل حطبها كله » أو يقول « أنا سعد الله » فلا يرى إلا ابتسامة متهافتة « اختشوا » أو « النار لا تأكل حطبها كله » أو يقول « أنا سعد الله » فلا يرى إلا ابتسامة متهافتة

ووجها مزوراً وحديثا على الشفاه يوشك أن يقول «كان زمان » لولا أن تمسك به بقية من خوف أو بقية من ذكرى

بل إن مسعود لم يعد يأتى إليه فإن مر أحدهما بالآخر فتحية عابرة لا أثر فيها من الماضى الطويل . . . بل الأدهى من ذلك . . محمد العضل الذى أحس فى أول لقاء لها أنه يحمل له إكباراً وتقديساً . . هذا المحمد العضل الهزيل الضامر القمىء ينظر إليه في سخط وكان بينها ثاراً دفينا . هيه يا دنيا . . أهكذا . . ألا بد لى أن أحمل السلاح الصاحب القاتل حتى أنال التبجيل والاحترام ؟ أما يكفى سلاح الإيمان والطيبة ؟ والاسم القديم ألا يكفى ؟ ألا يكفى ؟

تحمل سعد الله هذه الأيام في صبر رَاض نفسه عليه لا يبدو منه غير الصمت ولكنه في دخيلته كان مرجلا يغلي وكان يحس أنه يصبر فيزيده شعوره بأنه يصبر ثورة على ثورته .

وفى يوم صحا سعد الله من نومه فلقيه من أهله وجوم وصمت ، ما لبث أن عوف أسبابه . . . لقد سرقت البهائم في الليل . . جاموسة وثور وبقرة .

لم يكن بين البركان في نفسه وبين أن يثور إلا قشرة رقيقة إن هي انتزعت فهي الثورة الآخذة الماحقة . ولم يكن ما انتزع قشره . وإنما هه ضربة تغور في أعهاق النفس وتغور حتى تصل إلى القاع . . هل قدر لسعد الله أن يقبل هذا؟ لا ودون ذلك الحياة والموت .

لم يتمهل سعد الله فقد طالما تمهل . . . انطلق إلى مسعود

- _ سلاحك عندك؟
 - ــ نعم .
 - ــ هاته واتبعني .

وانسعر سعد الله الهادىء الطيب ليعود سعد الله الجامع الذى لا يقف به أحد أو شيء . . . هو النار . . قتل الأكتم أول ما قتل واسترد بهائمه . . ثم أصبح يقتل الناس ويأخل بهائمهم . . ثم أصبح يأخلها ويردها بعد دفع الفدية عنها . . ومحمد العضل يتسمع هذه الأنباء فتعود نفسه إلى إكبارها لسعد الله ويزداد الإكبار ويزداد . . فقد أصبح يسمع الأحداث ويشهد آثارها . . . وإنه اليوم ليتقرب إلى سعد الله ولكن سعد الله اليوم يشيح عنه في عزة واستكبار . . . وعادت القرية تقف لسعد إن لاح ظله أو شبيه لظله من بعيد ، وعادت الحياة تسقى أرض سعد أول ما يدرس قمح سعد الله أول ما يدرس عاد سعد الله على أروع ما يمكن أن يعود .

وبلغت به الجرأة أنه صار يعلق البندقية على كتفه ويطلب البهائم في رائعة النهار فإذا مقودها في يده ثم ما هي إلا يوم أو بعض يوم حتى تلحق به الفدية .

وفى يوم قصد سعد الله إلى حيث يربط محمد العضل بهائمه وطلب إليه البهائم. وذهل العضل . . . فهو لم يفكر يوما أنه سيكون ضحية لسعد الله . . إنه يجبه ويعجب به ويقدره على أن تكون الضحايا قوما آخرين . . . أما هو . . . إنه لم يتصور هذا فى يوم من الأيام . . . وبفم فاغر من الدهشة وقلب كسير من الحزن أسلمه مقود البهائم . . وعاد إلى أبيه يخبره أن سعد الله يطلب خسين جنيها فدية للجاموسة والبقرة والحجار وثار أبوه ثم خرج يدبر أمره . لم يهتم العضل بالخمسين جنيها وإنما راعه هذا الذى حدث إذن فهذه هى البطولة التى كان يجلم بها . . إذن فتلك هى آماله وأحلامه ومثله العليا . . . يا لضيعة عمره . . . أهذا هو المجد الذى لم يتصوره إلا ويثب اسم سعد الله إلى ذهنه وروحه وقلبه ؟!

عادت البهائم بعد أن دفعت الفدية ولكن نفس سعد الله لم تكن قد شفيت من محمد المعضل الذي ظل فترة طويلة يتجاهله . . . ونفس مسعود أيضا لم تكن قد شفيت من الهوان الذي لقيه خسة عشر عاما على يد متولى العضل . فها هي إلا أيام قلائل أخرى حتى ذهب سعد الله ومسعود إلى محمد العضل وقد أبي سعد الله أن يصحب أحداً آخر من أفراد عصابته فها كان محمد العضل جديراً بغير اثنين وإنها لكثير . . وحين بلغ الاثنان مكان محمد وجدا إلى جواره رجلين آخرين يرقبان جملين لهما يرتعيان فقال سعد الله .

_ لقد تضاعف الصيد.

ودون أن يكلف نفسه عناء استعبال البندقية المعلقة على كتفه تقدم إلى الرجلين وطلب البها أن يسلماه جمليهما ففعلا صامتين . وأمسك مسعود بزمام الجملين وتقدم سعد الله إلى محمد يطلب إليه البهائم ونظر إليه محمد نظرة حسيرة ثائرة . . هذا الهوان الذى لا هوان مثله . . أمرتين في أيام قلائل أيكون هذا إلا تحديا ؟ وقبل أن يجيب ؟ بل وقبل أن يمعن التفكير وجد نفسه يرفع الفاس في ثورة مجنونة ويهوى بها على سعد الله وفي لمحة خاطفة كان واحد من صاحبي الجملين قد هوى على مسعود فجرده من سلاحه ثم انهال عليه ضربا ، ولم تمض ططات حتى كان سعد الله ومسعود خبراً مضى وجئتين يتولى أمرهما النهر الصغير الذى يروى قرية المهدية فيها يروى .

وأدهش القرية هذا الهدوء الذى ران عليها بضعة أيام . . . ثم ما لبثت دهشتها أن زالت يوم أعلن موت سعد الله ومسعود ولكن دهشة أخرى صغيرة كانت تنتظر القرية . . لقد أصبح محمد العضل تقيا لا يترك فرضا أو سنة . . ولاتنى شفتاه عن التمتمة وأصابعه عن تحريك حبات المسبحة . ولو قدر لأحد أن يسمع حديثه إلى الله لما سمع منه إلا استغفر الله . . استغفر الله . . . استغفر الله . . .

طوق حول العنق

« وقرأت خطابها على أمين . . ولم يصدق أمين أذنيه . . أصحيح ما تتلوه عليه زوجته . . أحقاً يتحقق الأمل » .

وكيف لا يحبها فيبلغ حبها أقصى غايات الحب ، وكيف لا تحبه فتفنى فيه وترى الدنيا فلا تراها إلا من خلال عينيه ، تلتقى بالحياة فلا تلتقى بها إلا من خلال نفسه .

إنها هواه القديم الجديد ، إنها هواه الطفل وهواه الفتى وهواه الشاب إنها حياته .

وإنه هوى الأيام الحالية من الطفولة وهوى الأحلام الغريرة من الشباب وإنه هوى المستقبل النشوان الضاحك الحذلان .

تعارفا في المهد وقد جمعت بينها أخوة تجمع بين أميها وصداقة تجمع بين أبويها وتعارفا في ذلك السجن الصغير من الطفولة ، وذلك الملعب الذي تحيط به الأمهات أطفالهن أن تقودهم الحطوات الجاهلة إلى سلم لا يرحم الطفولة أو تقودهم هذه الخطوات إلى مقتنيات في البيت غالية لا ترحها الطفولة القاسية . . . لعبا في ذلك السور الصغير الذي كان يحيط بها ، وما لبث هذا السور أن أصبح حجرة ثم نما معها فكان فناء ثم نما ونما فكان الحياة .

استقبلاها أول أمرهما لهواً ولعبا ونظرة إلى المستقبل مشرقة الابتسام ونظرة إلى الماضى ندية الحنين . لم يخطبها أبوه ولم تخطبها أمه . . . فقد كان زواجه بها أمراً مقرراً معروفا . . الكلام الرسمى فيه يضفى على حقيقته وواقعه شكا وما كان هناك شك كان يعرف أنه سيتزوجها كها يعرف أنه ذاهب إلى كلية الهندسة وكانت تعرف أنها ستتزوجه كها تعرف أنه لابد لكل فتاة أن تتزوج .

وفى انتظار انتهائه من كلية الهندسة انتظمت هى فى كلية الآداب. وقالت فى نفسها سأسبقه فى التخرج بعام، ويكفينى هذا العام لاجهز بيت الزوجية.

وفى هذه الشعاعات الحلوة من الأوهام استقبل كل من العروسين الحبيبين حياته فى الجامعة . وانطلق كلاهما لاهمنا يعدو السنين يدفعه الحب و يجذبه الأمل فها عرفت كلية الهندسة طالبا انتهب علومها فى إقبال ووعى كها كان أمين ، وما عرفت كلية الآداب ، طالبة تقبل على موادها فى إشراق وثقة ونجاح كها كانت وفاء .

ومرت السنوات الأربع قصارا باللقاء النشوان ، والأمل المزدهر . . . طوالا بالأيام المعصيبة من المذاكرة والساعات المفزعة من الامتحانات . مرت السنوات وتخرجت وفاء في كلية الآداب وفرغت إلى تجهيز بيتها وظل أمين يعانى عامه الأخير في كلية الهندسة باذلا أقصى غايات الجهد أن يكون نجاحه خليقا بما يرجوه لنفسه من مستقبل وما يرجوه له حبه من مكان .

ونال أمين شهادته وأصبح معيدا بكلية الهندسة . وكانت وفاء قد انتهت من جهاز البيت . وكانت ليلة أصبح عليها الصباح فإذا الحلم واقع ، وإذا آمال السنين كلها حقيقة يعيشها كلاهما بكل نبضة سعيدة من قلبه وبكل خلجة فرحانة من دمائه .

اجتمعت السنون الماضية جميعها والآمال التي كانت آمالا . والوعود التي كانت وعودا ، والأحلام التي طالما طافت بعيونها الوسنانة الهائمة الراضية الآمنة . . . اجتمعت جميعها فإذا السعادة بعض من أيامها ، وإذا الحياة وقد طالعتها بأيام صافية هي الحلم وهي الأمل وهي الواقع .

وكانت كلية الهندسة قد رشحته لبعثة إلى انجلترا وما هي إلا أشهر قلائل حتى تقررت هذه البعثة وقرر هو وهي أن يذهبا معا فتدرس هي في الأداب ويدرس هو في الهندسة ويرجع كلاهما يحمل شهادة الدكتوراه.

وهكذا شاءت الحياة أن تشغلها بالبعثة عن الملالة التي يجدها السعيد من السعادة فانطلق كل منها يجهز لها في انشغالة فرحان يجتمعان عند الليل أو يتواعدان على لقاء في المحال لهيفا كلاهما أن يفرغا من الشراء قبل يوم السفر.

وكان يوم . . طلبها بالتليفون واتفقا على لقاء . . . وهناك التقيا وفي يدها الورقة التي كتبا يها ما يحتاجان إليه .

وقال أمين :

... هل ما زالت أمامنا أشياء كثيرة ؟

_ أوشكنا ننتهى .

- _ أين تريدين أن نذهب أولا؟
- ـ نذهب إلى الترزى فاليوم موعد البروفة.
- ــ آه فعلا . . . ولكن أخشى أن يعطلنا .
 - _ لا تخف
- _ لنذهب أولا للشراء ثم نذهب إليه قبل الرُّواح .
 - _ ما تشاء .

ولم يذهب أمين ووفاء إلى الترزى بل ولم يذهبا للشراء وإنما قادته إلى سيارة للاجرة أنزلتهما عند باب البيت وقادت خطواته إلى حجرة نومه . ملهوفة جازعة فها استقر بها المقام حتى كانت يدها على التليفون تستدعى كل من تعرفه من الأطباء .

عمى . . . عَمَى كامل . . . ولا أمل فى الابصار . لم تكن عبثاً هذه السعادة الطويلة فقد كانت الأيام حُبالى عن مستقبل شائه أسود مقبت ، عَمَى . . . وهو المهندس . . . ماذا يصلح للدنيا بعد اليوم . . . لا شيء . . . لا شيء إلا هذا الكرسي وذلك الفراش وذلك الطعام الذي يلقى في جوفه لا يعرف لونه إلا بالذكرى . . . لا شيء إلا آلة خربة تدور واقفة فلا تغنى فإنها لا تغنى إلا إذا تحركت ورأت . . . لا شيء إلا ظلام يراه وظلام في مستقبله . . . لا شيء .

أيَعمى أمين . . . زوجى فديته . . . بعينى . . . بحياتى وبأغلى من العين والحياة . إن كان هناك أغلى من العين والحياة .

وهل ينفع الأسي أوينفع الفداء . . . هيهات .

مرت الأيام سوداء قاتمة السواد لا وميض فيها من الأمل إلا هذه الخطابات التي راح أمين عليها على زوجته إلى جميع الأطباء العالميين يشرح لهم حالته شرحاً دقيقاً مفصلا مستعينا بالأطباء الذين حملوا إليه نبأ الفاجعة ، وعاد البريد بالإجابات فكانت وفاء تقرأها وحدها وكانت وفاء تحرقها وحدها فقد كانت جميعها تحمل حريق الأمال ، وكان أمين يسأل وكانت تجيبه أن الرد على الخطابات لم يأت بعد فيتردد أمله بين اليأس والرجاء وتذوى هي وحدها في وهدة اليأس .

ثم جاء خطاب من لندن . . . أن عملية يمكن أن تتم لهذه الحالة لو تبرع له شخص بإحدى عينيه . وفي حزم مستقر ويد ثابتة كتبت وفاء خطابا آخر . . . إن عملية يمكن أن تتم إذا جاءت هذه الحالة إلى لندن حيث يمكن العثور على عين سليمة من بنك العيون .

وقرأت خطابها على أمين . ولم يصدق أمين أذنيه . . أصحيح ما تتلوه عليه زوجته . . . أحقا يتحقق الأمل . . . فها هذه النبرة الواجفة الحزينة التي شاعت في صوت وفاء فلم تستطع أن تتغلب عليها بمظاهرة الفرح التي قدمت بها للخطاب التي قرأته بها . . . كانت البعثة للدكتوراه فلتكن بعثة للحياة ... وللدكتوراه أيضاً ... ولم لا ياوفاء ... إذا نجحت العملية ... إذا نجحت ... نحقق آمالنا ... وفاء ... لم لا ... فيم أنت مفكرة ياوفاء ... وفاء ... واستطاعت وفاء أن تصحو مما تفكر فيه لتقول له في نبرة تترجح بين الأسى ومحاولة الفرح:

- To ... is an ... ed K.

وسافراً يداً تمسك بدأ ، وقلبا واجفا يهدى قلبا واجفا ، وأملا حزينا خائفا يقود أملا سعيدا خائفا . . . سافرا .

وتمت العملية ، بل تمت العمليتان . . . انتزعت عين مليئة بالحياة من وجه وفاء ووضعت مكانها عين مليئة بالحياة موات . . . وانتزعت عين جامدة موات من وجه أمين ووضعت مكانها عين مليئة بالحياة هي عين زوجته أطل منها إلى الحياة . . .

فداك عيناى أمين . . . أما كنت أرى الدنيا فلا أراها إلا من خلال عينيك . . . وفداك نفسى أمين أما كنت التقى بها إلا من خلال نفسك . . . فداك أمين فداك .

ورأى أمين . . . رأى الحياة مرة أخرى ، وهتك هذا الستار الذى أسدله عهاه بينه وبين الدنيا وقد كان أعظم ما يكون إقبالا عليها . . . رأى ورأى إلى نفسه في المرآة . . . فأما عينه الدنيا وقد كان أعظم ما يكون إقبالا عليها . . . رأى ورأى إلى نفسه في المرآة . . . فها كان بها من عيب إلا أنها لا ترى . . . وفاء . . . إني إني أرى . . . وفاء . . . إني بال أنها لا ترى . . . ونظر إليها ثانية . . . وثالثة . . . ثم حدق . . . ، وأطال التحديق أطرقت وفاء فرفع وجهها إليه فرأى الدموع تسيل ورأى عينا حمراء من أثر الدموع وعينا جامدة . . . وفاء . . . وفي صرخة أطلقها الحوف والحب والشعور بالتضحية التي بذلتها له عرف كل شيء . . . أهذه عينك التي أرى بها . . . وفاء . . . ودون أن يبالي بأوامر الأطباء ، أو يجاذر على الأمل الذى انفسح أمامه انتفض من سريره وركع تحت أقدامها يقبل أقدامها . . . بل يقبل خذاءها .

_ أصبحت بعين واحدة ياأمين .

_ أحب عينك التي لا ترى أكثر من حبى لعينك التي ترى . . بل أكثر من حبى لعيني التي ترى . . . وفاء . . . وبكى وبكى . . . وقالت وفاء :

ـ لقد وهبت لك عيني فاحرص عليها ولا تضع عيني عبثا.

ورنّت الكلمة في أذنه واستقام معناها في عقله فامتثل أمرها وأطاع أوامر الأطباء . . . ونجحت العملية وخرج إلى الحياة .

وعاد الزوجان إلى أملهما القديم من الدكتوراه. وانتظم كل منهما في عمله.

وتعود أمين أن يرى زوجته بعين ترى وبأخرى جامدة . وتعود أن يرى حبها له فى عين حين يرى عينها الأخرى باردة خامدة لا حب فيها ولا مشاعر ولا حياة . . . ويكاد يضيق ثم يذكر أنه لولا هذه العين ما رأى حبا ولا حياة ، وأنه لولا هذه العين لظلت عينا وفاء لها تنظران إليه بإشفاق ما أبغضه . . . سواء رآه أو لم يره . ثم يحس خليطا من المشاعر بعضها ساخط لأن زوجته لا ترى بغير عين واحدة ، ويعضها ثائر لأن تضحية زوجته من أجله لا سبيل إلى ردها أو شكرانها ، ويعضها ضائق لأنها بتضحيتها قد أحاطت عنقه بمثل طوق الكلب الوفى لا يستطيع عن سيده فكاكا وبعضها خزيان لأنه يسمح لهذه الأفكار أن تمر بخاطره .

والح عليه شعوره بأنه كلب يدين بالوفاء لزوجته ... وكان هذا الشعور لا يبارحه بل هو يطالعه حتى وهو في دراسته ... وكثيرا ما فكر أن يتحرر منه ثم ما يلبث أن يعود إليه مرغها كارها . وكانت سكرتيرة الكلية التي يعمل بها فتاة في ريق العمر ... وكانت ترى بعينيها كلتيهها ... وكانت عيناها جميلتين تفيضان بالحياة وبالجرأة ... وكانت بينهها صداقة ... واستطاعت الصداقة أن تتطور في يوم من الأيام إلى موعد . أول موعد يعقده أمين مع فتاة أخرى غير وفاء .

عاد أمين إلى البيت ولم تكن وفاء به ووضع على نفسه أنفس ما يملكه من ثياب وتأنق فبالغ في التأنق ونظر إلى المرآه فطالعه وجهه جميلا وطالعته قامته ممشوقة ونسى أنه ينظر بعين وفاء ولم يعد يذكر إلا أنه يرى مشاعر تنبعث من عينين معا لا من عين واحدة وإلا أنه يريد ألا يصبح كلبا . . . وملأه الزهو بشبابه وجماله ونزل إلى الطريق وسارها خطوات . . . خطوات قليلة ثم أراد أن يعبر الشارع في زهوه ما يزال فإذا سيارة في الطريق تغول الطريق في سرعة نافلة تندفع أراد أن يعبر الشارع في زهوه ما يزال فإذا سيارة في الطريق تغول الطريق في سرعة نافلة تندفع أن يوت فإذا هو على الطوار الأخر لم تمس منه السيارة إلا طرف حداثه . . . الحمد الله . . . ماذا لو كانت هذه السيارة قادمة من الجهة الأخرى . . . الجهة التي لا تبصر . . . بل ماذا لو لم تكن لى عين وهبتها لى زوجتى . . . زوجتى الحبيبة وفاء . . . وفاء التي لا ترى إلا بين واحدة الأخرى هى التي أنقذتني الآن ، . . . يالى من كلب .

وظل واقفا على الطوار حاثرا خزيانا ثاثرا يضع أصبعه بين ياقة قميصه وبين عنقه . . . إن الطوق ما يزال حول عنقه .



Constitue Constitue of the Constitue of

دواليوم عاد الربيع . . هكذا يقول الوقت ولكن أين الربيع مع الحوف . . . أين الربيع » .

أهلا ربيع . . . جئت فى موعدك لم تستطع قوة أن تدفعك عن أن تعود فى موعدك ، جئت لم تتأخر وما كان لك أن تتقدم ، جئت وقال الناس جاء الربيع ، لفظة تحركت بها ألسنتهم ثم استكانت الألسنة وانطبقت الشفاه على الشفاه وهوم حول الناس صمت وانقطع حديث وتطلعت العيون إلى فراغ حولها يملأه وما حاولت أذن أن تحتد فالناس ، كل الناس وأنا منهم يعلمون أن ليس فى الأجواء موسيقاك ، ولا نظر الناس يبحثون عن آثارك ، فليست هناك الأزاهير والورود ، لا ولا هناك المدى الأخضر المنسط مثل كف طيبة حنون ، وليس فى الماء صفاؤك ولا فى الجو أنسامك ، بل إن العبق الذى كان ينتشر مع بحيثك تخلف اليوم عنك فها فى الجو من عبق شذاك شدى .

أين أنت إذن أيها الربيع ؟ أين أنت ؟ ألم تعد إلا موعدا يحل وموعدا ينقضى ؟ فهل أنت إذن الربيع ؟ أين الجهال في موكبك أين البهجة التي كانت تسير في ركابك ؟ أين البدع الذي كان صديقا لمقدمك ؟

أين أنت في نفوسنا ؟؟ . . أين هذا السرور الذي نحس به قبل أن نحس بك يدب في خوافي خلجاتنا دبيبا وإني الخطو واضح الأثر ، يتمشى في هدوء ولكن في نشوة . . أيها الربيع هل جئت حقا ؟ نعم لقد جئت فهذا موحدك وما أحسب إلا أنني أقسو عليك قسوة منتظر لموعد أخلفه صاحبه ، أو قسوة من ينتظر الخير فلا يجده ، وإنني لأعلم أنك براء من كل تهمة ألصقها

بك ، فيا ذنبك أيها المسكين في موسيقي تخلفت عن مواكبك وجمال انحسر عن رفقتك وعبق صدف عن مسيرك . . لا ، لا ذنب لك في هذا ولا جريرة ، إنما نحن البشر . . لكم أسخر من نفسي حين أضم نفسي في البشرية إلى هؤلاء الذين وقفوا دون رفقتك فصدوهم عن المجيء وما أنا ؟ شخص يعيش على هامش الدنيا لا تحس به الدنيا وتجتمع في نفسي كل أحزان الدنيا وآلام البشر . ولكن ما ذنبي ؟ يلهو كنيدى هناك في الضفة الأخرى من العالم أو يعبث خروشوف ينصبان خروشوف هناك في عالم آخر لا أدرى من أمره شيئا ، فإذا لهو كنيدى وعبث خروشوف ينصبان على أنا . . أنا هنا في مصر فالرعب يملاً قلبي ونفسي ومشاعرى فلا أرى من الربيع إلا تاريخه معلقا على صفحة ملصوقة بجدار .

لعلك أيها الربيع قد جئت ومعك هذه الرفقة التى تعودنا أن ترافقك كليا جئت ولكن أنا ... أنا لا أحس شيئا منك ، وما لى أنا إذن كانت موسيقاك معك مادمت لا أسمعها أو كان جالك فى ركابك مادمت لا أراه أو كان العبق منك ينتشر شذاه مادمت لا أشمه وكيف لى أن أحس بشىء من هذا وأنا خائف إن خلا قلبى من الخوف فليتح للغضب الثائر تصبه على أحس بشىء من هذا وأنا خائف إن خلا قلبى من الخوف فليتح للغضب الثائر تصبه على زوجتى ... زوجتى المقيمة ببيت يضل عنه الهواء ، وتتعثر دونه الشمس فى زقاق متفرع عن حارة صادرة عن شارع نابت عن طريق عام بحى اسمه باب الشعرية .

زوجتى هذه آفتها قراءة الجرائد وقد انصبت هذه الأفة على حياتى أنا تنغصها ، فأنا من حياتى هذه فى إظلام الظلام أعظم منه إشراقا . زوجتى خدوجة بنت الشيخ عبد الصمد تعلمت القراءة على يد أبيها فى الكتاب وشقيت أنا بما تعلمت وبما تقرأ . زوجتى خدوجة بنت الشيخ عبد الصمد تتابع كنيدى واجتهاعاته وخروشوف وأحاديثه فإن اختلفا — وهما لا يتفقان — فنهادى أسود من الحبر ، والحرب تقوم فى بيتى متوقعة الحرب فى العالم ، وويل لى من خدوجة وويل لى من خروشوف . يا لسخرية الحديث ، جاء الزمن وأصبحت خدوجة توضع مع ساسة العالم . . العالم جميعه . . البشرية برمتها ، خدوجة . . خدوجة عبد الصمد توضع معهم جملة واحدة وسبحان اللى يغير ولا يتغير . ترى هل أحس كنيدى إذا ما دعا لحديث صحفى أو أحس خروشوف فى تفكيره السياسى ، هل أحس واحد واحد منها أن الصمد تسود عيشة زوجها ، بل وعيشة أولادها أيضا تبعا لركاب كل واحد منها .

ما هذا العالم العجيب؟! كيف يتاح لفردين مثلى لا يزيد واحد منهما عنى شيئا فكل منهما يأكل ويشرب ويمرض ويقطع طريقه إلى الموت ويقع فى الحطأ أكثر مما يصادف من الصواب، كيف يتاح لهذين . . . وحدهما أن يؤثرا فى حياتنا كل هذا التأثير؟! كيف استطاعا أن يدخلا إلى بيتى . . بيتى المنزوى عن البشرية ، المستخفى وراء الأزقة والحوارى والبيوت وبقايا البيوت بل والحرابات كيف استطاعا أن يدخلا إليه ويسيطرا عليه ويتحكما فى مصائر من به؟! بل كيف

استطاعا أن يجعلا موسيقى الربيع قصفا من القنابل وزهر الربيع دماء من الجراح ، وجمال الربيع رعبا من الغد وهلعا من المستقبل ؟! من أعطاهما هذا الحق من حوله لهما ؟! أنا لم أنتخب كنيدى ولم أشارك فى اختيار خروشوف ، فلهاذا يمنعان عنى الربيع ؟! ولماذا يثيران بيتى على فهو جحيم لا أطيقه ولا أجد لى ملجاً غيره ؟!

هانذا في الطريق العام ، لا أستطيع أن أعود إلى البيت والبركة في كنيدى وخروشوف وأزمة ألمانية الشرقية وألمانيا الغربية . . أيصدق هذا أحديا عالم ؟! أهذا معقول ما لى أنا ولألمانيا ولكنيدى ولخروشوف ؟! هل قلت لهما اختلفا ؟! زوجتى بناقب نظرها تريدنا أن نهاجر إلى بيت أبيها في الريف ، تريد ابنى الأكبر أن يترك الكلية الحربية ، وابنى الأصغر أن يترك كلية الطب وهذه الرغبات جميعها على أنا وحدى أن أنفذها مضافاً إليها مطلب آخر بسيط . . أن أترك وظيفتى في القاهرة . . نعم تلك حالها منذ الحرب العالمية الثانية .

أحاول أن ألعب أى شيء مما يلعبون ولكن أين لى بأرواحهم تصفو للعب وأين لى بروحى أنا تصفو للعب ، هلع يحيط بى . . هلع يحيط بى . . هلع يحيط بى فقد هلع يحيط بى في البيت وفى المقهى ، ولا أحب الوحدة ، وأخشى نفسى إذا انفردت بى فقد تعودت أن تخلق من الحديث ما يملؤنى رعباً أو ما يملؤنى ضيقاً .

واليوم عاد الربيع . . هكذا يقول الوقت ولكن أين الربيع مع الخوف ؟! أين الربيع ؟! ويل لهؤلاء الزعاء . . كيف استطاعوا أن يحطموا الربيع . . . الربيع ؟! يحطمون الربيع . وبيق ؟! وبيق ؟!

كم أحب الجلوس إلى ولدى . . كلاهما شاب في بواكير الشباب الأولى . أريد أن اتمتع بها . . بنظرتها إلى المستقبل ، ويحديتها عها ينتظران من الحياة . . ولكن ما لهما صاميتن يرنون إلى الحياة بعين ذاهلة . . . جاهلة . . . نعم . . . أعلم . . لقد تدخل كنيدى وخروشوف في حياتها هما أيضا . . ماذا ينتظران من غدهما . الهما غد . . ويلى أين أذهب . . مالى ولهذا جميعه . . أريد أن أترك هذا جميعا وأريد أن أرى الربيع أليس في مصر . . مصر جنة الله في الأرض . . ربيع . . أين أجد الربيع . . ؟ . . في النيل أبي الدنيا وأعظم ما جرى فيها من أنهار . . أصل الحضارات وأولها وقبرها . . النيل الضخم العريض الطويل . . أما أجد حوله ربيعا . . ظلا من الربيع . . إن لم يكن إلى ربيع سبيل ويل للنيل . . الطويل . . أما أجد حوله ربيعا . . ظلا من الربيع . . إن لم يكن إلى ربيع سبيل ويل للنيل . . ما له يجرى هكذا صامتا . . أين الضحك في موجاته ، أين الربيع في رقراق مائه . . أين النيل ؟!

أترى أجد الربيع في الحديقة . . أية حديقة . . حديقة من حدائق القاهرة الكثيرة البهيجة المترامية الأطراف . . لا ربيع هناك . . !

ويلى لم أكن فيها مضى من سنوات أبحث عن الربيع بل كان هو من يبحث عنى ، وكان دائها يجدنى . . لا . . لا ربيع . . ومع ذلك فهناك فى بيتى ورقة معلقة على الحائط تقول حل الربيع . . فأين الربيع . . ؟؟

ترى ماذا تفعلين الآن يا خدوجة ؟ . . ماذا تراك تفعلين . أنت بجوار الراديو كشأنك دائها تتصيدين الأنباء لتذكى بها الرعب فى نفسك . . وكأن ما بنفسك من رعب لا يكفيك . ألا يكفيك ما فعلت من تشريد زوجك لا يعود إلى البيت أو تنامى ، وتشتيت ولديك يجاهد كل منهها أن يترك البيت ما أمكنته الفرصة . . وأنت أنت تتابعين خروشوف وكنيدى وتتكهنين وترين المستقبل وليس فيه إلا الحرب . . رحمك يارب .

أين أذهب الآن ؟ ضاقت بى الطرق . . تمنيت أن أجد الربيع فى الطريق العام فلم أجد الربيع وفقدت نفسى ولم أجد إلا خوفى . . خوفى الذى لا يتركنى وكرهى أن أعود إلى الست . ومالى من سبيل غير العودة إلى البيت .

أتراى أجد أحدا من ولدى قد عاد . . أتراى أستطيع أن أجلس إلى واحد منها بعض الوقت . . أريد أن أجلس إلى واحد من ولدى . . ها هو ذا النور ينبعث من منزلى . . إنه نور خافت لا إشراق فيه . . نور المصباح الذى تضعه زوجتى على الراديو . . إذن فهى وحدها . . حسبى الله ونعم الوكيل . . لا بد أن أدخل لقد تعبت قدماى . . نعم أعرف أول سؤال ستقوله . . أعرفه . . أعرفه هل أحضرت جريدة بعد الظهر . . ! لا يمكن إلا أن تسأل هذا السؤال . . هيه . . . بسم الله الرحمن الرحيم . . ها هى ذى قد سألت سؤالها . . . هل

أحضرت جريدة بعد الظهر؟ . . يارب . . . يارب . . . أنت وحدك من تستطيع إنقاذي من

کنیدی وخروشوف . . . و . . . خدوجة . . .



ولدى .. ألا تعود

« وماذا يهمني من أمره مادمت أنت لى ويداك الصغيرتان تعرفان طريقها إلى وجهى ولسانك المضطرب الصغير يعرف طريقه إلى قلبى » .

ولدى . . لماذا يا ولدى . . لماذا . . أنت كل شيء في حراق ، وليس في حياق معنى أعيش له وبه إلا أنت ، أنت كذلك منذ عرفتك ، ومنذ عرفت أنت الحياة فقد جئت إلى يا بنى وأنا أضيق بحياق مع أبيك ، فقد تزوجته على غير رغبة منى . . أنت تعلم ذلك — نعم تعلمه . . لقد أخبرتك بقصة زواجي من أبيك ، نعم وكنت تضيق بها وأرى ضيقك في عينيك كليا أعدت عليك القصة ولكن لماذا تضيق ؟ . . ولمن أقول إن لم أقل لك ؟ وعلى من أعيد قولى إن لم أعده عليك ؟ حملتك تسعة أشهر وحملت عبئك اثنين وعشرين عاما وخمسة أشهر ، ألا تحتمل أنت في مقابل هذا الكثير الذي بذلته وأبذله لك أن تستمع إلى أكرر قصة يريحني أن أكررها .

أخبرنى بربك . . أكنت تضيق بهذه القصة لو كانت ميرفت هى التى ترويها لك وتكرر روايتها . . لا أظن . قد رأيتك وهى جالسة أمامك تتحدث - وعلى فكرة - هى لا تجيد الحديث ، ورأيتك أنت تستمع لحديثها بعينيك ووجهك وكل ومضة فى جبينك ، وكل ابتسامة على فمك . . لكم كرهت ميرفت وهى ابنة أختى ، بل لكم كرهت أختى لماذا تنال منك ما لا أستطيع أن أنال ؟ أنا التى لم أعرف حياتى إلا يوم عرفتك ، والتى لا أعرف لحياتى معنى إلا بك . فقد تزوجت أباك كها قلت لك وأنا لا أحبه فقد كان أبى يعمل فى وزارة المالية وكان يتوق الى زواجى بأى إنسان . فكان أباك . كان زميلا له فى المكتب وقد رقى بعد عامين رئيسا لأبى

وقد كان أبي يكبره بسنوات وسنوات وكانت حجة الحكومة فى تعيين أبيك رئيساً لأبي حجة عجيبة تدعو للدهشة . فقد قبل يومذاك إن أباك حاصل على الشهادة العالية فى حين لم يكن أبي حاصل إلا على الإبتدائية . ولعل هذا كان صحيحاً ولكن الحكومة نسيت فى ذلك الحين أن الإبتدائية التى حصل عليها أهم بكثير من الشهادات العالية مها تكن عالية . ولكن الحكومة أرادت أن أتزوج من أبيك فجعلته رئيساً له .

وفى يوم اجتمع أبى وأمى ليجهزا لزواج أختى — خالتك — وكان أبى يرى أن الظروف المالية تقتضى أن يقتصر الزواج على الزواج وحده بغير شيء حوله ولكن أمى وقد كانت قوية الحجة بارعة فى التأثير على أبى أصرت على الفرح . وما أقرب الحجة إليها . أول فرح يدخل بيتى . أول ابنة نزوجها إن لم نفرح بها ولها فبمن نفرح ولمن . . وتقرر الفرح . وتقرر معه أن نشترى فساتين جديدة لى ولأمى واشتريت الفستان ، كنت أفكر فى هذا الفستان كثيرا قبل موعد الفرح ، حتى إننى لم أكن محتاجة للبحث حين أخذت أمى ثمن الملابس من أبى . كنت أعرف المكان وأعرف ما أريد واشتريته . يا ليتك رأيتني يومذاك . لا تقل ميرفت ولا غير ميرفت .

جمال طبيعى لا يحتاج إلى يد تصنعه ، شعر مرسل وعينان واسعتان وفم صغير أحمر ودماء في وجنتي تزرى بأحمر هذه الأيام الباهت . وشباب وفرح . جمال لم تعرفوه أنتم يا أبناء هذه الأيام . حتى إنني — وهذا سر بيننا — خشيت أن تغار منى أختى وهى العروس ، بل إنه يخيل إلى . وهذا أيضاً بيننا . إنها فعلا كانت تغار منى ، فكنت اختفى عن عينيها كلما تلاقينا أثناء الفرح . ولكن ماذا كان بيدى أن أفعل . كانت العيون جميعها مصوبة إلى لا تريد أن ترتفع عنى ، حتى لقد كنت أريد أن أفعل . كانت العيون جميعها مصوبة إلى لا تريد أن ترتفع كنت واثقة أننى مهما أقل لهم فلن يفيد قولى شيئاً . كانوا يا حسن يا ابنى مشدودين إلى بعيونهم كأنما هو السحر . كلام بيننا ، كنت فرحة بهذا الاهتمام وكنت زعلانة في الوقت نفسه أن تغضب خالتك ، ولكن ما يهم . لقد كانت آخر ليلة لها معى فقد كانت في طريقها إلى بيت زوجها . وكنت أحسب في ذلك اليوم أنه ليس في العالم شخص يستحق هذا الجمال الذي كنت عليه

كان أبوك طبعاً ضمن المدعوين . ورآنى فى ذلك اليوم ، الفستان الجديد فى لونه الزاهى الخاطف للعيون والشباب يملأ الحياة من حولى والعيون كأنما هى جزء من تفصيلة الفستان لا تنفصل عنه . أحبنى . . لم أحس به فى ذلك اليوم . إلا أننى اضطررت أن أقدم إليه الشربات تنفيذا لأوامر والدى ، وكان شكله . . ماذا أقول ؟ أخاف أن أقول لك إنه لم يكن جيلا فتظن أن ذلك ليس صحيحا ، أو أننى أقوله لأنه هجرنى قبل موته ، ولكن هذه هى الحقيقة . لم يكن جميلا — أعجبك قولى أم لم يعجبك — فأنت دائها تغضب كلها ذكرت أباك بمالا يُرضى حبك له . . . قل لى . . . لماذا تحبه ؟ النهاية ، أنت دائها ناكر للجميل ، وهل أدل

على ذلك من تركك لى الآن . لم أحب أباك في النظرة الأولى . وقد كانت الطامة الكبرى حين جاء أبي في اليوم التالي وهو لا يستطيع أن يتمالك نفسه من الفرح وأخبرني أن أباك خطبني لم يكن رفضي ذا قيمة . وتزوجت أباك . ولم أعرف الفرح في يوم فرحي ولم أعرفه في الأيام التالية . كنت أعتقد أنني أستحق من هو خير من أبيك أعلم أنك ستقول في نفسك الآن كما كنت تقول دائها ليس هناك خير من أبي . نعم كنت دائها تقاطعني بهذه الجملة التقليدية كلها بلغت من حكايتي إلى هذا الموضع . ولكن ماذا يهم رأيك ؟ إن رأيي أنا هو المهم ، أنا التي عاشرته وتزوجته فلم أر منه يوما أحكى عنه . لم يقل يوما كلمة تشرح قلبي ، أجمل نفسي ما وسعني الجهد فلا يقول إلا كلمة عابرة (أنت حلوة من غير نجميل) ويسكت أو يتكلم في موضوعات أخرى . كنت أرى جمالي في المرآة ولا أجد منه ما يؤكد رأيي في نفسي . ولكن حين كان يجد تقصيرا مني في شئون البيت كان يغضب كل الغضب ويتهمني بأنى لا أهتم بغير جمالي ولو كان يفهم - لا تغضب - لعلم أن جمالي هذا شيء عظيم يستحق كل ما كنت أبذله للمحافظة عليه . كانت حياتي جحيها حتى جئت أنت فعرفتُ الحياة يوم جئت أنت . كم كنت أحبك وكم أحبك . أذكرك ويداك الصغيرتان على وجهى ولسانك يشوه الحروف ويجمُّلها وتقول في براءة (إنت حلوه . . حلوه حلوه يا ماما ، كنت حيال . حتى لم بعد يهمني غضب أبيك في كثير أو قليل . وماذا يهمني من أمره مادمت أنت لي ويداك الصغيرتان تعرفان طريقهما إلى وجهي ولسانك المضطرب الصغير يعرف طريقه إلى قلبي . . أفرغت فيك حبي جميعاً . . حبي كله ، حب الطفولة في أحلامها الباكرة الغريرة وحب الشباب في أوهامه المجنونة ، وحب الماضي الذي أدخرته ولم أجد من أقدمه له ، وحب المستقبل الذي كنت أفكر فيه فترتاح نفسي من ضوضاء أبيك وشجاره . وأردتك لي ، لي وحدى لا يشاركني فيك أحد . كم كنت أحسد مريم العذراء لأنها أنجبت المسيح بغير أب وكم كنت أرجو في وهمي وأنت بين يدى ووجهي بين يديك لو كنتُ مثل المسيح بلا أب أنت أيضاً .

وحين ذهبت إلى المدرسة . كان أبوك يريد أن تذهب ماشياً شأنك شأن الطلبة جميعاً ولكنى رفضت وأصررت على أن تأى إليك عربة كل يوم لتذهب بك إلى المدرسة . وبجاءت العربة . وجاءت العربة وبحثتنى تبكى لأمنع العربة وأجعلك مثل إخوانك لأنهم يسخرون منك ومن هذه العربة ولكنى كنت أعلم أنك صغير لا تعرف مصلحة نفسك نعم لم أقبل رجاءك في هذا اليوم . فقد كنت أخشى عليك عوادى الطريق . وكان لابد لى أن أكون أنا عقلك مادمت لم تعد بعد ذا عقل يعرف الخير لك . وكان هذا السبب نفسه هو الذى جعلنى أرفض أن تخرج في رحلات مع الطلبة ، كيف كان يمكن أن أتركك إلى حيث لا أدرى ، لقد ذهبت إلى المدرسة لأنى لم أكن أستطيع أن أستطيع أن أشبله مها تكن الدموع التي تسيل منك غزيرة كبيرة .

اسمع يا حسن لقد كان أبوك يغار منك ولهذا كان يريدك أن تبتعد عنى ما وسعه الجهد . لهذا كان يريدك أن تنجب إلى الرحلات ولهذا كان يريدك أن تخرج لتلعب مع من كان يسميهم أصدقاءك ولهذا كان يحاول أن يُوقع بينى وبينك حين نذهب لنشترى ملابس فكان يريدك أنت أن تختار ويمنعنى أنا أن أختار لك فقد كان لابد لى أن أكون أنا ذوقك مادمت لم تعد ذا ذوق يعرف الجميل اللائق بك .

ولما أعيت أباك الحيل تركني . نعم تركني لأني كنت أحبك ولم أكن أحبه . ولما تزوج هذه المرأة التي تزوجها أراد أن يغيظني ولكن ماذا يهمني من أمره مادمت أنت قد بقيت لي .

وظللت طوال أيام دراستك ، أنا التي أعد لك مأكلك وأنا التي أشترى لك ملابسك وأنا التي أختارها — وأنت تعرف ذوقي — وأنا التي لا أتركك وحدك أبداً حتى في المذاكرة . نعم . . لم أكن أقبل أن تذهب إلى أحد لتذاكر معه . وحتى حين كان أصدقاؤك يأتون إليك ليذاكروا معك كنت أحاول أن أكون معكم طول الوقت ، ولا أدرى لماذا كف أصدقاؤك في الأيام الأخيرة من دراستك أن بحضروا إلى البيت ؟ الشيء الوحيد الذي لم أستطع أن أثنيك عنه هو إصرارك على المدخول إلى الجامعة في حين كنت أنا قد أعددت لك وظيفة بالبكالوريا ساعدتني على تهيئتها لك صديقة العمر تفيدة . ولكنك أصررت وكنت أعلم أنك ستدخل إلى الجامعة سواء رضيت أنا أو لم أرض فأبوك في ذلك الحين كان قد مات وأصبح المجلس الحسبي هو أبوك الجديد ، وكنت أعلم أن أباك هذا الجديد سيؤيدك فيها تريد فقبلت على مضض ولكن لعلك اليوم ترى أنني كنت على صواب فلو كنت قبلت الوظيفة لكنت اليوم متزوجا من زهيرة ليلة تفيدة وكنت موظفاً مهها ولكنك ركبت رأسك فسكت وتزوجت زهيرة . الفتاة الوحيدة التي البة تفيدة وكنت موظفاً مهها ولكنك ربيتها على يدى ، وكنت تقول إنها لا تعجبك ولكني كنت أحب أن تتزوجها فهي مثلك ربيتها على يدى ، وكنت تقول إنها لا تعجبك ولكني كنت ألف ستقبل الزواج بها أخيراً .

المهم . ما فات فات فقد دخلت إلى الجامعة وحصلت على ليسانس الأداب كها كنت تحب ولكنى رأيت منك بعد ذلك عجبا ، فأنت تحب أن تخرج من البيت وتحب أن تذهب إلى بيت خالتك وأتممت المصيبة بأن طلبت منى أن أخطب لك ميرفت ابنة خالتك . أتظن أننى أرضى لك هذا ؟ قلت لك لا . ورحت أبحث ولكنك فجأة ودون أن أعرف سببا تركت البيت ولم تعد . . لماذا ؟ .

ماذا فعلت أنا حتى تتركنى . . أى أم فى العالم كانت تفعل لابنها ما فعلته أنا لك . لقد حملت عنك عبء الحياة جميعا ولو كان فى استطاعتى أن أذاكر بدلا منك لذاكرت عنك ولكنك كأبيك تجحد المعروف وتنكر ما حباك الله به من نعم ، فلو كان يعلم أى زوجة يضمها بيته ما ترك بيته وتزوج غيرى ولو كنت تعلم أى أم متفانية أنا لما فعلت ما فعلت . ماذا فعلت لا أظن . فأنا أعلم أن أمها لن تقبل أن تزوجك حتى تتركنى ماذا فعلت ؟ أمن أجل ميرفت ؟ لا أظن . فأنا أعلم أن أمها لن تقبل أن تزوجك

بها إلا إذا وافقت أنا وأنا لن أوافق بل إن أمها حين علمت برفضى أقسمت ألا تزوجها لك على أية حال ، فهادام الأمل فى زواجك منها قد انقطع فلهاذا تتركنى ؟ ومن يرعى شأنك اليوم من يختار لك ملابسك فى الصباح ومن التى تستطيع أن تعرف أى لون من أربطة الرقبة يتفق مع الحلة التى ترتديها ؟ بل من سيشترى ملابسك ومن سيعد طعامك ويصنع لك من الأصناف ما تحب ، ومن ؟ ومن ؟ ولدى عد إلى . . فأنا وحدى فى هذا العالم أنا التى لا ترى العالم إلا أنت . . حسن . . هل تعود ؟



انتظام

د ويتركد الأطباء ليختلوا بأنفسهم وطبهم وليصدروا القرار المهائي علي يده ، ؟ يدى . . ماذا فعلت يدى . . إن آخر ما فعلته يدي هو تسلم هذا المبلغ ، .

كان مفيد في عبجلة من أمره فهو لا يطيق هذه الفترة من الانتظار التي أرغمه عليها الدكتور عبد الوهاب العجلان رئيس بجلسي إدارة المشركة الهندسية الفنية . . وكم قفر مفيد من كوسيه يريد أن يعود إلى الموجد الأخر الذي ينتظره في مكتبه ولكيته يذكر المبلغ الذي سيجنيه من لقائه بالمدكتور عبد الوهاب فيعود إلى كرسيه في إذعان مكره وهدوء محتاج . . وقر الدقائق وتتكرر الفارية ويتكرر الإذعان ثم الهدوء , نعم إن الموحد الذي ينتظره في مكتبه ذو ربح هو الأخر ولكن أين الربح الفريق من ربح الشركات ؟ وأى الشركات ؟ الشركة المندسية الفنية ؟ لا , . . لا سبيل إلى القيام ولا إلى الغضب ولا سبيل أيضاً إلى الخروج . . . عجب أمر الناس هائذا في مكتب مفتح الأبواب وليس بيني وبين الخروج إلا أن أخطو فإذا أنا خارج الفرقة فأتخلص من هذا الضيق الذي أحسه في الانتظار وأذهب إلى حيث أريد وأثار لكرامتي الفي أحس دقائق الانتظار وكأنها لمخناجر تتوالي عليها فتنزف كرامتي وتنزف . . . ولكني هل بقي من كرامتي دماء ؟ لكم المتظرة في الدي أخل كرامتي فوق ما تحتمل . . ولكم الخرامة بقي من الكرامة المقدار . . . ترى هل بقي من الكرامة شيء . ؟ ويل . , لكم اظلم نفسي وأحمل كرامتي فوق ما تحتمل . . لقد أكلها العمل ، نحتها فرة ذرة وقطرة قطرة فهي هباء من الهباء أو هي كيا يقول هواة الأدب اثر من بعد عين . . وإلا فإلى مازلت جالسا إلى الكرسي ، والأبواب مفتحة أمامي ، مالى لا أخطو خطوق عين . . ويكن . . ويكن ، ويكن . . ويكوب علي عين . . وإلا فيالى مازلت جالسا إلى الكرسي ، والأبواب مفتحة أمامي ، مالى لا أخطو خطوق

إلى الخارج . . . إنه لا يقيد الإنسان إلا نفسه . . . إنما الحرية مقدار ما أحس به أنا في نفسي من حرية نفسي . . لن يستطيع أحد ولا شيء أن يمنع الحرية عن نفسي وإنما أنا . . . أنا وحدى الذي أكبل نفسي بالأغلال وهيهات لكل حريات العالم أن تحرر نفسا أراد لها صاحبها أن تكبل بالقيود . . . أضاع السوق كرامتي وحريتي وأكل كل شيء في حياتي . . . ها أنذا أبدو مثل حروأنا أشد عبودية من العبيد ، وإلا فها بقائي وقد تأخر الرجل . . . تأخر . . . أنا أعرف أن أصول الصنعة تجعله يتأخر . . يريدني أن أشعر باهميته ، ويريد أن أشعر بحاجتي إليه وعدم حاجته إلى . . . لقد درت في السوق وعرفت أسراره ، أما كان الأجدر بالدكتور عبد الوهاب أن يدرك أن هذه الصغائر لن تكون ذات أثر في الصفقة ؟

... ألم يعلم الدكتور عبد الوهاب أى رجل أنا . ؟ ولكن يبدو أن صفة الأدب التى غلبت على أول اشتغالى بالسوق لا تريد أن تفارقنى ... إن كل من يعاملني لا ينسى أننى كنت أعمل بالأدب أى أننى كنت فنانا ... فأنا إذن فى عرفهم سارح فى دنيا من الحيالات والأوهام ... ما كان أعلبها ... لقد أقفلت ما بين نفسي وبين الأدب منذ الشهور الأولى التى نزلت فيها إلى دنيا الأعهال ... تلك حسنة أثبتها لنفسي ولا أنساها ... كيف أقول للناس كونوا شرفاء ... أحبوا إخوانكم ... الهناءة فى رضا النفس ... اسعدوا ... عيشوا ... أحبوا بالجهال ... أقول وأقول ... وأنا ... أنا نفسى أتغاضى عن الشرف ... و... و...

وقبل أن يكمل دخل الحجرة رجل وحياه وجلس . . . وأمعن مفيد فيه النظر . . . شخص أصلع الرأس واسع العينين تبرز منها الحدقة بروزا يشعر الناظر إليه أنه يبحث عن شيء لا يدريه ولكنه لا يزال يبحث عنه . وأحس الرجل بعيني مفيد الفاحصة فعاجله قائلا :

ــ الأستاذ مفيد؟

ودهش مفيد شيئا ما . . . ولكن ما أسرع ما تغلب على دهشته فقد علمه السوق أن يتغلب على كل الملامح التي تلدها المشاعر على وجهه وقال :

- ـ نعم يا أفندم . . . أنا هو .
- ـ لعل حضرتك مندهش لأن عرفتك ؟
 - _ لا أبدا . . .
- ــ طبعا أنت رجل شهير . . . وأديب معروف . . . وقال مفيد في نفسه . . . وهذه مصيبة أخرى في السوق . . . دائما يستعملون الأدب في التأثير على . . . لم يبتى لى من الأدب إلا أن يتملقني به من يريد أن يسلبني شيئا . . . كم هو مجرم هذا السوق . . . يقطع صلتى بالأدب ولا يكتفى بهذا بل يتخذ منه سلاحا لنهبى . . . مجرم هذا السوق . . . مجرم . . . وصحا مفيد على الرجل يقول له في ود :

ــ لماذا لم تعد تكتب أنا من عشاق أدبك ؟

وفي شعور بالمرارة العميقة قال مفيد:

_ حضرتك تريد مقابلة الدكتور عبد الوهاب؟

ـ وأخذ الرجل وقال في تردد يوشك أن يكون لعثمة:

ـ نعم . . نعم .

وقال مفيد في لهجة لا تتسم بالود:

ــ ولكني على موعد معه ٠٠

ـ الواقع أنني لم أجد السكرتير •

_ أليس بالخارج؟

...¥_

ـ اسمح لى أذن أبحث عنه ليحدد لك موعداً .

وهم مفيد أن يقف ولكن الرجل عاجله:

ـ ولكني أريد أن أجلس معك وأتعرف بك.

_ ولكنى الآن على موعد مع الدكتور عبد الوهاب.

ــ وما البأس . . . نتحدث حتى مجيء . . . فأنا منذ زمن بعيد من المعجبين . . .

_ أتعتقد أننا يمكن أن نتكلم في الأدب الأن ؟ ا

_ ولم لا؟

_ اسمع يا سيدى . . . لقد مرت على بالسوق سنوات عديدة . . . فأرجو أن يدخل هذا في اعتبارك عند حديثنا في الأدب .

ونظر الرجل نظرة باهتة إلى مفيد وتراجعت حدقتاه قليلا إلى محجريها . . ثم تغلب على نفسه في هدوء وكأثما لم يحس بما يخفيه كلام مفيد . . . وقال في نفس اللهجة التي كان يتكلم بها عن الأدب .

_ الصفقة التي تريد فيها الدكتور عبد الوهاب...

أهي لحسابك الحاص أم لحساب شركة أخرى ؟ وأحس مفيد أن الحديث أصبح يتفق وجو

الحجرة التي يجلسان بها . . . فقال في مداورة :

_ بماذا تراك تجيب لو كنت في مكاني ؟

وعادت النظرة الباهتة وأعقبها الهدوء ولكنه لم يملك نفسه أن قال:

ـ يظهر أنني لم أكن أقدرك حق قدرك يا مفيد بك

_ كلنا معرضون للخطأ

_ ما هو الربح الذي تنتظره منها ؟

ـ نفس الربح الذي تنتظره أنت على الأقل

نس فيا رأيك لو أخلت يصفه الأن وتنازلت لى عنها ؟

... هذا يتوقف على مقدار تقديرك للربح والدعاية التى أحصل عليها عند نجاحى فى هذه المهمة . . . وغير هذا مما لا يخفى على ذكائك . . . وأرجو أن يدخل . . . وانتهت المساومة بمفيد يضع فى جيبه شيكا بمبلغ خسة آلاف جنيه ويخرج مسرعاً دون أن يقابل الدكتور عبد الوهاب .

لم يكن مفيد يتوقع أن تتم الصفقة على هذه الصورة . . فهو سعيد بما ناله من سعادة غامرة . . . حتى لقد نسى هذا الحديث الطويل عن الأدب ونفسه وما صنعه السوق . . . ونسى ما كان يرمى به نفسه . . . بل هو الآن راض عن نفسه كل الرضا يسكب عليها ألوانا من المديح وأفانين من الإعجاب . فإن حاولت نفسه أن تصده عن هذا الغرور ارتفعت يده فى المديح وأفانين من الإعجاب . فإن حاولت نفسه ألا أن يعود المديح لنفسه والإعجاب بها يملأن لا شعور مأخوذ إلى مكمن الشيك فى جيبه فها هى إلا أن يعود المديح لنفسه والإعجاب بها يملأن عليه آفاق الحياة فلا يرى من الطريق أمامه إلا الفرح والبهجة والإعجاب والسعادة . . ولما كانت هذه الأشياء جميعاً لا تغنى مع السيارات التى تقطع الطرق وتريد الناس أن ينظروا بعيونهم لا ببهجتهم فقد صدمته سيارة . . وصحا من رضائه عن نفسه مسجى بسرير مستشفى ويجانبه عرضة .

۔۔ أين أنا ؟

سؤال ما أسرع ما تبين غباءه فسارع يقول دون أن ينتظر إجابة :

- هل الإصابة خطيرة ؟

ـ خبر إن شاء الله . . . حمداً الله على السلامة . . . دقيقة واحدة أنادى الدكتور

وجاء الطبيب وفي كليات قلائل تبين ما حدث له . . لقد مرت السيارة على يده اليمنى فاحدثت بها تهشيا في العظام وتهتكا في الانسجة — والطبيب وحده لا يستطيع أن يقرر ما يفعله فهو يرسل في طلب كونسلتو ليقرر ما يتخله إزاء هذه اليد . . . ويخرج الطبيب ويعود مفيد إلى نفسه . . . يدى . . . ماذا يصنعون بيدى ؟ لماذا ؟ ماذا فعلت يدى ماذا فعلت ؟ . ويأتى الكونسلتو وتجتمع حول يد مفيد وجوه متجهمة وما تلبث أن تنصرف عنه لتنظر إلى صور الأشعة التي تمثل الحالة التي صارت إليها يده . . . ويسأل مفيد . . . ويسأل . . . فلا تجيبه إلا همهمة تترجح بين الأمل واليأس ويتركه الأطباء ليختلوا بانفسهم وطبهم وليصدروا القرار النهائي على يده . . . يدى . . . ماذا فعلت يدى هو تسلم هذا المبلغ . . . خسة آلاف جنيه . . . أكنت صاحب حتى فيه . . . أى مجهود بذلت لأناله . . . اسمى في السوق وسمعتى ومقدرى البارعة على إتمام الصفقات . . . نعم أوهمت الرجل أنفي كنت سأكسب عشرين ألف جنيه ولكن هو أيضاً كان يطمع في الربح ولو لم يكن كذلك لما أعطاني هذا المبلغ . . . كذبت عليه . . . نعم كذبت ولكن هل يعرف السوق إلا الكذب ؟ لو لم يكن

مقدراً لنفسه ربحاً يزيد عن عشرين ألف جنيه لما أعطاني هذا المبلغ ولكنفي كذبت . . . خالطت ضمیری . . . این ضمیری . . . الم اقل اِنفی فقدته منذ زمن طویل ؟ منذ نزلت اِلی : السوق . . . كان آخر عمل تدخل فيه ضميري هو تحولي عن الأدب وإبائي أن أبشر بالفضيلة وإنا غارق في الرذيلة . . . ولكن . . . ألم تكن يدى هي التي كتبت ما كتبت من أدب ؟ وكنت أدعو إلى الأخوة والحب والتسامح والسعادة . . . ثم بعد . . . أصبحت من رجال الأعمال فالحياة أصبحت عندى لا شيء إلا أن أكسب . . . أصبحت يدى التي كانت تعمل للناس جيعاً . . . الناس في كل العالم . . . الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم ، . . الذين يقرأون والذين لا يقراون . . . أصبحت يدى هذه لا تعمل شيئاً إلا أن تضع في جيبي نفوداً أصبحت فائدتها الوحيدة أن تجملني غنياً . . . دون حتى أن تفكر في سعادتي . . . كنت سعيداً بيدى وهي تكتب للناس . . . ألم أكن سعيداً وهي تكسب لي أموالا ؟ قدمت بها الرشاوي . . . حطمت بها ضيائر الناس . . . مالي ولهم . . . لقد كانوا على استعداد لبيع ضيائرهم لأى مشتر . . . فيا الباس بي أن أشتري بضاعة معروضة في السوق . . . وأصبح غنياً . . . وألقى الأمن على مستقبل ولكن أترى أحسست بهذا الأمن . . . أبدأ . . . كليا زادت ثروق زاد خوفي من المستقبل . . . غيف هذا المستقبل لمن يكسب مالا . . . فقدت ضميرى وقلمى . . . و . . . و . . . لا . . . لا أريد أن أفقد يدى . . . إنها لم تصنع شيئًا تستحق من أجله أن . . . أن . . . أخاف أن أقول الكلمة . . . أثراهم يحكمون عليها بالبتر؟ أنا لم أسرق ما لهم لا يعودون . . . إن بقيت يدى عدت للكتابة . . . أثراي أصلح اليوم أن أكتب . . . أبشر مرة أخرى بالسعادة والأمن . . الأمن من داخل نفسي لا من خارجها . . الأمن من القلوب لا من المال . . . هذه القلوب الواجفة المالعة التي تطير شعاعا من الخوف والتي ترمي بنفسها إلى مستقبل الأيام ارتماء يائسا مُذعوراً أتراى أستطيع أن أقول لها إن أمنك في ذاتك لا في خارجك وحريتك من داخلك لا يجرؤ إنسان أن يعدو عليها حتى نقبل أنت أن تتخل عنها ؟ فها عرف الأمن إلا في ظل الحرية وما عاشت الحرية إلا في ظل الأمن . . . هل أستطيع أن أقول هذا للناس . . . إن بقيت يدى أقول . . أقول . . ولكن هل تبقى يدى ولكن . . . إنى أستطيع أن أقول حتى لو فقدت يدى . . . الأمن يشيع في نفسي . . . حريتي عادت إلى . . . فليقطعوا يدى فسيبقى لى أمنى وحريق وحبى للنّاس وساستطيع أن أقول بلساني وإن لم فبقلبي وسيفهمون . . . فها سمع الناس حديثا أوضح من حديث صادر عن قلب . . . سأقول . . . وسأكتب وسيفهمون . . .

ودخل الأطباء وعلى وجوههم هذا القناع من الجمود الذي ألقاه العلم على وجوههم منذ اصبحوا كباراً وفوجئوا بمفيد يقول في مرح:

... اضحكوا أيها الأطباء . . . مهما يكن قراركم فهو أقل قبحا من هذا الجمود على وجوههكم . . . لا . . . أنا لم أجن ولكنني عدت إلى الأمن . . . وإلى الحرية . . . إلى نفسى .



عطى رغم الأيعام

وشاعت ابتسامة حلوة في وجهها ثم أقفلت الكتاب دون
 أن تعتبى بثنى الورقة التي كانت تقرأها ، .

على مقربة قريبة من قريتنا تقع قريته ، وقد تعود أن يقيم بقريته أكثر أيام العام لا يمل منها ولا يضجر ، وهو من تلقى علومه بانجلترا . وهو منى بمثابة العم فى القرابة والسن معا . . . فهو فى آخر الحلقة السادسة من عمره . عهدته منذ بدأت أتبين الأشياء فضى الشعر فى جمال فكان يخيل إلى حين يداعب الهواء شعره أن شعره موجات صغيرة من الفضة تتجاوب مع النسات التى تتواكب إليه وعهدته منذ تبينت الأشياء أنيقا لا تتخلى عنه الأناقة أبدا . . . فهو أنيق بمعطفه الأبيض وجلبابه الحريرى الذى يلبسه فى صيف القرية . . . وهو أنيق بمعطفه الصوفى وجلبابه الحريرى الشتاء . . . وهو أنيق غاية الأناقة إذا قصد القاهرة فهو يرتدى الصوفى وجلبابه وأبدعها فى الشتاء . . . وهو أنيق من أغلى طراز والجورب المنتقى بأجل من الحلل أحسنها وأبدعها ذوقا ، يصاحبها رباط العنق من أغلى طراز والجورب المنتقى بأجل عناية . . . لا تستطيع حين تلقاه فى القاهرة إلا أن تذكر لوردات الإنجليز اللين ربي بينهم .

عاد إلى القاهرة فى أول الحرب العالمية الأولى وتولى الإشراف على أرضه وأرض إخوته ، ولم تكن مساحة الأرض كبيرة ، ولكنه كان لا يتركها أبدا ، ويتولى زراعتها بنفسه ، يجد فى ذلك لله لا تدانيها لذة . . وقد حاول إخوته منذ عاد أن يزوجوه ، ولكنه كان يرفض دائما دون أن يبدى لرفضه سببا . وإنما هى لا قاطعة ، أو لا لطيفة رقيقة شأن أحاديثه جميعا ، ولكنها لا دائما ، ويلا سبب .

كنت أقصد إليه كلما ذهبت إلى القرية . وكنت آخذ رأيه فى المسائل الزراعية التى أحتاج فيها إلى رأى . وقد كان رأيه دائها مدعها بالعلم والتجربة معا . . فدراسته فى انجلترا كانت زراعية وطول عهده بالأرض زوده بالكثير من التجارب البصيرة . . وقد سألته فى يوم . .

-- لماذ لم تتزوج . . ؟

فنظر إلى الأفق البعيد ويدت على شفتيه الرقيقتين ظلال ابتسامة حنون ، ثم قال :

- -- غافلتني السنون فوجدت نفسي حيث لا أستطيع الزواج ٠٠
 - ولماذا كنت ترفض . .

وعادت الابتسامة وطال تحديقه إلى الأفق البعيد ، ومرت بعينيه طيوف تتباين بين السعادة والحزن ، وظل صامتا ، فأكرمت صمته ، ولم أعد إلى السؤال .

تعود كليا جاء إلى القاهرة أن يدعونى بالتليفون فأقضى معه بعض الوقت وفى يوم جاء إلى القاهرة والتقينا على منضدة فى مينا هاوس وانساب الحديث بيننا وقد تعودت أن أسعد بنغيات حديثه ، فهى همس منغوم فيه علوية ورقة وهدوء . . وكانت عيناه إليه الباب . . عينان هادئتان فارقتها الدهشة لكثرة ما مر بها ولكن بريقا من أيام الشباب مازال يطل منها . . وإن كان بريقا عجوزا عدت عليه السنون .

وفي لحظة خيل إلى أنه ليس هو ، أو أنه قد عاد إلى شبابه الذى رأيته عليه في الصورة المعلقة بببيته بالقرية ، بل خيل إلى في ومضة عابرة أن شعره الفضى لم يعد فضيا . . وجمد على حاله هذا ونظرت إلى حيث ينظر فإذا سيدة وقور ليست مصرية على أية حال شعرها فضى كشعره وإن كان غزيرا ، طويلة القامة في غير امتلاء ولا نحافة ، تعلل السنون من عينيها ولكنها إطلالة فيها حنان ودعة . وقفت السيدة على الباب وكانت تنفض المكان بعينيها تبحث عن مكان حتى إذا يشست أوشكت أن تولينا ظهرها وتتركنا ، ولكني شعرت بزلزال في النضد الذى أجلس إليه ، وإذا الشيخ الذى كان بجانبي قد أصبح بجانب السيدة ناداها فالتفتت ونظرت إليه فإذا هي أيضا يطوف بها ذلك الطائف الذى مس الرجل وإذا أنا يخيل إلى في لحظة أنها لم تعد هي . ورأيته يحتضن يديها في راحتيه ويظل كل منها يرنو إلى الآخر بعض الحين في صمت ثم يغيضان وقد أقبل فوج جديد يريد أن يدخل إلى المكان . . فيتركان الفندق جميعا ويخرجان دون أن يحفل بي العم ودون حتى أن يلتفت إلى .

تركت مكانى وقمت، وفي باكر الصباح دق جوس التليفون وكان هو المتحدث.

- أريدك اليوم .
- أنا تحت أمرك.
 - اليوم جميعه .
- اليوم جيمه . . منذ متى تريدني ؟
 - -- منذ الآن .

وما هي إلا بعض دقائق حتى كنت عنده . لم أسأله فقد وجدت الذكريات تفيض على

لسانه يريد أن يرويها لأى إنسان يلاقيه . وكنت أنا . قال ونظرة تقطر سعادة تنسكب من عينيه :

- في أول عهدى بانجلترا دهاني أحد أصدقائي إلى حقلة يقيمها بيته وقد لبيت دهوته ملهوفا، فيا كان لى من أصدقاء إلا ندرة جعتني بهم فصول المدرسة . . لم يكن ضيوف صديقي إلا قلة من الصفوة وكان من بينهم أختان ، كان جلوسي إلى جانب بيسي ، وكان حديثها منطلقاً في خفة وكانت مرحة اللفتة ، قريبة الفهم ، سريعة الإقبال . لم يطل بنا الحديث حتى سألتها إن كانت تسمح لى أن أزورها فرحبت وكانت أختها ليزا ثمر بنا فاستوقفتها وقلمتني إليها فصافحتني وانصرفت لم تلبث وانتهى الحفل . وفي ضحى اليوم التالي ركبت دراجتي قصدت إلى بيتهم ، فقد كان في مكان لا يمكن أن أصل إليه إلا بالدراجة ، أو بعربة خاصة لم أكن محتاجا أن أدق الجرس ، فقد وجدت ليزا جالسة في شرقة البيت تقرأ . أسندت دراجتي الى درابزين الشرفة الخشبي ورحت أصعد السلم متعمدا أن أثير بحدائي تثير انتباهها ولكني لم أفلح في انتزاعها من الكتاب ولم أجد بدا آخر الأمر من أن ألقي تحية متعثرة توشك أن تسقط في التزاعها من الكتاب لتلقي الى أعلى قية باسمة قد تتسم بالأدب أو قد تتسم بالرقة ولكنها أبدالا تتسم بالترحيب ، كها أنها لا تحمل عني واحدا يدل على أنها لا تحرفني أو حتى تذكر أين الثقت بي ، ثم أجد بدًا من أن أذكرها عنها ما يذكرها بي . شالتها : . سألتها :

۔۔ این بیسی .

وتذكرت . . . أو بدا لى أنها تذكرت . . فقد عادت تبتسم ابتسامة أخرى أكثر إيناسا من الأولى ، ثم قالت :

- إنها خرجت تشترى بعض أشياء ، ملكنى الإعجاب بليزا ، تمنيت لوكانت هى من جلست إليها فى حفلة الأمس وتمنيت أن أجد سبباً يبقينى معها فتستبدلنى بهذا الكتاب فى يدها ، وتقرأ ما بنفسى من الإعجاب لها وأقرأ فى عينيها الخضراوين من بساطة الأمل ، ودبيع الشباب . . تمنيت ولم أجد ما أحقق به أمنياتى إلا سؤالا متعثرا آخر .
 - --- لعلها لن تتأخر .

وظلت الابتسامة الأنيسة على وجهها وهي تقول:

, -- بل ستأخر على ما أظن .

كانت الإجابة أمرا صريحا لى بالانصراف ، لم تبعث ابتسامتها ، ولا كلمة أظن الشك في نفسى من أنها تريدنى أن انصرف . ووجلت نفسه ألقى بتحية وداع متعثرة واستدير إلى السلم أنزله في تفكير عميق . . ماذا يمكن أن يبقيني هنا ؟ أيمكن مثلا أن أقع على السلم فأعرج فأبقى ! . . ولكن ماذا تفعل هذه الدرجات القلائل ، إنها أهون من أن تصيبني بجرح يستحق البقاء . . ماذا يمكن أن يحدث . كنت قد وصلت إلى دراجتي ، ودون أن أنظر إلى أتجاه يدى مددتها لأمسك بالمقود فإذا مسهار في الدرابزين يجرحني . . . آه . . قلتها في صوت مباغت واهن ، ثم ما لبثت أن تذكرت أملي في أن أجرح ، فنظرت إلى الجرح ثم هززت رأسي ، لقد كان الجرح أهون من أن أطلب له دواء ، وأهون من أن أذكره ، ولكن فكرة ما لبثت أن ومضت في ذهني . نظرت إليها فوجدت الكتاب قد اختطفها مرة أخرى فها لبثت أن نزعت المسهار من مكانه وأهويت به على عجلة الدراجة فأفرغتها من الهواء ، كنت أحس بهواء العجلة وهو خارج وكأنه يقضى على الحيرة التي خالطتني وعلى اليأس الذي ملك نفسي حتى إذا استقر حديد العجلة على الأرض اطمأنت نفسي وهدا مضطربي ، وعدت أصعد لأقول في صوت مازلت أذكر رنة الفرح فيه حتى اليوم .

- لقد فسدت دراجتي فكيف السبيل أن أعود إلى البيت وشاعت ابتسامة حلوة في وجهها ثم أقفلت الكتاب دون أن تعني بثني الورقة التي كانت تقرأها . . وقالت :
 - انتظر حتى تأتى بيسى ، فقد أخدات العربة معها .
 وقبل أن تتم جملتها كنت قد أخدات مكانى بجانبها ، وأنا أسأل :
 - أتقود بيسى العربة ؟
 فقالت والابتسامة على وجَهها ماتزال:
 - --- نعم .
 - ألا تخاف الجياد؟
 - إنه جواد واحد يجبنا ونحبه ولا نخافه .

وتحادثنا . . وتحادثنا . . وتأخرت بيسى وأنا أدعو الله أن تزيد من تأخرها وأقبلت على ليزا إقبالة محب قديم لا صديق جديد ، وأقبلت هى على حديثى . . فها قلت رأيا إلا وجدتها تراه ، وما ذكرت من ميلوها ميلا إلا وجدتنى مثلها فيه ، وكانت عيناى دائمتى التحديق فى عينيها يجوس فى أطواء نفسها فأجدنى أزداد حبا لها . . كان لابد أن تعود بيسى وقد عادت . ونظرت إلى جلستنا ، وابتسمت :

- أراك قد لبيت الدعوة .
 - وقلت في فرح:
- -- وهل كان يمكن ألا أسيها .

وقصت ليزا على أختها ما كان من أمر الدراجة . . وبدا على بيسى أنها لم تكن محتاجة إلى هذا الشرح فها كنت في حياتها غير عابر سبيل أو عابر سفر إن صح التعبير . قالت :

- فهلم اركب لأذهب بك إلى بيتك . فنظرت إلى ليزا وأنا أقول في حسرة :
 - -- هلم . . .

كم كانت الدراجة مباركة في يومنا هذا ، فإنه ما لبثت أن وجدت فيها الملجأ مرة أخرى .

- -- ماذا سأفعل بالدراجة ا
- وسكتت ليزا وقالت بيسي .
 - اتركها .
- وماذا أفعل؟ إننى لا أسير إلا بها . .
 وقالت ليزا :
- اسمع . . امسك بدراجتك وسر وسأسير معك على أن تصاحبنا بيسى بالعربة لتعود بى .
 ونظرت بيسى إلينا ثم ما لبثت أن أغرقت فى الضحك ثم قالت :
 - ألم تقولى إنه ينتظرن منذ ساعة أو أكثر لأعود به بالعربة؟
 وكأنما أدركت ليزا ما يخفيه ضحك أختها؟ ولكنها قالت في بلاهة حبيبة:
 - --- نعم .
 - وأكملت بيسي حديثها .
- ففيم كان انتظاره مادام سيعود سائرا على أية حال ؟ أم تراك كنت تريدين له العربة لتسير إلى جانبه لا ليركبها ، أم تراك كنت تريدين العربة لتعود بك أنت ؟ ثم عادت تضحك مرة أخرى . . وقالت ليزا :
 - وماذا نفعل ، مادام لا يريد أن يترك الدراجة .
 واصطنعت بيسى الجد وهي تقول :
 - نعم أنت عُقّة . ماذا يكن أن نفعل . . هلم بنا .

وسرنا . . أمسك بدراجتي وليزا إلى جانبي وبيسى تقود العربة تسبقنا أحيانا أو يطيب لها أن تضحك منا فتبطىء حتى تظل بجانبنا . وفي مرة من المرات التي شاءت فيها بيسى أن تتبح لنا خلوة من الحديث قالت ليزا :

- اتعبت ؟
- قلت في فرح:
 - أنا ١٤ الدأ .
- فقالت وابتسامة ماكرة على فمها .
- على كل حال عليك أن تتحمل تبعة فعلتك.
 - وأخذت بحديثها وقلت:
 - أيَّة فعلة ؟
- ما ذنب الدراجة حتى تفسد إطارها ، وما ذنب درابزين بيتنا حتى تخلع مساميره . ظل حبى لها ينمو مع الأيام حتى كان يوم عرضت عليها فيه أن نتزوج فقالت :
 - نعم أتمنى ذلك ؟ ولكن أمهلني بضعة أيام .
 - متى أعرف الجواب .
 - في أي يوم نحن .
 - اليوم الأحد .
 - إذن ففي يوم الأحد.

لم يكن ساسة العالم على علم بهذا الوعد ، فإنه لم يقدر لى أن أشهد هذا الأحد فى انجلترا وإنما وجدتنى بين عشية وصباح على مركب ينقلنى إلى مصر . . . لم أبال الأوامر وقصدت إليها فى البيت قبيل الرحيل فلم أجد بالبيت أحدا ؟ فتركت خطابا دسسته تحت الباب ، ثم وُضعت فى المركب لأجد نفسى بمصر ، لا تسألنى كم من الخطابات أرسلت بعد ذلك ولا تسلنى كم خطابا تسلمت . فأما ما أرسلته فلا أذكر عدده لكثرته وأما ما تسلمته فأذكر عدده لانعدامه . لم تصلنى منها كلمة . ولكننى مع ذلك ظللت أكتب . وأكتب فقد أصبحت الكتابة إليها هى كل ما بقى لى من حبى ومن شبابى ومن حياتى كلها إنى بلا زواج ولا ولد فأنا بلا أمل . لم يكن لى الا هذه الخطابات فظللت أكتبها حتى أمس . . أمس صباحا قبل أن ألقاك . . كنت قد أودعت الريد خطابا إليها . لا لم أستطع السفر . . خشيت . . خشيت أن تصدمنى الحقيقة هناك فأعلم أنها ماتت أو تزوجت ففضلت أن أحيا بأملى الواهن الشاحب الضئيل عن لقاء الحق الواضح الصريح القوى ، فلم أسافر . . حتى كان يمس ولقيتها . . لقد تركوا بيتهم وتركوا الحي وتركوا المدينة ، فلم تعد إليها منى كلمة . . . ولقد . . . ولقد . . . ولقد . . . ولقد

وانسكبت الدموع من عينيه وهو يقول:

-- ولقد جاءت إلى مصر بين الحربين ، وعادت تجيء بعد الحرب الثانية على أمل واهن أن تلقاني أو تسمع عنى حتى أمس ولقد . . .

وازدادت الدموع انسكابا من عينيه واختلج صوته في أجهاشة حب والهة شابة . .

--- ولقد انتظرتني فلم تتزوج .

لم تنته حكاية الشيخ . فقد كان يريد منى كمحام أن يعد الإجراءات لزواجه . . . نعم زواجه هو ابن الستين أو أبو الستين منها . . . منها هي . . نعم وانها في الرابعة والخمسين .

وبعد أيام ذهبت إلى العم فى القرية أهنئه بالزواج وأهنىء به العمة الجديدة . . كانا جالسين هناك بين النخيل فكنت أرى فيها قوة أقوى من النخيل ومن الأيام ومن الحروب ومن القادة الدين يشعلون نيران العالم . . لقد تغلبا على كل السفاكين الذين أراقوا دماء البشرية . وتزوجا آخر الأمر وإن كان هو فى الستين وإن كانت هى فى الرابعة والخمسين ولكن ماذا يهم . . . لقد التقت فيهها حياة واحدة عاشت سنين طويلة . . . طويلة جدا حياتين .

قال ودمعة فرحانة تتلألأ في عينيه مترددة بين بقاء أو انهمار .

-- لقد تزوجت شبابي يا بني . . . لقد تزوجت شبابي . . ووجدت دمعة تطفر إلى عيني أنا الآخر جعلت العمة ليزا تقول في فرح :

ولم يسمح له تأثيره أن يعيد ما قال واستطعت أن أتغلب على خلجاتى الفرحانة لأترجم لها جملته . وطفرت إلى عينها هي الأخرى وهي تقول :

-- إنه زوجي من أربعين عاما .



يط نهما من أيسام

« زوجان . . آحدثها عن شأن وما عرض لى فى يومى . . وتحدثنى عن شأنها وما مر ما بهن أمور . . وماكان أتفه ما أرويه لها . . وماكان أيسط ما تحكيد لى ي .

طويل هذا الليل ولكن ، أين هو من الزمن . . إنه نقطة لا تزيد من كتاب الزمن الكبير اللهى حارت فى بدايته العقول وجهلت المقداير نهايته . . نقطة هذا الليل لا تزيد . . ولكنه طويل . . . وما أنا الذى أحسه طويلا . . . رقم من ملايين الأرقام . . بل من ملايين الملايين . . . ولكن أنا كل شيء . . . أنا هذا العالم . . فها العالم بالنسبة إلى إن لم أكن أنا فيه ، الملايين . . بعظمتها وقد يرانى الناس لا شيء . . ولكن مالى وللناس وما يظنونه . . أحس بذاتى . . بعظمتها وقد يرانى الناس لا شيء . . ولكن مالى وللناس وما يظنونه . ما يضيرنى رأيهم مادمت أرى نفسى شيئا خطيرا جديرا بالاحترام . . آه . . يا لها من فلسفة بائسة أصطنعها لنفسى اصطناعا فها تجدى ، وأظل يومى وليلي هذا الطويل ألقنها كرامتى الجريحة فها تشقى الجراح ولا تبرأ الطعنة ولا هى تلهمنى من الصبر بصيصا أذود به عن نفسى هذا البؤس الذى يحيطها .

أعظيم أنا . . يا لها من سخرية كبيرة . . . أخطير شأتى . . يا لى من ضائع لا قيمة له . . ويا لى من أحمق أعجل إلى الأمر لا أدرى بواعثه أو عواقبه .

أحببتها . . نعم أحببتها كها أحبت طفولتي الباكرة ، وشبابي الندى ، وأيامي الفتية ، وأحلامي المنضورة .

أحببتها منذ الأيام صغار قصار يملأها مرح الطفولة ويسيات الملعب وعبث الصغر وكبرنا

فكان للقلب عند اللقاء وجيب عرفناه منذ دقاته الأولى . . . إنه الحب يعلن نفسه باسمه الصريح بعد أن كان متخفيا وراء كرة الملعب وعبث الصبية . . هو الحب كاملا كما عرفه قيس وليلى . . وجميل وبثينة . . وروميو وجولييت وغيرهم ممن دمغوا التاريخ بحبهم أو ممن خلق الكتاب حبهم .

وكان أبي وأبوها صديقين . . وفى ظل هذه الصداقة اتصل الحب دون أن ينمو فقد كان بالغا مداه لا يملك بعد عنفه ولا بعد نموه نموا . ومرت بنا الأيام أروى حبى بلقاء قصير ، أو ابتسامة حلوة ، أو كلمة منغومة . . لم أخطبها ولم أكن في حاجة إلى خطبتها فقد كان زواجنا أمرا مقرر لا يحتاج إلى خطبة .

كان أبي ينتظر أن أتم تعليمي حتى يزوجني لها ، وكان أبوها ينتظر الشيء نفسه حتى يتم هذا الزواج .

وكنا جارين ، ولعل هذا الجوار فرض علينا رقابة أشد والعجيب في الأمر أن أبي كان أشد دقة في رقابته من أبيها فلم يكن يسمح لها أن تخلوا إلى لحظة . . فإن جاءت البيت فهو فيه لا يبرحه حتى تخرج مهما يكن وراءه من أعمال . وإن حاولت أن أذهب إلى بيتها كان حريصاً أن يعلم بوجود أبيها هناك .

نعم . . كان يتيم الأم منذ الطفولة الباكرة ، وكانت ترعى أمرى امرأة كبيرة السن وأنا فى المهد وظلت قائمة على شأنى حتى اليوم . . وكان أمرها كأمرى . . امرأة كبيرة ترعاها منذ لا تعرف متى ومازالت فى بيتهم حتى اليوم . . .

لم يكن أبى ؛ ولا أبوها ، يكتفى برقابة هاتين الحاضنتين ، وكانتا تفرضان علينا قيودا قاسية نلقاها بالبشر ، والابتسامة المختلسة ، وبالمجادعة الطويلة أن نحظى بلقاء مهما يكن قصيراً بعيداً عن أعين الرقباء .

أتسألنى ماذا كنا نقول فى هذه اللقاءات . . ؟ زوجان يعلمان أنهما زوجان ويتحدثان كزوجين بلا قبلات ولا عناق . وما حاجتنا إلى ذلك ونحن ننتظر الغد القريب فنتقبل ونعانق ما اشء لنا الهوى المشبوب والحب الطاهر العميق .

زوجان . . أحدثها عن شأنى وما عرض لى فى يومى . . . وتحدثنى عن شأنها وما مر بها من أمور . . . وما كان اتفه ما أرويه لها . . وما كان أبسط ما تحكيه لى . . ولكن كان لنا نحن الدنيا بما وسعت . . كانت سعادى وحياى التى أحيالها وأملى الذي أسعى إليه ، كان حبى كمل شىء لى . . . وما أظنه إلا كان كل شىء لها . .

كنت أحدثها عن المدرسين حين كنت تلميذا صغيراً ، وكانت تحدثني عن المدرسات ، ثم صرت أحدثها عن الجامعة والمحاضرات ، وكانت تحدثني عن البيت وما تلقى فيه من كسل الخادم وإلحاح الباعة حين بلغنا بواكير الشباب. وأظل بعد اللقاء ساعات أعيش اللقاء مرات ومرات، وأتمثلها وهي تحكى أو تسمع . . تضحك أو تغضب ثم أفيق إلى كتبى أنصب عليها في وعى وإصرار، أتعجل الأيام والسنين ليجمعنا البيت بلا رقيب إلا الحب، ولا أعين من أبيها ولا أبي .

لم يكن أبي غنياً ولا كان أبوها . . فقد كانا من الموظفين القدامي الذين يعتمدون على الستر أكثر اعتبادهم على الريع وكان الستر يكفينا ، فملابسنا نظيفة وبيوتنا توفر لنا ما نهفو اليه من راحة ، وكان أبوها يعلم دخل أبي ، يعلمه كما يعلم دخل نفسه ، كما كان أبي يعلم خاصة شأنهم لا يجهل من أمرهم أمراً . . وكانا متفقين علية الزواج وكل منها على علم تام بحال الأخر . كاغن الزواج مقرراً لا شك فيه . . كان كذلك . . حتى نجحت في السنة الثالثة في الكلية وأصبحت على أعتاب السنة النهائية وكان رأى أبيها ورأى أبي أن نقضي جميعا الصيف في الإسكندرية . . فانتقلنا إليها .

وهناك كنا نقضى يومنا جميعاً معا لا نفترق حتى لقد كنا نأكل معا وتولت هى القيام بشأنها واعطها أبى نصيبا من المصاريف . . وكأنما أراد أبى أن يشعرها بقرب الزواج ، وكأنما أراد أن تضم العائلة حياة واحدة . . فلم يكن يفصل بين سكناها وسكنانا غير جدار . . عشناها حياة واحدة تزيدنا الرقابة المفروضة علينا شغفاً ومتعة ، وتلتقى العيون منا فى عناق طويل يسخر من الرقابة ويفضى بنا إلى عالم علوى ملىء بالهوى والأحلام والأمال .

يالها من أيام . . إن كنت أحسست بذاتى ، أو كنت أحببت حياتى فمن ضياء هذه الأيام . .

كنا نجلس إلى الشاطىء . . البحر تحت أقدامنا ، يعدو الماء على أقدامنا وقد يعدو على ملابسنا ونحن من نجوى العيون فى حديث يشغلنا عن الماء والبحر . . ويرتفع بنا إلى ساوات هيهات أن يبلغها سمو .

وكنت إذا انفردت بنفسى . . لم أفكر إلا فى هذه الأويقات الهنيئة التى جمعتنا ، فلا أنشغل عنها إلا بها . وكان أبي يعلم ما أنا فيه . . فنظرته إلى نظرة العالم بشأن ، يخيل إليه أن الحب الذى بنفسى هو نفسه الحب الذى عرف الناس منذ عرف الناس الحب . . ويا طالما فكرت . . أعذا الحب الذى أحمله هو نفسه الحب الذى عرفه الناس . . أم هو أشد عنفاً وأعمق جذوراً وأبعد غوراً . . ثم يخيل إلى أن حبى فرد لم يعرفه أحد قبلى ولن يعرفه أحد بعدى .

وبينها أنا في هجعة الأصيل أفكر فيها تعودت أن أفكر فيه . . نادى أبي من حجرته فسارعت إليه ، فوجدته يعاني آلاما بدت آثارها على كل نأمة في وجهه ، ماذا بك يا أبي . سؤال أطلقته وأنا أرى ما به ولا أدرى ما أصنع ، ولم أجد ما أفعله إلا أن أتركه عدوا إلى الدار المجاورة إلى أبيها أستصرخه أن يغيثنا ، وعاد الرجل معى يسارع الخطو ثم يعدو حتى إذا بغنا أبي وجدناه وقد زواد به الألم حتى لا تكاد شفتاه تبين . . تركتهم ونزلت عدوا أبحث عن طبيب وما كدت أجد لافتة تحمل اسم طبيب عليها حتى وعدت به إلى المنزل . . لم يكن الأمر عتاجا إلى طبيب . . وإنما إلى مغفرة الله . . لم يقل الطبيب إلا جملة واحدة كانت كل شيء . يرحمه الله .

وداعا أيام الهناء . . لقد مات أبي والتقيت لأول مرة بالحياة وحدى . . كم هي قاسية عاتية ، وكم نلهو في رعاية الآباء ، وكم كانت أعبائها صغيرة بقدر ما نرى من الحياة . . تلك الحياة التي يحمل عنا آبائنا عبثها جميعاً . . كم يحملون العبء . . كم نجهل نحن ما يحملن . . لكم فكرت في ضآلة شأني حين طالعت الحياة وحدى . . كيف أشكر أبي على ما كان يرده عني من شؤون الدنيا . . لكم كنت عاقا وإن لم أخالفه يوما . كيف أستطيع اليوم . . وقد مات . . من شؤون الدنيا . . لكم كنت عاقا وإن لم أخالفه يوما . كيف أستطيع اليوم . . وقد مات . . أن أشكره . . وأى شكر يجزى غدق فضله . . وسكب خيره وموفور بره . . لا . : لا شكر

ذهبنا إلى القاهرة . . وأقمنا ليالى المأتم وظل عمى سعد يرعى شأنى . . كما كان يرعاه أب . . وظل يهديني إلى مالا أعرف .

ومر بعض الحين . . ثم فوجئت بعمى سعد ينقطع فجاه . . وانتظرت يومين ثم ذهبت إليه . . فإذا الوجه الضاحك أصبح كاشراً ، واللقاء الرحب أصبح ضيقاً وإذ بنجوى لا تلقان ، وأسأل عنها فيجيبني أبوها في عنف . . إنها مشغولة . . وأخرج .

وداعاً أيام الهناء . . وداعا أحلام الطفولة والصبا والشباب . . وداعا . . فها الأيام بالأيام التي عهدت ، ولا الأمال بمحققة . . والا فها هذا العنف بعد اللين ، وما هذا الجفاء بعد الرقة .

لم أشأ أن أترك الظنون تقودني إلى الياس . . فعدت إليه مرة أخرى في اليوم التالي . . فوجدت الجفاء كما تركته في الأمس .

- --- عمى ، أأخطأت في شيء . . ؟ قال في غلظة . .
 - 9 . . . 13U —
- أرى عنفا في اللقاء وجفاء في الحديث.
 - انت واهم .
 - فهاذا لا تلقان نجوی .

ووجدت وجهه قد أدير وازداد غلظة وهو يقول . .

- ولماذا تلقاها . .
- لماذا ألقاما . . ؟ . .
- -- نعم . . لماذا تلقاها . . ؟
- -- اليست . اليست خطيبق . .
 - -- هل خطبتها . . .

نعم . . إنه الحق ما يقول . . لم أخطبها . . ولكن ألم بكن كل ما كان بيننا خطبة ولكن . .

- لم أجد ما أقول إلا:
- فإن أخطبها الآن ...

وازداد صوت عمى غلظة وهو يقول . .

وأنا أرفض الخطبة . .

أصبح الظن إذن حقيقة . . فوداعا إذن أيام الهناء . . وداعا آمال الحياة جميعا . . ولولا بقية من إيمان لقلت للحياة جميعها وداعا . . . وداعا بائسا . . . أى شيء فيك أيتها الحياة أبقى له . . هذا الصديق الذى يخون الموت ، أم هذا الحب الذى قضيت له ويه حياتى ، ثم لم يخلف إلا ذكريات كانت هناء فأمست تعاسة ، وكانت منى أصبحت يأساً .

تركت الحى الذى كنت أقطنه ، وحاولت أن أقطع ما بينى وبين هذه الحياة ألتى كنت أعيشها ، وحاولت أن أمزق هذه الخيوط الضخمة من السنين الطوال التى تربطنى بذلك الماضى . . حاولت . . ولكن هيهات . . وكيف للنفس أن تنشطر جزءين وكيف للحياة إن ينفصل أولها عن آخرها وماضيها عن حاضرها . . إنها حياتى . . واحدة لا تنقسم ولا تنشطر ولا تنفسل . .

ومرت الأيام . . ثقيلة بطيئة . . حاولت أن أقطعها بللذاكرة . . وكنت قد تعودت أن ألهو بالمذاكرة عن كل شيء . . ونجحت ، ولم أفرح بالنجاح . . وماذا يجدى النجاخ . . وأى أمل يمكن أن يفسحه لى . .

وفى يوم طالعتنى الجريدة بنعى عمى سعد . . فوجدت نفسى أسارع إلى الحى ودخلت إلى البيت فوجدت وجوها أعرف أصحابها فهم أقرباؤه ولكنى عبرتهم أبحث عن نجوى فلم أجدها . . ولم أجد إلا الحاضنة التى كانت تقوم بشأنها . . سألتها فى لهفة .

-- أين نجوى . .

فإذا بالمرأة في نشيج يمزق الأفئدة . . وأعدت السؤال في لمفة أشد . .

- این نجوی
- وأجابت المرأة . .
- لقد ماتت من شهرين . . !!
 - ماذا . . .
- ماتت . لقد كانت مريضة بالسل .
 - -- منذ متى . . ؟
 - منذ كنت تخطبها .
 - أمن أجل هذا ...
- -- نعم من أجل هذا رفض أن يزوجها لك . . لقد اتفقنا على أن يرفض خطبتك حتى الا تدفعك الشفقة إلى الزواج بها . .
 - وصرخت في وجهها أسألها . .
 - **—** وأين هو . . ؟
 - وظنن المرأة أني جننت . . وسألت في ذهول . .
 - --- من . . ؟
 - -- این هو . . این عمی سعد . .
 - وقالت المرأة :
 - -- ألا تعرف . . ؟
 - نعم . . أعرف أنه مات . . أين هو . . ؟
 - في حجرته يا ابني . .
- ودخلت إلى الغرفة ووقفت أمام هذا الوفاء الراحل ، وأطرقت إلى الأرض وأنا أقول . .
 - أشكرك . . وأعتذر إليك . . !!

عبودا إليك يا أبي

د لقد كنت هناك في الحانة ولكن أصحابي هم الشاربون وكنت جليسهم . . أصدقاء الدراسة وأرادوا أن يحتفلوا بنجاحهم بالشراب وأبيت أن أشاركهم ، ورأيتني فهاذا أقول لك وماذا أصنع » .

اليوم أبى . . اليوم فقط أستطيع أن أجثو عند قدميك أسألك والعفو والغفران . . . عفوا وإن لم أرتكب ذنبا . . ولكنى بحسبى من الذنب أنك غاضب . . . وبحسبى من الأيام سوادا أن ألقاها وأنت عنى غير راض . . سنوات يا أبى منذ تركتك . . لم تغب عنى ذهنى لحظة . . كنت أتمثلك فى كل طريق أروده ، فأنت الأصل الذى كنت أسعى إليه . . لا شيء إلا أنت . . . أنت وحدك يا أبى ، فها أطيق وحقك الحياة بغير تلك البسمة التى تشرق على وجهك وتشرق لنا بها الأيام والأزمان والآمال والمستقبل . لا . . . أطيق . . .

تركتك لأضرب فى الأرض فكانت ابتسامتك هذه أمل أراها أينها أدرت وجهى . . لقد كانت قطعة من نفسى . . بل لقد كانت أغلى قطعة فى نفسى . . أبى إن أكن أصبت فى الحياة نجحا ، فلأننى كنت أطالع هذه الابتسامة دائها . . . كنت أراها عند الشدة الآخذة فينفرج من الأزمة ما كان مستحكها ، وكنت أراها عند النصر فيزداد النصر عظمة وازداد أنا تواضعا . . . كانت ابتسامتك المصباح فى الظلام وكانت عند الفجر مجلاه وإشراقته .

أبى أتراك أتذكّركم من الأعوام مرت لم ترنى فيها بل إننى حتى الآن لم أكتب إليك . عشرة أعوام كاملة ، وقد قصدت أن أكتب إليك اليوم لأننى احتفل اليوم بعيد مولدى . . لقد ولدت في نفس اليوم الذي غضبت منى فيه وطردتنى . . . فأردت يا أبى أن أكتب هذا في نفس

اليوم . . يوم مولدى . . فإنه يخيل إلى أننى ولدت فى هذا اليوم مرتين . . مرة يوم التقيت بالحياة وعطفك يحيط بى ، ومرة يوم التقيت بالحياة وحدى بلا عون حين طردتنى .

أبي أتظنني غضبت أن طردتني . . أتظن أنني انقطعت عنك طوال هذه المدة لم أعتدر ولم آت ولم أجث عند قدميك لأنني ذو كرامة . . لا وحقك . . فإنني عندك أنت لا كرامة لى . . فأنا أعلم أن حبك يرعى من كرامتي ما لا أرعاه . لم يكن انقطاعي لشيء من هذا . . . وإنما لشيء آخر ستعرفه في نهاية هذا الكتاب . . .

أبي أتذكر يوم طردتنى . . نعم يا أبي . . إنك تذكر ولكنك لم تعرف الحقيقة حتى اليوم ولم أشأ أن أخبرك بها . . فقد كنت أخشى ألا تصدقنى ، وقد كنت ومازلت أحبك حبا يمنعنى أن أخالف إشارة منك مها تكن هذه الاشارة صادرة عن ظن لم يثبت ، أو اعتقاد لم يتأكد . كنت ومازلت لا أجد لكلمة تصدر منك إلا الطاعة فأطعت ، وخرجت . . ومرت عشر سنوات . أما أنا فلم أكتب إليك لفكرة تسلطت على ذهنى وألحت عليه وملكت على كل أمرى وأما أنت فلم تسأل عن ولدك لأنك كنت تعرف من أمره كل شيء وكنت تطمئن على حياته دون أن تظهر له ذلك .

نعم يا أبى . . لقد كنت أعلم أنك واقف على كل خطوة فى حياتى لا تخفى عنك خافية وقد كنت أبيح لمن أعرف أنه يلقاك أن يعرف من أمرى كل شيء . . .

أبى . . أترانى جاحداً لأنى انقطعت عنك طوال هذه الفترة . . أبى . . أترانى ظالمًا لحِقَّ الأبوة إن لم أقصد إليك هذه السنوات جميعها . . . أنرانى أبى كذلك . . . لا وحقك لم أكن . . .

أي ... طوال عشر سنوات كنت أراك في كل أسبوع مرة أو مرتين أو ثلاثة ... كنت يا أي أتخفى وراء الجدران في مواعيد خروجك من المنزل وأطمئن وأترقبك وأزود نفسي بمحياك ثم أعود إلى الحياة وحدى ... ولقد مرضت يا أبي فكنت أرسل إلى عمى زيدان خادمك الذي تولى أمرى بعد وفاة أمى ... كنت أرسل إليه وأنا خارج الدار أعرف دقائق مرضك انصرف بعد أن استحلفه بأغلظ الأيمان ألا يخبرك بمقدمي ... نعم يا أبي .. أدرى أنك كنت تتمنى في لحظات مرضك هذا أن تراني ... ولكن هذه الفكرة التي تسلطت على ذهني ووجداني منعتني أن أفعل .. منعتني أن أنتهز فرصة مرضك لأستمنحك الرضا وأسالك الغفران ... تذكر يا أبي أنك طردتني في اليوم ذاته الذي ظهرت فيه نتيجة الليسانس وكنت ناجحا بتقوق ... طردتني يومذاك وأنا عائد إلى المنزل في المزيع الأخير من الليل ... رأيتني قبل عودتك أجلس إلى مائدة في حانة أشرب الخمر ... وأنت رجل يخاف الله ... وأغضبك أن يشرب الخمر النك الذي تعرفه يقيم الصلاة في مواقيتها ... كبر في نفسك أن يخادعك ولدك فيصل في

البيت ويشرب الخمر في الحانة . أعرف أن فكرة مخادعتي هذه هي التي أثارتك أعلم ولكن . . .

أبي وحياتك لم أشرب الخمر . . . لم أشربها يومداك ولم أشربها حتى اليوم ، ولكن أكنت تصدقني حينثد لو دفعت التهمة عن نفسى . . . لقد رأيتني رأى العين فكيف ينهض إنكارى دون رؤيتك .

لقد كنت هناك فى الحانة ولكن صحابى هم الشاربون وكنت جليسهم . . أصدقاء الدراسة وأرادوا أن يحتفلوا بنجاحهم بالشراب وأبيت أن أشاركهم ، ورأيتنى فبإذا أقول لك وماذا أصنع .

طردتنى يومداك وأعلم أنك كنت تُقدر أننى سأغيب عن البيت بضعة أيام أعود بعدها . . . وإلا فأين أولى وجهى وأنا خريج جديد بلا مال ولا مأوى ولا وظيفة . . . كان تقديرك معقولا حكيها ، وقد أردتنى أن أحس سوء الذنب الذي ظننت أننى ارتكبته . . . ذنب المخادعة ولكنك حين طردتنى يا أن أردتُ أن أثبت لك حبى كاملا خالصا عميقا متينا فكانت هذه الفترة الطويلة التى لم ترنى فيها .

كان فى جيبى تلك الليلة خسة جنيهات هى كل مائى ، قضيت الليل سائراً وكان الصيف عطوفاً حانياً فلم أكن فى حاجة إلى مكان أبيت فيه . . . قضيت الليلة مع أريكة فى حديقة . . . عجيبة . . نعم أنا ابنك اللى كنت ترعاه رعاية مرهفة مدللة ابنك اللى كانت له حجرة خاصة منذ لا يذكر متى ، واللى كان يسعى بين يديه الخدم . . ابنك هذا قضى ليلته مع أريكة فى حديقة .

وفى الصباح الباكر قصدت صديقاً أبوه من كبار المحامين ورجوته أن يلحقني بمكتب أبيه ورحب بى المحامى الكبير وجعل لى راتبا ظنه هو رمزيا وأاتبرته أنا حياتي التي لا حياة لى ألا به . . .

كان مرتبى عشرة جنيهات فى الشهر . . . وعملت . عملت بكل جهدى ويكل ضميرى ويكل إحساسى وأشهد يا أبى أنك نشأتنى فأحسنت فكان العمل عندى واجبا مقدسا ، لا أتخلف عن أقل دقائقه شأنا وقرأت وتأملت القضايا وكت أطالب بالمزيد منها فيا مر عامان حتى كان اسمى معروفا لدى المحاكم وحتى كان مرتبى ثلاثين جنيها ولكنى رجوت أستاذى أن يسمح لى بتركه لأفتح مكتبى الجديد . . . وفتحته وثابرت واجتهدت وقرأت اسمى يا أبى فى الجرائد مرات عديدة فقد أصبح الناس يعتبروننى من أحسن المحامين . وإننى أملك اليوم ثروة تقينى إلى المدى الطويل ، وأنا ما أزال فى بواكير الشباب الأولى وأن أحب عملى ولا أتركه .

لهذا يا أبي أجدنى خليقاً بأن أجثو عند قدميك أطلب الصفح والغفران فهل تراك تصفح . كنت أعيش هذه السنوات مع كفاح . لا أمل لى إلا في هذه اللحظة التي أنا فيها الآن أن أراك تقرأ خطابي الذي كتبته وقدمته لك بيدى وأنا راكع عند قدميك حتى تقيني بيديك .

أبي أردت أن أقصد إلى رحابك وأنا غنى من المال قادر على مواجهة الدنيا لا أحتاج من كريم يديك إلا لمسة الأب وإلا هذه الابتسامة التي شققت بها وإليها طريقي .

إن هذا الخطاب الذي بين يديك قديم . . . ولد في ذهني وفي قلبي يوم طردتني ومازلت أكتبه كل يوم وأعيد كتابته . . . فهو أملي .

لم يكن أملى منذ ذلك اليوم أن أنجح ، لا ولا أن أكون غنياً ، لا ولا أن أصبح بين المشاهير وإنما كان أملى أن أركع في مكاني هذا عند قدميك وأنا غنى ناجح مشهور لا ألتمس منك إلا الصفح والرضا والأبوة وإنها لكثير.

اردت أن أعوذ بك أنت لا أن أعوذ بمالك . . . وأردت أن ألجا إليك . . . إليك أنت لا إلى بيتك . . أردت أن أطلب صفحك ورضاك وأنا فى غنى عن الحاجة المادية . . . فأنا أحبك حباً ما كنت لتدريه لولا هذه السنوات . . . كيف كنت تدرى مدى حبى لك إن لم ترنى مرتمياً عند أعتابك أطلب حُبك فى غنى عن مالك .

حرمت نفسى منك عشر سنوات وحرمتك منى هذا السنوات من أجل هذه اللحظة . . أي إن أرى هذه اللحظة تعدل العمر جميعه . . . ألا تراها أنت كذلك . . .

فكرة — أهى مجنونة أم حكيمة ؟ — لا أدرى وإلما سيطرت على منذ طردتنى . . . أقسمت ألا أعود إليك إلا بعد أن أستطيع القيام بأمر نفسى ولا أطلب الصفح إلا من أجل رضاك وحبك . . .

إن تكن صفحت يا أبي عن هذه السنوات التي حرمتك منى ، وإن تكن راضياً فمد يديك قبلها وضمنى إليك ، وإن لم فدعنى إذن في مكانى حتى ترضى . . . فها أحب أن أظل عمرى جميعه في مكانى هذا منك وأنت في مكانك هذا منى .

* * 4

وبيد بلَّاتها الدموع أقام الأب ولده ، وبقلب يفيض بالشوق ارتمى الفتى على يد أبيه يقبلها ويضمُّها . . . ذخره وحياته وأمله وأبوه .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و هذه اللعبعة



هدده اللعسبية

عادت ناهد إلى البيت فرحة غاية الفرح ، يصفق قلبها سرورا ، وراحت تبحث عن أمها في غرف البيت جميعا حتى إذا لم تجدها نبتت في نفسها غصة صغيرة سرعان ما طفت على فرحها ، وراحت تلجأ إلى التليفون ولم تجد أقرب اليها من صديقتها ليلى لتخبرها بهذا الفرح الذي يملأ نفسها وأدارت القرص وسرعان ما جاء صوت قاتم من الطرف الآخر . عاجلته قائلة :

- -- ليل موجودة ؟
 - موجودة . .
- وترك الصوب التليفون وجاء صوت ليلي قاتمًا هو الآخر ولكن ناهد سارعت قائلة :
 - هيه ياليلي . .
 - --- هيه ياناهد . .
 - هل نجحت . .
 - . Y -
 - -- لم تنجحي . .

وخفتت الفرحة في نفس ناهد ولم تستطع أن تخبرها أنها هي نجحت ، وانما كل ما فعلته أن قالت في صوت شاحب :

- لا عليك .. سأمر عليك

ووضعت السياعة وعادت تفكر فيها يمكن أن تفعله . وضاقت بالبقاء في حجرة مغلقة فقامت إلى الشباك ففتحته . . إنه هناك . . ذلك الفتى في البيت المقابل الذي لا يكف عنها فلا تجدى معه كل هذه القسوة التي تعامله بها . ونظر اليها وابتسم فأقفلت الشباك وعادت إلى

الانتظار مرة أخرى . حاثرة بفرحتها . . جلست إلى مكتب زوج أمها . فهو مكان لا تستطيع الجلوس فيه إن كانت أمها أو زوج أمها بالبيت . وراحت تفتح الأدراج وكأنها تقوم بمقامرة تريد بها أن تفتح المنافذ لفرحتها الحبيسة . وفجأة التقت بمسدس ملقى في الدرج ونظرت اليه طويلا . . وَكَانِهَا لا تَصْدَقُ انْ هَذْهُ الآلةِ الصَّغيرةِ تَقْتُلُ وتَقَطَّعُ حَيَّاةُ انسانَ ضُخَم يملأ الحياة ويروح ويجيء ويتكلم وقد يكون ذا سلطان فهو يتحكم في نفوس البشر فهذا يعيش وهذا لا يجد العيش . . نظرت إلى المسدس الصغير كيف تستطيع هذه الآلة الصغيرة التي تشبه اللعبة . . . بل هي أدن إلى فكرة اللعب أن تجتث حياة انسان من بين أهله وذويه . . . وكيف تقضى عليه حتى وان كان جبارا ذا سطوة ونفوذ وسلطان . . . كزوج أمها مثلا ذلك الذي يسيطر عليها في عنف وبأس وجبروت . . . والذي رأت موظفيه في الشركة وهم يرجفون من ذكر اسمه رجمة تتضاءل أمام هولها رجفة العابد المؤمن العميق الايمان ان ذكر أمامه اسم الله أو اسم الشيطان. بسدس كهذا . . نعم كهذا . . بل برصاصة منه صغيرة دقيقة أهون في سمكها من سمك هذه الفتحة في مقدمة المسدس حتى ولو كان زوج أمها . وسارعت تقفل الدرج وعادت إلى فرحتها وإلى حيرتها بهذه الفرحة . وفجأة طغى تفكيرها على ضجيج فرحها من تنتظر ؟ أتنتظر زوج أمها الشرعي . . وماذا سيفعل قد يتفضل فيخرج كلمة مبروك ، وكأنه يفرج حنجرته عن دمية ميتة لا تحمل معنى . . وقد لا يقول شيئا الا أن يموء أما أمها فقد تفرح حقا ولكن ماذا تراها فاعلة أمام زوجها الباطش الجبار . . قد تضحك وقد تقول مبروك ياحبيبتي ثم تمسك بعنان عواطفها في عنف فقد أمرها زوجها ألا تدلل ابنتها وهي له مطيعة . . ماذا ترجو اذن ناهد لفرحتها . لا شيء . . فقد عاشت في ظل زوج أمها لا تجد لفرحتها عند أمها أو زوجها مكانا أو تجد لحرشها عند أي منها يد آسية أو قلبا عاطفا . كالزهرة البرية التي تشق طريقها في الجو وحيدة فريدة لا من يؤنس ولا من يتعهد . إنها ما تزال تذكر أباها ولكن ماذا تفيد الذكريات مع الواقع الأليم الا أن تزيد الألم قسوة وعنفا . . فكم كانت ترجو أن تنسى حنان أبيها حتى لا تستهول قسوة زوج أمها . . فلو كانت لم تر الحنان لما عرفته ولما احتاجت اليه ولحسبت أن الدنيا كل الدنيا ليس فيا آلام تشقى بها من صلف وترفع وتأنيب وحشونة. ولوكانت تجد أباها لاستطاعت أن تقول نجحت ولاستطاعت قبل ذلك أن تقول له الكثير الذي لم تستطع أن تقوله لأحد ولاستطاعت من بعد أن تقول الكثير الذي تعرف انها تحتاج أن تقوله ولكن لمن تقول . . ألا يمد لها أن تقول . .

وما الحياة ان خلت من القول وقلب يعطف على قلب ونفس تؤنس وحشة نفس ؟ ودخل زوج أمها وطالعته هي فرحة مبتدرة .

- نجحت ياعمي .

ونظر اليها لحظة ثم قال دهيه ي . . وما لبثت أن جاءت أمها فابتدرت قائلة :

. نجحت يانينا .

وفي حركة لا شعورية احتضنتها أمها في نشوة طبيعية وهي تقول:

- مبروك . . ألف مبروك وأحست ناهد أن عيني أمها التقتا بعيني زوجها . . أحست بلقاء العيون في صوت أمها وهو يعاجلها قائلا في شيء من الجفاء المصطنع .

- كان لابد أن تنجحي . . أكنت تنتظرين غير هذا .

وانسحبت الأم من أحضان ابنتها وقصدت إلى غرفتها وما لبث زوجها أن تبعها وخيل لناهد أنه يريد أن يعاتبها على مابدا منها من فرحة لم تحكم زمامها . . وأطرقت ناهد لحظات . . ثم أحست أنها تريد أن تفتح الشباك . . ولا تدرى لماذا أرادت أن تفتح الشباك ولكنها توجهت اليه وفتحته بيد ثابتة كمن صممت على شيء . . وفي الشباك المواجه وجدت الفتى يطاردها بابتسامته . . ووجدت ابتسامته مستقرة على فمه كها تركها منذ أغلقت الشباك في المرة الأولى . . وابتسمت . ولم يصدق الفتى عينيه فراح يفرك عينه وعاد ينظر اليها وقد رسم الابتسامة على فمه فوجد الابتسامة ما تزال على شفق ناهد لم تتركها . . ورقص الفتى في الشباك فضحكت ناهد من أعهاق قلبها . . وكأنها أحست أنها قالت « نجحت » للشخص المناسب ، وأشار لها الفتى أن يلتقيا وأومأت أن نعم وقصدت إلى أمها فأبلغتها أنها تريد لن تزور ليلى ، ووافقت الأم ونزلت إلى الطريق .

ومنذ ذاك اليوم لم تكن تحتاج إلى أحد تفضى إليه بفرحتها ، أو تزجى اليه بآلامها فقد أغناها ماجد عن هذه الحاجة . . فهو كل شيء لها في الحياة . شاب من الريف يقيم وحده في القاهرة ليكمل تعليمه في كلية الآداب قسم الفلسفة ، علب الحديث عطوف عليها يتلمس رغباتها لينفذها ، ولم تكن رغباتها كثيرة في كانت تريد الا أذناً وقلبا ، وقد كان ماجد ما تريد .

وبيت ماجد خال وبيتها هي لا رقيب فيه فالأم كثيرة الخروج وزوج الأم كثير المشاغل .

واستطاعت الصلة بينها وبين ماجد أن تظل بريئة فترة من الزمان ولكن البيت الخالى . . والرقيب الغائب . . والحنان من ماجد . . والقسوة من زوج الأم . . كل هذا استطاع أن يجعل الصلة غير بريئة .

ولم تجزع ناهد أول الأمر ولكن عارضا عرض كان لابد أن تجزع له . . لقد أوشكت أن تشر هذه الثمرة التي يتمناها كثير من الآباء والأمهات فلا يصيبون من أمنياتهم إلا خيبة والتي يتمنى كثير آخرون من ذوى الصلات المستورة أن تظل مستورة فتتمرد عليهم الطبيعة وتصمم على أن تهب لهم ما هم عنه في غنى أي غنى . . كانت ناهد تحمل ثمرة بحثها عن الحنان عند ماجد .

وأخبرته . . وجزع الفتى ولجأ إلى صديق له فى كلية الطب ولكن صديقه خلله ، وذهب إلى طبيب بمن يتقاضون من أجل هذه العملية أجرا فاحشا ولكن الطبيب ما لبث أن قال لهما :

- لا . . لا يمكن أن تحتمل العملية . .

وخرجا وقصدا إلى بيت ماجد . . وأطرق ماجد حزينا ونظرت هي اليه طويلا ثم قالت

- في أي سنة أنت من سنوات دراستك ؟

ونظر اليها مندهشا بعض الحين ثم قال:

-- الا تعرفي*ن* ؟

- قلت لى إنك في السنة النهائية ولكن الآن أريد أن أعرف الحقيقة.

- اذن

- إنها الحقيقة.

اذن ماذا ؟

-- أراك لا تريد أن تفهم .

- وهل تظنين أن ما يمنعني عن الزواج هو دراستي ؟

اذن فياذا ؟

— إن فلاح .

وهل لا يتزوج الفلاحون .

يتزوجون ولكن . .

ولكن ماذا .

- ألا تفهمين ؟

-- أكاد أفهم .

-- الفلاحون لا يتزوجون هكذا.

- ألست تعرف أنك أول انسان عرفته.

- ليس هذا ما أخشاه .

- فياذا تخشى ؟

- أخشى ألا أكون الأخير.

ونظرت إليه ناهد طويلا . . القسوة . . كل قسوة في الوجود أرحم من هذا الذي سمعته الآن .

وقامت إلى بيتها كسيرة حزينة . . وقصدت إلى البهو وحيدة . . تريد أن تبكى فلا تجد الدموع . انها ليست الأولى في هذا الموقف لا ولن تكون الأخيرة ولكن السعيدات الأخريات

يجدن فيه من يقف إلى جانبهن . . يجدن أمهاتهن . . فأين أمها . . لا يعرف أى انسان هذه الكارثة التي تشقى بها الا أمها . . فمن لها . . من . . لا أحد . . لا أحد . . لماذا . . فعلت بنفسها هذا .

انها تدرى لماذا . . تدريه حتى لتحسب أنها تعود إلى ما فعلته مرة أخرى ان عادت الأيام القهقرى الا أنها كانت تتمنى أن تجد فى ماجد الرجل الذي توهمته . . أو تجد من الزمان بعض عطف يعوضها عن عطف الأبوة أو الأمومة ولكن لا . . فالزمن المفترس لم يشأ أن يهب لها شيئا علم يهب للأخريات . أى فضل للأخريات إن يكن شريفات لماذا يسقطن . . وهل كل الرجال مثل ماجد . . هذا الذي صرع مستقبلها بما فعل وشرفها بما قال .

وجلست إلى المكتب وراحت تفتح أدراجه والتقت مرة أخرى بالمسدس . . هذه اللعبة التي عبت حياة الناس انها تريدها الآن . . تريدها بكل خلجة من خلجات نفسها .

أمسكت بالمسدس وجلست ولم تطل بها جلستها فسرعان ما دخل اليها زوج أمها وقبل أن يقول في صوته العنيف الطاغي ماذا تفعلين كانت هي قد أطلقت الرصاصة الأولى وترنح الرجل الشامخ فاتبعت رصاصتها ثانية فثالثة فرابعة حتى صارت تضغط على الزناد فلا يطلق الا فراغا.. ولم تبال فراغ المسدس من رصاصه بل راحت تضغط وتضغط.



La list

تفضل ياسيدي بالجلوس . لا لن تجد منضدة خالية . . ان المقهى الآن بالذات لا تخلو فيه منضدة . لعلك لا تعرف هذا المقهى ياسيدى ، انه مقهى الموسيقيين وأفراد الكورس وهم الآن يتناولون غداءهم ليعودوا إلى الاذاعة وهكذا تجدهم يزحمون المقهى . في هذا الوقت بالذات يزحمون المقهى . ثم هم إذا فرغوا يجلسون هنا أيضا ليجدهم من يريدهم في عمل . . لماذا تظار واقفا ياسيدي . . تفضل ياسيدي بالجلوس . لا لا تندهش ان كلمتك دون سابق معرفة فاني كثيرا ما رأيتك ، وجهك مألوف بالنسبة لي . ثم انك ستسدى الى معروفا كبيرا إذا جلست فاني أريد أن أتكلم . . أريد أن أقول وكل هؤلاء سمعوا ما أريد أن أقوله ولكني مع ذلك أريد أن أقوله مرة أخرى تفضل بالجلوس وأعدك انك لن تشعر بالملل فحكايتي - على كل حال - لا تجلب الملل . . شكرا . . والآن هل تأمر بقهوة أم بكازوزة . . أنا الذي سأدفع فانه يسعدني أن أجد من احكى له . . لا شك أنك تريد عبد المنعثم قاصد . . انت شاهر وهو يلحن لك . . اليس كذلك . . نعم أنا متأكد . , سيأى عبد المنعم حالا , , كازوزة ؟ حسنا . . ياكوشة . . ياكوشة . زجاجة كازوزة وحسابها عندى . وعجل ياكوشة أتريد أن تسمع الآن . أولا أحب أن أعرفك بنفسى . أنا ياسيدى جزء على عشرة من انسان وأحيانا أنا جزء على عشرين من انسان . وأحيانا ولكن قليلا ما أصبح جزءا على ثلاثين من إنسان . وعلى كل حال أنا لست انسانا كاملا لم أكن كذلك في يوم من الأيام , تصور أنني حتى وأنا في بطن أمى كنت نصف انسان . نعم إن لى أخا توأما شاركني المكان الوحيد الذي يمكن أن أكون فيه انسانا كاملا ، واحدا صحيحا . وحين نزلنا إلى الحياة ظللت أحس انفي لست انسانا كاملا . العجب ان هذا الشعور لم يكن يراود أخى أبدا كنت أسأله :

أغس انك انسان كامل.
 وكان يقول في عظمة بلهاء:

- كامل ونصف.

يظهر أن الشعور بالكيال تسرب اليه جيعا ونحن في بطن أمنا ولم يبق لي منه شيء. وأكدت الحياة معنى هذا النقص في نفسي ، لم أتفرد بشيء أبدا ، كنا إذا أكلنا تقاسمت أنا وأخى الطعام ، واذا ما اشترى أبي لي شيئا كان لابد أن يشتري نفس الشيء لأخى كنت أخشى أن ينسى يوماً ويحضر لى فردة حذاء ولأخى فردة حذاء وذهبنا إلى المدرسة . وكان أخى ذكيا يحسن المذاكرة ويحسن الاجابة على المدرس ويحسن الاستهاع ويحسن أن يجعلهم يقولون عنه انه تلميد متاز . وكنت في أول عهدى بالمدرسة مثله . ولكن حين تقدمت بي السن والدراسة بعض الشيء نبتت في رأسي فكرة لا أدرى مأتاها . . جميع الأفكار تأتي من حيث لا ندري ولكنها تؤثر في حياتنا حتى نهاية الحياة . . مصاير الانسان ياسيدي مرتبطة بفكرة كهذه الفكرة التي نت في رأسي ونفلتها . . تصور ياسيدي مجرد فكرة طيف من ظن ، لمحة من أوهام . ظل من رأى ، مجرد فكرة فإذا أنا الذي تراني اليوم وإذا أخى - والعقبي لأمالك - مدير خطير يحرك بسبابته عشرات من الكيانات البشرية من أمثالي . . كانت فكرة ياسيدي . . لا . . لا أريد أن أكون مثل أخى أريد أن أكون . . أنا . . أنا . أنا فقد بحثت عن أنا هذه كثيرا وقررت - ما دمت لم أجدها — أن أخلقها أنا . . وخلقتها ياسيدي فاذا هي هذا المخلوق الشائه الذي تراه الآن أمامك . . جزءا من عشرة من انسان أو جزءا من عشرين أو جزءا من ثلاثين . . كانت فكرة مجرد فكرة . . كثيرا ما تطوف بأذهان أقوام لكنهم لم ينفذوها ، وانما . . أنا . . أنا . . نفلتها . . قلت في نفسي لن أكون صورة لأخي . . لا لن أكون . . سأكون أنا منفردا في كيان لا أماثل هذا الأخ فيها يسعى اليه من آمال ولا فيها يسير فيه من طريق . . أني شبيه له في الخلقة ولكني لن أكون شبيها له في الأمال والأحلام . . كنت قد مللت أن أكون نسخة كربون من أخى . . كانت فكرة . . لو تركتها تلوب مع الأفكار الأخرى التي تراود عقل ، لو انى لم أتمسك . . لو . . بغيضة (لو) هذه ياسيدي الشاعر أليس كذلك . . أتعجبك (لو) هذه ياسيدى . . انها لفظ الحسرة على ما فات والألم على الماضي . لفظه لا تحمل الا اليأس لعلك تحبها في شعرك لأنها تعطيك الفرص للظهور بمظهر الحزين الآسي . . هذا المظهر الذي يحب الشعراء دائيا أن يتخلوه . . أكره أنا (لو) هذه ياسيدي لو كنت تركتها تذوب لكان شأني غير شأني . . المهم أني نفذتها . . أهملت المذاكرة وكنت أجاهد ألا ألتفت في الحصة وأجاهد أن أجعلهم يقولون عنى تلميذ فاشل أتعرف ياسيدي انني لم ألاق النجاح الا نادرا في حيات أقول نادرا لأخادع نفسي الحقيقة انني لم ألاق النجاح الا في هذه المرة . . نجحت ياسيدي في أن أكون تلميداً فاشلا . . نجحت في ذلك نجاحا جعل أبي ينتهي إلى الياس الكامل من أن أكمل دراستي . . وأخرجني . .

كان يومى الأول مع الفراغ وزملائى فى المدرسة يوما عجيبا بالنسبة لى ياسيدى حتى لقد خطر لى أن أعدل عن فكرى وأعود إلى مدرستى ولكن هذه الفكرة . . فكرة العدول ياسيدى

سرعان ما ذابت وتلاشت ورحلت إلى حيث لا أدرى ولا يدرى أحد . . أتعرف أين تلهب الأفكار ياسيدى . . لا ما أظنك تعرف ، بل ما أظن أن أحدا يعرف . . قضيت اليوم وحيدا ، ولكنى كنت فردا . . شعرت بالتوحد . لم أجد نفسى بين صفوف التلاميذ ولا وجدت نفسى جزءا من جماعة ، بل وجدت نفسى فردا كاملا . ولكن لسبب لا أدريه لم أشعر بهذه الانفرادية وإنما شعرت بالضياع . . كم هو مر مذاق هذا الضياع يا سيدى حتى لقد أضاع على شعورى بالتفرد .

وكان لى زميل سبقني إلى الطريق فلعبت اليه فوجلته قد حقق آماله فى كمنجة بجملها وتخرج له أنغاما . وكان سعيدا ، وأصبحت فى أيام افلاسى وأنا لاعمل لى إلا أن أستمع للموسيقى التى ترسلها كمنجة صديقى الذى سبقنى إلى الطريق . . لا لم أكن حينذاك أقدر النغمة الحلوة ولا النغمة الرديئة . وإنما كنت أستمع . . أتشرب فنجان قهوة . . يسعدنى أن أقدمه لك . . أتشربها مضبوطة . . ياكوشة فنجان قهوة مضبوطة . . لا . . لا تشكرنى . . فأنه يسعدنى أن أقول . . خيل الى بعد حين اننى أستطيع أن أفهم النغيات ، ورحت أستحسن موسيقى صديقى وشيئا فشيئا واتننى الجرأة أن أدندن وما لبنت أن غنيت . . نعم كنت أغنى مع موسيقى صديقى وقال صديقى الله وحين سمعتها وجدت (أنا) التى كنت أبحث عنها . . وجدت نفسى أحس بالتفرد ياسيدى . . أصبحت أغنى وأجد من يقول الله . .

وتمسكت بلفظة الاستحسان هذه واسترسلت . . غنيت ، وكان صديقي يدعو بعضا بمن يعرفهم ويعزف هو وأغنى أنا . . والعجيب ياسيدي أنهم كانوا يقولون الله . . لا أدرى أي دافع كان يبعثهم إلى قولها . . أصبحت الآن لا أدرى . . أما في ذلك الحين فقد كنت واثقا أن صوق رخيم . . كنت واثقا ياسيدي . . ولا أدرى كيف استطاع صديقي أن يدبر لنا ليلة نغني فيها في فرح . . فرح كامل يجلس فيه المدعوون والعريس والعروس وأغنى أنا ويعزف هو على كمنجة ويعزف آخر على عود ويدق ثالث على طبلة . . وأغنى . . وغنيت ياسيدي وقال الناس الله . . لا لم يكونوا ساخرين . . قالوا الله ولكن ما أقل ما قالوها . . إن هي إلا دقيقة أو اثنتان وإذا بالكراسي تقذف الينا وإذا الفرح يصبح ميدانا للمصارعة وإذا نحن وأهل المغنى والموسيقي نتلمس غبأ نحتمي فيه ولكن كأنما كان المدعوون لا يريدون أن يضربوا أحدا الا العازفين . .

نجونا بحياتنا ولكن لم ننج من الجروح والكدمات ضع القهوة هنا يا كوشة . . هل الماء بارد . . شكرا يا كوشة . . العجيب يا سيدى أن هذه الحادثة كانت تتكرر في الأفراح التي ندعى إليها بطريقة متنظمة لا تخطىء . . لم نكمل حفلا أبدا . يئست ياسيدى . وكفرت بالتفرد وكفرت بنفسى وكفرت بكل شيء الا السياء . . أتعرف يا سيدى أن فكرة الكفر بالسياء لم تخالجني أبدا . . ان عقل لا يتصور أن السياء تتركنا ، كيا لا يتصور عقل أن تكون هذه الدنيا هي نهاية القصة . أنا مؤمن بالله وبالحياة الأخرى ، ولم أفقد ايماني هذا في أشد الأوقات حلكة

وسوادا . مات أبي يا سيدى وأنا أقطع طريقي في الفشل . وازدادت الدنيا سوادا أمام عيني ولكني لم أكفر بالله . . وفجأة قال صديقي صاحب الكمنجة إنه تعرف على شخص يستطيع أن يجعلني أغنى وحين سألته (ولا يضربني المستمعون) قال (ولا يضربك المستمعون) قلت (كيف؟) قال (ستغنى في كورس) كورس ؟؟ وأعود شخصا غير كامل مرة أخرى . . طلبت إليه ألا يذكر هذا العرض أمامي . . طلبت منه ذلك في صلف وكبرياء ولكن قليلا مادام هذا الصلف وذلك الكبرياء . . كان أبي موظفا وكان يعولني وهو حي ولكنه حين مات لم يترك لي شيئا الا خوفي أن أشعر بأنني انسان لا يكتمل الا بغيره ، جعت يا سيدي فذهبت الى صديقي ولم ينتظر أن أطلب . . يبدو أن منظري وحده كان كافيا ، وأصبحت أحد أفراد الكورس أغنى مع غيرى ولا يتبين أحد صوق انما صدى بين الأصداء ظل يختلط بظلال جزء على عشرة أو عشرين أو ثلاثين من انسان . . انسان لا يعرف جنسه فهو خليط من رجال ونساء وأطفال أحيانا . ولكني لم أعد جائعا وإن عدت الى شعورى بعدم الاكتبال لا يا سيدى ان قصتي لم تكتمل . . كنت يا سيدى ملزما أن أشترى بدلة سهرة . . كنت أبدو فيها أنيقا . فحين كنت أغادر منزلي وأنا لابسها تسارع بنات الحارة الى النظر من الشبابيك وكنت أحس بالزهو في داخلي . . زهو سرعان ما يزاملني حين أجد نفسي أكمل الانسان الظل في الحفل . ولكن فتاة من بين أولئك الفتيات أعجبتني وخطبتها وتزوجتها وعشنا معا سعداء أول الأمر . . لم تكن تعرف معنى أنني كورس . . لم تكن تتصور انني جزء من ظل انسان . . حتى جاء التلفزيون فكانت ترانى فيه . . أجل اشتريت جهازا فيمن اشترى فلعلك لا تعرف يا سيدى ان مهنتي تدر على ربيحاً لا بأس به . . أترى السيارة التي هناك . . هي قديمة نعم . . ولكني أملكها . . رأتني زوجتي في التلفزيون . . رأت المهنة التي أمتهنها . . سيدى عدت يوما من إحدى الحفلات فوجدت زوجتي قد غادرت البيت وحين ذهبت اليها أحلول ارجاعها . . قالت أريد شخصا موجودا لا ضائعا خافيا لا يبين . . أريد انسانا لا جزءا من انسان . . ما حزنت يا سيدي . . لقد تركت أنا فترة الحزن من زمن بعيد . . انما أقص عليك لأنى لم أعد أجد حزنا فيها أقص . . لا ياسيدي أنا لست سعيدا وانما أنا قانع . . لا تصدق يا سيدي أن السعادة هي القناعة . . وإنما القناعة هي الشقاء . . هي ركود يا سيدي ولكني أرتضيه . . أرتضيه لأني لا أملك له دفعا ولا عنه حولا . . ماذا يا سيدي ألا تنتظر عبد المنعم قاصد . . لابد أنه قادم الآن . . لا بأس يا سيدي . . أمرك . . سأخبره بقدومك . . مع السلامة يا سيَّدي . . مع السلامة . . يا كوشة . . يا كوشة كم تريد . . نعم كازوزة وقهوة . . وهذه خمسة قروش لك يا كوشة شكرا يا كوشة .

رحساة

كان مكانها في الطائرة بجانبه ولم تعره التفاتا ، فقد كانت المرة الأولى التي تركب فيها طائرة ، وكان كل ما يسعى إليه ذهنها أن تقرأ ما تحفظه من القرآن : قليلا ما كانت تلجأ إلى القرآن وهكذا كان عصولها فيه يقل كليا لجأت اليه ، فهى تجهد ذهنها بحثا عن السور القصار . ويخونها ذهنها الخائف المذعور فلا تذكر الا « قل هو الله أحد » وتكمل السورة وتبحث عن غيرها فلا يقودها ذهنها إلى غير (قل هو الله أحد) فتعيدها وتعيدها ولا تقول غيرها وهو بجانبهاينظر اليها وطيف ابتسامة يطيف بفمه . وتظل هي تقرأ قل هو الله أحد حتى تجد نفسها أخر الأمر قد اطمأنت إلى تحليق الطائرة في الهواء وتفيق إلى نفسها من ذعرها وتنظر حواليها وتراه وترى الابتسامة وتوشك أن تلاقيها بابتسامة . وتتفرس فيه . فتي أسمر ألوجه سمرة غير مصرية حلو الملامع ذلى العينين حليق الشعر أسوده . في وجهه سياحة وطيبة وحب . . حب للحياة ولكل شيء في الحياة وينتهز فرصة نظرها إليه فيقول في انجليزية نقية :

_ أخائفة أنت إلى هذا الحد ؟

وتدهش أنه عرف بخوفها على رغم جهله بالعربية فتقول:

- _ كيف عرفت ان خائفة ؟
 - ــ لكل دين تعاويله .
- ــ نعم إن خائفة . . الحقيقة أنني كنت خائفة . ولكنني الآن أشعر بالطمأنينة .
 - _ أترى كان لما تتمتمين به أثر في هذه الطمأنينة .
 - ــ لا أدرى . . ولكني الآن غير خائفة .
 - _ أنت مصرية ؟
 - _ نعم .

```
_ ما هذا الذي كنت تقولينه ؟
                                             ــ كلام من كتابنا .
                                                 _ مسلمة أنت؟
                                                       ــ نعم .
                                             ـ أهذا هو القرآن؟
                                             _ كليات قليلة منه .
                         _ أنا أيضا أقول كلاما حين أكون خاتفا .
                                                _ من الانجيل ؟
                                               _ لست مسيحيا .
                                                       ۔۔ اذن ؟
                                                   ـــ أنا بوذي .
                                              _ من المند أنت ؟
                                            _ وها, كنت خائفا ؟
.. في هذه المرة لا . . إنها ليست المرة الأولى التي أركب فيها الطائرة .
                                    ــ هل حفت في المرة الأولى ؟
ــ المشاعر الانسانية واحدة في جميع أنحاء العالم ومهما تختلف الأديان.
                                        ـ أنت مسافر إلى لندن ؟
                                                  _ نعم وانت ؟
                                              _ إلى لندن أيضا .
                                                    ــ للدراسة ؟
                                                 ۔ نعم وانت ؟
                 _ للدراسة . . . كنت في أجازة وهأنذا عائلة منها .
                                  _ ألا تشعر بالفربة في لندن؟
                      _ إنني أشعر بالغربة بمجرد بعلى عن بيق .
                                           ... أخاف من الغربة.
```

_ مي المرة الأولى التي تفارقين فيها أهلك؟

_ لم تعاول أسرتك أن غنعك من السفر؟

_ أظنها غير سعيلة بسفرك؟

لم أبت ليلة خارج منزلي . . بل لم أبت ليلة بعيدة عن أختى .

_ مسكينة كانت تحاول أن تخفى الدموع حتى لا أراها .

ــ حاولت أمى ولكن أبي متحرر التفكير ورأى أننى متقدمة في دراستى فلم يشأ أن بحرمني هذه الفرصة .

_ وجرى الحديث . . حدثته عن أبيها وأمها وأختها وأخيها . . وحدثها عن إخوته الثلاثة من الذكور والأربع من النساء فعرفت أساءهم وأساءهن وعرفت المتزوجة منهن ومن لا تزال تتنظر الزوج وعرفت ماذا يفعل إخوته من الذكور عرفت أعالهم جيعا . . ساعة واحدة كان كل منها يعرف كل شيء عن الآخر وجرى الحديث ونسيت الطائرة ونسيت الحوف ونسيت أباها وأختها وأخاها نسيتهم بالحديث عنهم . . نسيت لهفتهم في يوم سفرها ونسيت الجزع في عيني أمها والضياع في عيني أختها والشعور بالمغامرة في عيني أبيها والشوق إلى المجهول في عيني أخيها . . نسيت المشاعر التي ودعوها بها في غيار الجديث وعن حياتهم اليومية ، وفجأة اهتزت الطائرة هزة عنيفة وهوم الصمت على المسافرين وعاد إليها الخوف ولم تشعر بنفسها وهي تمسك بيده في ذهول ولم تشعر أيضا بيده وهو يطبقها على يدها المرتجفة . وبعد لحظات أنباهم صوت قائد الطائرة انهم في خطر وانه يجاول أن يتغلب على هذا الخطر .

ونظرت إلى جارها اللى أصبح صديقها وتكلمت عيناها وتكلمت عيناه وساد الصمت دقائق طويلة . . طويلة . . ثم ارتفع صوت قائد الطائرة .

الطائرة .

... اقترينا من لندن . . الله معنا .

وعادت إلى «قل هو الله أحد» تقولها بقلبها ونظرت إلى جارها ووجدته يقول كلاما لا تفهم منه شيئا . وحين لامست الطائرة أرض المطار وجدت نفسها في حضن هريش وهي ما تزال تردد «قل هو الله أحد» وحين انفصلت عنه انفجرت باكية ضاحكة متمتمة بكليات السورة الوحيدة التي أصبحت لا تحفظ غيرها .

واستمرت الصلة بينها وبين هريش حتى أصبحت تقفى كل أوقات فراغها معه . حسست فى صحبته أمنا . واستطاعت برفقته أن تتغلب على الغربة أغلب ساعات النهار . ولكن الوحدة كانت تفغر لها فاها كلها تلقفتها الحجرة التى استأجرها لها عند أسرة صديقه .

وفي يوم سألها هريش ونظرة الحب تشع من عينيه :

- ــ سلوى . . أريد أن أتزوجك .
 - ۔۔ کیف ؟
 - ۔ مكذا .
- ــ ولكن ديننا يحرم الزواج بك .
 - ــ أعلم .

... وصمتت بعض الحين ولكنها ما لبثت أن وافقت على الزواج وتم الزواج على غير علم من أحد إلا الموظفين المختصين .

ــ ومرت الأيام وسلوى تكتب لأهلها لا تجسر أن تخبرهم بما تم فى أمرها حتى كان يوم شعرت بألم فى جنبها ، لم تحفل به أول الأمر ولكن الألم ازداد ولم تستطع أن تكتم أمره عن هريش . وطالعهما الطبيب بالحقيقة القاتلة . . المرض قاتل لا سبيل إلى التغلب عليه .

ونظرت سلوى إلى هريش وأنعمت النظر ولم تجد شيئا تقوله الا . .

ـ أنا آسفة . . لم أستطع أن أحقق لك السعادة التي كنت أتمني أن أحققها لك .

ولم يستطع هريش أن يتحمل العبه وحده . وفوجئت أسرة سلوى بخطاب موقع من هريش أن ابنتهم مريضة . وظن الأب أن التوقيع لأحد زملائها ولم يفكر إلا في مرض ابنته فسرعان ما ذهب اليها في لندن . . ووجدها على فراش الموت ووجد معها هريش . وما هي الا لحظات حتى تبين ما فعلته ابنته . وأوشك أن يتركها ليعود إلى القاهرة ولكن سلوى نادته في صوت واهن ضعيف :

أيي .

ووجد نفسه يقول دون ريث وتفكير.

لم أعد أباك.

اني هنا وحيدة .

ــ لى رجاء لا يستطيع أن يحققه لى هريش .

-- لا تنطقي اسمه .

ـ فهو رجاء لن يحققه لي إلا أنت.

- لا أريد أن أسمع .

- أريد أن أدفن كمسلمة .

وانهار الأب الحزين باكيا . . انها مازالت مسلمة . .

- هل أشركت بالله ياسلوى . . هل أشركت بالله .

ـ أريد أن أدفن كها يدفن المسلمون.

فرحسسة

أمسك شريف بالجريدة في لهغة جامحة وراح يبحث عن نتيجة المسابقة التي تقدم إليها بكتابه الأول. وطال بحثه عن هذه الأسطر التي ينشدها حتى عثر عليها آخر الأمر. وإذا هو يجد اسم قصته يشرق في العنوان. وإنها الأولى. لقد اختيرت قصته أولى القصص على كل هذا الحشد الذي تدافع إلى المسابقة. لم تكن آماله جريئة إلى هذا الحد. إن آماله لم تحدثه يوما أنه قد يكون الأول. لقد كانت غاية الأمال عنده أن يذكر اسمه من بين عشرة أوائل. وهو ما يزال يذكر كيف كان يردع هذه الأمال ويلزمها مكاناً قصياً في بعيد نفسه ولا يتيح لها أبداً أن تلح عليه فقد كان يخشى أن تعده بما لا تطبق الأبام تحقيقه.

ولكن ها هى ذى الأيام تهب له حقيقة قائمة لم تستطع الآمال أن ترسمها له ، أسرع شريف إلى البيت وعدا السلالم عدوا حتى دخل إلى زوجته .

- ب سهير .
- ـ هه شريف .
- ــ تصوري . . تصوري .
 - _ خيبراً .
- ــ الأولى . . ليست الثانية ولا العاشرة . . الأولى .
 - ... من هي ؟
- ـ قصتي الأولى . اختاروا قصتي . الأولى . . الأولى .
 - _ الأولى . . مبروك . . وكم سيعطونك ؟
- ــ لا أعرف ولكنها . . الأولى . . الأولى . . تصورى .
 - ــ طيب يا أخى تصورنا وبعد . .

- _ وهل فيها بعد . . الشهرة المجد .
 - _ عظيم . . مبروك .
 - _ ولكنك لست فرحانة .
- _ وماذا تريدن أن أفعل لأكون فرحانة ؟

وعند ثلا أفاق شريف من فرحته .. فعلا .. ماذا يريدها أن تفعل لتكون فرحانة .. ومنذ متى استقبلت أخباره بأكثر من هذا الهلوء الذى لا ينبىء عن شيء من فرح أو حزن أو أى شعور لو كانت امرأة غيرها لو كانت امرأة جياشة الشعور لطلب إليها أن ترقص .. نعم ترقص يقفل هو باب الحجرة وترقص هى ، وتقبله ، ثم تعود فترقص وتقبله دون أن تقول مبروك .. هذه المبروك الجاملة العاجزة .. لو كانت امرأة أخرى لما قالتها .. كان يريدها زوجة تستقبل معه المبروك إن ألقيت إليه ولا تقولها .. ولكن هذه هى زوجته ولن يملك لها تغييراً .. أفاق شريف المبروك إلى نفسه وإلى فرحته هذه المطفلة وعاد إلى حقيقة سنه . رجل في الثلاثين من عمره وقور الملامح ثابت التفكير عب أحياناً أن يكون طفلاً فيجد أمامه هدوء زوجته فيعود مرة أخرى إلى سابق

ينزل شريف إلى الشارع يبحث عن صديق يفجر أمامه فرحته ولكن إذا كانت زوجته تنكر عليه هذه الفرحة الطافية فكيف بالصديق . . لا إنه لا يريد صديقاً . . بل صديقة . . أنشى تقفل عليها حجرة ويأخذها بين ذراعيه ويتبادلان الفرحة حيناً والحب أحياناً فيتزود من ساعة اللقاء طاقة كبرى من الاشراق يلقى به هذه الحياة المعتمة حوله .

صديقة . ومن الصديقة . . نجوى زميلته في الصحيفة التي يشتغل بها . . فكثيراً ما أبدت اعجابها بما يكتب . . ولكن نجوى . . نعم نجوى . . لا . . لا يمكن . . لقد كانت تبدى اعجابها مليئاً بالنقد والموازنة والمقاييس الفنية . . كان إعجابه منهجياً لا تبعثه الأنثى التي في نجوى بقدر ما هو صادر عن نجوى خريجة الأداب ، إن الذي ينشده ، إعجاب امرأة برجل اعجاباً ساذجاً بلا نقد ولا مقاييس ولا موازنة ولا دراسة . . يريدها معجبة بكل ما يكتب وبالطريقة التي يحسك بها قلمه ويميل بها على صفحاته . . لا . .

وفى غمرة هذا التفكير كانت سيارة شريف قد وصلت به دون أن بجس إلى الجريدة فلم يفق إلا وهو ينزل من سيارته في طريقه إلى مكتبه بالجريدة ، وحينتذ تذكر أنه لا عمل لديه بالجريدة في مثل هذه الساعة ولكن هذا لم يثنه عن الدخول إلى مكتبه . فقد كان خالياً من كل عمل فرحان تتجمع فرحته في قلبه ولا يجد لها متنفساً ، فتمنى لو يجد أي شيء يفرج عن فرحته المكبوتة تلك . . أي شيء حتى ولو كان عملاً .

وسرعان ما تحققت أمنيته . . لقد وجد على مكتبه كومة من رسائل القراء تنتظر فراح يفتحها الواحدة بعد الأخرى ، وأخذ يكتب رده على كل منها وأحاط به عمله فنسى كل شيء عن فرحته وعن الصديقة التي يريدها ، وعن تجهم زوجته وجودها ، فلم يبتى أمامه إلا هؤلاء الغربان الذين يعانون الآلام في حياتهم ويلجأون إليه يسألونه لها شفاء .

وفتح باب الغرفة عن فتاة حلوة تسأل في رقة وعلوية :

ــ الأستانة نجوى موجودة ؟

ودون أن يرفع شريف عينيه إلى هذه الفتاة المطلة عليه قال :

. Y _

فعادت الفتنة تقول:

_ ممكن أنتظرها ؟

ودون أن يرفع نظره قال:

_ تفضل .

وراح هو في دوامة الرسائل مشغولاً عن الفتاة وعن نجوى وعن كل شيء . . ولم تمض دقائق حتى قال شريف وهو في غمرته ما يزال :

ــ مصيبة . . مسكين .

فقالت الفتاة:

_ نعم ؟

_ مسكين . لا حول ولا قوة إلا بالله .

فقالت الفتاة:

_ أتكلمني يا أستاذ ؟

وحينئذ رفع شريف رأسه إلى الفتاة وهي تقول مرة أخرى :

_ أتكلمني ؟

فتلعثم شريف أمام هذا الجيال الذي أهمله وقد ساءه هذا الجمود الذي عامل به الزائر فواح

يقول في تردد:

_ نعم . . لا . . اقصد . . مسكين مسكين ذلك الرجل . . أقصد . .

وانفجرت فى الحجرة ضحكة مدوية أعقبتها قهقهة عالية تتحدى الجريلة التى تموج بمن فيها ، وتتحدى كل شيء يعوقها ، وإنما فيها ، وتتحدى كل أصول يضعها العرف ، ضحكة خالية متخلصة من كل شيء يعوقها ، وإنما هي تبحث عن طريق لها لتجد نفسها متفجرة في الجوحرة مرحة بهيجة بلا عراقيل ولا عوائق .

وانفتحت عينا شريف دهشاً فاصبحتا في اتساع فمه المذهول ، ولكن قليلًا ما لازمه الدهش فقد اطلق هو الآخر ضحكة عالية مقهقهة طال احتباسها في نفسه فنمت وشبت حتى أصبحت ضحكة قوية رائعة جذلانة لا يذكر أنها صدرت عنه منذ كان طفلًا .

وفي خفوت الضحك اختلط صوت شريف والفتاة وهما يقولان:

- مالك يا أستاذ؟ --
- _ ما اللي يضحكك ياست؟

وعادا يضمحكان مرة أخرى وراحت هي تقول بالفاظ يقطعها الضحك:

_ أنا أضحك منك وأنت؟

وتجهم وجهه فجأة وقال :

منى . . منى أنا . . أكل هذا الضحك . . منى أنا . . أنا يا ست ؟

۔ نعم منك .

ــ هل أنا مضحك إلى هذا الحد ؟

ـ وأكنشر .

ــ ولمساذا ؟

... ألا تعرف ؟!

- إن كان وجهى على ما أعهد فأنا لا أعرف أنه يضحك إلى هذا الحد .

ـ لا ليس وجهك .

أهى ملابسى اذن ؟

ـ أبدأ . . أبدأ .

۔ اذن ؟

أتقصد أنك لا تعرف؟

- لا أعرف في شيئاً يضحك إلى هذا الحد ...

- أفهم من هذا أنك لم تحس أنك كنت تكلم نفسك .

_ ماذا قلت لنفسي ؟

وراحت تقلد صوته وهي تقول:

ــ مسكين . . لا حول ولا قوة إلا بالله .

_ أهذا يضحك ؟

- وهل يمكن ألا أضحك ؟ إ

- ألم تقدرى أنني أقرأ شيئاً يستدعى الشفقة . . أكل ما أهمك من الأمر أنني كنت أكلم نفسي . . ألم تفكري لحظة قبل أن تضحكي في هذا الذي كنت أقرأ خطابه .

- _ يبدو أنك تريد أن تقلبها إلى نكد.
- ـ قولى لى يا آنسة . . هل عرفت النكد طوال عمرك ؟
 - ـ يا أخى افرجها . . ألا تعرف أنت الفرح .
 - ـ السفرح . .

وعاد إلى فرحته الحبيسة ونظر إلى الفتاة الفاتنة ولاحظ فتنتها لأول مرة . . ولكنه لم يحس نفسه مأخوذاً بجمالها . . أحس فيها شيئاً يمنعه أن يعجب بها وعادت تقول :

_ ألا تعرف الفرح ؟

ونظر إليها ملياً ثم وضع الخطابات في درج مكتبه وقال في جد:

ـ عن اذنك .

وخرج من الغرقة . . يحمل فى نفسه فرحته الحبيسة وآلام القراء وضحك الفتاة وجمالها اللذى لم يذهله تختلط المعانى والصور جيعها فى نفسه فلا يكاد يفكر فى شيء حتى يثب آخر إلى سطح تفكيره ، ولكن فكرة الفرح الحبيس كانت أقوى هذه المعانى فى نفسه . . لماذا . . وركب وفكر فى القصة التى فازت . . إنها عن الحب الزوجى . . عن الحياة الحلوة فى ظل الزوجية . . كلام قصاصين . . من يقرأ قصته يظنه أسعد زوج فى العالم . . كلا . . نعم إن زوجتى لا بأس بها . . فهى تحبنى وأحبها ولكن لماذا لا تتنشى معى حين أكون سعيداً . . ولماذا لا أرى الشقاء كاملًا على وجهها حين أكون تعساً . . لماذا . . أكنت أحب أن أرى الشقاء على وجهها حين أنا تعس ؟ إذن فتعاسق حينئذ تعاستان ، بؤمى بؤسان ، ولكنى أحب أن أراها طائرة من الفرح إذا سعدت . . ولكن لماذا لا أنخدع أنا بكامن الفرح فى نفسها . . أنا فرحان لماذا لا أدعوها الليلة إلى العشاء فى الحارج ثم نذهب معاً إلى السينا أو إلى المواء فى الحرم . . أو إلى أى مكان . . ويلغ بيته ودخل إلى البهو وكانت زوجته بجانب التليفون ورآها وهى تضع الساعة دون أن تتكلم وسالها :

- ... ماذا . . لماذا وضعت السياعة ؟
 - النمرة مشغولة .
 -

وتركها ودخل إلى حجرته دون أن يدعوها إلى شيء . . لماذا . . لا يدرى . . استلقى على السرير وراح يفكر مرة أخرى . . إنه فرحان . . وراح يفكر أيضاً أنه لم يقدم إلى نفسه شيئاً يشعرها به أنه فرحان ، وجاءه صوت قرص التليفون وهو يستدير ثم صوت زوجته وكأنه يهمس فأصاخ السمع :

_ آلونینا . . أطلبك من ساعة مع من كنت تتكلمین . . أنا . . كنت أكلم صاحبات . . لا علیك . . تصوری . . تصوری یا نینا . . شریف طلع الأول فی مسابقة القصة أنا فرحانة

جداً يانينا . . أنا فخورة به . . لا . . المسألة ليست مسألة فلوس . . إنما أنا فرحانة . . لماذا . . لماذا كيف . لأنه فرحان . . و لأنه فنان . . ولأنه زوجي أنا فرحانة يانينا .

وأحس شريف لأول مرة منذ طالع الجريدة أن فرحته قد أفرج عنها وأنها موجودة وأنه سعيد وأنه أسعد انسان في العالم . . وفي صوت يرتعش بالنشوة نادى من غرفة النوم . .

ـ سهير ،

وقالت سهير دون أن تبين في صوتها نبرة خاصة .

4-4 -

_ الليلة نتعشى في سميراميس في السطح . . ونذهب بعد ذلك إلى الفيلم الذي قلت لي عليه .

تقصريس المطبيعب

دخل الشيخ حماحة الطيب إلى ساحة داره ونادى في حزم:

... محمود . . يا محمود .

وسرعان ما جاء محمود يجيب نداء أبيه:

ــ نعم يابا .

ــ تجهز للسفر .

_ ماذا يابا ؟

_ سنسافر باكر لمصر الأشترى لك ملابس الأزهر وأشوف لك مكاناً تسكن فيه

۔۔۔ باکر یابا ؟

ــ نعم باكر.

ووجم عمود لحظات وقال الأب وقد أوشك صبره أن ينفد:

_ مالك . . ألم تكن تعرف أنك ستسافر؟

_ يا بابا أنا لا أريد أن أسافر.

ـــ لماذا يا ولد ؟

_ يابا . . يابا . . أنا لا أريد أن أسافر .

ـ ستسافر غصباً عنك .

وأطرق محمود إلى الأرض ودون أن يحس تسللت دمعات من عينيه جاهد أن يخفيها فتأبت عليه وراحت تسيل ، ودخلت أمه وهالها أن ترى وحيدها يبكى هذا البكاء الصامت العميق فدقت صدرها وقالت :

ــ ماذا يا أبا محمود . . ماذا فعلت للولد ؟

- _ أريده أن يسافر إلى الأزهر.
- _ وماله يا محمود . . ولماذا لا تريد أن تسافر ؟
 - وراحت تربت ظهره في حنان .
 - _ يا أم أريد أن أبقى هنا .
 - ــ لماذا يا بني . . العلام حلو .
 - ـ يا أم أريد أن أبقى مع . .
- ولم يكمل الجملة واستحثه أبوه في صوت يجمع الحنان إلى الحزم .
 - _ مع من يا ولد؟
 - ودون ريث تفكير انطلق محمود قائلاً:
 - ۔ مع صاحبی عبد الواحد .
- وقال الأب في غضب فقد كان يرجو أن يرغب ابنه في البقاء معه هو أو مع أمه على الأقل :
 - ــ مع من يا ولد ؟
 - _ مع صاحبي عبد الواحد .
 - _ عبد الواحد ابن الشيخ سالم؟
 - ـ نعسم ،

وكثرت اللموع حتى أصبح الصمت لا يسعها فإذا محمود ينشق عن بكاء علني من العبث أن يجاول إخفاءه . . وراح الحاج حماده يضرب كفاً بكف وخرج وهو يقول :

- لا حول ولا قوة إلا بالله . . لا حول ولا قوة إلا بالله .

وراحت الأم تهدىء ثائرة وحيدها فى حدب وإشفاق ولكن البكاء كان يزيد كليا تذكر أنهيا لن يسيرا معاً عبر الحقول ، ولن يخوضا الماء معاً ، لا ولن يركبا النورج ، ولن يطالعا الشمس عند بكورها ولن يودعاها عند الغروب ، لن يرى عبد الواحد . . ويزداد البكاء .

ويذهب الشيخ عاده إلى حيث تعود أن يجلس فى كل يوم هناك على مصطبة العمدة وما يكاد يجلس حتى يقبل إليه الشيخ سالم عوضين أبو عبد الواحد فها أن رآه حتى يبتسم له قائلًا:

- تعال يا سيدى .
- ويحس الشيخ سالم أن في صدر الشيخ حماده شيئاً يخصه .
 - خبر ٩
 - ابنك عمل لنا إشكالًا اليوم في البيت.
 - _ لماذا ؟
 - تركت الولد ابنى يبكى بكاء يفتت القلوب.
 - _ لماذا . . إنها أصحاب لا يفترقان .

- ــ وهذا هو السبب .
 - _ لا أفهم .
- ــ الولد محمود لا يريد أن يترك عبد الواحد وبذهب إلى الأزهر.
 - _ ماذا ؟
 - _ هذا ما حصل .
 - ــ الله بجازيه . . وماذا فعلت ؟
 - ــ أنا والله حائر .
 - ــ لا حيرة ولا غيره إن شاء الله .
 - _ اعتدك حل ؟
 - ــ أحسن حل .
 - یہ ماذا ؟
 - ـ متى تريد أن تصحب محمود إلى الأزهر؟
 - ــ باكر إن شاء الله .
 - ــ تصحب محمود وعبد الواحد على بركة الله .
 - _ هل أنت جاد يا شيخ سالم؟
- _ كل الجد يا شيخ حماده . . يذهبان معك إلى الأزهر باكر إن شاء الله .

وهكذا يذهب عبد الواحد إلى الأزهر مع محمود . . ويسكنان معاً في غرفة واحدة ويتلقيان على شيخ واحد . وتتحد بينها الحياة في كل دقيقة تمر بهما من دِقائق الحياة .

ويقضيان في الأزهر الشريف سنوات طويلة ويعجز كلاهما أن يبلغ شيئاً من شهادات الأزهر العليا فيعودان معا إلى القرية يصحبان عجزهما هذا ويصحبان أيضاً عهامتين لا يتنازلان عنها ويحملان لقبا لا يفارقها. هو الشيخ محمود والشيخ عبد الواحد.

ويختار الله الشيخ سالم إلى جواره فيصبح الشيخ عبد الواحد هو القيم على شئون بيت أبيه وعلى أخته نعيات .

ويمر عام ويسمع الشيخ عبد الواحد وهو في قاعة بيته صوتاً عرفه لتوه.

- ـــ يا ساتر .
- وينهض إلى الباب.
- _ يا مرحبا بالشيخ محمود . . يا أهلًا وسهلًا .
 - ويدخل محمود إلى القاعة ويتخذ مجلسه .
 - _ كيف حالك يا شيخ عبد الواحد .
 - ـ الحمد لله ياشيخ محمود.

- _ رحنا الأزهر وجئنا فيا أحضرنا معنا إلا الشيخ محمود والشيخ عبد الواحد . ويقول عبد الواحد وهو يغالب الضحك :
- _ أن وأبوك حصلا على المشيخة دون أن يبرحا القرية . وحين يهدأ بهما الضحك تبدو على وجد عمود علامات جد ويقول :
 - _ جئت إليك في أهم شيء في حياتي .
 - ــ حياتك هي حيات يا محمود .
 - _ الصداقة التي بيننا ليست كافية .
 - _ قل ما تشاء . . وإن كنت أراها فوق الكفاية .
 - _ أريد أن تصبح قرابة .
 - ... هي أقوى من القرابة .
 - ــ ولكني أريدها قرابة .
 - _ بتهيأ لي أني فهمت.
 - ـ انت ذكى منذ نحن أطفال صغار .
 - ـ تربد أن تخطب نمات .
 - ــ هو ذاك .
 - ــ هي لك .
 - ـ لا . أبدا .
 - ب ماذا؟
 - ـ كنت أعلم أنك ستوافق ولكن يهمني رأيها هي .
 - ـ أتعصى لى أمراً ؟
 - _ أنا لا أريد منك أن تأمرها . . أريدك أن تسالها .
 - ــ وهو كذلك .
 - ـ أمر عليك باكراً .
 - _ أبدأ والله . . لا تخرج إلا وأنت خطيبها .
 - ـ يا رجل اتق الله . . إن أريدها أن تفكر في الأمر .
 - فيم تفكر؟ إنك من أغنى أبناء النوافعة
 - _ الأهم من ذلك أني صديق عمرك ياعبد الواحد.
 - _ إذن فانتظر حتى أسألها .
 - ـ أمـرك .

ولا يخرج الشيخ محمود إلا وقد قرأ الفاتحة مع عبد الواحد على أن يزوجه أخته التي وافقت دون أن تفكر فكأنها كانت تحس بغريزة المرأة أن مصيرها المحتوم هو الشيخ محمود .

ويتم الزواج بعد أسابيع قلائل وتبدأ الأيام رحلة جديدة مع الشيخ محمود وزوجته نعهات .

أيام عقيمة . . يمر الشهر وتليه الشهور ونعيات لا تبشر زوجها بما يبشر به الزوجات أزواجهن . . ويموت الشيخ حماده فينشغل الشيخ محمود بموت أبيه وبالتركة عن الإنجاب . ولكن الزمان واسع وحادثة الوفاة لا تلتهم منه إلا شهراً أو شهرين ثم يتسع الزمان مرة أخرى أمام عيني محمود . . يتسع عن فراغ . . فراغ قاتل . . لا ولد سيموت هو أيضا بعد حين . . طال هذا الحين أو قصر . . ويومئذ لا ولد . . لن يذكر الشيخ محمود أحد كانما لم يكن .

لا يجد بدا من أن يذهب إلى القاهرة وهناك يمر بالأطباء جميعاً ويبذل المال عن غدق ولكن المال لا يجدى كيا لا يفلح الأطباء والسنوات تغول العمر ويمر الشباب وتتخطر الكهولة إلى الشيخ محمود في ردائها الأبيض الباهت وينظر الرجل إلى ما فاته من عمره وما بقى منه فتروعه النظرة ، لن يبقى له قدر ما فات .

وينظر إلى زوجته . . طيبة هى حنون لا تعصى له أمراً ولا تناقش له رأياً ولكنها عقيم . . أو لعله هو العقيم . . لا يدرى إنما المؤكد أن زواجها عقيم ويأتى إليه يوماً الشيخ عبد المواحد . .

- ـ عمود . . لقد أطلت البحث عند الأطباء .
 - ــ أمر الله يا عبد الواحد.
 - ــ تزوج من أخرى .
- _ على نعيات . . على أختك . . أموت ولا أفعل هذا .
 - ـ أنا الذي أطلب هذا.
 - ــ والله وإن طلبت نعمات نفسها .
 - لقد وافقت .
 - _ أقلت لها ؟
 - ۔ نــمــم .

جزاك الله . . لقد روعتها بغير داع . . والله لن يكون هذا أبدا . . لا والله لن يكون هذا . . أنا والله لا أدرى إن كنت أنا العقيم أم هي ، وما كنت لأتزوج وأختك في بيتي أبدا . . انك حياتي كلها ياعبد الواحد . . ولو لم أكن أعرف أنني سأكرم أختك حتى يختارنا الله ما تزوجتها .

ويرفض الشيخ محمود رفضا قاطعا وتمر السنون . ويدرك الشيخ محمود أن لا أمل إلا أن يكثر من اصطحابها إلى القاهرة وينزل بها فى أفخر الفنادق وينفق عن سعة فإذا قصر المال الناتج عن الأرض باع بعض أرضه وأنفق وعاشا سنوات فى بحبوحة وهناء .

حتى خطر لها يوما أن يحجا إلى بيت الله . . وكان هو يفكر في شيء آخر . . كان يفكر أن يبيع البقية الباقية من الأرض وينفق منها ما بقى لهما من سنوات ثم يترك لها الباقى عند وفاته مالا في يدها حتى لا يشاركها في الميراث أحد من قرابته وحتى لا تضطر إلى الإشراف على الأرض وهي السيلة التي لم تمارس الحياة ولا أعمال الرجال .

واستطاع الشيخ محمود أن يبيع أرضه بسبعة آلاف جنيه وقدر فى نفسه أنه إذا عاش بعد ذلك عشر سنوات فقد يكفيه خسمائة جنيه فى العام ويترك لزوجته ألفى جنيه فى رعاية أخيها لها وما تركه لها أبوها من ميراث قليل .

وحين أخبر زوجته بتفكيره هذا قالت له:

_ لا أريد الا أن أحج إلى بيت الله الكريم معك .

وابتهجت نفسه للفكرة .

_ نجح هذا العام على بركة الله .

وجهز للحج أمره . . ولم يفكر أين يدع مبلغه في البنك أو في الخزائن وعنده عبد الواحد ، أودع المبلغ جميعه عند عبد الواحد وقال عبد الواحد :

_ أعطيك ورقة .

_ هل جننت ؟

وانتهى الأمر عند هذا وسافر هو ونعيات إلى الحجاز وعادا وأقبل عبد الواحد .

_ الحمد لله على السلامة ياحاج.

ويقول الحاج محمود :

_ سبقتك آلي هذه ياشيخ عبد الواحد . . العقبي لك العام القادم . . ان شاء الله .

_ وينصرف المهنئون ويهم عبد الواحد بالقيام ولكن محمود يستبقيه حتى إذا خلت بها الحجرة قال له:

_ عبد الواحد . . هل المبلغ عندك في البيت ؟

وينظر اليه عبد الواحد ملياً .

- المبلغ . . أي مبلغ ؟

ويصمت محمود لحظة ثم يبتسم.

- أتمزح . . ؟

وأصر عبد الواحد على نظراته الجريثة .

- بل يخيل إلى أنك أنت الذي تمزح.

وصمت محمود . . لقد عاش عمره كريما على نفسه وعلى الناس . ماذا يفعل الآن . . هل يستجدى ماذا يفعل . . حتى الصحة . . يستجدى ماذا يفعل . . الآن . انه أصبح وهو لا يملك شيئا على الإطلاق . . حتى الصحة . .

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأين الصحة لمن ترك وراء الستين . . لا شيء لا شيء على الاطلاق . . لم يكن له إلا هذا المال وهذا الصديق وقد فقدهما في لحظة . . أغمض عينيه وفتحها . . إنه ليس حلما . . ما زال عبد الواحد أمامه بنظراته الحائنة المصرة على الخيانة . . ورأى نفسه يمر ببيوت الناس يقول :

إحسانا الله .

وأغمض عينيه ثانية وحين حاول أن يفتحها لم ينفتحا ولكنه همهم .

ـ المبلغ ياعبد الواحد . . ألا تعرف المبلغ ؟

ـ أى مبلغ يامحمود . . هل جننت ؟

ويحاول أن يقول شيئا . . فيخونه لسانه أن يقول ثم لا يشعر بشيء . . وبعد لحظات يمد عبد الواحد اليه يدا مرتشعة ويجس نبضه . . لقد مات . . ولا يدرى من أين انبعث هذا الصوت الذي جاءه يقول له في لهجة تقريرية حاسمة «قتلته» .

ويقول هو دون أن يحس ولكن بلا سلاح ويعد حين يأى الطبيب الشرعى ويفحص الجثة ويكتب تقريره « وفاة نتيجة أزمة قلبية » ويصرح بالدفن فليس فى الأمر جريمة . . لا ليس فى الأمر جريمة .



رضوان أفنسدى

وبدأت الأجازة الصيفية حيث تنداح الأيام في غيار الزمن فلا ينفصل يوم عن يوم ولا ساعة عن ساعة وإنما هو فراغ طويل يفغر فاها غيفا يرسل الملل والضيق والسأم .

لم يعد يهمني ماذا يكون اليوم أهو السبت فأصحو في باكر الصباح أم هو الاثنين فاتئد قليلا عند اليقظة وأتقلب في راحة وسرور فوق السرير فها يبدأ يومى في المدرسة الا بعد الحصة الثانية. ولم يعد يهمني إن كان اليوم الأربعاء فأتقلب مرة واحدة أو مرتين على الأكثر فقد كان لابد في العام المدرسي المنقضي أن أكون في المدرسة بعد الحصة الأولى.

وما أفكر الآن في يوم الخميس لأهبىء سهرتى مع أصدقائى حول الراديو لأتيح لنفسى ان أنام في يوم الجمعة حتى يحين موعد الصلاة . تشابهت الآن الأيام ، فكلها جمع ، فها عاد السهر يحلو لى وما عدت أستمتع بنومى في يوم الجمعة . الأيام جميعها جمع .

بل إنها خالية حتى من فرض الصلاة الجامعة . أصبح يوم الجمعة هو أكثر أيامى مشغولية . وأصبحت الأيام الأخرى فضاء . ما عدا التفكير الذي يسيطر على اليوم .

لقد كنت فيها مضى من أعوام أهفو إلى هذه الأجازة وأرنو إلى أيامها المقبلة فى ضمير الزمن بعين مترقبة ونفس متشوفة وروح مشوقة . ماذا حدث للأيام . أتراها تغيرت أم ترانى أنا الذى تغيرت . كنت قبل زواجى مقبلا على أيام الفراغ لأقضيها مع زوجتى . . ومرت الأيام فاكتملت شهور واكتملت الشهور سنين . . فهالى لا أجلس مع زوجتى .

عاقر هى . . ما أبغض المرأة العاقر إلى قلبى . . شجرة لا تنبت ولا تخضر سائرة إلى الجفاف بلا ربيع لها . . لا تتجدد ولا تتجدد الحياة فيها ، فالحياة حولها طريق إلى النهاية ، طريق لا ينبره أمل من طفل ولا ابتسامة من طفلة ولا وعد من الحياة إن لى في الحياة من بعدى

وجودا من اطفالى ، أنا جلورهم ، وهم الفروع مثلها كنت فرعا لجلور من قبلى . أنف بزوجتى العاقر قد أوقفت الحياة ، لن تتجدد وتسير وتزدهر ، كأبى كتبت على هذا الجزء الذى أمثله من الحياة وينتهى بانتهاء صاحبه ، أنا في الحياة فناء ، أنا نهاية شجرة بدأها آدم ورعاها أجدادى على مر الأجيال فهى قائمة مزهرة منتجة باقية حتى إذا بلغتنى توقفت عن الازدهار والتجديد فهى إلى الفناء تجف كلها مربها يوم ، لا نماه ولا أمل فى النهاء . لا أمل ؟ ألا أمل مناك . وهب زوجتى عاقرا فهل أنا أيضا عاقر . . فإذا لم أكن فكيف أقبل أن أشترك معها فى انهاء الحياة . . فى توقفها كيف أقبل أن أمثل النهاية فى عالم يتجدد فى كل لحظة ببدايات جديدة مع أطفال جدد سيكرون فى غد ويصبحون جذورا جديدة للحياة ، لا لن أكون هذه النهاية . هسكينة زوجتى لقد خلق فيها عقمها نوعا من الغيرة الطاحنة . لا أنسى يوم جاءتنى فوقية واللة شحاته عبد الموجود ترجونى أن أعطى درسا لابنها اليتيم .

لا أنسى بومذاك حين انتفضت زوجتي فاطمة عن ثورة مشبوبة لاهية :

- _ امرأة بلا زوج . . ألا تستحى ؟
 - ــ زوجها مات .
 - ــ ترسل أخاها .
- ــ ولماذا ياستى . . لقد جاءت إلى في بيتى وكلمتنى أمامك وسألت عنك قبل أن تسأل عنى .
- _ طبعا . . تدافع عنها . . امرأة بلا زوج وحلوة . . وليست عقيها . . لماذا لا تدافع عنها . . طبعا .
 - ـ ياستي أبدا .
 - ـ طبعا . أنا عارفه حظى . . بختى ماثل طول عمرى .

وبكاء وصراخ وضجيج ووجه استمر منقبضا في غير انفراج أياما عديدة لم أعد أذكر عدما . ماذا تراها فاعلة . علمت بما أفكر فيه . . ولم لا . . لماذا لا أتزوج . . أجدد الحياة . . لو كان عندى الآن ولد لما ضقت بالأيام الفارغة . . كنت أجلس اليه ألاعبه وأفرح به مبتسما ضاحكا بل وأفرح به عابسا باكيا وأنشغل . ويملكني القلق إذا ما مرض . . إنى لأحسد الأب حين يقلق على ابنه المريض . . انه بقلقه بشعر بالحياة . . بالحياة جميعها . ويأخله البهر ويملكه الحوف وينجه إلى الله والى العلبيب وإلى الصلاة وإلى الدواء . . ولا ينام الا نوما يختطفه الجسم المخطف ويم الأيام فإذا طفله يتماثل للشفاء . وتهدأ الروح وينام الجسم نوما مفعها بالحياة . . هذه هي الحياة . . حق الحوف والقلق والرعب مشاعر حلوة عند الآباء يذكرونها إذا ما انحسر الخطر في هدوء قرير وحديث ناعم حنون . لماذا أحرم نفسي من هذا جميعه . . الآن زوجتي عاقر . .

فيالى لا أتزوج غيرها . وأبقيها وماذا على أن أفعل . في القرية كثيرون يتزوجون الزوجة الثانية دون أن تكون زوجاتهم عاقرات .

ولم يصبر رضوان أفندى حسين طويلا . . ولم يترك الزمن يراود الفكرة فى ذهنه . . وإنما سرعان ما اقتنع بها دون ريث أو تدبير . . وقام إلى بيت عباس فرغل وما أن تبادلا التحية حتى سارع رضوان قائلا :

جئت أخطب أختك هنية ياعباس.

وقال عياس مندهشا.

_ خادمتك ياسي رضوان أفندى ولكن . .

_ ولكن ماذا ؟

_ أنت سيد العارفين .

ــ ألأنني متزوج ؟

ــ طول عمرك ذكى وتفهم ياسى رضوان .

ــ ياسي عباس . . الحال من بعضه . . وهي أيضا ألم تكن متزوجة ؟

_ أنا لا أقصد .

_ فإذا تقصد ؟

_ لا أريد أن أغضب الست فاطمة.

ـ ليس في الحلال ما يغضب ياعباس.

ــ زوجتك ست كريمة وطيبة .

_ أريد أطفالا ياعباس.

ــ ياسى رضوان أنت متعلم وتفهم . . كيف عرفت ان أختى ستهب لك الأطفال وكيف عرفت أنك ستكون سعيدا بهم .

الذي أعرفه أنني لابد أن أحاول . . والذي أعرفه أيضا أني لست سعيدا بدون أطفال .

ـ ربنا يكفيك شرهم .

_ زينة الحياة الدنيا.

ــ ويجعل من يشاء عقيها ياسي رضوان أفندي .

_ أريد أن أحاول.

_ فإذا لم تنجب أختى ياسي عباس تطلقها ؟

ـ تكون مشيئة الله تمت وأمره لا مرد له .

_ وإذا أنجبت لك الست فاطمة ؟

ــ وهل هذا معقول ؟

- _ يعنى إن حصل ؟
- _ لا ياشيخ لا تخرف . . على كل حال ستبقى هنية على نعتى .
 - _ وهو كُذَّلك توكلنا على الله .

ويتم الزواج ويظل سرا على فاطمة ولكن ما أقل ما يظلى السر سرا . . سرعان ما يذيع وتعلم فاطمة فهى فى حريق . . يلهب كيانها جميعا . . وتحاول أن تكتم ما بها كلما رأت زوجها ولكن دموعها تخونها فهى تتساقط فى صمت . . ويصبح بها زوجها :

اصرخی . . اصرخی کیا کنت تصرخین .

وتقول والدموع تتساقط توشك أن تكون حمراء في لون النار :

_ لا يفيد الصراخ الآن . أمر الله . . أمر الله . .

ويروح يهدىء خاطرها .

- ــ ليس في القلب غيرك.
- _ لا تقل هذا . . فهو أشد على نفسى وقعا .
- _ أحيك والله يافاطمة . . أحبك كها كنت أحبك منذ تزوجتك .

_ ولم تستطع أن تضحى من أجل . . وتفجعنى بضرة لا تدرى إن كانت ستلد لك أم لا وتفجعنى من أجل أطفال لا تعرف شكلهم ولا تعرف ماذا سيفعلون . . أن هم كبروا ، لا تقل . الله فينى . . لا تقل .

وكان إذا ذهب إلى هنية وجدها في جزع آخذ ألا تلد هي الأخرى فتنتهى حياتها مع زوجها رضوان أفندى الذي رفع مكانها في القرية ، وجعلها ست بيت لا تملأ الجرار ولا تذهب إلى الغيط .

ــ وهكذا لم يعد رضوان جازعا من الفراغ أو الملل فقد ملامت مشكلات زوجتيه حياته بل أصبح في حاجة إلى وقت آخر من الزمن ليواجه هذا الشغل الذي فرضه على نفسه فرضا .

ولا ينقضى وقت طويل حتى تنقطع اللموع عن عينى فاطمة وان كان الجزع يزداد احاطة بهنية . . ويعجب رضوان بعض الشيء ولكنه لا يعلق على الأمر كثير أهمية . . وان كانت آماله في إنجاب طفل أخلت تتهافت وتضعف وتوشك أن تضمحل . . ويمر وقت آخر وتقول له فاطمة :

- ــ رضوان .
 - ــ نعم .
- أريد أن أذهب إلى الطبيب.
 - ۔ أي طبيب تريدين ؟

- ـ ذلك الطبيب الذي صحبتني إليه ليمالجني من العقم .
 - _ ماذا . . أبك مرض ؟
 - ـ لا ولكني أشك في شيء وأريد أن أتاكد منه.
- _ ويذهل رضوان ويحملق فيها بعينين مأخوذتين . . فاطمة وليست هنية وينظر وينتظر ثم يقول :
 - _ مل أنت متأكدة ؟
 - _ لو كنت متأكلة ما طلبت أن أذهب إلى الطبيب.
 - ـ تذهبين . . اليوم تذهبين .

وحين خرجا من عند الطبيب لم تقل فاطمة شيئا وإنما تركت رضوان للدوامة التى ألقاه فيها . . انها حامل . . لا يدرى رضوان ان كان يفرح أم يخجل . . ماذا يقول لها . . كيف يفرح . . ماذا يقول لهنية . . هل تبقى على ذمته . . وما ذنبها . . وما كان ذنب فاطمة . . أى جرم فعلت . . أى جرم فعلت . . ويظل رضوان فى دوامة من الخجل يشوبها الفرح حتى يصل بفاطمة إلى البيت وينقتل هو إلى الفضاء ليخلو إلى نفسه الحائرة التى لا تكاد تصدق ما وقع .

وتكتمل شهور الحمل . . وتضع فاطمة طفلها الأول ويسميه أبوه إبراهيم تيمنا بابراهيم ابن النبى وتمر الأيام وتكتمل الشهور سنين ولا ينجب رضوان من زوجته غير وحيده إبراهيم .

وفى يوم يمرض إبراهيم ويسارع رضوان بولده إلى الطبيب ويعالجه الطبيب فلا يفلح المعلاج ويتركه إلى الطبيب آخر والهلع يقتلع قلبه من بين ضلوعه . . لا . . ليس القلق على الولد حياة لا ولا هو موت انه شيء أشد بشاعة من كل شيء . . لا شيء يماثل هذا الهلع . . لا شيء مثل هذا الحوف . . انه شر من كل شعور . . ما أحلى العقم بالنسبة إلى هذا الحوف . . بل ما أحلى ألا نوجد على الاطلاق ولا نلتقى بهذا الذعر .

ويلجأ رضوان إلى الطبيب والى الله وإلى الدواء وإلى الدعاء . . ولكن الله كان قد أعد لابراهيم مكانا في الجنة .

وحين عاد رضوان من وداع ابنه الاخير . . وكان اليوم الأول من الأجازة . . كانت اللموع تملأ عينيه في إصرار فهي تثب اليهما كلما جففها . . لم يجلس رضوان إلى الفراغ ولم يفكر في الأجازة . . وكل ما كان يفكر فيه هو فاطمة . . إذ أنجبت له ولنفسه الشقاء . . ما كان أسعدها قبل أن يجيء ابراهيم . . ويدخل إليها وهي في حزنها القاتل .

- ـ فاطمة . . أنا آسف .
 - ـ الأن .

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- _ لم أقلها الا اليوم . . لم أقلها حين تزوجت ولم أقلها حين بشرك الطبيب بإبراهيم أما الآن فلا أجد غيرها . . أتراها تكفي ؟
 - _ أتراها أنت تكفى ؟
 - _ لا أملك غيرها .
 - ــ حسبنا الله ونعم الوكيل .
 - ـ وفي نشيج عال صاحب يقتطع من فلذات القلب اقتطاعا قال رضوان :
 - ـ حسبنا الله ونعم الوكيل .

Lie Letter de l'

وقف حسن عبد الفتاح أمام باب كلية الحقوق ينتظر وزملاؤه نتيجة الليسانس . لم يكن يحس بأحد حوله . انفصل كيانه عن الجموع المتزاحة فهو فرد في نفسه وفي آماله وفي غاوفه لا يحس الا هذا الوجيب الآخذ الذي يهز جسمه هزا . . أنجاح فانطلاق إلى الحياة بكل ما في الحياة من حلاوة الكفاح ؟ فها كان يرى في النجاح والانطلاق إلى الحياة الا الحلاوة . أم سقوط فهو تلميذ سيظل . وهو حينتذ سيعود إلى أمه كسيف البال مخلولا يخاف من غضبها خوفا قد يطغى على حزنه من السقوط . ان تفكيره في أمه يمازج تفكيره في التتيجة فهو حينا يفكر في المواد مادة مادة ويذكر كيف أجاب في كل مادة منها وهو أحيانا كثيرة يفكر في أمه كيف قامت على شأنه بعد موت أبيه وكيف بذلت له من دمائها ومالها وجهدها حتى جعلته يصل إلى نهاية المرحلة العالية من التعليم .

لقد قامت بواجبها نحوه . بل بذلت أكثر من واجبها فكم يمضه أن يقصر هو عن واجبه . كان إرضاء أمه أساسا تقوم عليه حياته جميعا فقد كان يرى نفسه نفحة من جهودها وقبسة من دمائها ، بل كان يرى نفسه أملها الضخم الذى عاشت له وبه سنوات طويلة ثمينة شابة من حياتها .

وفى ظلال هذه المشاعر عاشت حياته جميعها ؟ أحب . أحب بكل ما فى الحب من نبض جياش ويكل ما فى الله من المفت جياش ويكل ما فى الشباب من اندفاع وقوة . أحب زميلته فى الكلية الهام . ولكن أمه عرفت بحبه وقالت لا . فإذا نبض الحب يصبح نبضا خائفا هالعا أن يغضب أمه . وإذا هو يبتعد عن حبيبته مدعورا ويعود إلى طاعة أمه راضيا بها عن كل ما فى الحب الشاب من أحلام وآمال ورؤى .

وها هو ذا اليوم ينتظر نتيجة الليسانس. تلك الشهادة التى جاهدت أمه فى سبيلها أكثر ما جاهد هو.. انه يريد الشهادة ليذهب إلى أمه ويعلن اليها أن جهودها قد كللها النجاح.. وينطلق إلى الحياة .. كان فى البعيد البعيد من نفسه يخيل اليه أن هذه التتيجة التى ستعلن الآن ستحمل فى طواياها معنى آخر غير معنى النجاح .. إنها ستجعل له قرار الافراج عنه من سيطرة أمه .. شعور يخامره ولا تعلنه نفسه إلى نفسه . كأنما كان يريد أن يقول لها فى غير ألفاظ . لقد جاهدت الأحصل على الشهادة فهل تكفيك الشهادة مكافأة على جهادك . وكأنما كان ينتظر أن تقول أمه فى غير ألفاظ هى أيضا لقد صرت رجلا فافعل مابدالك ، آمال تهجس فى الخوافى البعيدة من نفسه وهو واقف بباب الكلية عينه لا ترتفع عن الباب الكبير ينتظر أن يخرج منه الموظف المختص ليعلق أسهاء الناجحين على تلك اللوحة للماثلة بجوار الباب ، التى قدر لها أن الموظف المختص ليعلق أسهاء الناجحين على تلك اللوحة للماثلة بجوار الباب ، التى قدر لها أن عمل أعلى ما يطمح اليه جميع هؤلاء الواقفين فى لحظتهم تلك . هذه اللوحة الكالحة ستحدد مصير كل فرد منهم وعينا حسن عبد الفتاح شاخصة إلى الباب الكبير والباب صاحت لايبين عن أحد .

وأخيرا ظهر الموظف وبيده الأوراق . وبعد محاولات عسيرة وقعت عينا حسن على اسمه بين الناجحين . . ولم يحس بنفسه الا وهو واقف أمام أمه يخبرها وعيناه تموجان باللموع . . ولقد نجحت . .

وفرحت الأم . . ولكنه لم يجد عندها ما كان يتوقعه من فرح ، كانت واثقة من نجاحه كأنما كان نجاحه أمرا تصنعه بيديها فهى واثقة من نتيجته ، وقد أكد هذا المعنى فى نفسه أنه وجدها قد أعدت له الوظيفة دون أن تسأله عن الاتجاه الذى يريد أن يشقه فى الحياة ، وخيل اليه أنه قبل الوظيفة ميستطيع أن ينعم بحريته من ربقة أمه فهو يقبل الوظيفة فى غير مناقشة ويصبح موظفا .

- ولا يمضى كثير وقت حتى تفاجئه أمه :
 - ـ حسن .
 - ـ نعم يانينا .
 - _ لقد خطبت لك .
 - ۔ ماذا ؟
 - سناء بنت عمك على أبو العلا .
- تقصدين بنت صديقتك شريفة هانم ؟
 - _ ما رأيك ؟
 - أتسألين عن رأيي حقيقة ؟
 - س طبعا.

- _ أتسألين عن رأبي بعد أن تخطبي ؟
 - _ انت حر.
 - _ أنا حر؟
 - ــ طبعا .
 - _ فأنا لا أريدها.
 - _ ماذا ؟
 - _ أنا لا أريدها.
 - _ للذا ؟
 - . _ لأني لا أريدها .
 - _ ولكنى أريدها.
 - _ إنه أنا الذي سيتزوج .
 - ــ ولكني أمك .
 - _ هذا شيء لا يمكن أن أنساه .
 - _ ماذا تقصد ؟
- ــ أقصد أنه لا فائدة . . فسواء عندك وافقت أم رفضت .
 - ـ تعنى انك موافق.
 - ــ أمرك .

وما هى إلا أيام حتى يتم كتب الكتاب وما هى الا أيام أخرى حتى يحل يوم الزواج ويترك حسن البيت ويخرج إلى الطريق . في هذه المرة لم تكتف أمه أن تفرض سيطرتها عليه ولكنها فرضتها بقوة وعنف على فتاة لا تمت لها بصلة . ما ذنب هذه الفتاة . . كيف يتزوج من فتاة لا تحبه ولا يحبها . انها أمه . . ماذا يصنع ، وماذا صنع قبل اليوم إنه هو ، هو لم يتغير ولم تتغير أمه . ويجول في الطرقات يسلمه شارع إلى شارع ورأسه يموج بالسخط والضيق بلا أمل على الاطلاق .

ويعود إلى البيت في الموعد المقدور . وتنطلق الزغاريد وتتعالى الموسيقى وينظر إلى وجه زوجته وتنظر إلى وجهه وكأنما هما متفقان على المعانى التي تدور بنفس كل منها ولكن ماذا يصنعان ، كان يحس أنها واقعة تحت سيطرة أبيها وأمها كما يخضع هو لسيطرة أمه . إن أمه تستطيع أن تفعل به ما تشاء . . استطاعت أن ترغمه على اختيار كلية الحقوق واستطاعت أن ترغمه على الخيار كلية الحقوق واستطاعت أن تنشىء ترغمه على المذاكرة بل واستطاعت في قوة عاتية أن تحطم حبه الأول ولكن أتستطيع أن تنشىء حبا ؟ هل تستطيع أمه أن تجعله يحب هذه الفتاة أو تجعل هذه الفتاة تحبه . كيف ؟ لماذا لا يقول حبا ؟ هل تستطيع أمه أن تجعله يحب هذه الفتاة أو تجعل هذه الفتاة تحبه . كيف ؟ لماذا لا يقول « لا . . لا » صارحة واضحة جهيرة لا لبس فيها ولا غموض ولا إبهام . لا . . ويترك أمه ويعيش وحده حتى يجد هواه .

نعم . . إن أمه قد بذلت في سبيله الجهد والخوف والعطف ولكن ألا تبذل كل الأمهات . وهل معنى هذا أن تنتهب حياته جيعا بل وتنتهب حياة فتاة أخرى لا ذنب لها إلا أن أمها صديقة أمه . .

اليست كلمة لا تنقله وتنقذ هذه الفتاة المسكينة الجالسة أمامه . . ما ذنبها . . مسكينة إنها حلوة . . جيلة غاية الجيال . . لعله كان يختارها إذا ترك وشأنه . إنه يجب هذه العيون الحالمة الملحورة . ويجب هذا الشعر الأسود المنساب . ويجب هذه الابتسامة التي تجرها إلى فمها جرا . . ويجب هذا العود الواهن وكأنه طيف ، الرقيق كأنه فكرة ، الشفاف كأنه حلم . هو يجب هذا جميعه ولكنه لا يجب سناء . وكيف له أن يجبها ؟ هو لم يفكر فيها زوجة إلا حين أمرت أمه أن يتزوجها . فإذا هي زوجته .

كلمة واحدة هي ؛ و لا » يستطيع أن يقولها في هدوء وفي حزم فينهي هذه المأساة التي تحيط بها الزغاريد وتتعالى لها الموسيقي الفرحة وتنطلق لها الأغاني وتدق الطبول ، و لا » حرفان بمنعان الماساة من أن تتم فصولا . وليكن بعد ذلك ما يكون .

ورنا إلى زوجته . . ترى أيرضيها هذا . . كم هو قاس ذلك المجتمع . . إن فعل ما يريد أن يفعل أصاب هذه الفتاة التي يشفق عليها بطعنة لا سبيل لها أن تنجو منها . ستتطاير الأقاويل وتتدافع لها الشائعات . . ان العروس لا تعجبه . . طعنة تصيب المرأة في أعظم ما تزهى به . . أيها أحسن لها عندها . . أن يخلصها من حياة لم يكن لها يد في اختيارها . . أم أن تظل زوجته ولا يقول الناس عنها انها لم تعجب زوجها فرفض أن يتم الزواج . وأين كانت « لا » هذه قبل اليوم ، لماذا خضع حتى تم هذا جميعه ثم انتفض فجأة يربد أن يمحو ما كان . . وهل يمحى ؟ كيف ؟ ما ذنب هذه المسكينة حتى ترمى إلى هذا الموقف الضنك وما ذنبه هو ؟

والموسيقى تتعالى والزغاريد تنطلق والأغانى تصدح والشعور بالفرح يفيض على وجوه الجميع الا وجهين . . وجهه وقد تشنجت عليه ابتسامة ووجه العروس وقد جمدت على فمها ابتسامة مثل ابتسامة مثل ابتسامة .

وانقضى الليل وتخافتت الموسيقى ووهنت الزغاريد وتشتت الجمع وخلا الزوج إلى زوجته وأتفلت من دونها الحجرة . وكان بها كرسيان . وجلسا وهوم الصمت حينا . ثم طال هذا الحين . هو مطرق خزيان وهي مطرقة مذعورة . في رأسه دوامة من الأفكار وفي رأسها أمواج من الحيرة .

وفجأة نظر إليها وهم أن يقول شيئا ثم أطرق . وهمت هي أن تقول شيئا دون أن ترفع رأسها ولكنها ما لبث أن عادت إلى الصمت . وأحس بطول الصمت وصمم أن يقول شيئا . . أى شيء . . ورفع رأسه وفتح فمه وفكر وفكر . . وأخيرا قال دون أن يهتلى إلى ما يجب قوله :

۔ آسف ۔

ونظرت اليه في غير دهشة وقالت دون تريث:

نه وماذا تفيد آسف الآن ؟

... وماذا كان يمكن أن أفعل ؟

۔ ألست حرا ؟

۔۔ وانت ؟

ـ أنا . . أنا على كل حال لست مثلك .

۔ اننی أمام أمی .

ــ ولم يستطع أن يكمل جملته .`

٩ اغل . . اغلا __

_ ليس لها غيري . . وليس لي غيرها .

ــ ولكنها حياتك .

_ المصيبة أنها حياتك أنت أيضا.

ــ هل أمك قاسية إلى هذا الحد؟

ــ إنها تغلن أنها رحيمة أكثر مما ينبغي .

ــ ألا تؤمن بحريتك في الاختيار؟

ـ انها تؤمن بحريق النامة مادمت لا أعصى أوامرها .

ــ ولكنها حياتك .

ـ هي لا تفصل كثيراً بين حيال وحياتها .

_ وحياتي ؟

ــ ستصبح حياتك هي حياتي وهكذا ترين أنها جميعا حياتها هي .

ـ وماذا ستفعل الآن ؟

ــ لقد تعودت مني الطاعة . . ولا أظنني الآن أستطيع أن أتخلص من هذه العادة .

ـ تعودت أن تعليع في شأن نفسك أما في شألي أَنا.

ونظر اليها طويلا . . إنها حلوة . . خيل إليه أنه يجبها . . بل كاد يوقن أنه يجبها . . هى الفتاة التي طالما كان يرسم صورتها لهواه . . وهى مستكينه تشكو إليه الظلم الواقع عليها فى غير عنف ولا ثورة ولكن فى حنان وفى دفء ووجد نفسه يقول :

ــ أيغضبك أن تصبحي زوجتي ؟

ــ لعلى كنت أتوق إلى هذا لو انك سألتني وأنا لست زوجتك .

```
_ فلهاذا لاتجربين وقد أصبحت زوجتي .
                                                     _ الا تعرف؟
                                                 ــ نعم . . أعرف .
                                                   _ أتحبين غيرى ؟
                                                          ـ أبدا .
                                                          _ اذن ؟
_ أيرضيك أن أحس دائها أنك فرضت على فرضا . . أترضى لنفسك هذا ؟
                  _ لقد تعودت أن أرضى لنفسى ما لا أحب أن أرضى .
                                               _ ايرضيك هذا لي ؟
                                             _ أعرف أنني أحبيتك .
                                                      _ أحست .
                                          ألا يكفيني هذا الاحساس؟
                                                  ــ وماذا عنى أنا ؟
                                                _ فأنت لا تحبينني ؟
                                     _ وأنت زوجي المفروض على . .
                                               _ جميلة هي الحرية .
                                                       _ أعرفتها ؟
                                                        ـ تمنيتها .
                                            _ فلهاذا لا تسعى اليها؟
                                            _ لم أستطع فيها مضي .
                                               _ فلا أمل لى إذن.
                            ـ بل يخيل إلى أن هناك وميضا من أمل.
                                                         ۔ کیف ؟
                                               _ لن تكونى زوجتى .
                                                        _ وأمك ؟
         ــ أطعتها في كل ما يتصل بي ولكني لن أطبعها فيها يتصل بك.
                                          _ اذن فأنت تحبني حقا ؟
        _ لقد أدركت هذا بإحساسك . . أتعودت أن يكذبك إحساسك ؟
                                                           . Y _
                                                          - اذن ؟
                       ــ أخشى أن يمنعك حبى عن تنفيذ ما تفكر فيه .
```

722

ـ بل إن حبك هو الذي سيدفعني أن أنفذ ما أفكر فيه .

. **ــ سنری** .

_ متى تريدين أن يتم هذا ؟

ــ متى تشاء .

لا أريد أن يمسّك أحد بسوء.

۔۔ فمتی اذن ؟

ـ بعد عام .

ــ اليس طويلا؟

_ متى تشائين .

ـ نصف عام .

_ ونام على الأريكة ونامت على السرير وظلت الأريكة مكان نومه ستة أشهر.

ـ ثم قال حسن لزوجته :

۔ أتدركين كم أحبك ؟

ــ نعم .

_ وسيزداد يقينك اليوم.

_ إذن فأنت تذكر ؟

ـــ نعم ،

۔ إذن ؟

ـ فانت طالق . . طالق لأني أحبك . . نعم إني أحبك . . ولعلك بعد أن تصبحى حرة . . لعلك ترضين .

لا تكمل .

ــ أهو الرفض إذن .

ـ لا . . ولكن لا أريدك أن تطلقني بشرط .

ـ لا . . وبغير شرط .

_ وأمك ؟

_ سأطقلك .

ولم تمض ساعات حتى كان الماذون يحرر ورقة الطلاق . . وكانت ابتسامة فرح ترفرف على شفتى سناء وأخرى على شفتى حسن . وكانت الدموع تنهمر من عينى أمه . . لقد أدركت أنها فقدت سيطرتها عليه إلى الأبد .



تمسين السدواء

اذن الفجر وتقلبت زكية في نومها . فقد تعودت اذناها أن تلتقطا آذان الفجر منذ أن ينبعث من حنجرة الشيخ عبد المقصود الخشنة ، وما لبثت أن أفاقت من نومها وألقت إلى زوجها نظرة ثم نظرت إلى الشباك والظلام ينبعث منه مهزوما مدحورا وجلست زكية في السرير ومدت يدها إلى زوجها حمدي فربت كتفه :

مدی . . مدی .

... وأحس حمدى بيد زوجته وهو يغالب اليقظة ويهفو إلى النوم . وأدار ظهره يعتصم بالجهة الأخرى من السرير من إيقاظ زوجته له . . وما كانت هذه الحركة جديدة على زوجته وإن كانت قريبة العهد بالزواج منه . فهى تربت الكتف الأخرى التى أصبحت تواجهها .

قم ياحمدي لتصلي الفجر.

... ويهمهم حمدى ببعض ألفاظ ثم لا يجد مناصا آخر الأمر من أن يصحو، وتقول له زوجته في حنان :

- _ صباح الخير.
- _ صباح الخير.

وينزلق حمدى عن السرير ويتوضأ ويصلى الفجر حاضرا ويجلس إلى مائلة الإفطار التي كانت زوجته قد أعدتها له . وتجلس زوجته أمامه . ويقول حمدى :

- _ الولد أيقظنا كثيرا في الليل.
- مسكين المغص لم يتركه طول الليل. نام قبل الفجر بساعة واحدة.
 - _ الزجاجة فرغت . . ألم أقل لك . .

- ــ ألم يكن باقيا منها شيء . .
 - ـ أبدا .
- ــ يظهر ان دواء هذا الدكتور غير نافع .
- ـ وماذا نعمل . . لقد قال لنا كرروا الدواء . . أتذهب إلى دكتور آخر
 - ـ تقصدين ندفع جنيها آخر.
 - ــ هذا أوفر .
 - ــ أوقر ؟؟؟
 - ـ أوفر من الدواء الذي لا ينفع .
 - ـ نجرب الدواء مرة أخرى ونرى .
 - ـ ئجربه .
 - ـ طيب . . هات خسين قرشا .
 - ۔ ربنا يبعث .
 - ــ ماذا تقصد ؟
 - _ ألا تعرفين ما أقصد؟
 - ـ أليس معك خسون قرشا؟
 - ــ من أين ؟
 - ـ من البقشيش
 - ومن أين يأتي البقشيش ؟
 - ـ عجيبة . . من الزبائن
 - ـ وأين هم الزبائن ؟
 - ... في المعهام .
- ألا تلاحظين أن الشتاء أوشك أن ينتهى والزبائن أصبحوا قلة . . لا نرى إلا واحدا أو اثنين على الأكثر في اليوم . .
 - ـ ولماذا تتعبون أنفسكم وتفتحون الحيام ؟
- ــ وماذا يهم اللوكاندة أن يأتى الزبائن أم لا . . المهم أن يكون الحيام مفتوحا في اللو الكبرى .
 - ے وتموت نحن ؟
 - ــ إننا نأخذ مرتباتنا وهذا كل ما يهمهم . .
 - ـ ولكن مرتبك لا يكفى . . إننا بدون البقشيش لا نستطيع العيش .
 - ــ ربنا يبعث .
 - ـ يظهر أنك أنت الذي لا تحسن معاملة الزبائن . .

. ـ ربنا أعلم . . أنا والله أريحهم وأكلمهم بكل أدب . . مرة . . بالانجليزى ومرة بالفرنساوى ومرة بالطليان . . وأضحكهم وأبسطهم . . ولكن أين هم ؟

- ــ المهم . . ماذا نفعل في الدواء ؟
- _ بحرد أن أحصل على الخمسين قرشا سأشترى الدواء من الأجزانة المجاورة للحيام وأبعثه لك . .
 - ــ ربنا يفتح عليك .
 - ـ أفوتك بعافية .
 - _ مع السلامة.

وخرج حمدى من المنزل يفكر في الدواء وفي ثمنه . وينظر إلى الشمس تتوسط السهاء وخيل إليه أنها ترسل اليه نظرات عداوة شديدة . ومن مجنون يأتي إلى حمام ببخار وهذه الشمس ترسل أشعتها الحارقة . . السياح سافروا والحمد الله ، وزيائن الحهام من المصريين لا يأتون والجوعلى هذه الحرارة . . من مجنون يأتي . . الأمر لله . . ومن أبن لى بثمن الدواء . . أستلف من اللوكاندة وهل تقبل اللوكاندة . . هل أقصد إلى صاحب الأجزادة وأرجوه أن يعطيني الدواء وأدفع له ثمنه عند ميسرة ؟ ومتى تأتي الميسرة وكيف لصاحب الأجزادة أن يثق بى وهو لا يعرفني ؟ ويصل حمدى إلى الحهام ويفتحه ويعد الأدوات ويجلس ينتظر الزبون والفرج ولا يطول انتظاره . فها يلبث الباب أن يفرج عن رجل طويل في الأربعين من عمره أبيض البشرة سمح الملامع .

- ـ السلام عليكم.
- ... وينظر اليه حمدى . . زبون جديد لم يره قبل اليوم يافرج الله .
 - ــ وعليكم السلام يا سعادة البك ورحمة الله ويركاته . .
 - _ هل أستطيع أن آخذ حماما ؟
- ويجد حمدى فرصة ليقدم نفسه على أنه عمن يتكلمون الانجليزية راجيا أن يكون لذلك أثر في الارتفاع بالبقشيش . .
 - ـ اوف كورس ياسعادة البك . . تحت أمرك . .
- وتختلج عين الزبون لحظة . . ويفكر في المبلغ الذي سيخسره في هذا الحيام . . ان كان الحادم متعلم الانجليزية فكم تراه سيدفع ثمنا لهذا الحيام . . شورة سوداء . . لقد أوقعه ابن عمه سامح في المحظور . . وأوشك أن يعود ثانية إلى الباب الذي دخل منه ولكنه تريث لحظة وسأل :
 - _ بكم أجر الحمام؟

ونظر اليه حمدى ودارت فى رأسه الأفكار . . إن الزبون الذى يسأل عن أجرة الحمام لا يبشر َ بخير . . ولكنه يسارع إلى بقية الأمل قبل أن يضيع . .

- _ حاجة بسيطة باسعادة البك . بسيطة جدا . .
 - _ يعنى كام . .
 - ــ أتريد سعادتك حماما واحدا أم . .
 - ويسارع البك قائلا . .
 - _ واحدا . . واحدا . .
 - ــ جنيه .
 - _ ماذا ؟

وتوشك آمال حمدى أن تنهار . . ان كان يستكثر الجنيه الذى هو أجر الحيام فأى بقشيش سيدفع . . ولكن لا بأس ليدفع أى شيء ومن هنا إلى آخر النهار يحلها الذى لا يغفل ولا ينام . .

- ـ ماذا ياسعادة البك . أهو كثير؟
 - ـ لا . . لا أبدا . .

ويهدأ حمدى بعض الشيء ويقول الزبون لنفسه الأمر لله ويأخد طريقه إلى الداخل ويخلع ملابسه وحمدى بجواره يساعده كلم سنحت له فرصة أن يساعده . . وحين يطول الصمت بعض الشيء يقول حمدى في محاولة صادقة أن يستكثر من البقشيش ما أمكنه إلى ذلك من سبيل :

- شرفت باسعادة البك.
 - ــ کثر خیرك .
- ــ أهلم أول مرة تشرفنا فيها؟
 - ـ نعم .
- ــ ولم تأخد حمام بخار قبل اليوم ؟
 - ــ أبدا . .
- ــ ستكون مسرورا جدا ياسعادة البك . . تريه كونتا . . ويتوقف البك لحظة عن خلع ملابسه . . ويتكلم الفرنسية أيضا . . لابد أن يكون صاحب الحيام . . ويكمل خلع ملابسه ويستأنف حمدى حديثه . .

ستحس أنك انسان جديد . . نشاط وحيوية . . سترى ياسعادة . .

ـ ايه . . عظيم . .

ويفكر الزبون . . لماذا يلاطفه هذا الرجل كل هذه الملاطفة . . أليجمله يعود ثانية ليفعل

ما يشاء ليجعل من نفسه بهلوانا ولكنه لن يعود . . إنها مرة ولن تعود . .

- _ ويعود حمدى إلى الحديث . .
 - _ أتحب أن تبدأ بالبخار؟
- ـ والله أنا لا أعرف ما يجب أن أفعله فعليك أن ترشدني .
 - تحت أمرك ياسعادة أفوتر سرفيس . . تفضل .
 - ــ ولا يملك الزبون نفسه فيسأله :
 - _ هل حضرتك صاحب هذا المحل . .
 - _ لا ياسعادة البك . . إنه ملك اللوكاندة . .
- ــ أنا فاهم ولكن هل أنت الذي تستأجره من اللوكاندة ؟
 - ــ نومونشير . . أنا موظف في اللوكاندة . .
- _ ويقف الزبون عاريا لا يستره الا قياط أعطاه له حمدى الذى كان يسير من خلفه . . ويلوى الزبون رأسه إلى حمدى . . موظف . . ولا يكتفى بالتفكير . . بل هو يقول دون وعى . .
 - ــ موظف .
 - ـ بيان سير مونشير . . موظف ياسعادة البك .
 - وتتكلم الانجليزية والفرنسية . .
 - _ والايطالية وبعض الجريجية أيضا ياسعادة . . .

ويدخل الزبون إلى غرفة الحيام وهو يفكر . . لابد من البقشيش إذن ولابد من بقشيش مرتفع . . خمسون قرشا على الأقل . . على الأقل . . شورة سودة الله يجازيك ياسامح ياابن عمى . . منك لله . . وبعد فترة يطل رأس حمدى من الباب . .

أتحب سعادتك أن تبقى أكثر من هذا أم تكتفي بهذا؟

- کیا تری .
- ــ يكفى هذا لأنها أول مرة . . تفضل ويقوم الزبون ويمشى خلفه وهو يقول :
 - _ إلى أين ؟
 - _ إلى التدليك .
 - _ آه عظیم . . ومن الذی سیدلکنی ؟
 - ــ أنا .
 - _ أنت ؟
 - ـ اختصاصي ياسعادة البك . . اكسبير . . سترى وتحكم بنفسك .

ويفكر الزبون . . اختصاصى واكسبير أيضا . . لا يمكن أن تكفيه خسون قرشا . . وتمتد يد حدى إلى جسم الزبون تدلك . . توشك يداه أن تقولا اعطني بقشيشا ويحس الزبون بخبرة

هدى وبيديه اللتين تعرفان تفاصيل العضلات في جسمه معرفة لا يتقنها الا طبيب أو على الأقل خريج من معهد التربية الرياضة . . ويقول حمدى في نغمه طيبة حنون توشك أن تفضح حاجته للخمسين قرشا :

- _ ميسوط ياسعادة البك . ، فوزيت كونتا .
 - ـ بيان سير . . حاجة عظيمة ياأستاذ . .

أستاذ تقع الكلمة على أذن حمدى موقعا حلوا ويحس فيها أن الرجل سيجزل له العطاء . . لقد جعله أستاذا وينهمك في عمله ويسلم الرجل نفسه ليدى حمدى الخبيرتين ويفكر فيها يمكن أن يعطيه له . . خسون قرشا . . مستحيل إنه سيجرحه لو أعطاه هذا المبلغ الهين . . ماذا يمكن أن يعطيه . .

وينتهى التدليك ويقول حمدى:

- ـ والآن تأخذ الدوش ياسعادة البك.
 - متشكر ياأستاذ .

ويزداد الأمل في نفس حمدى . . ان الأستاذ لا يأخد أقل من خمسين قرشا بقشيشا فان تضاءل المبلغ وتضاءل فخمسة وعشرين قرشا ولا أقل . . لا يمكن أن يكون أقل من ذلك . . ومن يدرى لعل زبونا آخر لا يعبأ بالجو الحار ويأتى مثل هذا المغفل الذي يستحم . . وكان الزبون تحت الدوش يفكر فيها يمكن أن يقدمه بقشيشا . . الله يجازيك ياسامح منك لله أهده عملة . . ماذا أعطى هذا الأستاذ الذي يتقن ثلاث لغات ويتكلم رابعة وهو بعد هذا كله أو قبل هذا كله على هذه الخبرة العظيمة بالتدليك ويتفاصيل جسم الانسان . . خريج معهد عال على الأقل . . إن لم يكن سافر إلى الخارج وتخصص . . طبعا . . وإلا فكيف له بهذه اللغات جميعا . . وراح يسخط على ابن عمه سامح الذي أوقعه في هذه المشكلة . . وينتهى الزبون من الحام ويذهب إلى حيث ترك ملابسه ويأخذ في ارتدائها ويأي اليه حمدى :

- أتحب أن أساعد سعادتك ؟
 - ــ العفو باأستاذ .

فرجت . . هى الخمسون قرشا . . على الأقل ان لم يصل الأمر إلى جنيه كامل . . ويقف حدى بجانب البك ويروح الزبون يختلس النظرات إلى حمدى ، وفجأة يستقر رأيه على أمر . . ويطمئن . . ويتم ارتداء ملابسه ويخرج إلى الغرفة الخارجية من الحيام ويخرج حمدى من وراثه ويذهب حمدى إلى المنضدة التي يستقبل عليها نقود الزبائن وقد كاد قلبه أن يقفز من بين جنباته في انتظار البقشيش الذى سيقدمه البك إلى الأستاذ . . ويخرج البك المحفظة ويفتحها ويخرج منها واحدا ويبتسم حمدى لابد أن الخمسين قرشا في جببه لا في المحفظة . .

كثيرون يفعلون ذلك . . كثيرون لا يضعون فى محافظهم فئات أقل من الجنيه حتى لا تنتفخ المحفظة بالأوراق قليلة القيمة . . ويقدم الزبون الجنيه إلى حمدى ويأخذه ويظل ناظرا إلى الزبون ولكن الزبون يقول فى حزم :

الف شكر يابك.

ويستدير إلى الباب الخارجي ويدلف منه إلى الخارج .

ــ وحين يعود عمدى إلى البيت تسأله زوجته في لهفة :

نه هل أحضرت الدواء ؟؟

ـ لا . . ولكن أصبحت بك .

۔ ماذا ؟

ـ ويرتفع صراخ الطفل من جديد .



الست عسشة

كان نجاحها فى الحياة قوامه أن أثرياء الزمن الماضى كانوا لا يسمحون لزوجاتهم أن يخرجن إلى الأسواق ليشترين ما يحتجن إليه . فلم يكن هناك بد من أن تنتقل الأسواق إلى السيدات فى بيوتهن . وهكذا أصبحت بقجة عيشة أم أمين هى محلات الموسكى وتحت الربع والمغربلين بل وعلات شيكوريل وعمر أفندى وصيدناوى وغيرها تجتمع جميعها على تنافرها وتباغضها فى بقجة الست عيشة وتنتقل هى بين البيوت تعرض ما اختاره ذوقها أو هى تتلقى الرغبات فتحفطها فى دقة ووعى دون أن تكتبها لأنها بطبيعة الحال لا تكتب وتعود بعد ذلك حاملة كل هذه المحلات بين أعطاف بقجتها العتيدة .

وقد كانت عيشة فى ذلك الحين البعيد من الزمن مليحة الوجه أكسبها حمل البقجة تنغيها فى الخطوات فكأنما هى ترقص حين تسير ، وقد كانت ذات قوام فارع مياد يغرى العين والخلجات المعربدة فى نفوس الرجال .

وقد كانت وظيفتها تلك تثير في نفوس رجال كثيرين مكامن الطمع . فهي أولا تكسب الكثير من تجارتها وهي أيضا ذات مدخل إلى بيوت العلية من القوم ، وإن لها عندهم لكلمة وإن لها في الحديث دهاليز . وقد استطاعت بعد أن مرنت على حمل البقجة أن تحمل في ثناياها صوراً لفتيات وفتيان وأصبحت تبيع مع الأقمشة وحاجيات الستات حديثا عن فلانة بنت فلان أو فلان أبن فلان . ويتم زواج وتقبض عيشة الثمن . وهكذا كثرت حول معاصمها الأساور ، كها كثرت العقود التي تلفها حول عنقها .

وقد كان غباشى السائق بمنزل مصطفى باشا جمال الدين ذا عين خبيرة . تسقط فى سرعة لاهفة على الأساور اللامعة وتستطيع تلك العين فى خبرة ومران أن تعرف أن ما تلفه عيشة حول عنقها ليس عقدا واحدا وإنما هو عقود . وقد كان غباشى شابا فتى الجسم جميل الوجه . وكان ذا

طموح في الحياة وهمة . . فوقع في حب الأساور اللامعة والعقود التي تتواثب حول رقبة عيشة وتقدم اليها . وقبلته وتزوجا .

ومرت أيام ، أصبحت شهورا . . واستطاعت عيشة أن تعرف في سهولة ويسر أن غباشي أحب ما تملكه ، ولم يحبها هي فإنه سرعان ما طلب إليها أن تبيع ما تملكه ليشتري هو سيارة يُشفِئها بالأجرة . وطبعا حاول أن يفهمها أن الربح سيعود إليهما كليهما حاول أن يضخم لها هذا الربح ولكن الكلام مهما يكن منمقا جميلا ما كان لينطلي على عيشة وهي تاجرة الكلام ألتي جمعت ثروتها جميعها منه . واشتد الطلب من غباشي واشتد الرفض من عيشة . وانتهى الأمر بطبيعة الحال إلى الطلاق . وقد كان الأمر من شأنه أن ينتهى عند هذا الأمد . لولا أن غباشي ترك في أحشاء زوجته التي أصبحت مطلقته أملا في طفل أو طفلة لا يعلمه الا الله . وما هي الا بضمة شهور حتى أصبح الأمل طفلا وصار اسمه مجدى . . وفرحت عيشة بما أعطاها الله وأقسمت ألا تعود بعدها إلى الزواج أبدا ويكفيها من حياتها أن تعيش لترعى هذا الطفل ولتجعل منه شيئًا عظيها منذ ألقمته ثديها في اللحظة الأولى من رضاعته ، أزمعت عيشة في ﴿ نفسها أن تجعل من هذا الطفل ثروة . . ثروة كبيرة لها ولستقبلها . . لقد أزمعت أن تعوض به نفسها عن كل تعب تلقاه في عملها ، وعن ذلك اليأس اللي أطل عليها من زواجها . وفي تدبر وحكمة وهدوء راحت تعد الخعلة وتنفذها . . وحين مرت الأيام وحين قضت هذه الأيام على تجارة عيشة لم تذهل ولا هي اندهشت فقد كانت تعد للتطور عدته . فيا هي إلا سنوات قليلة حتى خرجت السيدات إلى المحلات العامة يشترين ما يروق لهن . . وماهى إلا سنوات أخرى حتى سفرت السيدات جميعا فأصبح العريس يختار عروسه بالحواس الخمس جميعاً . . لا بالسمم وحده . . وكانت عيشة قد ادخرت لهذا التطور بعض المال ولكنها لم تلجأ إليه . . وإنما لجأت إلى ما ادخرته من صحة وعافية . . عرضت على إحدى السيدات اللواق كانت تزورهن أن تقبلها عندها خادمة . . وقبلت السيدة وأقامت عيشة في بيت السيدة خادمة وكان لما على صاحبة البيت دلال قديم فهي تجالسها من حين إلى آخر ، عيشة على الأرض والسيدة على الكرسي وهي من حين إلى آخر تدلك لها أقدامها. وهي تستطيع داثيا أن تلقى على مسامعها ما تشاء من حديث وهي تستطيع أيضا أن تستجدي منها لمجدى حلة أو حذاء أو قميصا أو أي شيء نستغني عنه السيلة أو تنجح لياقة عيشة في اختطافه .

وعجدي منذ السنوات الباكرة من الطفولة تلميذ . . في مدرسة إلزامية أول الأمر . . ثم هو في مدرسة ابتدائية وحين حصل على الابتدائية قالت السيدة لعيشة :

ــ بكفى ما تلقاه مجدى من العلم . . سأجعل زوجى يوظفه وتصرخ عيشة : ــ لا .

ثم تتمالك في تؤدة:

.. ربنا يطيل عمرك ياستي ويبقيك . أمل في الدنيا أن يتعلم مجدي .

_ أخذ الابتدائية .

ـــ ربنا يبقيك لى . . أنا عندك آكل وأشرب . . وما آخذه منك يكفى لتعليمه وزيادة العلم حلو ياستى . .

وتسكت الست ويمضى مجدى فى تعليمه وعيشة تبذل غاية جهدها أن تستر أمره فهى تشترى له مما الدخرت أحسن الملابس وتجعله يبدو فى أحسن مظهر . . وقد سمح له وجهه الذى اقتبس فيه كثيرا من سهات أبيه وأمه أن يبدو جميلا متسقا مع الثياب الأنيقة التى تختارها له أمه الخبيرة .

وتمر سنوات البكالوريا وينالها مجدى وعيشة ما تزال تعمل بمنزل سيدتها وتحاول الست مرة · أخرى أن تعرض على عيشة أن توظف مجدى . . ولكن عيشة في ذكاء ولباقة تقول :

ـ فات الكثير ما بقى إلا القليل . . أتحمله ياست هانم السنوات القليلة الباقية والبركة فيك . .

وتسكت الست ويقصد بجدى إلى الجامعة . . كان بجدى في منوات عمره جميعا لا يفارق أمه أبدا . . فقد استطاعت أن تخلى له حجرة في أسفل البيت الذي تعمل به وكانت تصر على أن يلازمها ما مكنتها هي الفرصة أن يلازمها . . وقد قطعت كل صلة كانت تقوم بينه وبين أي صديق . . حتى لم يبق له من أصدقاء آخر الأمر إلا أمه . وقد صار أمره في الجامعة مثلها كان صديق . . حتى لم يبق له من أصدقاء آخر الأمر إلا أنه صار طالبا بكلية الهندسة بعد أن كان وهو في المدرسة الابتدائية أو الثانوية فلم يزد عليه إلا أنه صار طالبا بكلية المندسة بعد أن كان تلميذا بمدرسة المنبرة الابتدائية أو الخديو اسهاعيل الثانوية ، أمه هي آفاق حياته جميعا وليس له من آفاق سواها . . ولم يكن هذا إلا جزءا من الخطة التي أحكمتها عيشة في اللحظة التي ألقمت فيها ابنها ثديها . . وكان الجزء المهم من الخطة يبدأ يوم دخل مجدى الجامعة .

أصبحت تستمنع سيدتها كثيرا من الأجازات وتذهب لتقضيها مع أقاربها الذين نزحوا عن القرية وأقاموا في القاهرة . وقد عجب هؤلاء الأقارب أول الأمر من هذه الزيارات ولكنهم لم يلبثوا أن تعودوها حتى أصبحوا يسألون عنها إن غابت ولم تزرهم . ولو أن هؤلاء الأقارب بحثوا عن الصفات التى تجمع بينهم والتى تجعل عيشة تزورهم لفطنوا إلى ما تدبر لهم عيشة ولكنهم لم يجتمعوا ولم يبحثوا وظلوا واهمين أن رابطة القرية وحدها هى التى تجعل عيشة تزورهم ولو فكروا قليلا لوجدوا أن لعيشة أقارب أكثر قرابة لها ومن القرية ويقيمون بالقاهرة ومع ذلك لا تزورهم عيشة ولكنهم لم يفكروا . . ولو تدبروا الحديث الذي كانت ثلقيه عيشة ولو تناقلوه بينهم لادركوا ولكنهم لم يتناقلوه وإن كانوا قد تدبروه .

وتمر السنوات وتزداد الصلات بين عيشة وأقاربها ويقرّب مجدى من نيل الشهادة فلا يبقى إلا شهور . وتقصد عيشة إلى بيت قريبها الذى تعودت أن نزوره وتكثر من زيارته أحمد أفندى على اسهاعيل موظف القرية الذى يمثلك فى القرية ستة أفلنة وفى القاهرة وظيفة تدر عليه دخلا يقدر بخمسة وعشرين جنيها شهريا . وليس فى الدنيا إلا ابنة واحدة . . تخطبها عيشة لابنها يجدى . . الباشمهندس . . وأين يجد أحمد أفندى على اسهاعيل خيرا من هذا .

الباشمهندس سيخطب ابنته ولا يفكر أن ابنته ليست رائعة الحسن ولا هي حتى على شيء من الجيال وإنما يفتنع وتقتنع زوجته معه أن الست عيشة أرادت لابنها زوجة ترعى شأنه وتقوم بأمره وأن مسألة الجيال لم تكن تخطر لها على بال . . وتتم الخطبة ولا يعارض مجدى فقد تعود أن يكون كلمة من أمه وإشارة من يدها .

وتمر أيام وتهمس الست عيشة في أذن أحمد أفندي اسهاعيل.

ــ العين بصيرة واليد قصيرة ياأحمد أفندي .

ويفهم أحمد أفندى . . ولا يقيم بالقاهرة إلا ريثها يحصل على أجازة من وظيفته ويقصد إلى القرية يبيع فدانين ويأتى فلا يقصد إلى بيته وإنما يقصد إلى الست عيشة فى السر . . دون أن يحس أحد ويضع فى يدها ثمن الفدانين ليستعين به مجدى على شأنه ويشترى المدايا أمام الناس ويقدم المهر ويشترى لنفسه ملابس أيضا . ويرد الدين بعد ذلك حين يفرجها الذى لا تغفل له عين .

وما أن أستقر المبلغ في يد الست عيشة حتى انقطعت عن زيارة أحمد أفندى على اسهاعيل والمرت ابنها هو ايضا أن ينقطع فانقطع . . وحين قصد إليها أحمد أفندى على اسهاعيل وسألها :

- س خير ياست عيشة .
 - قالت في خبث:
- _ الامتحانات ياسي أحمد أفندي.
 - ـ وأنت أيضا عندك امتحانات.
- أقعد إلى جانيه وأشوف طلباته . .
- وينصرف أحمد أفندى اسماعيل وتقوم الست عيشة إلى قريبها الثانى توفيق أفندى عبد المطلب . . وهو موظف أكبر قليلا من أحمد افندى على اسماعيل فمرتبه ثلاثون جنيها . . ويملك أيضا أكثر عما يملك أحمد أفندى على اسماعيل فهو يملك ثمانية أفدنة .
 - ـ العواف ياسي توفيق .
 - ـ العواف ياستي عيشة .
 - كيف حالك ياستي أم ابتسام.
 - نحمده باست أم مجدى.

- عذبني ابني مجدى ياست أم ابتسام.
 - _ خير ياأختي .
- _ لقد جئت خصيصا الجعل سي توفيق يكلمه.
 - ـ أنا تحت أمرك ياست عيشة.
- ـ الولد ياسي توفيق يرفض الزواج من بنت سي أحمد.
 - ۔ وکیف ؟
 - ـ الظاهر انه شايف حاجة ثانية .
 - ــ عل تظنين هذا ؟
 - ــ الحقيقة هو قال لى إنه حط عينه على . .
- وتبتسم عيشة أم أمين ويفهم سى توفيق وتفهم ست أم ابتسام . . ويصمت الرجل وتتكلم الست .
 - على من ياست عيشة . .
- لا حول ولا قوة الا بالله . . ماذا أعمل ياسي توفيق . . أنا مرتبطة مع أحمد أفندي على اسهاعيل .
 - ـ ويتنحنح توفيق أفندى عبد المطلب الابياري ويقول:
 - ــ أظن أنّ مركزى حرج جدا ياست عيشة .
 - وتكمل الست أم ابتسام .
 - _ صحيح ماذا يمكن أن يقول ؟
 - وتطرق عيشة أم مجدى وتقول:
 - لك حق ياسى توفيق . . خلى هذه المسألة على . . فقط . . وأمعنت في إطراقها . وقال توفيق أفندى :
 - ـ فقط ماذا ياست عيشة ؟
 - ـ الولد مصمم على أن أخطب له ابتسام . .
 - وتسارع أم ابتسام قائلة:
 - ابتسام تحت أمره ياست عيشة .
 - ويقول توفيق :
 - ـ اخاف أن يزعل أحمد أفندي على.
 - وتقول عيشة:
 - لا يريد بنته ياسى توفيق . . وأنا ماذا بيدى . . انه رجل ولا استطيع أن أخبره ويفكر توفيق أفندى فلا يطيل التفكير إذ ما تلبث أم ابتسام أن تقول له :
 - ـ نميل بخت بنتنا ياسي توفيق . . شرع الله عند غيرك .

verted by Till Combine - (no stamps are applied by registered version)

```
ويقول توفيق أفندى:
```

- ــ على بركة الله ياست عيشة . . مروك وتقول عيشة .
 - ـ مبروك عليكم إن شاء الله . .
 - وبعد أيام قليلة تقصد عيشة إلى توفيق وتقول:
 - ـ العين بصيرة واليد قصيرة ياسي توفيق . .

وما هي إلا أيام أخرى قليلة حتى يكون في بد عيشة ثلاثة أفدنة هذه المرة لا فدانان وتتكرر الحطبة ويتكرر الفسخ وعائشة سعيدة بتجارتها لاهية بعض الشيء عن رأس مال التجارة مجدى حتى أصبحت لا تراه الا ليفسخ خطبة أو يعلن خطبة . . وهكذا تمتع مجدى بحريته وتعرف على أصدقاء .

- بل إنه تعرف على صديقات وتطورت المعرفة والصداقة .
- ـ فهو يدخل إلى أمه يوما ويجلس صامتا بعض الحين وتسأله عيشة :
 - مالك ياعجدي؟
 - _ لا شيء ياأمه .
 - ـ أنت على غير عادتك.
 - _ أمه .
 - ـ نعم .
 - _ لقد تزوجت .
 - _ ماذا ؟
 - _ بالأمس.
 - _ وتبهت عيشة ثم تقول:
 - _ أهي غنية ؟
 - ــ موظفة معى لا تملك إلا المرتب.
 - وتنظر إليه مليا . . ثم لا تلبث أن تقول :
- ــ الأمر الله . . منه العوض وعليه العوض . . حسبي الله ونعم الوكيل .

مسلالسة

ملالة تملأ وقق ، تملأ يومى وليل ، تملأ أمسى وغدى ، أى جديد في هذه الحياة ، وماذا في الجديد إذا جاء ، كيف أزيل عن نفسى هذه الملالة ، أحس طعمها في فمى كريها شائها ، وأحسه يتمشى في دماتى رتيب الخطوة ، رتيب النغمة . أغير ما أغير من حيات ، وأفعل ما أشاء أن أفعل ، وما تشاء لى أفكارى ، المحدودة التي لازمتنى ولا أذكر متى ، وأفعل ما يشاء لى عقلى هذا الذي لا جدة فيه ولا طرافة ، فإذا كل ما أفعله مكرر لا يزيل عنى الملالة ولا ينشلني من وهذة الخمول الذي يحيط بي إحاطة لا غرج لى منها ولا مفر .

زوجتى فى البيت تزوجتها منذ عشرين عاما وبيف وظللت أراها فى كل يوم ، فى كل لحظة هى هى هى فى الصباح والمساء ، هى هى فى الشباب والكهولة ما تغير منها إلا الجمال الذى ولى لتحل مكانه خطوط من السن وتجاعيد من الكبر وترهل من الحمل ، جاءت بالبنين والبنات ، لعلنى فرحت بالولد الأول ثم ماذا بعد ذلك ، ملالة ، ملالة ، لم تلد زوجتى إلا الملالة والمسراخ ثم كبرت الملالة وكبر الصراخ فإذا هو مطالب ، وطنين من الإلحاح ، مطالب معقولة لا عيب فيها إلا أنها مكررة لا جديد فيها ولا ابتكار بل أنها تزيد ملالتى ملالة وتزيد ضيقى ضيقا ، فأنا من الملالة فى بحران .

تركت بينى وعشت وحدى لاحقتنى من زوجتى القضايا ، ومن أولادى المطالب ، ولم أستطع فى غمرة القضايا والمطالب أن أتخلص من الملالة . فحياتى وحدى مملة كحياتى مع زوجتى وأولادى . فعدت إلى بيتى والملالة تلاحق مواكبى أنى سرت .

خضعت ورضيت من بيتي أن أكون المصنع الذي يخرج لهم ما تحتاجه حياتهم من مال .

وإنا في وظيفتي ملول ، الديوان هو الديوان والجدران هي الجدران ، وان تبدل الزملاء بزملاء ، إلا أن الأحاديث هي هي ، لا تتغير ، تعليق على أخبار الجرايد وليس في الجرائد شيء جديد ، من قرأ من التاريخ ما قرأت استطاع أن يعرف عن ثقة مؤكدة أن ليس في الجرائد جديد ، ما كان في التاريخ البعيد هو أخبار الساعة ، قوى يقهر وضعيف يشكو ، ودول تتطاول وتستكبر ودول تتطامن وتستذل . هكذا التاريخ . ولكن صحبي لا يقرأون التاريخ وأنا قرأته . فهم يعلقون على الأخبار وكانها جديدة . . ولو عرفوا الذي عرفت من الماضي ما أحسوا من حاضر أيامهم حلاوة . بل إنني أستطيع بما قرأت أن أقول لهم ما تخبثه الأيام من أخبار . فالتاريخ أيضا على يتكرر ولا يتجدد ، يعيد نفسه في كسل وتراخ وكأنما أدركه الكبر أن يأتي بجديد .

وقد يملق بعضهم على الكرة ، وتلك عجيبة من العجائب بلا جدة فيها أيضا ، ولست أدرى كيف يمكن الحديث عن الكرة إنما هي فريقان يتلاعبان ويغلب فريق فريقا ، كل ما أفهمه في هذا الأمر أن أشه لد شر لا أعلق ، وإنما اخواننا من الزملاء يعلقون ويتهادون في الحديث فيطول ويطول ، وأنا أكاد أموت غيظا وملالة فلا جديد في هذا الحديث أيضا . فقديما عرف الناس التفاهة في اختيار موضوع النقاش وما تنازلوا عن تفاهتهم سمتى اليوم .

وقد بحدث ولكن قليلا ما يحدث أن يتناقش اثنان في الأدب وفيها تكتبه الجرائد من قصص ، هذا الوباء الذي أصبح متفشيا في أيامنا هذه . ولا أجد فيها يقدمونه جديدا . فقديما قال عنترة بن شداد : هل غادر الشعراء من متردم ؟ فإذا كان هذا الشاعر الجاهلي قد يشس أن يقع على جديد منذ هو في الجاهلية وقد عدوناها اليوم بألف وأربعهائة عام وتزيد . فأي جديد بكن أن يأي به الأدب ؟ أجل لقد قرأت الأدب القديم حتى أفنيته ثم قرأت في الأدب الحديث حتى مللته وأصبحت لا أجد فيها أقرأه طرافة ، ومن أين وقد قطع عنترة عليهم الطريق منذ عشرات القرون والأجيال .

قرأت المسرحيات فأما ماكان منها على نمط قديم فهو يزيدنى ملالة وأما ماكان منها على النمط الجديد فقد طوح بى إلى مجاهل القدم أكثر بما فعل المسرح القديم ذاته . . متى كانت الخرافة شيئا جديدا ، إنها قديمة قدم الأوثان بل إنها أعظم منها قدما وأشد منها إيغالا في غياهب الأزمان الغابرة .

لا شيء جديد في هذه الدنيا . . لا شيء جديد . . أم ترى أنا وحدى الذى أحس بهذه الملالة لكثرة ما قرأت . . لست أدرى . إنما ما أدريه أنني كنت أحسد كل من يبتسم وتقتلنى الغيرة من كل ضاحك ، فإذا رأيت اثنين يتحادثان منهمكين في الحديث رحت أصوب إليهما عينين نهمتين وكأنما يتقاسبان أموالا مكدسة لا تخصني . إنها يتبادلان الحديث ومعنى هذا أن هناك موضوعا بينها يشغلها . فها يتحادثان فيه . ويهتان به وينسيان الملالة ولو لمدة لحظات .

سافرت . سافرت إلى جميع مدن القطر المصرى ، ملذا ؟ أى جديد فى هذا ؟ ما رأيته فى الوجه القبلى هو ما رأيته فى الوجه البحرى ، ولا تسلنى عن القرية . ويل من الريف والقرى . ما أكذب هؤلاء الكتاب الذين يتحدثون عن هدوء ومتعة الريف . أجل ما أكذبهم .

وعدت إلى القاهرة وقد ازدادت ملالتي ملالة . لم أجد شيئا أفعله آخر الأمر إلا أن أنظر إلى وجوه الناس إنها الشيء الوحيد الذي لا يتكرر . لا تصدق أنه يخلق من الشبه أربعين ، لا أربعين ولا حتى اثنين . لكل وجه ملاعه الخاصة وهي تعبر عن أخلاق خاصة ولن يشترك اثنان في الملاسح أبدا . ومهما يكن التشابه فلابد أن تجد فارقا . وفارقا مميزا واضحا .

حدار أن تظن أن نظرى إلى وجوه الناس أبعد عنى الملالة أو قللها ، إنما كان هذا مظهرا من مظاهرها ولم أجد ما أنفق فيه ملالتي إلا الوجوه . ولا أخفى عنكم لقد كنت أحب وجوه الناس . واسخر معى ما شئت من هؤلاء الذين يجبون الجهال الطبيعى بغير أحمر أو أبيض . إن هذا الأحمر والأبيض شيء جميل وكم صعقت يوم تفتق ذهن أساتلة المودة عن اللهان الذي يضعونه على شفتي المرأة بلون الطبيعة . . أغبياء . . من قال لهم إننا نريد أن نرى اللون الطبيعى ، صدقنى . . كلها رأيت واحدة منهن يخيل إلى أنها أكلت زبدة ثم تجمدت الزبدة على شفتيها .

المهم لقد وجدت أن خير ما أنفق فيه ملالتي هو النظر إلى الوجوه وأخص بالنظر وجوه السيدات طبعا ولم أجد مكانا خيرا من السينها أذهب إليه لأجد المعرض ملينا بالمعروضات فالسيدات لسر أجهله _ يبللن أقصى جهدهن في الترين وهن ذاهبات إلى السينها . وكانهن عهلن أن الظلام سيغطى كل شيء يضعنه على وجوههن . على كل حال كان هذا من حسن حظى أنا . فقد كنت أحب عنايتهن هذه بوجوههن .

وفى يوم دخلت السينها وجلست بجانبى فتاة بل سينة يبدو أنها فى أول عهدها بالرواح فهى كالوردة أشرفت على التفتح ، النضارة تفوح منها كأنها عبق وهبته لها السهاء كل شيء فيها جديد حتى لقد ذكرتنى بملالتى وكيف أن قديم قديم ، وأفكارى قديمة ، وكل ما يتصل بى قديم ، كم نحن متناقضان ، هى فى جدتها وأنا فى قدمى ، كيف يمكن أن يلتقى القديم والجديد بهذا التقارب ، متجاوران على الكرسى لو لم أكن أرتدى جاكتة ذات أكهام للامست ذراعها ذراعى .

وفجأة ومضت فى ذهنى فكرة ، أبعدتها فألحت على . . بلاذا لا أقبل هذه الفتاة الجالسة إلى جوارى ، ماذا سيحدث ؟؟ واحدة من اثنين . . إما أن يلقونى فى السجن . . وما ضر لو فعلوا . . ؟؟ كم من مساجين هناك ذهبوا إلى السجن بجرائم لا للة فيها ولا طرافة ولا تجديد . أما أنا فسأذهب إلى السجن وقد حطمت عن نفسى سجن الملالة الأكبر الذى أعيش فيه وهل أنا الآن طليق . مرحبا بالسجن ولو أرسلونى إليه . . وإما أن يقودونى إلى سراى المجاذيب ،

ومرحبا بهذا أيضا ، ارى هناك البشرية المستريحة قد طرحت عن نفسها قيود العقل وارتاحت إلى الحياة تقطعها لذة وأحلاما وأوهاما وخيالا . سأكون سعيد الحظ لو أنهم ألقوا بى إلى سراى المجاذيب .

ودون أن أمعن فى التفكير أكثر مما فعلت ملت على السيدة التى بجانبى وطبعت على خدها قبلة مطمئنة هادئة ثم اعتدلت وجلست .

ومدت السيدة يدها على مكان القبلة في ذهول هاديء أول الأمر ثم فجأة استعادت يدها وكأنما وجدت على خدها أثر القبلة عجسها وكأنما تأكدت أن هذا الذي حدث حقيقة لا خيال ولا وهم . وإذا هي في كل ثقة تتجه إلى وتصفعني قلها لم أكن محتاجا إلى أن أضع يدي بعده لاتحسس أثره ، فقد كانت النيران تلهب وجهى ، وكان يمكن أن ينتهى الأمر عند ذلك ، قبلتها قبلة فصفعتني قلها . . هن من متعظمان لا لنا ولا علينا . . ولكن ماذا تفعل في الاخرين . . هن عن متعظمان لا لنا ولا علينا . . ولكن ماذا تفعل في الاخرين . . هن يمكن أن يسكنوا . . أيضرصون عدم الفرسة الذهبية في كسر ملالتهم وتسلية أنفسهم . . ؟ أفندى قبل سيدة . . وسيدة صفعت أفندى . . أين يجدون فرصة كهذه ؟ قام الرجل الجالس خلفنا .

- أنت قليل الأدب ياأفندي.

فوكزه الجالس إلى جانبه وسأله:

_ ماذا حصل ؟

فحكى له الذي حصل فقال السائل:

قلة حياء والله لا يمكن أن نسكت.

فتقدم الرجل الجالس بجانب الست فسأل وأجيب . . فثار النهاية معجوني إلى القسم .

_ هل قبلت الست؟

ـ نعم .

_ ونعم أيضا ؟

- أتريدني أن أكذب . . نعم قبلتها .

ألا تعرف أن هذه جرية ؟

_ جريمة ؟

نعم جرية .

ــ على الشاشة أمامنا في السينها كانت القبلات على قفا من يشيل ولم نر أحدا يقول جريمة .

ـ هل تريد أن تدعى الجنون ؟

ــ هل فيها أقول غلط ؟

ـ لا . . لا غلط . . ياشاويش ضعه في الحجز .

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتم المحضر ورؤى لاستكهال الشكل أن أعرض على طبيب أمراض عصبية وكأن الطبيب كان يدرى ما تهفو إليه نفسى فها هي إلا أن انتهى من فحصه حتى كنت نزيلا بمستشفى الأمراض العقلية .

لا تسلنى كم من الوقت أقمت هناك . . فها عرفت فى حياتى أسعد من هذه الفترة التى عشتها بلا عقل ولا مسئولية ولا ملل . .

أقمت هناك ما أقمت لا تستطيع زوجتى أن تكسر الأسوار لتعيدنى إلى ملالة حياتى ، ولا يستطيع أولادى أن ينفذوا إلى ليحيطونى بملالة مطالبهم وطبعا لم يحاول الزملاء أن يبلغوا مكانى فيا كانوا حريصين على ملالتى في شيء .

ثم فجأة قلب لى القدر ظهر المجن ، وانبثقت فى صدر طبيب المستشفى عداوة شديدة فإذا أنا فجأة طريد من المستشفى مرة أخرى إلى الحياة . . إلى الملالة . . ملالة تملأ وقتى . . تملأ أمسى وغدى . . .



شسوار وهيبسة

قالت أم وهيبة وهي تعطى لزوجها عبد الباقي أفندى طربوشه:

ـ فداك مئة بقرة ياعم عبد الباقى أفندى . . فداك مائة بقرة . .

ولم يجد هذا القول مع عبد الباقى أفندى . . لم يجد في شيء ، لقد كان حزينا كثيبا وهاد إلى الحديث الذي قاله ألف مرة :

يعنى ياستى لو أننا جهزنا وهيبة بقرشين سلقة وجعلناها مثل جميع البنات اللواتي تزوجن في هذه البلدة . . ماذا يحدث ؟

وقالت زوجته في غضب:

- ـ أنرجع إلى هذا الحديث ثانية . .
 - ــ ولماذاً لا نرجع ؟
- ـــ يارجل ، أترضى أن تكون ابنتك مكسورة الخاطر أمام أهل زوجها ؟ ياعبد الباقى أفندى سعادة الزوجة في حياتها كلها متوقفة على ما تأخله معها من أثاث في يوم زواجها .
 - _ سبحان الله . . أهذا كلام يقوله عقلاء ؟!
- ـــ منذ يدخل الشوار بيت الزوجية يعرف الزوج ان كانت زوجته عزيزة على أهلها أم هي هينة رخيصة . .
 - ـ ولماذا لا تقولين إنه يعرف إن كان أهلها فقراء أم أغنياء . .
- ــ الغنى والفقر لا يهم فى هذا . . حتى الفقير يبذل كل جهده ليقدم إلى ابنته جهازاً يسترها أمام زوجها وأهل زوجها .

- ــ إذن نستر وهيبة أمام زوجها وأهل زوجها وننفضح نحن أمام الدنيا جميعها .
 - _ لا قدر الله ياعبد الباقي أفندي . . مستورة والنبي مستورة . .
- ــ ومن أين يأتى الستر ياسلمى . . من أين . . البقرة التي لا نملك غيرها نبيعها وتقولين مستورة ؟!

وما بقرة . . ما قيمتها . . ياعبد الباقى أفندى أنت لا تعرف حماة ابنتك . . نبوية طويلة اللسان وان رأت الشوار قليلا ستجعل أيام ابنتك كلها سوداء غير الفضيحة أمام الناس والهزء والسخرية .

ياستي الحياة لا ترضى أبدا . . والله إن أثثت لها قصرا لن ترضى . . نحن نقدم ما في وسعنا ونترك كلام الناس للناس . استرينا ياسلمي . . استرينا فقد عشنا عمرنا مستورين .

يارجلي وهل البقرة هي التي تسترنا . .

_ البقرة شيء مهم في حياتنا . . اللبن والجبن ، الحرث والرى ، وشعورى أن عندى بقرة يجعلني أحس بالدفء ويأني مستور . . اتركيها لي ياسلمي . .

ـ لا والله هذا كلام لا ينفع أبدا ، وهاذا أفعل أنا أمام الناس . . أكل هذا من أجل بقرة . . الذي جعلك تشترى الثانية .

من أين ؟

- من وظیفتك . . أنت مدرس وعلیك العین . .
 - أي عين . . المرتب وفقط .
- ـ قد يأتيك بعض التلاميذ لدروس حصوصية .
- ــ هل جننت . . نحن هنا في أقصى الصعيد . . التلميذ الذي يأتي إلى مدرستي يقطع من أبيه مبلغا هو في أشد الحاجة إليه . . والتلاميذ لا تأتي إلى المدرسة إلا بشق الأنفس وأنت تريدين أن يأخلوا دروسا خصوصية . . هل جننت ؟!
 - سمعت عبد السميع أفندى يحكى لك عن الدروس الخصوصية .
- عبد السميع أفندى في القاهرة . . القاهرة شيء آخر . . هنا لا أمل لنا إلا في البقرة . . . اتركيها لي ياسلمي . .
 - اسمع . . بقاء البقرة يعنى ذهابي أنا إلى بيت أبي . . ما رأيك ؟
 - _ ماذا . ماذا تقولين ؟
 - ـ ما سمعت . .
 - ـ هل جننت؟

- ـ جننت عقلت هذا شأني . .
- ـ بعد هذا العمر كله . . بعد عشرين سنة زواج . .
- ــ وبعد ماثة سنة إذا لزم الأمر . . أنا لا أحتمل لسان نبوية . . فلتسخر منك وحدك إذا شئت أما أنا فلا . .
 - ــ أمرى اله نبيع البقرة . .
 - _ إذن فاسرع . . يجب أن تذهب إلى السوق ونحن مازلنا في باكر الصباح . .
 - ـ ألا أتناول إفطاري . .
 - _ حين تعود . حين تعود ياعبد الباقى أفندى . . توكل على الله . .
 - _ البس الحذاء . .
- ... أسرع اذن أسرع . . اسم النبي حارسك وضامنك . . من يراك يظنك ناظر مدرسة . . طول عمرك وأنت وجيه والنبي ياعبد الباقي أفندي . .
 - بالبقرة أكون أوجه .
 - ــ يارجل توكل على الله . . الأرزاق عنده . .
 - ــ حسبى الله ونعم الوكيل . . حسبى الله ونعم الوكيل . .

وأمسك عبد الباقى أفندى بحبل البقرة وخرج إلى الطريق . . السهاء لم تفرج بعد إلا عن شعاعات قليلة من الشمس ، وأنفاس الزرع الأخضر تملأ الأجواء ، وانتهب عبد الباقى أفندى شهيقا عميقا . . الله . . ما أجمل عبير البهائم . . حسنين أبو سعد يأخد جاموسته إلى الحقل وصالح أبو عرابي يسحب بقرته ، وداود أبو أسهاعيل . . لقد اشتريت بقرق يوم اشترى داود بقرته . . أيام . . كان القطن في تلك السنة قد رمى تسعة قناطير وكان ثمنه خمسة عشر جنيها . . قلت اشترى هذه البقرة أحرث بها الفدانين وأعلقها على الساقية وأشرب لبنها و . . ولكن سلمى تريد أن تبيعها لا من أجل وهيبة ولكن من أجل نبوية . . لو لم يكن لمحمدين أم لما بعت أنا البقرة . طبعا الشوار الابد أن يكون كاملا حتى نفيظ نبوية . . سلمى لا تريد أن تسكت نبوية وإغا تريد أن تغيظها . . تريد أن تريها أنها جهزت بنتها بما لم تستطع هي أن تجهز به بنتها خديجة . . نبوية طيبة ولكن سلمى مصرة على أن تقول عنها إنها طويلة اللسان . . ومالها الا تفعل مادامت ترى في قولها هذا حجة تجعلني أبيع بقرق . . حسبى الله ونعم الوكيل . . وهمل الابد لوهيبة أن تتزوج وماذا أصنع بها إن لم تتزوج . . الحمد لله أنها طويل عريض لا قبل لى به . . وهل الحكاية قوة . . أجعله هزوة في القرية جميعها . . أعطيه طويل عريض لا قبل لى به . . وهل الحكاية قوة . . أجعله هزوة في القرية جميعها . . أعطيه ابنتي وأبيع بقرق لأجهزها ثم هو بعد ذلك يزعلها . . ولكن محمدين طيب . . لو لم يكن طيبا ابنتي وأبيع بقرق لأجهزها ثم هو بعد ذلك يزعلها . . ولكن محمدين طيب . . لو لم يكن طيبا

لما طلب وهيبة . . عبد الدايم أفندي كان يريد أن يزوجه ابنته زكية . . وعبد الدايم أفندي أغنى مني بكثير وهو أيضا أقدم مني في المدرسة وقد يصبح ناظر المدرسة هذا العام أو العام القادم ومحمدين مدرس جديد يحتاج إلى مساعدة الناظر وتقاريره ليحصل على العلاوات ولكنه لم يفكر في زكية وخطب وهيبة . . البنت وهيبة حلوة ومؤدبة وتعرف القراءة والكتابة ، ولكن زكية أيضًا حلوة . . نعم الحق أنها حلوة . . وهي أيضا تعرف القراءة والكتابة . . ولكن ما شأننا نحن ، لقد اختار محمَّدين عروسه وهيبة ولم يُختر زكية . . القلب وما يهوى . . له في ذلك حكم . . ترى كم تساوى البقرة . . لن أبيعها بأقل من ماثة جنيه . . ماثة على الأقل . . ولعلى أستطيع أن احتفظ بعشرين جنيها أو خسة عشر أو حتى عشرة جنيهات الأشترى لنفسي حلة جديدة وطربوشا وحذاء . . لم أشتر هذه الأشياء منذ أربع سنين . . وهل تكفى عشرة جنيهات . . احتفظ بخمسة عشر جنيها . . ترى هل أستطيع أن أشترى بقرة أخرى . . من يدرى . . الغيب في علم الله . . جميل أن يكون الغيب في علم الله . . لو عرفت ما سيحدث لي غدا لأصبحت الدنيا كثيبة لا معني لها ولا جمال . . جمال الدنيا مفاجآتها . . لعبة من الحظ تتكرر في كل يوم بل في كل ساعة ، في كل دقيقة بل في كل ثانية في كل خفقة قلب في كل شهيق وكل زفير بل في كل هنية تقع بين الثانية والثانية أو بين الشهيق والزفير . . سمعت عن رجل خيل اليه أنه عرف مستقبله وكان مستقبلا سعيدا ولكنه مع ذلك انتحر . . لقد فقدت الحياة سحرها في ناظريه فانتحر . . ماذا يريد منها وقد عرف كل ما يخبئه له القدر وكل غد . . انتحر . . من يدرى . . لعلني أشترى بقرة أخرى . . لعلني . . من يدرى . . كم هي عزيزة على بقرتي هذه . . كم أحبها . . ما للطريق مقفر هكذا . . وحدى فيه أسير . . وما الذي أخر الشمس عن الظهور . . قليلة هذه الأشعة التي ترسلها الشمس . . قليلة هي مع هذا القصب الذي يحيق بالطريق متشابك الجذور والسيقان . . ماذا . . ماذا أسمع . .

- ــ قف ,
- ـ من . . من أنت ؟
- ـ قف ولا تكثر الكلام . .
- ــ أمرك ياعم . . هأنذا قد وقفت . . هأنذا قد وقفت . .
 - ــ تعال . .

 - ـ تعال وانت ساكت . .
 - ــ جثت ..
 - ــ اترك هذا . .
 - _ ماذا ؟
 - بر اترك هذا ...
 - " ـ أترك حيال ولا أتركه . .

- ــ ستترك حياتك إذن وتتركه . .
- _ هذه ياعم بقرق أريد أن . .
- ــ لا تطل الحديث . . اترك حبل هذه البقرة واتبعني . .
 - ـ أنا في عرضك . .
 - _ لا تطل . .

وفى داخل القصب وجد عبد الباقى ثلاثة شخوص جالسين القرفصاء لا يبين منهم الا عيون قادحة بالعظمة والكبرياء وتكلم أوسطهم :

- _ إلى اين انت ذاهب ؟
 - _ إلى السوق . .
 - ــ لتبيع هذه البقرة . .
 - .. أجهز بثمنها ابنتي . .
- ــ دع البقرة وتوكل على الله . .
 - ــ حياة ابنتي ومستقبلها . .
- ـ دع البقرة وتوكل على الله . .
- ـ فقير أنا . . فكيف أجهز البنية . .
 - ... ما صناعتك ؟
- ـ أدرس في المدرسة . . لعلني أعلم أولادكم . .
 - ــ انتظر . .

وقال الرجل فى الوسط إلى الرجل الذى يجلس على يمينه وهمس ببضع كلمات ، قام بعدها الرجل وانتقل إلى داخل القصب لحظات ثم عاد فهال على الرجل الأوسط وهمس ببضع كلمات قال بعدها الرجل الأوسط .

اتبع هذا الرجل . .

وقال عبد الباقي أفندي هالعا:

ــ والبقرة . .

فقال الرجل في حزم:

... اتبعه . .

وسار عبد الباقى أفندى وراء الرجل وما هي إلا خطوات حتى وجد نفسه أمام ثلاثة شخوص آخرين وقال أوسطهم :

اسمع ياعبد الباقي أفندي . .

ــ أتعرفني . .

- _ اسمع ولا تطل الحديث . . نحن نعرف حكايتك وقد رأينا أن نشفق عليك .
 - _ أطال الله عمرك وأبناك . .
 - _ ستأخذ البقرة إلى السوق.
 - ــ نعم . .
 - _ وتبيعها . .
 - _ وتأتى إلينا . .
 - ــ نعم . .
 - _ تأخذ نصف الثمن.
 - .. نعم ..
 - _ ونأخذ نصف الثمن ...
 - سائعم . .
 - _ فقط . .
 - _ أمرك . .
 - ـ وإن غالطت في الثمن؟
 - ــ نعم . .
 - _ سنقتلك ...
 - _ نعم . . ؟
 - _ سنقتلك . .
 - ـ أمرك . .
 - والتفت إلى الرجل الذي قاده اليهم وقال له في لهجة آمرة حازمة :
 - أعطه البقرة . .

وخرج عبد الباقى أفندى ذاهلا عن نفسه حيران لا يفكر فى شيء وسار به الطريق بأقدام لا تعى وحين بلغ السوق جلس يلهث فى جهد كبير وطلب من بعض من الناس قدحا من الماء وأتبعه بقدح آخر ثم قام يسحب بقرته حيث يجتمع تجار البقر . . بستين جنيها بل بسبعين بثمانين . . بثمانين . . لم تزد . . باع عبد الباقى أفندى البقرة بثمانين جنيها وسار فى الطريق الذى جاء منه . . أعطيهم أربعين جنيها . . وماذا أصنع بالأربعين جنيها الأخرى . . لقد كان أول ثمن للبقرة ستين جنيها . . ماذا يجدث لو قلت لهم إنها لم تأت بأكثر من ستين جنيها . . وأشترى أنا الحلة . . وسلمى ماذا ستفعل . . هذا حظى وماذا أستطيع أن أفعل . . ماذا استطيع . . أن أفعل . . يجب أولا أن أخفى العشرين جنيها . . يجب أن أخفى العشرين جنيها . . وحل عبد الباقى أفندى جنيها . . نعم فى الطربوش بين الخوص والصوف فى الطربوش . . ودخل عبد الباقى أفندى الى القصب وأخذ من الثمانين جنيها عشرين أخفاها فى الطربوش ووضع الستين جنيها فى جيبه

كما كانت وعاد إلى الطريق . . وحين بلغ المكان المعهود وجد الرجل الذى استقبله فى الصباح واقفا . . ولم يتكلم الرجل ولا تكلم عبد الباقى أفندى وإنما تبعه فى صمت . . ووجد الثلاثة الذين استقبلوه الاستقبال الأول . .

```
_ هيه ياعبد الباقي أفندي . .
```

ــ نعم

ـ بكم بعت البقرة ؟

_ نعم

ـ بكم بعت البقرة ؟

ـ بستين جنيها . .

س ماذا ؟

۔۔ نعم

_ ماذا ؟

ـ بستين جنيها . .

ــ ياخسارة ياجدع . .

ــ نعم . .

_ لفد حكمت على نفسك بالإعدام . .

ــ آنا ؟

... لقد بعتها بثمانين جنيها . اعدام . . من أجل عشرين جنيها . .

۔۔۔ انا ؟

ــ أنت . .

.. أنا في عرض النبي . .

ـ لقد كلبت ياعبد البائي أفندي . . لقد كذبت . .

ـ أنا في عرض النبي . .

ــ أين العشرين جنيها ؟

ــ أنا في عرض النبي . .

ــ أين العشرين جنيها ؟

ودون وعي قال :

ــ لا أدري . . أنا في عرض النبي . .

وقال الرجل الأوسط في حزم:

ـ خله فأقتله ..

وارتمى عبد الباقى أفندى على قدمى الرجل وقال الرجل في عظمة هادثة:

- أستغفر الله العظيم ياعبد الباقى . . أستغفر الله العظيم ولكنى استطيع أن أعمل لك شيئا . . العدل يجب أن يأخط مجراه . . وحينئذ مال الرجل الذي يجلس على الجانب الأيمن على الرجل الأوسط وهمس ببضع

- اتبعني ياعبد الباقي أفندي . .

وقام عبد الباقى أفندي زائغ النظرات مبهوتا ضائعا وتعار خطوتين ليلقى بنفسه أمام الثلاثة الآخرين وقال أوسطهم :

_ لقد كذبت باعبد الباقي أفندي . .

ـ أنا في عرضك . .

_ لقد وجب قتلك . .

ــ من أجل ابنتي التي سأزوجها . .

_ لقد كذبت . ,

كلهات ثم قال له;

ــ آخر مرة . .

والتفت إلى الرجل الواقف وقال له في تسامع :

ـ خد منه المبلغ كله مع ما أخطاه واتركه عض .

وقفز عبد الباقي أفندي هاتفا:

ب يميا العدل . . يميا العيدل . .

ويأصابع مرتعشة أبحرج من الطربوش العشرين جنبها وأعطاها ليد اختطفتها منه وراح يقفز من القصب وهو يهتف:

- يميا العدل . . يميا العدل . .

وراح يجرى وينكفيء ويلهث ويقوم ويجري وهو يهتف:

_ يجها العدل . . يحيا العدل . .

ودخل القرية وهو يهتف وتحلق حوله الفلاحون فراح يتفلت منهم وهو يهتف:

_ بحيا العدل . .

ودخل بيته وانكفأ علي الأريكية ;

_ يحيا العدل . .

وسألته زوجته :

- أين ثمن البقرة ؟

ـ يميا العدل . .

ــ البقرة باعبد الباقي أفندى . . أين ثمن البقرة ؟

ـ بحيا العدل . .

فهزته زوجته هزة عنيفة وهي تقول :

ـ البقرة . .

وفى مُوْت يقطعه نشيج البكاء راح عبد الباقى يقول: ــ يحيا العدل . . بحيا العدل . .



verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

• حين يمسيل الميزان



ولكسسنى سايحت .

القطار عنيف الاهتزاز شديد القذارة ، لم أجد غيره ليقلنى من الزقازيق إلى بنها لآخذ قطارا آخر إلى الاسكندرية . وكنت خليقا أن أضيق بالقذارة الشديدة التى تضفيها المصلحة على القطار ، وكنت جديرا أن ازداد ضيقا بالمحطات الكثيرة المتلاحقة التى يقف بها القطار وكنت خليقا أن أضيق بالمشوار جميعه ، فها كان حبيبا إلى نفسى أن أذهب إلى الزقازيق في نفس اليوم الذي لابد فيه أن أعود إلى الاسكندرية ، فإنى أحب حين أذهب إلى البلد أن ألغى الزمن فلا أنظر في الساعة إلا عند اليقظة أو عند النوم ، وأنا في مشواري هذا لم أطعم نوما ، وبالتالى لم تكن هناك يقظة . ولم تكن الأشياء التى تلقيتها في البلدة معيدة ، ومن أين تأتيها السعادة . . الدودة تلتهم أشجار القطن ، والمحصول لا يبشر بخير ، والناس لا تستطيع أن تدفع ما عليها ، والحالة المالية تزداد ضيقا ، ولكنى سعيد .

وقبل أن أسافر لقيت صديقا ظل معى حتى ركبت القطار ، وقد ظل يحدثنى ما يقرب من نصف الساعة ، فقص على ما يشقى به من ضيق العيش وكثرة العيال ، فحملنى من الأحزان ما أنا عنه فى غنى . . ولكنى سعيد . .

والعقد الذي كان من المفروض أن أوقعه لأكسب منه مالا ، لم يعد في الإمكان توقيعه ، وطار ما كنت أتوقع من مبالغ ، وأصبحت الأشهر القادمة شهورا يخيم عليها القلق والذعر والمصير المجهول . ولكني سعيد . كيف تملأ نفسي هذه السعادة والقلق يهددني . ما هي حقيقة السعادة . . أليست هي شعوري بها ، ولا يهم من بعد ان كانت تقوم على أسباب منطقية أو لا تقوم . . المهم هو شعوري أنا بالسعادة وعبث بعد ذلك كل شيء . . كل شيء . .

ذلك الرجل لماذا يصر على أن يعرف الغد . . كان غنياً واسع الغنى ، وكان يستطيع أن يصنع بماله الغد الذي يريد ، ولكنه لم يكن يريد شيئا في الحياة إلا أن يعرف الغد . .

كليا سمع عن رجل يكشف مغاليق الغيب تعقبه حيثيا يكون . . ويقول المطلع على الغيب ويسمع المشوق إلى الغيب . .

وحين يعود إلى الحياة يمضى أيامه فى انتظار ما قاله المنجم ، فها أسرع ما تكلبه الأيام ويعود الشاب إلى البحث وتعود الحياة إلى تكذيب المنجمين .

سمع أن فى الهند رجلا لا يخطىء طريقه إلى الغيب ، يراه كأنما هو جزء من ماضيه . . . والرغبة مجنونة ، والمال كثير . . وسافر الشاب إلى الهند . . بلد الروحانيات والأديان وإذلال الجسد وشموخ الروح . . وما أسرع ما عثر على الرجل .

- ۔ شاب أنت غني . .
- _ لا يقصد إليك من آخر الأرض إلا شاب وغنى . . . لابد أن تسعفه الصحة ويسعفه المال حتى يصل إليك . .

200 But 18 18 18

- _ بحثت عن الغيب طوال حياتك . .
- ــ ولا جديد في هذا أيضاً . . إن قدومي إليك وحده يستطيع أن يوحي إليك بهذا . .
 - _ لم تعرف الغيب؟
 - ــ لو كنت عرفته ما جثت . .
 - ــ أمصر أنت أن تعرفه ؟
 - ـ أتريد دليلا على إصراري أكبر من وجودي أمامك الآن؟
- _ إذن فاسمع . . إنك ستزوج فور عودتك من هنا فتاة تعرفها من سنوات ، وستنجب أربعة أولاد ليس بينهم اناث . . وستنمو ثروتك بشكل حيالى . . أنت تعمل فى أعيال كثيرة ستنجح فيها جميعا . . . أنا لم أر فى حياى مستقبلا كمستقبلك . . . إن طريقك جميعه مفروش برغباتك . . إنما عليك أن تأمر فيطيع الدهر . . لست أدرى ما حرصك على أن تعرف مستقبلك . . إنما يبحث عن المستقبل من يسود القلق حياتهم . . أى قلق يعتريك ؟ . .
 - ـ لا قلق . .
 - فلهاذا تبحث عن الغيب؟
 - سأريد أن أعرفه . .
 - ــ أعرفته الآن ؟ . .
 - ــ لقد قلت ما رأيته . .
 - ــ وماذا تريد بعد ؟ . .
 - ــ أن يتحقق ما تقول . .
 - ـ سينحقق . .
 - ــ أرجو . .

_ سيتحقق . . وعاد الشاب إلى بلاده . .

عجيب .. أى جديد يجده فى السكرتيرة .. إنها هى هى لم تتغير ولكنها مع ذلك تغيرت تغيرا تاماً ، فقد أصبح ينظر إليها نظرات جديدة ، إنها تتمثل أمام عينيه امرأة ، وكانت تتمثل أمام عينيه سكرتيرة .. أيكون ذلك الرجل الهندى قد أوحى إلى أن أتزوج .. فأنا أتزوج ولا أحاول أن أتعب نفسى فى البحث ، فهى معى .. أيكون الأمر كذلك ... ولكن أهو أول منجم رأى المستقبل له ... واحدة من اثنتين ، إما أن أكون واقعاً تحت تأثير المنجم .. وإما أن يكون المنجم صادقاً فيها قال ..

- _ إن فيك شيئاً جديداً . .
 - _ بل لا جدید . .
- ــ فلا بد أن في شيئاً جديداً ...
 - _ أنا لا أراه . .
 - ـ نظرق إليك . .
 - _ هل تغيرت ؟ . .
 - _ إني أحبك . .
 - _ هذا جديد لاشك . .
 - وكان الزواج . .

وراحت أعمال الشاب تزدهر بشكل لم يسبق له مثيل . . وسارت الأيام تخدم ما يهفو إليه . . ونجح في أعماله . . ويلغ من المناصب ما لم يحلم به . .

وراح يقول فى نفسه كل هذا يمكن أن يتحقق دون أن يكون الرجل صادقًا ، فأنا غنى ، ويمكن أن تنجح أعمالى ، ويمكن أن أصل من المناصب إلى أرفعها شأنًا وأعلاها منزلة . . كل هذا ممكن ممكن .

وبدأت الزوجة تهب له الأطفال . . كان الأول طفلا والثانى طفلا . . إذن فالرجل صادق . . إذن فانا أعرف مستقبلي جميعه . . أى لذة للحياة بعد . . . لا أريد هذه الحياة . . . لا أريدها . . سارزق بطفلين آخرين ، ويستمر نجاحي إلى أن أموت . . كم هي سخيفة هذه الحياة . . أم ترانى أنا السخيف . . لأنى لم أرض الحياة لغزاً مستخفياً . . فرحت أستبق المستقبل قبل أن يجيء ، وأشق الغيب عن أسراره حتى أعرفها . . ثم ماذا بعد . . حياة قاتلة راكدة مَيتة . . ولدان آخران سيأتيان ، ويرث الجميع ثروتي .

ولكن . . .

وماذا . . .

وكيف ...

ولماذا . . .

حتى أجدد هذه الحياة . . حيات . .

حتى أحطم هذا الذى قاله المنجم . . . أيظن أنه عرف الغيب حقيقة . . إنه لا يستطيع . . . لا يستطيع . . .

إنه لا يعرف هذا الذي انتويت أن أفعله . . وسأفعله . . لا شيء يردني عما أريد . . كلما فكرت ، كما ازددت عزما . .

لابد ... لابد ...

وفى الصباح وجدوا جثة الشاب الغنى الناجح الذى عرف مستقبله ـــ هامدة على سرير من حرير . . ومن ريش النعام .

ما الذي جعلني أذكر هذا . . دعني أرجع إلى ما كنت أقوله قبل أن أبدأ هذه القصة . . . كنت أقول إنني سعيد ، وكنت لا أعرف لماذا أنا سعيد . . . يبدو أنني أعرف الأن لماذا أنا سعيد . . .

10-

الحر الشديد ، الشديد ، يذيب الصخر ويطمس مرآة الحياة ، أبخرة متصاعدة من الأرض وكأنما هي موضوعة على مراجل من نار جهنم . والناس يسيرون في الطريق وأعباؤهم على وجوههم تقطيب وألم وضيق ويأس . . الأرض تذوب تحت أقدامهم ، وينتزعونها من الحياة انتزاعاً ويقتلعونها من الزمن اقتلاعاً بالجهد الشديد والحر الشديد . شديد .

مسكين هذا السائر . . إنه موظف في الوزارة . . لا أعرفه ولكنه دائماً يسير معى في الطريق ودائماً يحمل هذا الكيس في يده اليمني وقرطاسا صغيراً من البلح أو الجوافة في اليد اليسرى . مسكين إنه لا يحتمل هذا الذي يحدث له لقد التصق حذاؤه المتهرىء بالأرض فانخلع ووجد جوربه يغوص في الخطوة التالية في آتون الزفت . إننا الآن لسنا في موسم البلح أو الجوافة فها هذا الذي بيده . . عجيب أمر هذا المسكين إنه لم يعلق أن يسير في الطريق بدون أن يشغل يده اليسرى . إنها جريدة الصباح يحسك بها كها يحسك بالقرطاس ولا يحاول حتى أن يجعل منها وقاء لرأسه من هذا الحر الشديد ، الشديد ، إنه يحسك بالجريدة بصورة رأسية ويحاول دائها أن يجعلها مستقيمة كأنما يخشي على الكلام الذي فيها أن يندلق على الأرض . ماذا يفعل إذن في علما المشكلة التي انشقت عنها الأرض الذائبة ها هو ذا يتلفت حوله يبحث عمن يعينه . ليتلفت عليها جزءا من زفتها لجعلت زوجتي حياتي كلها زفتا ما الذي جعلها مسعورة كها هي الآن . . ما يشاء لدى ما يكفيني . . أين أضع هذه البطيخة والعيش . . لو أن الأرض مستها وتركت عليها جزءا من زفتها لجعلت زوجتي حياتي كلها زفتا ما الذي جعلها مسعورة كه هي الآن . . دائماً أسأل هذا السؤال وكأني لا أعرف الجواب . . ولكني أحب دائماً أن أذكر الأيام الأولي في أسها . . كيف لم تستطع أعهالها في هذه السنوات أن تنسيني ما كنت عليه في أيامنا الأولي . . أنسها . . . كيف لم تستطع أعهالها في هذه السنوات أن تنسيني ما كنت عليه في أيامنا الأولي . . هيدة مده الأيام حقاً . . إذن فهالي أذكرها . .

الرجل يتهايل على قدم واحدة . . لقد يئس أن يجد من يعينه . . لقد لجأ إلى نفسه وهل يستطيع إلا أن يلجأ إلى نفسه . . استدار على قدم واحدة والجريدة في يده ما تزال وإن كانت تتخلج توشك أن تندلق يحاول أن يدير حذاءه فيتمكن من إدخال قدمه فيه . . استدار الحذاء ولكنه ابتعد . . الرجل يتلفت مرة أخرى . . لا سبيل لك يا أخى لا سبيل . . كل له شأن يغنيه . . ليس لك إلا أنت . . قفز الرجل كالأطفال الذين يلعبون « الأولى » وأخيراً استطاع أن يضع قدمه في الحذاء ويواجه طريقه ويده اليّمني تحمل كيساً ويده اليسرى تشهر الجريدة يحاذر على الكلام فيها أن يندلق . كلنا نسير . . وكلنا نخاف الطريق وكلنا يحاذر على ما في يده وان كانت اليد لا تحمل شيئاً . . وهل أستطيع ألا أحمل شيئاً . . لو أنني دخلت إلى زوجتي بلا شيء في يدي جعلت يومي أسود من هذا الزفت الذي بجاذبني حذائي . والغريب أنني لو دخلت إليها ومعى شيء قالت في لهجتها المعهودة الملتوية « يما جاب الغراب لأمه » ولكنها على كلّ حال تقول أكثر من هذا . . كيف أصبحت نبوية على هذا القدر من سلاطة اللسان والجروت والوقاحة . . كل يوم أسأل نفسي هذا السؤال وأجيب عليه ثم أعود إلى السؤال والإجابة . . ومالي لا أفعل . . وماذا يمكن أن أفعل والطريق ما زال أمامي طويلًا والحر شديد ، شديد . . إن الست زنوبة منذ جاورتنا وأصبحت صديقة لنبوية انقلبت وحشاً ضارياً . . كانت زنوبة تعطيها دروساً منتظمة ، كيف تسيطر على زوجها ، كيف تمحوه من الوجود ، كيف تكون هي صاحبة الكلمة دائماً والحق أن نبوية كانت تلميذة موفقة كل التوفيق . وأنا ساعدتها هي تظن . أنني مغلوب على أمرى وأنني مسكين لا أملك لها دفعاً ولو علمت الحق لروعت . لقد قبلت منها ما تفعل حتى أرتاح ، وماذا يجرى لو أنها قالت كلمتين تريد أن تظهر بهما أنها صاحبة نفوذ . .

الحق أنها تجرح كرامتى . والحق أننى أشعر بالمهانة لكن يبدو أننى تعودت . . لا أظن أن أحداً يستطيع أن يتعود الإهانة أبداً . . الحق أننى أصبحت لا أطيقها لكن أتمنى أن أموت . . ياليتها ثموت . . إنها أن لم تحت سأموت أنا . . ماذا يحدث لو أننى مت . . ياليت لكم أتمنى أن أموت لأغيظها . . إنها حينئذ لن تجد أحداً لتهارس عليه سلطاتها الواسعة . . لو أن الأرواح تستطيع أن ترى ما فى الحياة حقاً لظللت مقيهاً معها فى البيت لأرى ماذا ستفعل حين تبحث عن أحد تشتمه فلا تجد حسكينة ذليلة لا قيمة لها ولا وجود . قإن قيمتها الوحيدة ووجودها يتمثلان فى وجودى أنا وفى أنها تستطيع أن تمارس على وقاحتها وفى أن تدمى آدميتى وتمتهن إنسانيتى وتهدر وجودى الذى يحقق وجودها ، لابد أن أموت حتى تجد نفسها ضائعة لا وجود لها ولا كيان وهى تعلم أننى لو مت لانتهى صرح عظمتها الشامخ وهدا فيها هذا العملاق الذى تحس به كلما أهانتنى وأذلتنى وجعلتنى مسكيناً ذليلاً بلا حقوق ولا رأى ولا حتى كلمة . هى تعلم ذلك . . هى تعلم أنها محتاجة إلى أكثر من حاجتها إلى الهواء الذى تتنفسه . . لقد قالت تعلم ذلك . . هى تعلم أنها في وقت من أوقات الصفاء . . فلا صفاء بيننا إنما هى حياة نقطعها لى ذلك . . لا لم يكن ذلك فى وقت من أوقات الصفاء . . إن الصفاء غاية الصفاء عندنا أن تكون في الكان الأعلى وأنا فى الكان الأدن فلا صفاء . . إن الصفاء غاية الصفاء عندنا أن تكون في الكان الأعلى وأنا فى الكان الأدن فلا صفاء . . إن الصفاء غاية الصفاء عندنا أن تكون

الشتيمة أقل إقذاعاً من غيرها وهذا كل ما فى الأمر . . ثم هى تحب الخطب ولو تهيا لها فى البيت منبر لظلت واقفة عليه عمرها كله لتقول لى اننى لولاها لكنت مت منذ زمن طويل فإنها تسلمتنى من أمى جيفة فجعلتنى إنساناً وأنا اسم بلا كيان فجعلت منى إسهاً وكياناً .

وغيرت اسمى . . نعم السمى الحقيقي لا تنطقه زوجتي فهو اسم قديم بال لا يعجبها . . وهي لا تقول في خطبها أبدأ انها محتاجة إلى أكثر من أي شيء في الوجود ولا تقول ان في ميزة . . أبدأ أي ميزة . . وطبعاً أمي تتمتع بأكبر نصيب من الشتيمة فهي وحدها التي جعلت مني هذا الاسم الذي لا كيان له . وطبعاً زوجتي لا تفكر مطلقاً أنها قضت على الاسم والكيان جميعاً إنما هي تفكر أن تقتطب وفي أن تغمرني في المهانة كليا تكلمت . . أقصد خطبت . . وأعود فأقول انها تعلم أنني لو مت لقضى عليها نهائياً . . وقد قالت لى ذلك يوم مات زوج أستاذتها زنوبة . . كان يوماً عجيباً . . الست زُنوبة تزاول حرفتها وهوايتها وحياتها اليومية العادية من إهانة زوجها في صوت مرتفع يكفي لأن يجعل إهانة عبدالنبي أفندي علنية . . والزوج طبعاً طرف موجود بلا وجود فالصوت الذي تسمعه العيارة أو المنطقة واحد هو صوت زنوبة والزوج غير موجود . . وكانت زنوبة في ذلك اليوم في أوج قمتها فالكلام منتقيَّ من النوع الذي يجمع إلى الوقاحة البالغة فنية العرض ولماحية الاختيار . . وقد كنت أسمع صوتها وأتخيل وجهها الأبيض . . لا بد أن بعض الحمرة قد صعدت إليه فقد كان واضحاً من نغيات الكلام أن الست تعتمد اعتباداً كبيراً على الحنجرة . . وكنت أتخيل وقفتها في قوامها الفارع الطول الملء قد ثنت دراعيها ووضعت يديها على جانبي وسطها . . وكنت أتخيل شعرها الأسود يهتز مع توقيع الألفاظ التي تختارها في دربة ومهارة وفن . . كنت أتخيل هذا جميعه لا عن ذكاء فقد رأيت عرضاً مبسطاً له حين كانت تتفاهم ـ على طريقتها ـ مع بائع اللبن وهكذا كان تخيلي قائماً على المشاهدة القديمة . . كنت أتخيل وأسمع وعيناى على زوجتي . . كانت في حالة نشوة لا مثيل لها . . لقد رأيت السكاري إذا ما انتشوا من الخمر ، ورأيت النشوان الذي يسمع ما يهوي من الغناء ورأيت المنتشين من ذكر الله وهم يذكرون ورأيت نشوة نبوية وهي تسمع إلى زنوبة هيهات أن يصل أحد من شاربي الخمر أو سامعي الغناء أو ذاكري الله إلى ما وصلت إليه نبوية من وصول وهي صامتة في خشوع على شفتيها ابتسامة عريضة ، أسمع وأنا منها على مبعدة صوت قلبها يدق في فرح وتهلل . . عضلات وجهها تختلج في فرح طاغ والست زنوبة تواصل حديثها في فنية وبراعة . . لا أدرى لماذا توهمت في هذه اللحظة أن زوجتي ستموت من الفرحة . . تموت فعلًا . . يتوقف قلبها عن الوجيب من كثرة ما دق . . توهمت هذا وأنا أسمع الست زنوبة وهي ما تزال تقول وتقول في صوتها المرتفع ونغهات حنجرتها المدربة وفجأة ويلا أي مقدمات انشق صوت الست زنوبة عن صراخ مروع . . في الوهلة الأولى حسبت أن الست زنوبة تجدد في أسلوبها وأنها تضيف هذا اللون الجديد من الإهانة إلى عرضها الفني . . ولكن الصراخ تكرر وتكرر حتى لم تعد الى الحديث واستمرت في الصراخ وفي خبرة فنية هائلة أدركت زوجتي أن خللًا ما قد وقع فهى تهب واقفة فى سمة المقدم على واجب لابد من أداثه وانشقت حنجرتها هى الاخرى عن صراخ هائل فلم أتمالك نفسى من السؤال :

_ مالك ؟

وفي احتقار شديد قالت:

ــ اخرس أنت . . صاحبتي وأجاملها .

ہے الا تعرفین اولاً لماذا تصرخ ؟

ــ ودون أن أعرف . .

وتركتها تصرخ وذهبت إلى شقة عبد النبي أفندى . . رحمة الله عليه لم يستطع أن يظل صامناً فكان احتجاجه هو الموت . .

وحين علقت زوجتي بعد ذلك على الحادث قالت:

ب إياك أن تموت . . ياحبيبتى يازنوبة من يوم موت زوجها لم نسمع لها حساً . وهكذا أنا أعرف أنها تريدني ليسمع الجميع حسها ولتعلن بوجودي وجودها الحر شديد . . لديد

الحر شديد . . شديد ولكننى وصلت البيت أخيراً . . ماهذا الجمع أمام المنزل . . خيراً . . لقد ماتت نبوية . . ما هذه البطيخة . . لقد خيراً . . لقد ماتت نبوية . . ما هذه البطيخة . . لقد كنت خاتفاً أن يمسها شيء من الزفت . . أستطيع الآن أن ألقى بها جميعاً إلى الزفت ولن يسألني أحد لماذا فعلت هذا . . وهذا العيش أستطيع أن أهبه لحؤلاء الواقفين . . على روح المرحومة هي . . إذا رحمها الله فسوف أطلب منه سبحانه وتعالى أن يرسلني إلى جهنم . .

حلوة هى الحياة الحرة الطليقة . . سعيد أنا . . أعود حين يجلو لى أن أعود وأذهب إلى المقهى حين أشاء وأتغدى حيث أشاء وأتعشى أينها أشاء . . حلوة هى هذه الحياة الحرة . . قد يعترينى بعض الملل أو قد أحب أن أتغدى فى البيت فلا أستطيع ولكن حلوة الحرية . . لقد مرت ستة شهور وأنا أتمتع بحريتى كاملة لكم أنا سعيد بحريتى هذه . . اليوم سأخرج فى موعدى فى الصباح لأذهب إلى المكتب وحين أعود لن أكون حاملًا شيئًا وسأهز ذراعي ما حلا لى الحز . . لا أدرى لماذا أجد ذراعى مثنياً كلما انتبهت إليه وأنا سائر . . لماذا أحس دائماً أنني أحمل شيئًا مع أننى لا أحمل شيئًا . . اليوم سأتحرى أن أهز ذراعى لاننى لا أحمل شيئًا .

ـ أهلًا ست زنوية . . صباح الخير .

- أهلًا وسهلًا . . صباح الخير . . هل جاء ميعاد المكتب ؟

-- والله أمامي وقت .

- ـ اتفضل اشرب قهوة . .
- ــ لقد كنت أريد أن أجىء إليك من زمان . ــ أهلًا وسهلًا . ، أحضر لك القهوة .
- ـ اقعدى فقد تغيرين رأيك وتحضرين شيئاً آخر .
- ــ أنا الآن كما تدرين عازب . . وأنت أيضاً . . ما رأيك لو تزوجنا ؟
 - ــ والله معقول .
 - ـ على بركة الله .



لا تسمسدري ..

- ... ٧ ...
- ــ لماذا ؟ . .
- ـ لا أدري . .
 - _ أراك . .
- ــ ماذا ترید من رؤیتی ؟
 - _ نتفاهم . .
 - _ علام نتفاهم ؟
 - _ على هذا الموقف . .
 - ــ ليس هناك موقف . .
 - ــ ولا هذا الامتناع . .
 - ــ لا أريد . .
 - ۔ بدون سبب ؟
 - ۔ بدون سبب
 - ب ماذا فعلت ؟
 - ــ لم تفعل شيئاً . .
 - ــ إذن ؟ . .
 - ــ لا اريد . .
 - _ اليس هذا موقفاً ؟
 - ــ ليكن موقفاً . .
 - _ لنتفاهم إذن . .

- _ بدون تفاهم . .
- _ هناك غيرى ؟
- _ من هذه الجهة تستطيع أن تطمئن . .
 - _ إذن نلتقي . .
 - _ لا أرى فائدة من اللقاء . .
 - ــ فهل ترين فيه ضرراً ؟ . .
 - ـ أبدأ . .
 - _ إذن . .
 - _ لا فائدة من هذا اللقاء . .
 - ـ ولكن أرى أنه ضرورى . .
- _ إنك تستطيع أن تقول كل ما تريد في التليفون . .
 - _ هناك أشياء لا يستطيع التليفون أن يحلها . .
 - _ هذه الأشياء لن تحل . .
 - _ مجرد أن أراك هام عندى . .
 - ــ لا داعى لذلك . .
 - _ أنت خائفة ؟ . .
 - ـ مم أخاف؟ . .
 - ـ ألا تستطعين مقاومتي ؟
 - _ أنظن ذلك ؟
 - ــ أنا واثق . .
 - _ حيلة قديمة . .
 - ــ أين الحيلة ؟
 - ٔ ــ لنلتقى . .
 - ـ لتكن حيلة . .
 - ــ لا تنطل على . .
- ـ مادمت قد فهمت الحيلة فلا مانع من اللقاء . .
 - _ إذا كنت مصميًا...
 - _ ألا ترغبين في هذا اللقاء؟
 - ــ لا أرى له فائدة . .
 - ــ إذن نلتقي . .
 - _ إذا شئت . .

ماهذا التصميم؟ . . لاذا ؟ . .

إن كل الأسباب التي جدت تدعو إلى اللقاء . ماذا ألم بها . ماذا جنيت . لماذا تغيرت على . . لقد دعتني أول الأمر . . لم أفكر فيها يوم سكنت العبارة . . حتى ابتسامتها التي كانت تلقيها إلى كل صباح عند خروجي كنت أظنها ابتسامة مبذولة لجار جديد ، وكنت أردها بابتسامة أعتقد أنها كانت ابتسامة بلهاء . . عرفت أنني حاصل على ليسانس الحقوق ، ولم أعجب أنها عرفت فسكان العبارات حديث مشاع لبعضهم البعض ، ولكني عجبت يوم دق ألجرس فوجدتها تدخل إلى بيتي . . استشارة قانونية لقريبة لها مات زوجها وهي حائرة مع أهله . . واللين يتعلمون المواريث يتعلمون كيف ينسونها في اللحظة التي يغادرون فيها كرسي الامتحان . . فأصبحت أمامها أكثر حيرة من قريبتها مع أقارب زوجها .

- ــ أبحث الموضوع وأرد عليك . .
 - ... متى ؟ ...
 - ب غداً ...
 - ـ وهو كذلك . . متى ؟
- ــ أجيء إلى حضرتك الساعة الخامسة . .
 - ب تجيء ؟
 - سالعم ، ر
 - ب إلى البيت ؟ . .
 - الله تر مانعاً . .
- ـــ أنا لأ بالم عندي ، ولكن أعتقد أن زوجي بمانع . .
 - بر زوجك ؟
 - ب ماذا , ، غريبة
 - ــ إذني , ,
- م أجيء أنا إليك , , في السادسة . , إنه يخرج دائماً قبل السادسة . .

وجاءب ولم تسأل عن الفتوي التي مكثت الساعات أبحث عن جوابها . . لم تسأل عن الفتوي . . ولسب غبياً إلى الدرجة التي تتصورها . . حين دخلت بدأت أجيب فتواها ، فإذا هي تغير الموضوع هون أي اهتمام بحيرة قريبتها . .

راحت تقمي علي ما تلقاه من إهمال زوجها . . وهذا الموضوع بطبيعته يؤدى إلى ما انتهى به الأمر بينلا . .

واستمر الحال على هذا سنوات ثلاثاً وبضعة أشهر . لم يكشفنا أحد ، فقد كان من العسير أن يكشفنا أحد . .

فى أحد الأيام تيقظت من نومى على صراخ هائل يشق الفجر ، وهرولت أسأل . . لقد مات الزوج . . كيف . . لا أدرى . . مات .

أنا لا أحرى كيف مات . . لقد كان مريضاً منذ زمن بعيد ، وكان من الطبيعي أن يموت ، لم يكن يمتثل لأوامر الطبيب ، وكان يجب أن يبدو أمام الناس شاباً . . أما أمامي فلم يكن يستطيع أن يبدو شاباً ، ولا أن يبدو رجلا على الإطلاق . . لم يكن يستطيع . . ولكن ماذا يريد هذا الشاب الذي يقيم بالدور الأعلى . . لم أعد أريد صداقته . . لم أعد أريد . . لا أحرى لماذا . . لم أعد أريد . . عاول أن يجيء لماذا . . لم أعد أريد . . عاول أن يجيء إلى البيت فنهرته ومنعته ، فالخادمة معى ولا يعقل أن يدخل البيت . . لماذا يلاحقني وقد قلت له لا أريد . . يريد أن يعرف لماذا . . ماذا يهمه أن يعرف . . المهم أنني لا أريد . . ألا يكفى المدا سبباً . أيظن أنني ما دمت أنا التي قدمت إليه نفسي فمن حقه أن يفرض على نفسه . . ان أصر على هذه الملاحقة فسأترك العهارة والحي وأذهب بعيداً إلى حيث لا يعرفني . . يريد أن يلقاني . . وما يهم ؟ . . سألقاه . . ماذا يستطيع لقاؤه أن يفعل . . سألقاه .

- .. خانا القاك ..
 - __ Liel ? ...
- ــ لماذا تصر على أن تعرف لماذا ؟
 - ــ لأعرف . .
 - ـ ماذا تستفيد من المعرفة ؟
 - ــ مجرد المعرفة . .
 - ــ ليس هذا جوابا ...
 - ــ هل أخطأت في شيء؟ . .
- _ أنظن أنك أخطأت في شيء ؟
 - ـ أنا لا أعتقد ذلك . .
 - _ فلهاذا تسأل؟
- ــ لعلى أخطأت في شيء وأنا لا أعرف . .
 - ــ لم تخطىء . .
 - _ إذن ؟
 - ـ لا أحب الخيانة . .
 - _ وما كنا نفعله . .
 - ـ آه . هذا ؟ . .
 - ــ نعم . .
 - ــ كنت أخون زوجي . .

- ۔ ثم ؟
- _ ومات زوجی . .
- ۔۔ أعرف هذا . .
- ـ وأنا لا أحب الحيانة . .
- ـ الم تكن خيانة وزوجك حي ٩
 - ــ نعم كنت أخون زوجى . . ــ اليست هذه خيانة؟
- ــ ليست هذه هي الخيانة التي لا أحبها .
 - _ فَمَا الْحَيَانَةِ النَّى لَا تَحْبِينِهَا ؟ . .
- ــ لم يعد زوجي موجوداً . . لا احب أن أخون نفسي .



نسى السطريس ولسن أعود ..

موجود بلا وجود أنت . لا يهمنى فى شىء أن تأكل وتشرب وتعيش وتنام . . فأنت عندى لا وجود لك ولا كيان ولا حياة . أنا لا أعرفك . . . لست أنت . أنا لا أريد أن أعرفك ولا أريد أن أذكرك وكم أتمنى ألا أراك . . مام الله أن هذه الحياة التى تقوم بيننا حرام . . . لا تستند الى شرع ولا تعتمد على قانون فهى ليست قائمة وهى ليست موجودة ، وأنت غير موجود . . غير حى . . أنت عندى وهم . . أنت ماض لم يعد له حاضر . . أنت ذكرى بددها واقع . . أنت حلم قضى عليه ظهور النهار .

نعم إنى مخطئة ، ولكن ألم أدفع ثمن الخطأ الذى ارتكبت . . وهبنى أجرمت ألا يدفع المجرم ثمن جريمته بعض وقت يقضيه فى السجن ، ثم هو برىء . . فكيف تريد الحياة أن تحكم على بالإعدام وأنا لم أقتل أحداً إلا لكرامتى ، وكيف تريد أن ترغمنى على هذه الحياة . كنا فى مطالع اللقاء الأول بيننا نقول إن الحياة بلا حب هى الموت . . بربك ألم تشعر بعد أن حباً بيننا لم يعد له وجود . . تدعى فى أحيان أنك تحبنى . . إنك كاذب . . لا تستطيع أن تشعر بنبضة من حب لإنسانة تكن هذا القدر من الكره الذى أكنه لك وتزعم أنك لا تعمل إلا ما تمليه عليك مشاعرك . . أية مشاعر هذه التي تملي عليك هذا الامتهان لإنسانيتى ، وهذا التحقير لعواطفى . . أنت غير موجود . . غير موجود . .

إن دخولك البيت وخروجك على مشهد منى . . وحديثك الجاف المتعالى دائهاً . . وطعامك المتكبر المتأله . . ومعاشرتك البعيدة كل البعد عن الإنسانية ، كل هذا لا يستطيع أن يجعل من وجودك وجوداً . . أنت غير موجود .

كنت موجوداً دائهاً قبل أن نتزوج . . كنت نبضات قلبى ، وكنت فكرى ، وكنت دمائى . . ولم نكن يومذاك في بيت واحد . . وكان البيت الذي أعيش فيه يكرهك جميعاً وكأن

لا يطيق أن يذكر اسمك . . فلم يكن اسمك يذكر . . وكنت موجوداً .

كنت حنانا . . وكنت همسه حبيبة توشوش أنفاسي وآمالي وغدى . . كنت موجوداً .

كان أبي يكرهك ، وكانت أمي تكرهك لأنها كانت تحب أبي . لماذا أحببتك في هذه الأيام ؟ ما أسخف هذا السؤال دائياً . . ولكنني أذكر أنني كنت أحبك بقلبي وعقل ، بامالي وفكرى . . كنت حين أسير إلى جانبك أحس أنني أسير مع إشراق الحياة ، وأحس خطوات تنتقل في الشاطيء الأمين من العالم ، كانت ألفاظك أمنا وثقة ، وكان بيتي أمنا وثقة ، فأنا أكره الاضطراب ويقتلني القلق .

ازددت ثقة بك وأنت عند أبي تطلب يدى .

- ـ ابنتي صغيرة . .
 - ۔ أنتظرها . .
- _ لا أحب الانتظار . .
- ـ ولكن يا سيدى إنه أنا الذى أنتظر . .
 - ـ لا أحب . .
 - ـ لا تحبني أم لا تحب الانتظار . . ؟
 - ـ لا أحب شيئاً . .

رفض أبي بإصراره الحاد العنيف، وحين رأى في عيني ابتدار الدموع...

- ــ تريدين الزواج ؟؟ .
 - وصمت . .
- .. أم تريدين هذا الشخص بالذات ؟ . .
 - وأطرقت . .
 - ـ فأنت تريدينه بالذات . .
 - وظللت مطرقة . .
 - _ إنه لا يعجبني . .
- ورفعت رأسي أريد أن أقول ، ولكني صمت ثم أطرقت . .
 - ــ نعم أعرف أنك أنت التي ستتزوجينه وليس أنا . .

ورفعت رأسي ورأى في عيني أن هذا ما كنت أريده ، وأحسست أنه عرف ما أريد . .

- فعدت أصمت من جديد وأطرقت . .
 - ـ ولكن أنا الذي أختار لك . .
- ورفعت رأسي . . ورأى السؤال في عيني . .

ـ من حقك أن تحبى من تشائين ، ومن واجبى أن أوافق أو لا أوافق . .

ولم ينتظر حتى يرى الدهشة في وجهي . .

_ نعم . . وأعلم أنك طالبة فى الجامعة . . وأعرف أيضاً كل ما كتبه الشعراء والكتاب والقصاصون عن الحب ، بل وأعرف الحب نفسه ، ولكن هؤلاء الكتاب والفنانين يختارون لموضوعاتهم النواحى العاطفية ولا يتكلمون عن تجربة الأب وفهمه للأمور وطول ممارسته للحياة ، وممارسة الحياة له . . فحكمه حين يحكم وراءه كثير من العقل والحكمة والبعد عن العاطفة . .

ولم ارفع راسي ...

_ إننى لم أقل فى حياتى كلاماً أكثر سخفاً من هذا الذى أقوله الآن . . وتولتنى دهشة لم يكن محتاجاً ليراها . .

ــ إنني انصح واخطب وأعظ . . ليس أسخف من ذلك .

وخالجني خالج من الأمل . .

ـ إذن . .

... لن تتزوجيه . .

ولم ينتظر أن أسأله . .

ـ وبدون إبداء أسباب . .

إنني أعرفه . . إنني أعرفه . . لا يتراجع . . ولكن عليه أن يبدى الأسباب . . لابد أن يبدى الأسباب . . . قالت أمي :

_ ألا تكفى إرادة أبيك ؟

- إرادة أبي هذه تكفى عندك أنت لأنك عشت في عصر كانت فيه إرادة الرجل هي القانون ولكننا اليوم في عصر ، القانون نفسه محل نقاش كبير .

ــ إذن فاعلمي أن هذا الفتي الذي تحبين خطب قبلك أربع بنات وتركهن .

خبر جدید لم أكن سمعت به .

... من أين عرف أبي ؟

ــ سال .

_ متى سأل ؟ . .

ــ بعد أن رفضٍ . .

ـ أليس عجيباً . . ! ؟

ــ ما العجب !!

- ـ يرفض ثم يسأل . . لماذا رفض إذن ولم يكن يعلم هذا عنه ؟
 - ــ يقول إنه لم يكن مرتاحاً إليه .
 - _ لجرد شكله؟
 - ـ هذا فارق السن يابنتي . .
 - _ هذا سحر.
 - ـــ بل تجربة .
 - _ على كل حال لا يهم .
 - ــ لا يهم أن يخطب أربع بنات ويتركهن .
 - ـــ لم تعجبه واحدة منهن .
 - ــ وأعجبته ؟ . .
 - _ el K ..

لا فائدة ترجى من هذا النقاش لقد رفض أبى . . ولم يكتف بهذا بل سعى فنقل إلى الأسكندرية لأبتعد عن القاهرة ومرضت أمى فأصبح الحديث في الزواج غير معقول . وطال المرض بأمى وسألت أبي أن تعود إلى القاهرة لتكون بجانب أهلها واستطاع أن يعود . . وعدت أنت إلى . . حناناً ولهفة عدت . . تسألني عن أمى ولا تتكلم عن الحب وإذا تعدر عليك أن تكلمني راحت أمك تكلمني فهى كل يوم تسألني عن صحة أمى وعن سير المرض كأنما هى طبيب غلص في عمله .

وماتت أمى . . وأطبقت أمك على بأنيابها الذكية المتمرسة فإذا أنا أتعلق بها تعلقى بأمى وتعطف على كأنني ابنتها .

إن السواد الذى يصاحب الموت يشل العقل . . إن التجار والنهازين لا يجدون فرصة أحسن من الموت ليعقدوا صفقاتهم . . إنها فترة يظن فيها أهل الميت أن الجميع يعطف عليهم ولا يريد لهم إلا الخير .

وكان البيت الذى خلا بى ويأبى جحيماً . . هو يعلم أنى أريد ما لا يريد وأنا لا أدرى لماذا لا يريد وكما تعقدت هذه الكلمات كانت حياتنا معقدة فيها جهامة الموت ونفور الرغبة والرفض .

حتى إخوق حين كانوا يلمون بنا في زيارة كانوا فاشلين في تبديد ما بيني وبين أبي من جليد ونار . وتزوجتك . . وحين أرسلت وثيقة الزواج إلى أبي قال لأختى في برود وصرامة لا تدخل . بيتى . . ولم أدخل .

وخلوت بي وخلت أمك .

كانت بداية عهدك الجديد وعهد أمك جملة قالتها حماتى في جمعية كبيرة من السيدات:

ــ يا حسرة علينا نزوج ابني بلا فرح ولا زفة ولا حتى زغرودة .

وانقلبت أنت وحشاً كاسراً . . فقد علمت أنني أصبحت بلا ملجاً إلا أنت فأنا إذن كالمطاط مهما تقذف بى إلى الحائط فساعود إليك ً . . وأعود إليك . . وأعود إليك .

لا أريد أن أذكر .. لا أريد أن أذكر .. ولكن شيئاً واحداً لا يحتاج أن أذكره .. إننى أصبحت مهانة وحقارة وبشرية مدمرة عصفت بها أنت وحين كنت أقول لنفسى لا يمتهن الإنسان إلا نفسه .. تصبح بى نفسى أليس أنت من اخترت .. وينتهى الحوار إلى هذه الصبحة ولكن يوم ضربتنى .. صحت فى نفسى ألم أدفع الثمن بعد .. إن المجرم يدفع الثمن بضع سنوات ثم هو برىء .. وأنا لم أدفع الثمن بعد ؟ أنت غير موجود .. لو أنك دمرت حياتى عن كره ما كرهتك بهذا القدر الذى أكرهك به الآن .. ولو أنك قسوت عن طبيعة لا تملك أن تغيرها فى نفسك ما احتقرتك كها احتقرك الآن .. ولو أنك مزقتنى وأنت تعرف أن لى مكاناً استطيع أن ألجا إليه إذا ما فعلت ما أفعله الآن .. أنت لا تعرف أين أنا .. أنا فى الطريق العام .. لا أعرف لى وجهة ولا مكاناً ولا مستقراً .. وسأسير وسأظل أسير وليكن الطريق بيتى وغدى ومستقبلى ولكن لن أعود .. وكيف أعود إلى عدم .. إنك اليوم بالنسبة لى عدم أنا لن أعود .



أخستي وأنا ..

انفاسى أين ذهبت . . . لماذا لا أتنفس . . . كيف استطاعت الدنيا جميعاً أن تجثم على صدرى فلا أتنفس وكيف لا أزال أعيش وأنا لا أتنفس . . نعم إنى أريد أن أعيش ، ولكن هل تكفى هذه الإرادة حتى تجعلنى أعيش دون أن ألتقط من الهواء أنفاسى ؟ . .

كيف وجدت نفسى فى هذه الحجرة؟ وكيف أغلق على بابها وأغلقت من دونى نوافلها ... هذه النافلة الشرقية، وهذه النافلة الغربية، وهذه النافلة فى الوسط بينهها .. لماذا أقفلت النوافذ جميعاً فأصبحت لا أرى شيئاً .. لا أرى شيئاً على الإطلاق وإنما ... أسمع ...

هناك ضجيج في الخارج هادر صخاب . . . أنا لا أدرى شيئاً ولا أتنفس . . لا . . لن يستطيعوا أن يستلبوا عقل أو تفكيرى أو ذاكرتى . . فليقفلوا الأبواب والنوافل ما شاء جبروتهم أن يقفلوا . ولكن سأظل أفكر وسأظل أذكر .

أرى هذا البخور ينساب إلى الحجرة من خصاص النوافذ المخلقة ومن أسفل الباب المغلق . . أراه ولكنى لا أشمه ، فأنا لا أتنفس ، ومادمت لا أتنفس فأنا لا أشم . . ومادمت لا أشم فالبخور لا يصل إلى عقلى ولا يؤثر فى ولا يصل بى إلى الحدر الذى ببيتون لى . . أننى مفيق ولا يقل مفيقاً . . فأمل الوحيد فى الحياة أن أظل مفيقاً . . وأن مفيق . . فأمل الوحيد فى الحياة أن أظل مفيقاً . . وأن

إنها ليست حياتي وحدها التي أعيش لها . . إن حياة أختى معلقة بحياتي . . إذا أنا مت ماتت ، وإذا أنا ضعفت لهذا الخدر الذي يطلقون على انفردوا بأختى ، وويل لأختى إذا هم انفردوا بها . . الموت أهون ما تلاقيه . .

ليست أختى مجرد أخت وإنما هى ماضى وحاضرى ومستقبل . . ليس لى فى الحياة إلا هى . . وليس لها فى الحياة الا أنا . . ويكفى أن تكون مجرد أختى لأبذل فى سبيلها حياتى ، ولكنها أكثر من ذلك . . أكثر بكثير .

إن أختى هي الأنفاس التي تتردد في كياني ، هي غذائي وفكرى وأملى . . وليس هذا بغريب . . فقد عرفتها وأنا لا أعرف في الوجود شيئاً ، وظللت أعرفها بجانب كل الأشياء والأشخاص التي عرفتها بعد ذلك . .

أعرفها كجزء من كيانى وما زالت كل كيانى . . لقفتنى يداها وأنا أدلف إلى الحياة وقد مات أي وأمى تحملنى . . وماتت أمى وهى تلدنى ، ولم يبق لى فى الحياة إلا أختى ، ولم يكن لأختى حينذاك أحد . . فتاة فى ريق العمر ، ليس لها إلا جمالها وذكاؤها المتوقد ، وتحمل عبء طفل رضيع وليس له من يرضعه .

عملت . . عملت في كل الأعبال ، ورفضت أن تتزوج حتى ترانى وقد استقام أمرى ، ولكن هناك شيئاً واحداً لم تقبل أن تضحى به من أجلى . .

- سرانن احتفظت بها من أجلك ...
- ... كنت تكسبين أكثر لو تنازلت عن حريتك ...
 - ـ كنت أفقد كل شيء . .
 - ــ وهم . .
 - _ الوهم أن أفقدها . .
- كان يمكن أن تشقى الحياة في يسر لو لم تتمسكى بها هذا النمسك الأعمى . .
 - ــ أعتقد أنه الحق . .
 - ــ والحياة . .
 - ۔ لاحیاۃ بدونہا . .
 - ـ كنت تعملين. ٩
 - ــ العمل حرية . .
 - --- وقيود . .
 - ـ حرية بلا قيود هي الفوضي . .
 - ــ لقد حملت العبء ثقيلًا . .
 - ـ شعوري بأني حرة جعلني أحتمله ...
 - ــ وقدمت لى الحرية . .
 - ــ ألم تسعد بها . . .
 - ــ لست أدرى . .

- _ إنك تحاول التفلسف . .
 - _ بل أقول الحق . .
- ــ إنك تدمرن بهذا الذي تقول . .
 - ـ أعتقد أنه الحق . .
- ــ إذن فعبث كل الذي بذلته من أجلك . .
 - ـ إنني أعيش . .
- ـ ان كنت لا تعرف معنى ما قدمت فأنت لا تعيش . .
 - ــ إنني أعيش
 - _ إنك تعيش لأنك تتنفس..
 - ـ كل إنسان يعيش لأنه يتنفس . .
- ـ لو تنفست ما وهبته لك ما احتجت إلى الشهيق والزفير
 - ــ أنا لا أدرى . .
 - كل مافى الأمر أنك لم تجد نفسك محتاجاً لتدرى . .
 - _ لا أفهم . .
 - ـ لم تتعرض للموقف الذي تمتحن فيه نفسك . .
 - ــ ارجو الااتعرض . .
 - ـ بل أرجو أن تتعرض . .

وحين استقام منى الأمر وأصبحت قادراً على مواجهة الحياة تقدم إلى أختى من يخطبها . .

رجل كبير فى السن ، ذو سطوة وسلطان . .

- ــ إنه كبير في السن . .
- ــ وهل يمكن أن يتزوجني إلا كبير في السن . .
 - _ ألا تخافين ؟
- ـ في كل حياة جديدة عناصر من الخوف . .
 - _ لم تتعودي . .
 - ــ لا بد أن أتعود . .
 - ـــ ولماذا ؟ . .
 - _ من أجلك . .
 - _ من أجلي أنا ؟ . .
 - ــ أريد أن تتجدد أنت أيضاً . .
 - ــ ولكنك ستظلين أختى . .
 - ــ وزوجة . .

- _ لماذا تقولين هذا ؟ . .
- _ لقد عشت عمراً طويلاً فرعاً . . مجرد فرع . . أريدك أن تكون أصلاً . .
 - ــ لماذا ؟ . .
 - ... لتعيش الحياة . . لا بد للحياة أن تعيش . .
 - _ فليعمل غيرنا على أن تعيش الحياة . .
 - _ ولماذا لانعمل نحن؟..
 - _ لأن . . .
 - ـ قل . .
 - _ لأني أحبك . .
 - _ ولأني أحبك أقبل الزواج . .

وذهبت إلى بيت زوجها وبدأت حياة جديدة . . وبدأت أنا أيضاً حياة جديدة . . ولكنفى كنت أذهب إليها في كل يوم . . الأسى والحزن والألم واللوعة هي وجهها . . والسعادة والهناء والبشر والسرور هي ألفاظها . .

- _ مالك ؟ . .
- _ سعيدة , .
- _ حفأ؟ . .
- ـ ألا ترى ؟ . .
- ــ لا . . ولكني أسمع . .
- ــ ما تسمعه هو الحقيقة . .
 - ــ لابد أن أراه . .
 - ـ يكفيك أن تسمع . .

كنت أذهب إلى بيت أختى فى مواعيد منتظمة... وكنت كلها شهدت التناقض بين ما تراه عينى وما تسمعه أذن أزداد لهفة عليها وخوفاً .. وفى يوم ذهبت فى غير موعدى فوجدتها فى حجرة مغلقة مع زوجها .. فمكثت أنتظر خروجها .. وخرجت بعد وقت لم يطل ..

- _ وبماذا تبررين هذه الدموع ؟ . .
 - ــ دمُوع فرح . .
- ـ دموع الفرح ليست غزيرة كهله الدموع . .
 - ـ أتعرف لها عدداً معيناً ؟ . .
 - ـ دمعة واحدة أو اثنتين . .
 - ـ ولكن الفرح الكبير له دموع كثيرة . .
 - ــ ليست هذه دموع فرح . .

لم أكن قبل ذلك أسأل زوجها عن شيء ، ولكنني في ذلك اليوم . .

- ـــ لماذا ؟ . .
- _ ماذا ؟ . .
- ? lale Winshal?
 - _ عل شکت ؟
- ـ دون أن تتكلم . .
- ــ ليس هناك ماتشكو منه . .
- ـ لأنك تمنعها من الشكوى . .
- ــ بل لأنها لاتجد ما تشكو منه . .
 - ــ لعلها لاتريد أن تزعجني . .
 - _ حين تشكو إليك اسأل . .
- ـ ولكن لماذا لا تسعدها . . لقد وهبت لك أغل ما ادخرته في حياتها . .
 - ـ إنما أصنع كل ماأصنعه لإسعادها . .

لن يفيد هذا المخدر الذي يبثونه عبر النوافذ ومن تحت الباب. فإني مفيق..

وإنى أذكر . . أذكر حين ذهبت إليها مرة أخرى على غير موعد فوجدت زوجها يضربها فى البهو بعصا غليظة ، وهي صامتة جامدة وهو يضرب ويضرب . .

ولم أفكر . . ووجدت نفسي أهجم على العصا لأوقفها ، وقبل أن أصل كنت هنا في هذه الغرفة . .

لا أتنفس ، ولكنني أعيش . . إن الحياة التي في داخلي تجعلني أعيش . .

إنها حياتى وحياة أختى فى جسمى أنا . . لا يهمنى فى شىء أن تقفل النوافل جميعاً والأبواب ، فأنا لا أحتاج لشىء . . فحياتى فى داخلى ، وإننى مفيق . . إن حياتى جميعها تستمد بقاءها من أننى مفيق . . واننى مفيق . .



هين يعييل المحزان

لا أنا لا أريد أن أقص عليك ، ولا أريد أن أدافع عن نفسى ، فإنى أصبحت وأنا في غير حاجة للدفاع أمام أحد . . لا تظن أنك من علماء النفس وتحاول أن تقول إننى أدافع عن نفسى أمام نفسى . . فحتى هذا أنا لا أحتاج إليه . . إننى أقوى من هذا جميعه . . الضعفاء وحدهم هم اللين يحاولون أن يدافعوا عن أنفسهم أمام الناس أو أمام أنفسهم وأنا لست ضعيفاً ولن أكون ضعيفاً . . أنا قوى . . قوى . . قد تقول أنت في محاولتك المتهافتة للتحليل اننى أصبحت ظللاً وأن الظلم غير القوة . . هدر هذا الذي تقول . . إن الظلم هو القوة . . العدل الوحيد ألدى أعرفه في العالم هو هذا الذي يلقنه الأساتذة لتلاميذهم أما الناس في الحياة فهم إما ظالمون أو مظلومون . . إذا ملكوا ما يجعلهم أقوياء فهم ظالمون وإذا وقعوا بين أنياب من هو أقوى منهم أصبحوا مظلومين . . ولأذا تطلب العدل بين الناس والعالم كله تحكمه القوة . . القوة وحدها . . ولا يجرؤ أحد أن يقول هذا ظلم . . دولة تغتال أخرى . . وتقول هذا هو العدل . . إنما عدلما هو القوة . . وهو عدل ظالم ويعرف العالم أجمع أنه عدل ظالم ولكن القوة تؤيده فهو عدل عادل . .

انا لا أحاول أن أدافع عن نفسى . . فأنا قوى . . لا ولا أحاول أن أبرر ما أفعله فلست فى حاجة إلى تبرير . . لا ولا أريد أن أقص عليك شيئاً فأنا لست مأجوراً لتسليتك وإنما أنا أريد أن أتكلم ومن مظاهر القوة الرائعة أن يتكلم القوى حين يطيب له أن يتكلم ويسكت حين يحلو له أن يسكت ومن مظاهر القوة أيضاً أن يسمع له الناس إذا تكلم وأن مجترموا صمته إذا صمت . . تلك هى القوة وأنا قوى . . أتكلم حين أريد وأسكت حين أشاء وعلى الناس أن يسمعوا إذا شئت حديثاً وعليهم أيضاً ألا يسالوني حديثاً إذا لم أرد أن أقول .

حين مات أبي ترك لي ثروة لا بأس بها تستطيع أن تهيىء لي حياة ميسورة إن لم تكن حياة

رغدة .. لم أكن يومذاك قد بلغت سن الرشد فكان لابد لعمى أن يصبح وصياً على ، فأصبح .. وكان عمى من هؤلاء الأقوياء الذين يطلق عليهم الضعفاء ظالمين . ولكن عمى على قوته لم يكن ذكياً . . طبعاً فهمت أنه كان يغتال على قوته لم يكن ذكياً . . طبعاً فهمت أنه كان يغتال أموالى . . فإن كنت قد فهمت هذا فلا تظن أنك ذكى فها بجتاج الأمر إلى كثير من الذكاء لقد تسامعت الأجيال أن الغالبية العظمى من الأوصياء يغتالون أموال القصر . . كان عمى من هؤلاء الذين تسامعت عنهم الأجيال . . كان يأكل أموالى . . ولم يكن ذكياً لأنه كان يجعلنى داثماً في حاجة إلى المال فهو ينفق على تعليمى وينفق على ملبسى الإنفاق الذي لا يجعل الناس يتساءلون أين ذهبت أموالى ثم هو لا يكاد يعطينى شيئاً بعد ذلك . وهنا يبدو غباؤه فقد جعلنى أنا أبحث الأمر فى خفية منه . . وعرفت . . عرفت أنه لص . . ولم أكن أملك الدليل . . كنت أسميه في ذلك الحين لصاً ولكنى اليوم أسميه قوياً . . كان بين هذه الأوراق إيصالات منى تحمل كان يوم عثرت فيه على أوراق في مكتب عمى . . كان بين هذه الأوراق إيصالات ووضعتها توقيعى وكان توقيعى مزوراً . . ألم أقل لك إنه لم يكن ذكياً ؟ . . أخذت الإيصالات ووضعتها في جيبى وأكملت يومى في بيت عمى كأن شيئاً لم يحدث .

كنت أرى زملائي في كلية الحقوق يلبسون أفخر الثياب وكان بعض منهم يملك سيارة وكانت السيارة مع هذه الملابس وسيلة رائعة للتعرف بفتيات الكلية وقد كان التعرف بالفتيات في هذا الزمان مسألة تحتاج إلى إعداد ومعدات . أعرف زملاء لي دخلوا كلية الحقوق وخرجوا منها لم يكلموا فتاة واحدة . وكم كنت أشفق أن أكون مثل هؤلاء الزملاء . . كانت أمنيتي أن أصادق فتاة من فتيات الكلية ولم تكن الوسيلة تهمني . لم يكن بهمني أن تحبني هذه الفتاة لشخصيتي أو لسيارتي أو لملبسي . . إن شيئاً من هذا لا يهم . المهم . . المهم الوحيد أن أتعرف بفتاة . . وأقرب الفتيات إلى فتاة من الكلية . . أنا لا أدافع عن نفسي فأنت لست قاضياً حتى أدافع عن نفسي . . ولا أنا أشعر بأنني في حاجة لأبرىء نفسي أمام نفسي . . وإنما أنا أحكى لأن أريد أن أتكلم . . كنت في ذلك الحين أريد أن أكون شخصاً عادلا لا أظلم أحداً ولا يظلمني أحد . . كنت أريد أن أكون من هؤلاء الذين يسيرون على الطوار ولا يعبرون الشارع إلا من المكان المخصص لذلك . . كنت أريد أن أطيع القانون بشرط واحد هو أن يحميني القانون ، كللك تعلمنا في نظرية العقد الاجتماعي . . أتنازل عن جزء من حريتي للدولة حتى تحافظ لي الدولة على الجزء الأكبر الباقى من حريتى . كان أملى أن أصبح طرفاً في العقد أحافظ على شروطه ويحافظ الطرف الآخر على شروط العقد أيضاً . . والدولة عندى هي المجتمع وأنا لا أطلب حقاً ليس لي . . فلست فقيراً واريد أن أكون غنياً ، ولست جاهلا وأريد أن أكون عالمًا . . كل ما أريده أن أنال حقى الذي لا شك فيه والذي تركه أبي أمانة في عنق عمى . . . وعمى من المجتمع والمجتمع هو الدولة . فإذا اغتال عمى حقى كان على الدولة أن ترد هذا الحق لي . . وكنت أعرف أنه لا سبيل إلى ذلك فهو يتخذ الوسائل القانونية التي تجعل الدولة

والمجتمع في حالة توافق معه .

كيف إذن أستطيع أن أكون شخصاً سوياً ، طرفاً فى العقد غير الممهور القائم بين الدولة وبينى ، وكيف أستطيع أن أسير على الطوار ولا أعبر الشارع إلا من المكان المخصص لذلك ؟ لا سبيل . . لابد إذن أن أعبر من أى مكان لأنال حقى . . ومادام لا سبيل لنيل حقى إلا عن طريق غير شريف فليكن الأمر إذن كها تشاء قوانين الحياة لا قوانين العقد الاجتهاعى .

إذا اختل ميزان العدل مرة في نفس إنسان فلا سبيل لهذا الميزان أن يستقيم مرة أخرى ، إنه عوج يؤدى إلى الإصابة بعاهة مستديمة لا سبيل إلى الشفاء منها . ولكنى لم أر هذا الميزان قائماً عند أحد أبداً . الجميع . الجميع . الموازين فوقهم مائلة . هي للقوى مائلة لصالحه وهي للضعيف مائلة عليه . . كم كنت أريد أن يكون الميزان عندى مستوياً لا مائلا لي ولا مائلا على . . أنا لا أدافع عن نفسى . . فها دام القانون الموضوع أصبح مستحيل التطبيق فلا مناص من العودة إلى القانون الطبيعي . . والقانون الطبيعي غالب ومغلوب بلغة الغاب وظالم ومظلوم بلغة المعادق .

حين حصلت على هذه الإيصالات تحمل توقيعي المزور أصبح الأمر ميسوراً عندي . . فأنا أريد سيارة وأريد ملابس أنيقة لأنني أريد فتاة تركب إلى جانبي . .

أخذت أحسب الإيراد الذي كان من حقى أن أحصل عليه . . ولكن مالى أبحث عن الحق . . لم يصبح الحق مهها . . لقد كان المهم أن أحصل على ما أريد لا على ما أستحق . . فذهبت إلى عمى :

- _ أريد ألف جنيه . .
- ـ ماذا . . جننت . . ؟
- _ إن لى عند سعادتك ثلاثة آلاف وخمسهائة وستين جنيهاً وخمسة واربعين قرشاً . . أريد الآن ألف جنيه والباقي سأطلبه حين أريد . .
 - ــ طبعاً انت تمزح او تدعى الجنون او انت مجنون فعلا . .
- _ لا . أبداً . . الواقع أننى عثرت على هذا الإيصال عند سعادتك حين كنت عندك فى المرة الفائتة . . لا يجديك فى شيء أن تمزقه فهو ضمن إيصالات كثيرة عندى . . وقد تعلمنا فى كلية الحقوق أن التزوير جريمة . . العقاب عليها يكون بالسجن ولا أعتقد أنك تفكر فى السجن . .
 - ـ أنت تهددني إذن . .
 - ــ نعم . .
 - _ كيف تجرؤ؟!

- ... سعادتك تسرقني وتزور توقيعي ...
 - ۔ تہددنی ؟
 - ــ قلت نعم . .
 - ۔ اذن . . ؟
- ــ إذن متى تدفع الألف جنيه . . ؟
- ـ هذا مبلغ لا يوجد في كل وقت . .
- ــ لعلك على حق . . سامر عليك بعد ساعة . .
 - ساعة .. ؟
 - _ کتیر؟
- ــ لا . . أبداً . . سأعطيك الآن المبلغ ولكن على شرط . .
- ـ عمى . . أنا لا أرى أن سعادتك في موقف يمكنك من إملاء شروط . . !! _ سأعطيك الألف جنيه . .
 - ــ ومع هذا لست في موقف يمكنك من إملاء شروط . .
 - ماذا تريد إذن ؟
 - ـ نعم إنى أنا الذي أريد . . وأنا الذي سأملي الشروط .
 - ــ ما شروطك ؟ . .
- ـ لو قلتها لك الآن فسأعطيك الفرصة لتستريح وأنا لا أريد أن أعطى سعادتك هذه الفرصة . . إن شروطي سأمليها حين يحلو لي أن أمليها . . كل ما أريده الآن ألف جنيه .
 - ـ حاضر . .
- ــ وأعتقد أنه يحسن بك أن تعد غيرها سريعاً لأن هذه الألف ستنفق في فترة وجيزة . .
 - ـ فترة وجيزة ؟ ا
 - ـ السيارات غالية الثمن في هذه الأيام ..
 - سيارة ١٩
 - ـ هات الألف جنيه .

لم أكتف بأن آخذ من صمى الآلاف الثلاثة والمثات الخمس والعشرات الست والقروش الخمسة والأربعين . . أخذت من عمى كل ما حلا لى أن آخذه . . فلقد مال الميزان ولم يعد من المكن أن يستقيم مرة أخرى . . ولم يصبح عمى هو الوحيد الذي أتعامل معه . لقد تعاملت مع المجتمع جميعاً . . ولم يعد من الممكن أن يستقيم الميزان . . لقد مال مرة فهيهات هيهات أن يستقيم مرة أخرى . وهكذا أصبحت كها أنا اليوم . . قوياً . . قانت تعرف طبعاً انني رویت لك هذا الحدیث لمجرد أنني قوي وأرید أن أتكلم فأنا _ كها تعرف _ لا أدافع عن نفسي أمامك أو أمام نفسي ... فالقوى ــ كما تعرف ــ لا يحتاج إلى دفاع ! . .

تمسة مسيف

لم أكن أتصور وأنا أعد للسفر إلى الاسكندرية أنه لابد لى أن أفكر فى كل هذه الأشياء التى أفكر فيها الآن . أولا وقبل كل شيء مشكلة النقود . . لا بد من نقود كثيرة والمشاكل المالية هي دائياً أهون المشاكل لأنها أكثر المشاكل صعوبة . فالمشاكل المالية عامة ولا يضيرنى اليوم أن أعلن للناس أننى مفلس لأن الذين أعلن إليهم جميعهم مفلسون والتشاكي بين المفلسين قاعدة جرى العرف عليها حتى أصبحت قانوناً . . وقد ذكرت مشكلة النقود فى أول الأمر لأن وجود نقود معك معناه عدم معك معناه ببساطة وجود كل شيء معك والعكس صحيح فعدم وجود نقود معك معناه عدم وجود شيء معك . ولعلى أستطيع التغلب على هذه المشكلة ببعض قروض بسيطة وبهذا المبلغ وجود شيء معك . ولعلى أستطيع التغلب على هذه المشكلة ببعض قروض بسيطة وبهذا المبلغ الذي لا يزال يتضاءل من عام إلى عام وهو يقطع طريقه من بلدتى فى الدقهلية حتى يصل إلى يدى فى القاهرة . فالموسم موسم قمح ولا بأس على الأرض أن تعطينى فى موسم القمح مبلغاً يكن رمزياً .

إذن فلننتقل إلى مشكلة أخرى . . كيف سأحصل على إجازة . . المدة المحددة لى شهر . وزوجتى والأولاد يريدون أن يقضوا شهرين هناك . . تلك هى الحقيقة التى أرفعها ذريعة فى وجه كل من يتساءل لماذا لا تكتفى بالشهر . . ؟

أما الحقيقة التي أعرفها والتي لا أقولها لأحد إلا لك أنت لأنه من المفروض أن تعرف أسرارى جميعاً فهى أن صديقتي حسنية ستقيم في الاسكندرية شهرين وأنا أحب أن أكون بجانبها ما استطعت إلى ذلك من سبيل ولعلى أستطيع بعد أن أحصل على شهر الاجازة الاعتيادية أن أحصل على شهر آخر مرضى.

ولابد أيضاً من العثور على شقة في الاسكندرية قريبة من البحر واسعة ورخيصة وإذا كانت في طابق مرتفع فلابد من مصعد ، واذا كانت في طابق منخفض فلابد أن تكون منطلقة الهواء . وأعتقد أن هذه الصفات لا يمكن لها أن تجتمع أبداً فالشقة الواسعة لا تكون رخيصة والشقة الرخيصة لا تكون منطلقة الهواء .

وهناك أيضاً وسيلة المواصلات ، كيف سنذهب إلى الاسكندرية ؟ لا تقل شيئاً عن سيارت . . هي قديمة نعم ولكنها تسير ولابد للآلة التي تسير أن تصل إلى ما تريد . . ليست المشكلة مشكلة مشكلة مشكلة مشكلة مشكلة مشكلة مشكلة مشكلة ما السيارة موريس موديل المشكلة من الربعة الشخاص . . أن تحمل ستة الشخاص أنا وزوجتي وابني البنتي والخادمة والطباخ ؟

على كل حال هذه المشكلة قد يمكن حلها بوسيلة أو بأخرى ولكن المشكلة الأساسية تلوح في الأفق حين نصل إلى الاسكندرية . . كيف أقابل حسنية هناك . . إنها السنة الأولى التى أعرفها فيها . في القاهرة أستطيع أن أترك مكتبى في الصباح لأذهب إليها واستطيع أن أدعى أننى ذاهب إلى المكتب أيضاً في بعض أيام من بعد الظهيرة . . أما في الاسكندرية ، فهاذا أقول لزوجتى . . لعلك أيضاً لزوجتى . . نعم أنت محق ، تلك هي المشكلة الحقيقية . . ماذا أقول لزوجتى . لعلك أيضاً عق فيما تذهب إليه ، إن مشاكل جميعها نابعة من هذه المشكلة أنها تقف خلف جميع المشاكل التي ذكرتها . . انها هي مشكلة المشاكل . . لابد أن أجد وسيلة . . ولا يهمك . . إنه سبحانه يدبر لكل عقدة حلا . وهل هناك مانع أن أجد أصدقاء في الاسكندرية . . وما المانع أليس لكل رجل أصدقاء . . وأين كان الأصدقاء في السنوات السابقة . . يا أخي ولا يهمك لكل عقدة عند الكريم حلال .

إنه يظن أنني لا أعرف . ساذج . . ساذج وعبيط . . لقد عرفت في الأيام الأولى . . فهو ساذج . . لا يعرف كيف يدارى أموره ومن أين له أن يعرف وقد طلع في المقدر على كبر . . عاش معى عشرين سنة لا يفكر في خيانتي وظهرت له حسنية . . ظهرت له في مكتب الوظيفة فأحبها وظن أنها أحبته . . وقد تكون . . لا أعرف . . المهم أنني وجدته فجأة أصبح يهتم بأمور لم يكن يهتم بها . . أناقة أكثر من المعتاد وهو ذاهب إلى المكتب . . وأسأل عنه في العمل فلا أجده . . وأجد ساعى المكتب الذي يخبرني متلعثماً أنه ليس على مكتبه ، هذه الكلمة التي يحاول بها أن يفهمني أنه لم يغادر العمل وإن كان قد غادر المكتب . . ويظن أنني لا أعرف . . ساذج . . أو الواقع أنه ليس ساذجاً وإنما هو معذور . . فقد حباني الله وجهاً طيباً يستطيع في كثير من الأحيان أن يكون وجهاً غبياً وأنا أستطيع أن أستغل هذا الوجه أحسن استغلال . . كثير من الأحيان أن يكون وجهاً غبياً وأنا أستطيع أن أستغل هذا الوجه أحسن استغلال . . فخيل إليه أنني لا أعرف الأناقة فهو يعتقد أنني لا أعرف الأناقة فخيل إليه أنني لا أعرف الأناقة على جاهلة . . وحين يجتمع الجهل والوجه عند الرجل . . معذور هو فتعليمي قاصر وهو يعتقد أنني جاهلة . . وحين يجتمع الجهل والوجه الساذج يقع من الناس ضحايا كثيرون لا يقدرون حقيقة ما يتمتع به الوجه الساذج من إدراك ، الساذج يقع من الناس ضحايا كثيرون لا يقدرون حقيقة ما يتمتع به الوجه الساذج من إدراك ، وما يتمتع به الجهل من علم . استطعت أن أضع على وجهي هذين الستارين ورحت أراقب .

وحين تأكدت أنه على صلة بأخرى خرجت وراءه دون أن يشعر وعرفت أين يجتمعان . وفي اليوم التالي كانت عندي كل المعلومات . . التي لا أريد ان أعرفها عن حسنية . هل تهمك هذه المعلومات فيم تهمك ؟ هي زوجة لرجل يكبرها بسنوات عديدة وهو موظف يعمل مع إسهاعيل في المكتب . . فليس غريباً إذن أن يعرفها إسهاعيل . . لعلها جاءت إلى زوجها بالمكتب أو لعله أرسلها بشيء من الأوراق . . المهم أنهها تعرفا وتعرفا . . وظل هو يذهب إليها في الصباح واثقاً من وجود زوجها بالمكتب معه وفي بعض الأحيان يقول لي بسذاجة إنه ذاهب إلى العمل بعد الظهر وأنا أعرف هذا العمل الذي يذهب إليه بعد الظهر . لم أقل له شيئاً . . ولن أقول له شيئاً . . بل إنى أريده أن يذهب إلى هذا العمل كثيراً . لعله . . لعله يجد هناك متعة . . لقد أصبح مطحونا في الشهور التي سبقت تعرفه على حسنية . في يوم وليلة أصبح شيخاً عجوزاً عنياً على نفسه وعلى أيامه تائهاً في اللا وجود كالهباء أصبح كالعدم أيامه يأس مرير . . يحب الليل ويكره النهار . . يحب الصمت وقد كان كثير الكلام . . صمت خاتف لعين مذبوح لا يجد شيئاً يهتم به أويفكر فيه بل لا يجد شيئاً جديراً بالاهتهام أو التفكير فالمستقبل عنده عدم لأن الماضي عدم . . لا أعرف كيف التف إسهاعيل حول نفسه فإذا هو كومة من الجزع وعدم المبالاة والانصراف عن الحياة ، كل الحياة . . حتى سيارته التي يعتني بها دائماً كما يعتني صاحب السيارة القديمة بسيارته . . حتى السيارة لم تصبح تحظى بشيء من عنايته . . إجلال وعصام ابنتنا وابننا لم يعودا بالنسبة له شيئاً بعد أن كانت أوقاته جميعاً حديثاً معها أو عنهما ، وحين أسأله لماذا لا تكلم الأولاد ولا تعني بهما يغمغم و لماذا جئنا بأولاد ، من أجل لحظة متعة نرمي بكيان بشرى إلى هذه الدنيا . . ما ذنبها ؟

وأقول :

_ ألا ترى أن الحديث في هذا الشأن متأخر بعض الشيء . . إجلال عندها ثمانية عشر . . وعصام سنة عشر . .

ويغمغم ثانية:

ــ لكن لماذا ؟

ثم يعود إلى الصمت فكأنما يذهب بصمته إلى بلد غير البلد أو إلى زمان غير الزمان أو كأنه ـ على الأقل ـ يتمنى أن يذهب إلى بلد غير البلد أو إلى زمان غير الزمان .

وأعجب ما في أمره أنه لم يكن يعرف أنه يعاني شيئاً وحين أسأله :

_ مالك ؟

_ مالى !

... ألا تعرف ؟

.. ¥ _

- _ حقيقة لا تعرف؟
- ـ أنا طبيعي جداً .
- _ أنت لم تصبح أنت .
 - ـ كل إنسان يتغير.
- ـ وهل تغير كل الناس ؟
 - ـ كل الناس تتغير.

ويعود إلى الصمت . . ألا تجدى إذن معدورة حين وجدته فجأة يهتم بأناقته . . وتقفز من عينيه هذه النظرة المتشوقة تبحث عن المستقبل وتطل على الحياة إطلالة الراغب فيها المقبل عليها . . ولتكن حسنية هي الدواء فإنى أجد شفاءه ، أهم من كل الأشياء الأخرى . . تريدني أن أبدل في سبيله هذه الغيرة . . إنني أحبه ولأني أحبه أسمح له أن يخونني . . إنه منذ قررنا السفر إلى الاسكندرية حائر . . يدعى أن النقود هي السبب مع أن النقود لم تصبح مشكلة بالنسبة لنا فنحن في أزمة دائمة ونعيش . أنه حائر لأنه لا يدرى ماذا سيقول لي حتى يتمكن من لقاء حسنية فقد عرفت من مصادري أنها مسافرة إلى الاسكندرية . لكم أتمني أن أقول له اهدأ فلن أسألك عا تفعل واذهب إلى حسنية حين تشاء ولكن أخاف أن أقول له فيعتقد أنني أكرهه وأنني أمار عليه . لا أدرى لماذا يريدنا الرجال أن نغار عليهم ولماذا يضيقون بغيرتنا حين نغار ؟

- قالت إجلال لعصام:
- ـ الا ترى أب حائراً ؟
 - ـ لا أرى شيئاً.
- _ أنت لا ترى شيئاً إلا نفسك .
- أفكر في السفر إلى الاسكندرية .
 - ــ وفيم تفكر ؟
 - ــ أخاف أن تكون النقود قليلة .
 - ــ وماذا تريد ؟
- ــ أريد أن أذهب إلى سينها سان ستفانو وأريد أن أرقص في الكازينو . .
 - ــ ألست صغيراً على الرقص؟
 - ـ كلهم يرقصون .
 - **ــ من الفرح ؟**
 - ـ لا أعرف وإنما كل زملائي يرقصون .
 - ــ ولكنى أراهم فى رقصتهم كمجانين يريدون أن يحطموا أنفسهم .
 - ـ لعلهم يريدون ذلك .

- ــ ولماذا يريدون أن يحطموا أنفسهم ؟
 - _ ولماذا لا يحطمون أنفسهم ؟

 - ــ لأنها أنفسهم . ــ إنها محطمة فعلًا .
 - ــ أنت مجنون .
 - ـ الجميع مجانين .
 - ــ أنا لست مجنونة .
- ــ إن هدوءك الزائد نوع من الجنون .
 - ۔ افکر .
 - ... تعدلين نظام الكون .
 - _ أفكر في أبي .
 - _ ولماذا لا تتركين أبي يفكر في أبي ؟
 - ـــ إننا أولاده .
 - ــ فليفكر هو فينا .
 - ــ ونحن ؟
 - _ نفكر في الاسكندرية.
 - _ في السينها؟
 - ــ والرقص .
 - ــ ويعد ؟
 - ـ ليس هناك بعد .
 - ـ لكل شيء بعد .
 - _ ليس هناك بعد .



محزق هيدا الخطاب ..

استحلفك بربك . . بكل عزيز عندك . . احكم بيني وبين المدير العام . . أنا أعلم أنك لا تحبني وأعلم أنك طوال الفترة التي عرفتني فيها تعتقد أنني ثقيل الظل لا أحتمل . . وأنا أعلم أنك في مجالسك الخاصة كنت تجعل مني مادة لتندرك . . ونكتة لا تخطىء في إطلاق الضحك من أفواه أصدقائك بل من قلوبهم . . ولا أدرى كيف كانت تصلني هذه النكت . . لعلها لم تكن تصلني . . الواقع أنني كنت أراها تطل من عيون أصدقائك الذين أعرفهم . . كنت أرى نفسي في ابتسامة ساخرة على أفواههم ، وكنت أعرف أنهم وهم ينظرون إلى إنما يذكرون ما تلقيه عليهم . . ومع ذلك لم أكن أعدم من حين لآخر من يهمس في أذبي أن أحاول التقرب منك وعلم الله لقد حاولت بكل ما في من طاقة ولكنك كنت تصدني في غير صلف وتردني في غير عنف فأنت عادل وأنت تعلم أن لا ذنب لي في أنني لست خفيف الظل ولست قريباً إلى قلبك . . أو لعلك كنت تحتقر شأني ولا يعنيك من أمرى أن أكون قريباً منك أو غير قريب وإنما أنا بالنسبة إليك همل لا يضر ولا ينفع . لا أخفى عليك فإنه من العسير أن يخفى عليك شيء . . لقد عشت عمري وأنا حريص أن أكون حقير الشأن لا أضر ولا أنفع . فأنا على الرغم مما تظنه بي من غباء أحسن تقدير الأمور وخاصة ما كان منها متعلقاً بمصلحتي الشخصية . فحين أدركت الشباب عرفت أنه لا سبيل لى أن أكون محبوباً بين زملائي : فأنا لا أستطيع أن أكون بينهم خفيف الظل حاضر البديهة سريع النكتة . ولا أستطيع أيضاً أن أجاريهم فيها يتناقلون من شهى الحديث وممتم الحكايات فحزمت أمرى أن أكون مستمعاً . . وقد أتقنت الاستهاع حتى أصبحت بينهم مستمعاً . لكل حديث .

والمتحدث منهم لا يتوقع أن أجيب حديثه بحديث بل هو يكتفى بأن يقول وأنا أكتفى بأن أستمع . وهكذا أصبحت من بين الأصدقاء عنصراً نادراً لا يأنفون من الجلوس إلى فإن العنصر

المستمع بين الأصدقاء الأنداد عنصر قل أن تجده . . والمتحدث منهم إلى لا يطلب منى رأياً ولا هو يستشيرنى . إنما هو يقص على لأنه يريد أن يقص على . . كل ما يريده الصديق منهم أن يقول وحتى لا يبدو مجنوناً يتحدث إلى نفسه يبحث عنى ليقول لى . . أنا عنده إذن بديل عن المواء الذى كان سيلقى إليه بحديثه على كل حال . . وإن أذناً تسمع بلا فم يعلق خير من المواء وخير أيضاً من هؤلاء الذين يختزنون في داخلهم قصصاً أخرى مثل قصة المتحدث تبحث عن منطلق لها وأذن . .

وهكذا ياسيدى استطعت أن أتغلب على مشكلة عجزى عن الكلام واتخلت من هذا العجز رأسيال لى بين الأصدقاء . وقد انتفعت بهذا العجز أى انتفاع فأصبح الأصدقاء يتهافتون على الحديث إلى . . ألم أقل لك إن المادة المستمعة بين الأصدقاء مادة نادرة .

ومنذ أدركت الشباب عوفت أيضاً أننى أستطيع أن أكون مثل كثير من أصدقائى خفيف الحركة ألعب بالبيضة والحجر . فأنا بطبيعة تكوينى بطىء التفكير لا أستطيع أن أكون حيث يجب أن أكون . . ولا أستطيع أن أفعل ما يجب أن أفعل فى الوقت الذى يجب أن يتم فيه هذا الفعل . إنها مقدرة خاصة عرفت بذكائى المحدود أننى لا أتمتع بها . وأدركت أيضاً أن فقدانى المفا الخاصية سيجعلنى دائماً متأخراً عن الرفاق فى مضهار العمل فإن لهؤلاء الرفاق موهبة عجيبة طالما حسدتهم عليها . إنهم يستطيعون دائماً أن يقولوا لرؤسائهم ما يجب أن يقال . . ويستطيعون أن يؤدوا إليهم ما يجب أن يؤدى فى طبيعة مواتية بغير تصنع ولا تكلف ولا افتعال ولكن من مأمنه يؤتى الحلر . . فهم بهذه الموهبة التى يتمتعون بها يقدرون ذكاءهم أكثر نما يستحق من تقدير ، فهم لهذا يسارعون إلى الخطأ فإن كثرة الحركة تؤدى بطبيعتها إلى الخطأ . فلما كان من الطبيعى أن يقعوا فى أخطاء مع رؤسائهم تمعلهم يتعرضون _ بطبيعة الحال _ إلى غضب الرؤساء غضباً قد يصل إلى الرفت .

أما أنا فقد أدركت طبيعة تكويني فحزمت أمرى أن أكون مطيعاً لرئيسي لا أناقشه فيها يفعل ولا فيها يقول فلا أسأله إلا الإيضاح ليكون التنفيذ دقيقاً كل الدقة لا مجال فيه للخطأ .

هل أبوح لك بسر . . لا بأس . . فأنا أعلم أن شيئاً لا يخفى عليك لقد أصبحت في بيقى مع زوجتى ، ولاتذع هذا عنى ـ مع أولادى أصبحت أطيع ما يقولون ـ دون مناقشة أيضاً _ هكذا علمت أن الحياة بالنسبة إلى لن تصلح إلا بالطاعة . . إن مناقشة أولادى من اختصاص زوجتى وحدها فأنا لا أصلح للمناقشة . قصارى ما أفعله إذا طلبوا شيئاً أن أسأل زوجتى إن كان يجب على أن أنفذه أم لا .

أظنك الآن أصبحت تدرك تمام الإدراك كيف أعيش حياتى . ولكنك لا تعرف أى منصب أصبحت أشغله في الشركة . لقد أصبحت الشخص الثاني مباشرة للمدير العام ــ قد يدهشك

هذا ... فإن لم يكن أدهشك أنت فقد أدهشنى أنا . لقد وجدت نفسى فجأة فى مكان لابد لى فيه أن أصدر الأوامر . . أنا لست غبياً . وهل غبى من يعرف حقيقة نفسه . كم بين الناس من يستطيع أن يدرك حقيقة نفسه . . أنا أعرفها تماماً . وأقدر مواهبى ولا أضع نفسى إلا حيث تستطيع مواهبى أن تضعنى . ولذلك أثار قرار تعيينى فى هذا المنصب الهام فى الشركة كثيراً من القلق فى نفسى وماز لت أفكر حتى انتهى بى التفكير أن أجد بين الموظفين الذين يعملون تحت رئاستى فتى من هؤلاء الذين يستطيعون أن يلعبوا بالبيضة والحجر واتخذت منه صديقاً وجعلته هو الذي يقترح على ما أفعل ثم أنا آخذ ما فكر فيه وأقدمه إلى المدير العام فإن وافتى عليه أصدرت به القرار حريصاً دائماً أن تكون عبارة حسب أوامر السيد المدير العام ، فى أول القرار أو فى آخره وهكذا استطعت أن أكون أداة منفذة إما لاقتراح مرءوس أو لأوامر رئيس .

فليس عجيباً إذن أن أظل في أمان من غضب رئيسي أو مرءوسي على السواء . ولا يهمنى من بعد ما يرميني به رئيس ومرءوس على السواء . إنى أكاد أسمع الممس الذي يدود في نفوسهم والذي يلقرن به إلى خاصة أصدقائهم . وأظنك في غني أن أنقل إليك هذا الحمس فلا شك أنك تعرفه . ولكن ما يهم . . ما يهم . . مادمت من اقتراحات مرءوس أو من أوامر رئيس في حصن حصين .

انا أدرى أنك تعرف هذا جميعه . فهذا الحديث الذى أسوقه إليك لا يضيف جديداً إلى علمك . ولكننى ألجأ إليك اليوم لتكون حكماً بينى وبين رئيسى . . أنا أدرى أنك لا تستطيع أن تؤثر عليه فهو لا يتأثر برأى أحد ولكنك الوحيد الذى أستطيع أن ألجأ إليه على الرغم مما أعلمه عنك من أنك لا تحبنى بل أننى أعلم أكثر من ذلك . . إن قولى أنك لا تحبنى فيه تجاوز كبير فأنت لا تفكر في أمرى حتى تكرهنى فأنا أهون عندك من تكوين شعور معين نحوى . ولكنك الوحيد الذى ألجأ إليه رغم ذلك جميعه . فمكانتى عند الجميع هى مكانتى عندك فإن أحداً لا يفكر في أمرى حتى يكون شعوراً معيناً نحوى . . وزوجتى وأولادى يعتبروننى بكل بساطة اليد التي تقبض لهم المرتب في أول الشهر فهم في دخيلة أنفسهم يعجبون لماذا أقبض هذا المرتب فهم أعلم بحقيقة مؤهلاتي من غيرهم وهم بالتالي أكثر احتقاراً لشأني من الأخرين وإن كانوا لا يبدون لى هذا الاحتقار . وهذه الأفكار التي أسوقها إليك لا أستطيع أن أسوقها إليهم . كانوا أي ابدائها وأنا أعلم أنهم يطالعوننى بآرائهم فأنا أستغل هذا النفاق منهم وأحافظ عليه ولا أريد على إبدائها وأنا أعلم أنهم يطالعوننى بآرائهم فأنا أستغل هذا النفاق منهم وأحافظ عليه ولا أريد أن يزول .

أنت إذن الشخص الوحيد الذي أسوق إليه هذا الحديث في هذا الخطاب الذي أرجو أن تتصرف فيه بعد قراءته بحيث يختفي تماماً من الوجود . إنها المرة الأولى التى وجدت نفسى فيها فى حاجة إلى الحديث فإن لم أتحدث فقد أموت وأنا لا أريد أن أموت خاصة وأنا أشغل هذا المنصب الهام فى الشركة والذى أرجو أن أظل محتفظاً به بغير زيادة ولا نقصان إلى أن أنتقل إلى الدار الأخرة . نعم فإن من مميزاتى التى أعلم بها فى نفسى أننى بلا طموح أرضى بما يعطى لى راضياً به شاكراً له . ومن أعجب ما سمعت يوماً من أحد زملائى الذين يشغلون منصباً كبيراً أنه أصبح لا يستطيع أن يطمع فى وظيفة أكبر لأنه بلغ القمة فى الفرع الذى يعمل به . فهو غاضب لأنه لا يجد لنفسه أملاً جديداً يسعى إليه . وكان جوابى البسيط له أن الأمل الأكبر الذى يجب أن يسعى إليه هو أن يظل فى هذا المنصب والآن هذا هو الأمل الذى أسعى إليه ولكن يبدو أن أملى هذا لا يريد أن يتحقق .

تصور . . تصور أن شخصاً له كل هذه المؤهلات التي ذكرتها لك يهده رئيس مجلس الإدارة بالرفت .

لم يهددنى مباشرة فأنا أهون من أن يهددنى مباشرة ولكن حديثاً شاع فى مكتبه أنه يفكر هذا التفكير لماذا بربك . . أى نفع يعود عليه من هذا التفكير . . إننى لا أمانع أن يضع معى من الوكلاء ما يشاء . . بل إننى لا أمانع إذا رقى مرءوسى جميعاً فجعلهم رؤساء لى ففكرة الرفت فى ذاتها عجيبة كل العجب بالنسبة لشخص مثلى أقل عيزاته أنه لا يضر . . لا يضر مطلقاً ولا يهمه إن كان لا ينفع أيضاً فبحسبه أن يكون بوقاً جيداً لرئيسه .

إنني أتمزق يكاد القلق يقتلني لم أجد شيئاً أفعله إلا أن اكتب لك هذا الخطاب وأنا واثق أنه لا جدوى من كتابته إلا أنني أردت أن أكتبه .

ولا تسألنى عن السبب الذى يمكن أن يكون دافعاً لفكرة رفتى هذه فهيهات هيهات أن يكون هناك سبب وهذا ما يفزعنى فإنه من المستحيل أن أصنع شيئاً يمكن أن يكون سبباً أو شبه سبب لرفتى وهذا ما يحزننى فأنا والوضع هكذا لا أستطيع أن أناقش فكرة رفتى لأنها فكرة نشأت دون أن يكون لها دافع يمكن أن يناقش.

مزق هذا الخطاب أو احرقه فإننى فقط أردت أن أقول لك وقد قلت ولا أعتقد أننى شعرت بالراحة بعد أن قلت فإن ما سمعته ينغص عيشى ويمزقنى تمزيقاً . . مزق هذا الخطاب أرجوك . . مزقه والله هو المستعان . .

قمصاوصات ..

قصد إلى مكتبه في هدوء كأنما تجذبه قوة غير منظورة لا يدرى كنهها . . وجلس على الكرسى الذى تعود أن يجلس عليه منذ سنوات وسنوات . . ومد يده اليسرى ففتح هذا الدرج الذى ظل سنوات طويلة يريد أن يخلو ما يحويه . . درج عميق عميق . . كان يفتحه بين الحين والحين ليلقى إليه شيئاً وكان دائماً يقول في نفسه : أريد أن أخلو إلى هذا الدرج لأستعيد كل ما يحويه . . وتمر الخاطرة بذهنه سريعة عابرة مع ذلك النوع من التصميم الذى لا يصل إلى التنفيذ . . لقد مرت به أوقات فراغ كبيرة ، ولكنه لا يذكر الدرج إلا حينها يجد شيئاً منشوراً عنه في إحدى الجرائد ، وحين يقص هذا الذي كتب عنه ويلقى به إلى الدرج تعاوده هذه الهمسة في إحدى الجرائد ، وحين يقص هذا الدرج لأستعيد ما فيه . . ثم يقفل الدرج ويعود إلى مألوف المصممة . . متى أجلس إلى هذا الدرج لأستعيد ما فيه . . ثم يقفل الدرج ويعود إلى مألوف حياته حتى يجد شيئاً مكتوباً عنه . . كثيراً ما جلس إلى المكتب وكتب . . ولكن فكرة أن يفتح حياته حتى يجد شيئاً مكتوباً عنه . . كثيراً ما جلس إلى المكتب ويقتح هذا الدرج الأيسر العميق الدرج لم تخطر له على بال ، ولكنه اليوم يجلس على الكرسي ويفتح هذا الدرج الأيسر العميق . .

وقبض قبضة عفوية ، وحمل الذكريات وألقى بها على المكتب وألقى بنظره على ما حملته يده ، وكانت ذكرياته القريبة . . لم يمر عليها من الزمن ما يكفى أن يجعل منها ذكريات . . لم يشم منها رائحة الزمن ولا عبق الماضى . . لم يتول قلبه هذا النوع من الوجيب الذي أراد أن ينعم به . .

ألقى بيده مرة أخرى وقبض قبضة من ذكرياته وألقى بها على سطح المكتب . إنها ذكريات وأكثر قدماً من القبضة الأولى ولكن لا . . ليست هذه ما يريد . . وظل ينقل إلى سطح المكتب وفى كل مرة تغوص ذراعه أكثر من المرة السابقة إلى قاع الدرج .

لم يعد ينظر إلى ما تخرجه يده وإنما كان ينقل الذكريات جميعاً في شوق كبير إلى مجهول يدريه . . انتابه شعور طاغ بأنه يريد أن يلتقي بهذا الماضي . . إنه لا يعرف عنه شيئاً كأنه ليس ماضيه . . كانه مقبل على مشاهدة فيلم لا يعرف عنه شيئًا . . لقد مر بذهنه للحظات أنه يعد آلة العرض ويعد الفيلم الذي سيعرض . . فيلم جديد لم يشاهده قبل اليوم قط . . لقد صنع كل هذه الأشياء التي يحفل بها الدرج ، ولكن هناك فرقاً كبيراً بين صنع الشيء وقراءته . . ولقد قرأ كل ما كتب عنه ولكن هناك فرقاً كبيراً بين قراءة شيء منذ عشرات السنين وقراءته الآن في هذه اللحظة . . إن الفيلم جديد . . الفيلم جديد . . لست أنا هذا الفتى الذى كان منذ أربعين صنة . . أربعون سنة مرت ولكم تغير السنون حين تمر . . فكيف باربعين سنة كنت حينذاك شاباً لم تخلق الحياة التي حوله إلا من أجله هو . . هو سيدها وهو مدارها . . كم كنت أحب أن أكتب . . كنت قد قرأت . . قرأت كثيراً وأحببت أن أكتب وهفت نفسي أن أرى اسمى يحمل فوقه كلاماً في في جريدة . . وكتبت . كتبت كثيراً . . وظللت لفترة طويلة أغلى سلة المهملات في مكاتب رؤساء تحرير الجرائد الكبرى والصغرى على السواء ما الذي ذكرني بهذه الفترة . . هذه الورقة . . هذه القصاصة الضئيلة . . وهذا العنوان الذي كتب بحروف لا تزيد في حجمها كثيراً على حروف المقال نفسه . . لكم كنت شاباً وإلا فهل أستطيم أن أكتب اليوم هذا العنوان (الفن والحياة) كنت أكتب عنه وأنا في هذه السن واثقاً من نفسي مطمئناً أنني أستطيع أن أعالج هذا الموضوع الضخم وكأنه مسألة ضئيلة هينة . . ترى هل أجرؤ اليوم وبعد أربعين سنة أن أكتب هذا العنوان (الفن والحياة) إنه عنوان لا يستطيع أن يكتبه إلا الشاب الذي كنت يومذاك أو أستاذ كبير في الجامعة يجعل منه عنوان كتاب ضخم يعتبره كتاب عمره . . كم فرحت يوم نشر هذا المقال . . كم فرحت . . ما الحياة إذا لم تتخللها من حين إلى حين هذه الومضات المشرقة من الفرح . . لماذا تحرهنا الحياة هذه الفرحة . . هذا المقال الذي نشرته في المجلة بعد ذلك فرحت به هو أيضاً ثم ظللت أكتب مقالاتي ومع كل مقال تتناقض الفرحة حتى انعدمت . . أعتبر طلب مقال عنى اليوم عبثاً ثقيلًا لا أستطيع أن أتخلف عنه لأن صناعتي أن أكتب وأتمني في الوقت نفسه لو كان لم يطلب مني حتى أستريح ولا أكتب.

كم كنت أتمنى في هذه الأيام أن أكتب . . لم يكن يطلب إلى أن أكتب ولكنى مع ذلك كنت أكتب . . وأكتب وأكتب . . هذه أول قصة نشرت لى في مجلة الصباح . . لكم فرحت بها هى أيضاً . . ثم ما لبثت الفرحة أن راحت تذوب مع القصص لماذا . . لماذا . . فرحت أيضاً بأول كتاب صدر لى . . رواية (حياة وأوهام) . . التفت له النقاد . . نعم هذا أول مقال نشر عنها بقلم الناقد الكبير سامى أحمد . . اعتبرت نفسي قصاصاً يوم نشر هذا المقال . . نعم قلت . للناس ذلك ولكن ما هي الحقيقة . . ألم أكن أنا في دخيلة نفسي مقتنعاً بفني . . ولكن هل المهم أن أنا في دخيلة نفسي مقتنعاً بفني . . ولكن هل المهم أن أنا في دخيلة نفسي مقتنعاً بفني أن الناس ومن الإرسال والاستقبال . . مهما أكن مقتنعاً بفني فلا قيمة لهذا الاقتناع حتى يعترف بي الناس ومن

ناحية أخرى مهما يعترف بى الناس فلا قيمة لاعترافهم إن لم أكن أنا واثقاً من أصالة فنى . . مسكين هذا الفنان . . تتعلق حياته بالآخرين والآخرون لا يرحمون . . إن لم يروا فنا فلن يعترفوا به . ليس فى هذا المجال رحمة أبدا ومع ذلك يقول الناس . الناس أنفسهم اللين يقسون على الفنان ان الفن رحمة وإنسانية وشفافية . . إنهم يطلبون من فنانيهم الرحمة والشفقة والشفافية . . وهم أنفسهم لا يتمتعون بثىء من هذا المبدأ أبداً . . وهم أيضاً معذورون فلو اعترفوا بكل من يحاول أن يكون فناناً لاصبح الفنانون أكثر عدداً من مستقبل أعهالهم . . أترانى أصبحت فناناً . . هذا الدرج يقول نعم ولكن أنا نفسى تساورنى الشكوك كثيراً . . ما زالت الشكوك تساورنى . لم أبلغ ما أردت لنفسى . . إننى أقرأ من القصص ما يجعلنى أشك كثيراً أننى صنعت شيئاً . .

هذه صورتي في المجلة . . إنها صورتي يوم تزوجت . . كنت يومذاك على جانب من الشهرة ونشرت مجلة (الفنون) صورتى مع خبر زواجي أيهم هذا قراء مجلة الفنون في شيء ؟! ماذا يهمهم إن كنت قد تزوجت أم لا ؟! العجيب أن أغلب القراء يهمهم ما يقرأونه عني أكثر مما يهتمون بما أكتبه . . عجيب أمر هؤلاء الناس . . إن شهرة الأديب عندنا تتكون مما يكتب عنه لا مما يكتبه ، ماذا يهم الناس من أمر زواجي ؟! لقد كان الزواج مهماً لى أنا . . نعم كنت أحب إلهام . . كنت أحبها بكل حماسة الشباب وكل نبض الأديب . . والتقى حبى لها بحبها لى ولم يكن الأمر عسيراً فقد كان كل ما يهم أبويها متوافراً في . . أحمل شهادة الآداب وأعمل موظفاً في الجامعة ومستقبل من الناحية الوظيفية مضمون أما أنني أكتب القصص والمقالات فلا بأس ما دام هذا لا يعدو على وظيفتي وإن كان أسعد بك حمادة مفتش الحساب بالمدارس الابتدائية يتمنى أن أشغل نفسى بشيء ـ أكثر فائدة من القصص والروايات . كانت مجرد أمنية ولم تكن عاثقاً في زواجي من إلهام ابنته . . ما أطيب الأيام التي قضيتها مع إلهام حب وخصام وتفاهم ومغاضبة وفرح وضيق . كانت تمر على لحظات ونحن في أول الزواج أحسب فيها أن العالم كله لا يعرف من هو أسعد منى وكانت تمر على لحظات ونحن في أول الزواج أحسب فيها أن ليس في العالم أجمع من هو أتعس مني واليوم وأنا أستشرف هذه السنوات البعيدة أراها في مجموعها في جملتها في هنائها وتعاستها في فرحى بها وشقائي في إقبالي عليها ونفوري هي هكذا جميعاً سنوات حلوة . . لماذا تمكي الحواديت دائياً أنها عاشا في تبات ونبات . . وخلفوا صبيان وبنات . . ما التبات والنبات . . أتراهم يريدون أن يقولوا إن الزواج كان ثابتاً ومثمراً وإلا فها معنى المنبات ولماذا تحكى الحواديت عن الزوجين السعيدين حياتهما ضحك وعيشهما هناء . أى نوع من الزواج هذا . إنه زواج راكد كالبركة إن لم تضطرم فيه العواطف من غضب وهدوء ومن إقبال ونفور فهو ليس حياة . بحيات أفديها إلهام لقد ملأت حياتي حياة . كانت تحب عملي كأديب وتغار في نفس الوقت من عملي كأديب كانت تحب أن يمدحني النقاد وتغار في نفس الوقت أنني حديث الصحف وهي لا يكتب عنها أحد وكانت تحب أن أكون بين الناس وفي المجتمعات

وتغار فى نفس الوقت من أننى أتحدث إلى سيدة وقضيت حياتى وحياتها بين هذا الحب وهذه الغيرة مزاج عذب وفيه حلاوة ومن تفاعلها معاً تصبح حياة لها طعم خاص فيها نكهة ذات معنى وذات لون لا تتسم به حياة زوجين آخرين . ما أبأس الحياة التى تشبه حياة الآخرين . لابد من وجود لون خاص لكل بيت . . لون خاص لا يراه الزائرون ولا الأقارب ولا الأبناء ولكن يحسه الزوج وتحسه الزوجة . . يعرفانه وحدهما . . يعرفان هذا اللون الخاص بها ويميزانه من بين كل الألوان الأخرى ولا يخطئانه أبداً .

هذه صورة محمد نشرها صديقي الصحفي الكبير على ممدوح في الاحتفال بالعيد الأول لميلاد محمد . . جاء بعد زواجي بسنة ويضعة أشهر هذا هو محمد . . لو رأى أولاده صورته ما عرفوه أما أنا فأعرفه . . هذا هو ابني يكبر ولكنه عندي أنا سيظل هذه الصورة . . أم تراه يظل ذلك الطفل الشقى الذي تأبي ملابسه الداخلية إلا أن تظل خارجية ويأبي شعره أن يستجيب لمشط ويأبي وجهه أن يكون نظيفاً وتأبي أصابعه أن تخلو من الحبر ــ أم تراه ذلك الفتي المعجب بنفسه يكثر من التأنق ويكثر من تمشيط شعره ويهتم بحلاقة لحيته التي كانت تعانده فلا تنمو ويهتم بنظافة يديه ويهتم أكثر من هذا جميعاً بالنظر من النافذة معتقداً أنني لا أعلم شيئاً ، جاهلًا أنني تزوجت أمه من نفس الطريق الذي يريده هو أن يتزوج به أم تراه محمد ذلك الشاب النابغة في كلية الهندسة إن لم يكن أول فصله فهو الثان وإن لم يكن التقدير تمتازاً فهو جيد جداً . . أم تراه محمد المعيد بكلية الهندسة . . أم تراه محمد الزوج الطيب والأب المتفاني في حب ابنه وابنته . . أي محمد في هؤلاء جميعاً هو ابني محمد . إنه محمد جميعاً . . محمد منذ هو فكرة ومنذ هو يركل أمه حين هو جنين ومنذ هو وليد . . ومنذ هو هذه الصورة التي نشرها صديقي على ممدوح وحتى اليوم . وهو معيد وزوج ووالد . . حلوة هي الأبوة تضم في حناياها حياة إنسان بأكملها وتظل الحياة حية نابضة يصحبها الأب معه إلى الحياة الأخرى دفئاً يؤنس غربته في العالم الثاني وقد تبقيه في الحياة الأولى ذكري وامتداداً . . هيئة هي الصعاب التي يلقاها الأب أمام شعوره بأن له ابناً وأن ابنه يشعر أن له أباً . إن ما يلتقي به الأب من مخاوف على ولده أهون مما يلقاه الإنسان الذي إذا علت به السن لم يجد حوله من يشعره بأنه أب وبأن هناك من يتمنون له طول الحياة . وهذه صورة هند يوم زواجها نشرتها أنا في المجلة التي أعمل رئيساً لتحريرها مشاعر عجيبة انتابتني يوم تزوجت هند . . لقد تعودت أن تكون بجانبي دائماً . . وكنت أحب أن أراها هي وإلهام جالستين تنتظران عودتن . هذه الفتاة الحلوة التي أحبها زميل أخيها المهندس علاء حمدي لم يرها في الآيام الأولى من ولادتها وعيناها لا يبين لها لون من القاذورات التي تغشاهما فلم يتضح أنهما زرقاوان إلا بعد أسابيع ، وأسابيع ولم يرها والحصبة تملأ وجهها وتجملها هزيلة لا تطيق أن تنطق حرفاً وقد كانت لا تسكت أبداً ولم يرها وهي في المدرسة تتعثر في العلوم تعثراً وتقف حائرة أمامي إذا ويختها لإهمالها . لم ير علاء من هذا جميعاً إلا هذه الفتاة الجميلة التي تجيد الحديث إذا تحدثت وتجيد تصفيف شعرها وتجيد نقل خطواتها في صنعة كأنها الطبيعة أو فى طبيعة كأنها مصنوعة . وهو أيضاً لا يعرف عنها كم هى صادقة واقعية من نفسها . لا تغش نفسها ولا تحب أن تغش أحداً تقول رأيها فى صراحة وبساطة وهدوء . . يعرف عنها هذا لعله يعرفه ولكن أهذا ما جعله يتزوجها أم العيون الزرق والشعر الأصفر والقوام الأهيف من يدرى .

وهذه صورة ابنتها . . جميل أن يكون لأبنائى أبناء ما أسفت على شيء قدر أسفى أننى لم أرزق أطفالاً إلا بعد أن مات أبى . . كنت أريده أن يعيش لأنى لم أعرف كم كان يحبنى إلا حين أحببت أنا أبنائى .

عميق هذا الدرج عميق . وكثيرة هذه الأوراق كثيرة إنها كل ما كتب عنى . . أحق هذا أم الحق فى أمرى لم يظهر حتى اليوم . . سنوات طويلة وأنا أتمنى أن أجلس هذه الجلسة لأقلب هذه الأوراق ما الذى أجلسنى اليوم .

كنت هنا يومذاك وكنت أكتب السطور الأخيرة من روايتي وكنت سعيداً أنني انتهيت منها . . هذه فرحة لم أفقدها أبداً . فرحتى بأنني أكتب . لم أفقد هذه الفرحة أبداً . . فقدت فرحتى بأن ينشر لى كتاب بعد صدور الكتاب الثانى لى ، ولكن فرحتى بأنني أكتب وبأنني أريد أن أقول وانني أقول ما أريد لم أفقدها أبداً بل هي تزيد . دائماً تزيد . . أربعون عاماً أكتب وهذه الفرحة تزيد . جيل أن أكون في الستين وأجد شيئاً يفرحني هذا الفرح الطاغي . كنت فرحاً وأنا أضع علامة النهاية في روايتي وقبل أن أوقع رفعت يدى عن الورقة ووضعتها على المكتب ورحت أقرأ النهاية مرة أخرى قبل أن أحمل اسمى عبء هذه الرواية الكبيرة . فرحت . لقد كانت النهاية كما أردتها أن تكون . فرحت فرحت وأردت أن أوقع ولكن يدى لم تستجب . لقد ظلت مشلولة على المكتب وأبت أن تضع اسمى على نهاية الرواية . أتراني جلست إلى هذا للدرج لأنني أصبت بالشلل ولكن الأطباء يقولون إنني سأشفى . لا . ليس هذا هو السبب . فلهاذا جلست إلى درج الذكريات . لماذا . . الماذا . . ؟



ملتم العمسر ..

أنسي كل شيء . . أنسى وجودي وكياني وأنسى الأمس القريب واللحظة الماضية ووعد اللقاء والصلاة . . أنسى حتى المكان الذي أريد أن أذهب إليه . . أنسى لحظات الحوف ، ولحظات الأمل . . أنسى لحظات السعادة ولحظات اليأس ، أنسى كل ما تعرضت له في حياتي الطويلة هذه . . طويلة هي طويلة . . قضيت على سطح هذه الأرض ثلاثة وعشرين عاماً . . لم أشعر فيها جميعاً بهذا الذي يسمونه الملل . . ومن أين يأتي الملل ؟! أما وأنا طفل رضيع فلم أكن أشعر بشيء على الإطلاق ولم أكن أعلنَ أنني لم أشعر بشيء على الإطلاق . . ووعيت . . ووعيت ومازلت أذكر ما وعته مني الذاكرة وأنا طفل . . كانت جدتي سيدة عجوز وكانت تعطيني نقوداً ولا أذكر ما المصير الذي كانت تنتهي إليه هذه النقود فها كنت أريد شيئاً . . فقد كنت آكل وألعب وأنام . . كنت أعيش في قرية تقع في أعهاق الريف لا تصل إليها إلا الركائب الحية من حمير وجمال وخيل ولقد قدمت الحمير في آلحديث لأنها كانت تمثل الغالبية العظمي من وسائل المواصلات في القرية أما الجهال فقد كانت في أغلب أمرها وسيلة نقل البضائع . . أما الخيل فإن قصتي كلها مع الخيل . . إنه حصان واحد رأيته أول ما رأيته أمام منزلنا . . نسبت أن أخبرك أن بيتنا يقع هُو الآخر في أعباق القرية التي تقع في أعباق الريف . . وهكذا كان من العجيب أن رأيت هذا الحصان واقفاً أمام باب بيتنا . حصاناً فارهاً طويلًا عليه رجل عظيم مكتمل . . رأيت رأسه في السياء . . ما هذه الهالة التي كانت تحيط به ، كيف استطاع هذا الرجل أن يكون جليلًا إلى هذا الحد . . عظيمًا إلى هذا المدى . . جرى إليه كل المحيطين بي ا

_ تفضل يادكتور . . تفضل يادكتور .

كانت جدته مريضة وقد استدعى لها الدكتور من البندر . . لم يتمالك أحمد نفسه أن يسارع إلى داخل الدار يبحث عن أبيه . . كان أبوه مشغولاً بالطبيب الذي يعود أمه ولم يستطع أحمد أن

- يصبر فسارع إلى أمه . .
 - ـ امه . . ياامه .
 - _ مالك ياولد؟
- ــ أريد أن أكون مثل هذا الدكتور .
 - _ ومن أين لنا المال يا أحمد ؟
 - _ ولماذا المال؟
 - ــ لنصبح مثل هذا الدكتور.
- _ لابد أن أصبح مثل هذا الدكتور.
 - ـ احفظ أنت اللوح وربنا يقدرنا .

اللوح . . أليس بيني وبينه أن أصبح شاهقاً أركب الحصان ويسعى الناس إلى يوسعون الحطى ويخلون الطريق ويقدمون الاحترام والتبجيل ، ليس بيني وبين هذا جميعه إلا أن أحفظ اللوح . . حفظت اللوح . . واللوح الذي يليه وكل الألواح التي أعطيت لى .

- ــ ربنا يحفظك يا أحمد . . خسارة يا ابنى ألا تكمل تعليمك . وقصد الشيخ عبد العظيم إلى شحاتة الحجار .
 - ـ جئتك من أجل أحمد ياسي شحاتة . .
 - ـ ماله يا عم الشيخ . . هل قصر في شيء ؟

أحمد يقصر ؟ ! . . أحمد في غاية الذكاء يا شحاتة ولابد أن نجعله يكمل تعليمه .

- _ العين بصيرة واليد قصيرة ياعم الشيخ عبد العظيم .
- ـــ إنه ثروة عمرك يا شحاته . . مهما تترك فلن تترك له خيراً من الشهادة .
 - _ وكيف استطيع أن أعلمه ؟
 - ـ دبر حالك . .
 - كله على الله ياعم الشيخ عبد العظيم.

كنت أستمع إلى هذا الحديث . . ومازلت أذكر كيف سارعت إلى الجامع ورحت أبتهل إلى الله أن يجعل أبي يوافق على تعليمي . . حتى تأكدت أن الله استجاب دعائي فسارعت إلى أمي . .

- _ أمه .. سأصبح دكتوراً .
 - ـ كيف عرفت؟
- ــ أبي قال كله على الله وذهبت إلى الجامع فتأكلت أن الله قبل رجائي.
 - ـ لهذه الدرجة تريد أن تكون دكتوراً ؟
 - ــ أموت يا امه وأكون دكتوراً .

- _ بعد الشريا ابني . . إنما قل لي . . ما السر في رغبتك الشديدة هذه ؟
 - _ لا أعرف . . كل الذي أعرفه أنني أريد أن أكون دكتوراً .
 - _ هذا كل ما تعرف ؟
 - ـ دكتور يا امه دكتور . . أريد أن أكون دكتوراً .
 - _ إن شاء الله يا أحمد ستكون دكتوراً.

كانت لبيبة تملك سوارين من اللهب وقرطاً وحلية برقع ذهبت إلى البندر فباعتها جميعاً وعادت لتقول لزوجها:

- ــ اسمع يا شحاته . . أحمد لا بد أن يذهب إلى المدرسة .
- ــ أجننت . . أنت تعرفين البير وغطاه من أين لنا بالفلوس ؟
 - _ لا شأن لك .
 - _ ماذا تقصدين ؟
 - _ لا شأن لك .
 - _ هل بعت الذهب؟
 - ـ ماذا يفيد الذهب؟
- ــ كنا نجعله أماناً لنا من الخوف . . من يضمن نفسه . . قد نمرض أو نحتاج لشيء . .
 - _ شهادة الولد أهم .
 - ـ يا لبيبة الطريق طويل وصعب . .
 - ـ اللى خلقنا لن ينسانا .
 - _ توكلنا على الله .
 - قالت لي أمي:
 - _ أحمد كيف ستذهب إلى المدرسة ؟
 - _ ماشيا .
 - ــ الطريق طويل .
 - _ أمشيه .
 - ـ لا يا بني حرام سأشترى لك حماراً .
 - ــ الله يطول عمرك يا امه . .
 - _ ولكن يا ابني المسافة طويلة بيننا وبين البندر.
 - _ أقطعها في غمضة عين.
 - _ قد تحتاج إلى ساعتين حتى تصل.
 - ــ وما له .

- ــ والمدرسة تفتح الساعة الثامنة . .
- _ وإن كانت تفتح في الساعة الخامسة.
 - ــ على بركة الله .

أنسى الأيام الطويلة التي قضيتها على ظهر الحمار . . حين كنت أصحو والليل أسود داكن من يراه يكاد يوقن أن لا صباح بعده . . أسود كان الليل حين كنت أستيقظ لأجد أمي قد وضعت لى رغيفاً وقطعة من الجبن القريش أضعها في حقيبتي ثم ألبس ملابسي ثم أغسل وجهى ثم أركب الحمار والشيخ عبد العظيم يؤذن لصلاة الفجر . . وما هي إلا دقائق قليلة حتى تشرق الشمس واستطيع أن أقرأ . . أظل أذاكر حتى أصل إلى المدرسة . . وحين ينتهي اليوم الدراسي أركب الحيار وأظَّل أذاكر حتى أصل إلى البيت . . ما هي إلا لقيهات ألقي بها في جوفي ثم أنام . . أنسى الأيام الكالحة بلا لعب مع الأطفال حين أنا طفل ولا سمر مع الرفاق حين أنا صبى يشارف مطالع الشباب ولا لهو من الشباب حين أنا فتى في زهوة العمر وريق السن . . أنسى الجليد أحس به يسرى في دمائي نافذاً من وجهي ويدي . . من كل مكان في جسمي سواء كان هذا المكان كاسياً أو عارياً فها كان الكساء يختلف كثيراً عن العرى . . أنسى اللحظات الموحشة أقطعها وحيداً في الطريق لا صوت ولا حياة . . كأنما أنا نبتة وحيدة ظهرت في قفر موحش في أقطار الأرض . . أنسى الإنهاك ينساب إلى عند عودت بعد أن أكون قد ركبت الحمار أكثر من أربع ساعات . . أنسى الشباب الذي بلغته وأحلامه وأمانيه فقد كانت لي أمنية واحدة . . أنسى أيام الأجازة التي كنت أقضيها مذاكراً للسنة التي تليها . . أنسي ارتمائي على زملاء المدرسة اللين أعرف أن لهم إخوة في كلية الطب أستجدى منهم الكتب . . وأثمرت سنوات الاستجداء مكتبة في الطب وأنا بعد في المرحلة الثانوية . . أنسى الأجازة التي كنت أنتظر فيها نتيجة الثانوية والتي قطعتها لأقرأ كتب الطب وأنا مبهور الأنفاس ألهث وأنا لا أكاد أصدق أنني سأقرأ هذا الكلام بصفة رسمية . . أنسى اليوم السابق لظهور النتيجة . ركبت الحمار من العصر وذهبت إلى محطة السكة الحديد في البندر أنتظر وصول النتيجة إلى المدرسة .

قال شحاتة:

- _ مبروك يا أحمد.
- ـ الله يبارك فيك يابا . .
 - _ ألا يكفيك ما نلته ؟
- ـ أريد أن أكون دكتوراً يابا . .
 - ــ يا ابني تعبنا .
 - _ أكون دكتوراً وأموت يابا . .
 - ــ يا ابني لا قدر الله .

```
وقال شحاتة:
```

- ـ يا عم إساعيل.
- ـ نعم يا سي شحاتة .
- _ القراريط الأربعة التي بجوار أرضك .
 - _ مالحا ؟
 - _ ألا تريد أن تشتيها ؟
 - _ أنت تريد الثمن دفعة واحدة .
 - ـ لا يا سيدى . .
 - ــ ماذا تريد إذن ؟
- _ تعطى أحمد ابني ما يحتاج حتى يكمل تعليمه .
 - ـ تعليمه . . أين ؟
 - _ في الطب.
 - _ تريد أن تعلم ابنك الطب بأربعة قراريط ؟
- ـ حتى تسدد ثمنها يعين الذي لاينسي عبده . .
 - ... إنك لا تملك غير فدان ونصف فدان .
 - ــ الله هو المعين .

أنسى أيام الجوع في القاهرة . . وأنسى . . نعم وأنسى حين تبدت على السطوح الذي أسكن فيه جميلة كالأمل مشرقة كالرجاء . . ابتسمت .

_ صباح الحير.

تلجلج أحمد كثيراً وهو يقول:

- _ صباح الخير.
 - _ وحدك .

وتلجليج ثانية كثيراً وهو يقول:

- _ وحدى،
- _ أتريد شيئاً ؟
- ــ لا . . شكراً .
 - _ أي خدمة ؟
 - ـ شكراً . .
- ۔ أنت خجلان ؟
- _ لا . . لا أبدأ .

- س إسمك ؟
 - _ أحمد . .
- _ أحمد فقط؟
- _ أحمد شحاتة ..
 - ــ وأنا سميحة .
 - _ سميحة ؟ . .
- سميحة إبراهيم . . جارتك .
 - في البيت المجاور؟
- لا . . في هذا البيت نفسه .
 - اهلا وسهلا .

وأنسى . . أنسى حين حاولت سميحة أن تقيم بينى وبينها صلة . . تركت الحجرة والسطوح . . إلى حجرة أخرى على سطوح آخر .

وأنسى أن أبى باع الفدان ونصف الفدان جميعه ، وباع الجاموسة وباع العجلة التى اشتراها بعد الجاموسة ، وباع البيت الذى ورثه عن أبيه واستأجر بيتاً آخر . . أنسى كل هذا . . ولا أنسى أننى أعيش فقط لأسمع الخبر الذى ينتظرنى الآن . . الذى أنتظره أنا . . الخبر الذى قامت من أجله حياتى جميعاً . . نعم أنا هنا أمام الكلية منذ الرابعة من الصباح ، ولولا خمجل من الفراشين والدكاترة لبت ليلتى هذه أمام باب الكلية . . أنا هنا منذ الرابعة لا أجد ما أفعله في ليلتى هذه أمام باب الكلية . . أنا الذى سأعرف منه الخبر . . الساعة في ليلتى هذه أمام باب الكلية . . إلا أن ظل رانيا إلى الباب الذى سأعرف منه الخبر . . الساعة الآن جاوزت الواحدة من الظهر . .

ــ مبروك يا أحمد . . مبروك يا دكتور أحمد . . مبروك يا أحمد .

ولم يجب أحمد أحداً من زملائه ، وإنما خرج من باب الكلية صامتاً جامداً ، وظل سائراً وكأنه حجر يتحرك ووجد نفسه على كوبرى قصر النيل ، وفي هدوء ألقى بنفسه إلى الماء . . وكان يعلم أنه نسى في حياته التي كرسها لأمله أن يتعلم العوم . .

نـوع من الحب ..

لم تكن تتصور أنه سيصيب هذا النجاح الذي أصابه . . وإلا لمنعته أن يتخد هذه الخطوة . . فهي لا تتصور أن يعيش معها وهو غير محتاج إليها . . ولا يتصور أن يكون غنيا بدونها ولا تدرى ماذا تقول له . . إنه كان يعتب عليها كلها أنبأها عن نجاح له فتستقبل النبأ بفتور وعدم اهتهام . .

كان يضيق بهذا ولكنها لم تكن تستطيع أن تتصور أنه قادر على النجاح بدونها . . إنها لا تطيق أن يمدحه أحد أمامها . . لا تطيق أن ترى له نجاحاً إلا في إرضائها . . لقد أخطأت الطبيعة تكوين بيتهها . . كانت تريده زوجاً غنياً خاملاً أو فقيراً خاملاً يعيش بما تهب له هي من أموال وليس له حياة إلا حياتها ، وليس له مورد إلا يديها . . وتصنعه هي على يديها . . تشكله كما تشاء . . ولم يكن في بادىء أمره إلا هكذا . . وماذا ينتظر من فتى في الثلاثين من عمره لم يحصل على شهادة وإنما وقف بتعليمه عند المراحل الأولى من التعليم ثم خرج يحمل إلى الحياة يحصل على شهادة وإنما وقيب لها كل حياته وظل يعزف ولا يسمعه أحد . . وحيد هو وكمنجته بلا معجبين ولا حتى مستمعين ولكنه واثق بنفسه تلك الثقة التي يستطيع بها أبناء الفن أن يشقوا طريقهم إلى الحياة أو إلى الموت .

وكان يذهب إلى الفرق يعرض نفسه عليها فيلتقى هناك بالهزء والسخرية . . كان أضحوكة أبناء الفن . . انقطع عن هذه الفرق وذهب إلى رجل قدير من أبناء الصنعة وانقطع له وتعلم عنه كل ما يعلمه وظن أن علمه فى هذه المرة سوف يحميه من سخرية الساحرين . .

ولكن السخرية استقبلته مرة أخرى ولعلها كانت أشد مرارة وأعمق إيلاماً. عاد إلى حجرته وحيداً بكمنجته وظل يعزف معتمداً على هذا المبلغ الذي يرسله له ابن عمه من ربع أرضه . . مستور الحال . . لا مجتاج إلى المال فيعيش . . ولكنه محتاج أن يعيش . . إنه لا يعيش . . لقد كانت الموسيقى هى حياته وقد كانت حياته تلك تصد عنه فى صيف وتتعالى عليه فى كبرياء . .

وهو يعزف.

كان يعزف الألم.

وكان يعزف الأمل.

ولم يكن أعزفه من مستمع .

شيء واحد استطاع أن يحافظ عليه . . لقد استطاع دائهاً أن يصد الياس بهذه الكبرياء التي تقود الفنان إلى الحياة أو إلى الموت . .

كان المصير أمامه واضحاً لا غموض فيه إنه الحياة أو إنه الموت ولا وسط لم يكن محتاجاً للموسيقي لمتكون حياته أو للموسيقي ليقتات منها فقد كان ربع أرضه يقوته . ولكنه كان محتاجاً للموسيقي لتكون حياته أو تكون موته .

فهو يعزف .

في البيت الذي يقيم به أختان تقيهان في الدور العلوي . .

ـ يعجبك عزفه .

ـ لو انقطع عن العزف تهون عندى الحياة .

_ إلى هذا الحد .

_ أنت لا تدركين ما يقول في عزفه .

ــ وماذا يقول ؟

ـ أحس ما يقول ولا أستطيع أن أقوله .

_ ماذا تحسين ؟

_ الحياة ا

_ الحياة ؟ !

ـ الحياة كلها وأنا أستمع إليه تطيب لى الحياة . .

احس أنها جميلة وحلوة وأريد أن أعيشها وأحس أنها جديرة أن تعاش.

۔ هل ترينه ؟

ـ أعرف شكله .

ـ مل تلتقين به ؟

- _ أحب عزفه .
- _ إذن فلا لقاء.
- _ لو تكلم فلن يقول أكثر عما أسمعه منه .
 - _ مل تحبينه ؟
 - اتمنى أن أحبه .
 - _ فلماذا لاتحبينه ؟
- ـ يهيأ لى أنه ليس من أبناء الأرض الذين يجبون ويحبون .
 - ــ إنه من أبناء الأرض .
 - ــ اسمعي موسيقاه أولاً ثم احكمي .
 - _ مها أسمع موسيقاه . . إنه من أبناء الأرض .

ومرض يوماً . . مرضاً لم يكن ذا شأن ولكنه مرض . . وانتظرت الفتاة فلم تسمع وطال بها الانتظار .

- -- من ؟
- _ أنا ...
- _ أنت من ؟
 - ـ افتح .
- _ أهلًا وسهلًا .
- ـ إنها بسيمة .
 - ــ أملًا . .
- ـ أنت لا تعرفني . .
 - ــ أملًا .
 - _ هل أتفضل ؟
 - ـ تفضلي .
- ــ لماذا لم تعزف اليوم ؟
 - _ أنت . .
 - ـ في الدور العلوي .
 - و . .
- ــ أستمع لك كل يوم .
 - _ مل ..
- ــ لم أستطع أن أتصور انقطاعك عن العزف .
 - _ إذن فـ . .

- ـ أظن أنت لا تحتاج إلى رأيي .
- ـ بل أنا في أشد الحاجة إليه.
 - ـ أليس لك معجبون ؟
 - ـ أنت الأولى . .
 - ـ لن أكون الأخيرة .
- ـ كنت مريضاً قبل أن تألى .
 - _ إذن فقد شفيت .
- _ لقد ظللت سنوات طويلة أنتظر هذه الجملة.
 - ـ سوف تمل من سياعها .
- _ لن أمل . . عمرى جميعه ذهب في سبيل أن أسمعها . . لن أمل .

وكثر عبىء بسيمة إلى حجرتى وبدأت بيننا هذه العلاقة من الألفة التي قد تؤدى إلى الحب . . لم أكن أتصور أنها ستحبنى . . ولكن أختها _ زوجتى _ كانت أكثر منى علماً بأختها وبالحياة . . وجدت نفسى مدعواً إلى بيتها . دعانى أبوهما .

بسيمة هي الصغرى وأختها زوجتي هي الكبرى طبعاً . .

لماذا نقول كلاماً لا لزوم له ما دمت قلت إن بسيمة هي الصغرى فيا الداعي أن أقول إن بثينة أختها زوجئي هي الكبرى . . كلام كثير لا معنى له ونقوله . . ولكن بثينة لا تقول شيئاً إلا وتريد من وراثه شيئاً آخر . . بثينة زوجتي . . إن أدرك كل شيء . . أعرف كل ما في نفسها أنت يا بثينة لم تحبيني في يوم من الأيام . . لقد وجدت في ضائتك المنشودة التي تعرفين أنك تريدينها . . شاب من الأرياف أختك تحبه . . وقد كان هذا هو الدافع الأول الذي جعل بثينة تنظر إلى . . مادامت بسيمة تحبه فلا بد أن تحرم بسيمة منه . . ثم هو موسيقي فاشل وسيظل فاشلًا فهادام قد بلغ هذا العمر ولم ينجح فلا نجاح له من بعد . . أمتطبع أن أشكله كما أشاء . . أجعل منه زوجاً ولا زوج . . رجلًا ولا رجل . . وهو مستور الحال . . لست أدرى كيف كانت بسيمة تخجل فقد كانت تحبني وتخشى أن تكثر من النزول إلى حتى لا أكشف حبها . . ولم تكن بثينة تخجل ولا كانت تحبني فهي تكثر من النزول إلى . . اهتمام كبير بشاني . . بجميع شاني . . نعم أعرف . . أعرف يا زوجتي العزيزة كنت تسألين عن تقدمي في فني . . اليوم أعرف سبب أسئلتك كان الواضح من السؤال أنك كنت تريدين الاطمئنان على نجاحي . . اليوم أعلم أنك كنت تريدين الاطمئنان على فشل . . ولم تكن أنباء نجاحي _ موجودة . . وكانت أنباء فشلي هذه الحاضرة في ذلك الحين . . وكنت في هذه الأيام تستطيعين أن تصبغي صوتك بهله الرنة الآسية الحزينة كانت بارعة أولعلني كنت مغفلًا خطبتك وتزوجنا . . وعرفتك . . شيء واحد استطعت أن أرغمك عليه . . هو أن أعزف . . وقد

عزفت وظللت أعزف . . وفجأة وجدت نفسى أريد أن أؤلف موسيقى . . وألفت . . ألفت قطعتى الأولى ولم أسمعها لزوجتى فهى لا تريد أن تسمع شيئاً إلا نفسها . . خرجت فى بهيم الليل وهممت أن أذهب إلى بسيمة وأطرق الباب عليها ولكن تذكرت أن أباها فى البيت . . عدت إلى حجرتى القديمة وفتحت نوافذها وعزفت وحين انتهبت سمعت تصفيقاً ولم أقل شيئاً . . رحت أعيد ما عزفت وأعيده حتى بدأ الصباح واتجهت من فورى إلى الإذاعة .



K .. K تحدودي ..

أحبك أنت لا تدرين ماذا تعنى هذه الكلمة بالنسبة لى ، وأنت أيضاً تجهلين ماذا تعنيه بالنسبة لك . .

أحيك . كلمة هيئة ما أسهل ما يقولها الناس للناس ، وما أسرع ما ينخدع بها الناس من الناس . قالها أغلب الأمر أبونا آدم لأمنا حواء . . وقالها لا شك كل اللين اشتركوا في تكوين هذه البشرية . . وقالها بصوت عال مرتفع ، ظل يدوى عبر الأجيال روميو لجولييت ، وقيس لليل و قيس آخر للبني ، وجميل لبثينة ، وكثير لعزة . . ولعل هؤلاء كانوا صادقين . . ولكن آخرين كاذبين قالوها بطريقة فيها شيء من خفة الظل ، أو فيها شيء من الفن ، فانتقلت إلينا أنباؤهم هم أيضاً . . فقد قالها كازانوفا لكثيرات وكثيرات ، وقالها دون جوان لكثيرات وكثيرات ، وقالها دون جوان لكثيرات وكثيرات . .

قالوا هذه الكلمة البسيطة الثمينة بطرق شتى ، ويأساليب مختلفة ، بأبيات وقصائد وخطابات ، قالوها شفاها ، وقالوها خلجة في عين أو هزة من رأس ، أو لمسة من يد ، لا شأن في بهؤلاء جميعاً . . لا شأن في . . فإني أحبك . . وأنا الآن في الثلاثين من عمرى . . يبدو أنك في تفهمي بعد ما أريد . .

أنا من هواة الأدب والقراءة ، عشت عمرى كله بين الصفحات ولم أقل لواحدة فى العالم احبك . . هذه الكلمة التى قلتها لك أنت ، وقلتها بعد تردد شديد و عجل أشد ، لم أقلها لفتاة قبلك أبداً ، احتفظت بها عمرى كله لأقولها لك أنت ... هى كلمة عدراء عندى لم يتحرك بها لسانى إلا لك ، ولم تصافح منى أذن فتاة قبل أذتك . . فهى كلمة لم تسمعها من قبلك أبداً . . هى بكر ناضرة جديدة كقطرة من ماء المطر تكونت ونزلت إلى النهر ثم لم تتكرر . . كلمة لم تخلق في حياتى إلا لك أنت ، خباها القدر في حنايا أيامى لم يغض عنها ختمها إلا لتسمعها

أذنك ، ثم هى من بعد لن تقال لفتاة أخرى . . لا لن تقال منى إلا لك أنت . . أرأيت إذن كم هى جديدة كلمة أحبك التى أقولها أنا لك . . هى جديدة وفريدة لا شبيه لها فيها مضى من تاريخها ، ولا أحسب أن سيكون لها شبيه في مستقبلها الطويل الطويل الذي لا شك أنه سيمتد حتى قيام الساعة . . بل إنني أعتقد أن قيام الساعة لن يميت هذه الكلمة التى ستظل تتردد في أنحاء الجنة من أولئك الذين رضى عنهم ربهم إلى الحور العين هناك على ضفاف الكوثر ، وفي رحاب الخمر والعسل ، وفوق السندس والإستبرق . . كلمة تتأبى على الموت ، هذه الكلمة ، ولكن كلمتى أنا التى قلتها لك لا مثيل لها . . إنها تحمل في عروقها نبض الصبا الباكر والشباب الريان والأعوام الثلاثين التى خضتها في الحياة . .

أنت لا شك تذكرين ذلك اليوم الذى قلتها فيه . . تذكرين . . . كارثة لو كنت حتى لا تذكرين متى سمعتها وأين وكيف . . كل التفصيلات التي أحاطت بها وهي تنطلق من أعياق شبابي وحيات . . من ذكرياتي وآمالي لتمر بأذنيك آملة أن يكون مصيرها إلى قلبك . .

لكم تمنيت ألا أكون رئيساً لتحرير المجلة التي تعملين بها . . لكم كنت أتمني أن تكون كلمتي إليك بريئة من هيبة الرئيس وإعجاب المرءوس، ولكن ماذا بيدي أن أفعل . . وأي عجيبة في أن يحب رئيس تحرير فتاة لها هذا الوجه المستدير الأبيض الجميل ، وهذا القوام الفارع الهفهاف الذي يسير وكأنه نغمة فرحانة . وأي عجيبة في أن يحب رئيس التحرير هاتين العينين فيهها دائماً كلمة تريد أن تقال ، ولكنها تتخفى وراء رموش كستار الغيب ، رقيقة كثيفة تنبيء ولا تفصح ، وتومىء ولا تبين ، وهذا الأنف في وجهك على محياه عبير الحياة ، كأنه لم يوضع مكانه إلا ليستنشق من الدنيا عطرها . . وهذا الشعر تلمينه فهو تاج ، أو ترسلينه فهو عربدة ومرح وحياة . . رأيتك أول ما رأيتك حين انضممت إلى أسرة تحرير المجلة كرئيس لتحرير القسم الأدبى بها . . وكنت تحيين أن تكتبى . . لم تكن قصصك رائعة . . ولكني كنت أنشرها . . لم أكن أنا الذي تبينت أنها غير رائعة ، وإنما القراء وخطاباتهم ، أما أنا فلم أكن أرى فيك أو منك إلا كل راثع وجميل وفنان ، لا . . لست من هؤلاء الناس الذين يفصلون في أحكامهم بين الحب والعمل الفني . . أو أنا على الأقل أمام حبك أنت لا أستطيع أن أكون عادلاً . . لقد أحببت قصتك قبل أن أقرأها وما كان لي من بعد أن أحكم عليها . . ولقد قرأتها لأنه لابد أن أقرأها وقد أعجبت بها . . نعم أعجبت بها فنياً ، وكنت واثقاً حينذاك أنني عادل في حكمي . . ولكن القراء لم يروك . . وأرسلوا خطابات يبدون فيها عدم إعجابهم ، إنهم لم يروك . . لم تعرفي أنت من أمر هذه الخطابات شيئاً . . بل إنك عرفت عنها غير ما تقوله . . لقد قلت لك مرة في خبث:

ـ تصل إلينا خطابات كثيرة عن قصصك ..

وطبعاً فهمت أنها خطابات مديح ، فاعلمي اليوم إذن أنها لم تكن كذلك . . اليوم أريد أن

تعلمى أنها لم تكن كذلك . . على الأقل يجب أن تعلمى أن قصصك لم تعجب القراء . . لم تعجبهم . .

لقد فرحت يوم أخبرتك عن الخطابات . . فرحت كطفلة صغيرة أهديت عروساً كبيرة . .

ورأيت مع الكلمة التي في عينيك دمعتين طفرتا لم تستطيعي أن تمنعيهما من الظهور . . ولا أدرى أي شجاعة واتتنى حينذاك لا أطلب إليك شيئاً لم أطلبه من أحد قبلك . . تلعثمت وتلجلجت وأنا أقول :

ــ ما قولك في أن نتعشى معاً الليلة . . ؟

وغاضت الدمعتان في عينيك أو لا أدرى لعلها تحدرتا لتختفيا ونظرت إلى نظرة فيها آثار سعادة واضحة وقلت وابتسامة فيها شيء من التحدي على شفتيك :

ـ نعم .. لم لا ..

وحاولت في هذا العشاء أن أقول ما أردت أن أقوله منذ لقائى الأول بك .. ولكن لم أستطع .. وكانت كلمة أحبك هي أعز ما أقتنيه لأقدمه لحبيبق .. خشيت أن أقولها لك فلا تجد ما تستحق من تكريم عندك .. وانتظرت .. ولكنني مع ذلك عقدت معك اتفاقاً ما زلت ... رغم ما حدث .. أرى نفسي فيه ذكياً حاد الذكاء .. اتفقنا على أن نتناول عشاءنا معاً كلما نشرت لك قصة وجاءت للمجلة عنها خطابات .. وهكذا كنا نلتقي وحدنا بعيداً عن المجلة مرة كل أسبوعين أو كل ثلاثة أسابيع على الأقل ، فقد كانت الخطابات تأتي للمجلة بانتظام غداة ظهور العدد الذي يجمل قصتك .. وأنت الآن تعرفين طبعاً أي نوع من الخطابات هذا الذي كان يأتي للمجلة .

وفي يوم انتهينا من عشائنا وقلت في حزم:

ـ أريد أن نسير قليلًا بالسيارة . .

ولم تجيبي وسرنا . . ذهبنا إلى الهرم ثم عدنا منه لنسير في طريق الاسكندرية ، ثم وقفنا قليلًا عند النصب المقام هناك ولم أقل شيئًا ، وقطعت حديثنا المتناثر . .

_ الدنيا برد . .

فعدنا إلى السيارة ، ومشت بنا ، ولم نتكلم ، ولا أدرى لماذا الجهت إلى شارع الجبلاية . . نعم إنى أحب هذا الشارع ، وخاصة فى الليل ، ولكنه لم يكن فى طريقنا . . ولم تسألى أنت لماذا اتجهت إليه . . وعند شجرة تسدل فروعها إلى النيل نزلت من السيارة صامتاً ، ونزلت وراثى ، وجلست أنت على الحجر هنا ، والتفت بوجهك إلى الأفق ، وظللت أنا واقفاً وعيناى إلى النيل وطال بى الصمت أو خيل لى أنه طال ، ودون أن ألتفت إليك ، قلت فى هدوء وطمأنينة وثقة :

ـ إلهام . . أحبك . .

ولم تقولي شيئاً ولكنك قبل أن تغادري السيارة إلى البيت قلت هامسة :

ُ _ وأنا أحبك . .

ونزلت ، وظللت أنا ذاهلًا عن نفسي غير مصدق ما سمعت . .

لم تذهب كلمتى التى حفظتها لك طوال السنين سدى . . هى إذن قد صادفت ما كنت أرجو أن تصادف من صدق . . هو الحب الكامل إذن . . سرت بالسيارة ذاهلاً لا أدرى إلى أين ، فكل الطرق التى كانت أمامى أضيق من أن تسع فرحتى . . وسمعت ضجيجاً فى الشارع لم التفت له ، وفى إشارة مرور دخل وجه إلى سيارق وصاح بى :

ـ اقفل الباب . .

وتنبهت حينئذ أن باب سيارى ظل مفتوحاً كها تركته . . وتمنيت لو أستطيع أن أتركه مفتوحاً كها تركته . . تمنيت أن تتجمد اللحظة التى قلت فيها وأنا أحبك . . تمنيت لو وقف الدهر عندها لا يتحرك . . ملت بسيارى إلى جانب الطريق ووقفت . . أريد أن أقف لعل الزمن يقف ، وأريد أن أسير . . أن أغمر هذا العالم جميعه بهذه الفرحة التى تعربد فى كيانى كله . . أريد أن أصمت وأسمع همستك وأن أحبك مرة أخرى . . وألف ألف مرة أخرى . . وأريد أن أفعل هذا جميعه فى وأريد أن أنادى جميع من يمر بي لأقول له لقد قالت : وأنا أحبك . . أريد أن أفعل هذا جميعه فى وقت واحد . . كيف يمكن أن أقف وأسير ، وأن أسكت وأتكلم . . كم هو عاجز هذا الإنسان . . عاجز أمام فرحته ، كها هو عاجز أمام قدره . .

ظللت واقفاً ولم أشعر بالكون حولى يهدأ حتى خلا بى العالم والنشوة فى صدرى كها هى ، وأفقت على خيوط الفجر الأولى تنساب فى الظلام فى هدوء ودعة . . وأقفلت باب السيارة ووجدت نفسى فى سريرى ولم أنم . .

ومرت بعد ذلك فترة من حياتى . . هى حياتى الحلوة جميعاً . . تجمعت فى هذه الأيام . . لم تقولى لى بعدها أحبك . . ولم أقلها لك ، ولكننى كنت أحس الحب من نغمة صوتك ، من نظرة فى عينيك ، من همسة لا معنى لها ، أو لمسة تبدو كأنها غير مقصودة . .

وكنت كلما أردت أن أقول لك نتزوج تراجعت ، فما كنت أريد حبنا الضخم الكبير يصبح زواجاً فقط . . ولم يكن هناك أكبر من الزواج . . كنت أريد حبى من نوع جديد . . وطالت الأيام بى ولم أقل نتزوج . . كانما أردت أن أستمتع بكل قطرة من نداء حبنا . . ولم أدر لماذا توقفت عن الحروج معى . . مرة واحدة رفضت أن تخرجى معى رفضاً باتا قاطعاً . . ثم تركت مواظبتك على الكتابة . . ثم انقطعت عن الجريدة يوماً . . وسألت : أين . . وطالعني

النبأ الهائل. . اليوم خطبتها . . ماذا . . أمن أجل هذا انقطعت . . لماذا لم تقولى . . لقد كنت أرى حبنا أكبر من كل شيء . . كان الزواج بالنسبة إليه أمراً ضئيلًا هينا . . كنت أعتقد أننا نستطيع أن نتمم الزواج في أى لحظة . . كنت أريد أن أتمتع به حباً حراً واسعاً كبيراً غير مقيد بحجم معين . . هو الزواج . .

لاذا لم تقولى . . لاذا ؟ ولماذا لم تقبل أن أتصل بك بعد هذا . . لاذا رددتنى بهذه القسوة حين اقتربت منك أحادثك . . عند باب منزلك . . لويت عنى وجهك ومضيت في طريقك وكأن الذي كان بيننا كره كبير . . صادق هذا الذي قال : إن أقرب العواطف إلى الحب هو الكره . . لقد كرهتك يومذاك ، كرهاً قدر الحب الذي أحببتك به . . لقد حطمت ذلك الحب الكبير الذي ادخرته لك طوال حياتي جميعاً . . أحسست كرهى يشتعل في نفسي كسعار من الكبير الذي ادخرته لك طوال حياتي جميعاً . . أحسست كرهى يشتعل في نفسي كسعار من جحيم . . وتبعتك بعيني ، ورأيتك وأنت تنظرين خلفك إلى سيارتي لترى إن كنت قد مشيت أم ما أزال واقفاً . . ورأيتك وأنت تنعطفين إلى الشارع الأين ، وأحسست كرهى يملأ فقسي . . وسمعت بوق سيارة من الشارع الذي انعطفت إليه ، تمنيت لو أنها قتلتك . . ولماذا لا . . لقد تمني هذه الأمنية شاعر قديم . . تمني لو أنها ماتت حتى يستريح من حبها . . أما أنا فقد تمنيت لو أنك مت لأستريح من كرهى . . ولماذا أتمني . . لماذا لا أقتلك أنا . . لقد كانت كلمة أحبك التي قلتها لك هي كل ما أدخره من حياتي ، وقد بددتها . . بددت حياتي جميعاً . . لماذا لا أقتلك .

سرت بالسيارة وأوقفتها بعيداً عنك وتركتها ونزلت . أريد أن أقتلك . أدفعك أمام ترام فأقتلك . . أو أخنقك إذا لزم الأمر . . سرت خلفك وأنت لا ترينني . . وسرت . . وسرت وفكرة قتلك تزداد وضوحاً في نفسي . . وفي شارع قليل المرور ، عبرت الشارع دون أن تنظرى ، وكنت وراءك ، ونبت من الطريق سيارة تغول الطريق ووجدت نفسي دون أن أحس ألقى بنفسي عليك لانتزعك من براثنها ولتصدمني أنا السيارة بدلاً منك . .

لا . . لا تعودى فى غد لزيارتى فى المستشفى . . لقد كان ما بيننا حباً لا مثيل له فى الحياة ، ولا أريد أن يصبح شكراً أو عطفاً . . لقد أضعت أكبر شىء أحببته فى حياتى ، وهو حبى ، ولم يبق لى شىء لتنقليه . . فحتى لو أحببتنى اليوم فليس هذا هو الحب الذى أردت . . لقد كنت أريده حباً خالصاً طلقاً واسعاً سعة الأرض والسياء . . سعة الأمل والحياة . . ولست أنت التى تستطعين أن تقدمى هذا الحب . . فلا تعودى . . لا . . لا تعودى .



تحمين المشحروب

مهيب هو الشيخ حمدان : طويل فارع الطول ، في وجهه صلاح ، وفي سمته تقوى ، وفي مشيته جلال ، وفي لحيته خشية ، وفي جبهته علامة الصلاة . أنت لا تعرف مدى التوقير الذي يعظى به الشيخ حمدان في قريته ميت ريحان من أعيال مركز الدلجمون التابع لمحافظة الدقهلية . والأطفال في القرية يعظمون الشيخ حمدان ، فإذا مر بهم وكانوا يلعبون الحكشة توقفوا عن اللعب مخافة أن تضرب الكرة في رأس الشيخ حمدان أو عيامته . . وإذا مر بهم وكانوا يتصايحون تخافتت أصواتهم . وإذا مر بهم وكانوا جلوساً وقفوا ، فهكذا يرون كبارهم يفعلون . والنساء في القرية يحطن الشيخ حمدان بآيات لا حصر لها من الإجلال . فهو عندهم رجل القرية الأولى ، إليه يلجأون في المليات الكبرى من حياتهم .. فإذا أغضب زوج زوجته لا تجد قدما الزوجة طريقاً تسير فيه إلا الطريق الذي يقود إلى بيت الشيخ حمدان ، وإذا قست حماة على زوجة ابنها لجأت الزوجة المجنى عليها إلى الشيخ الجليل . وإذا استطالت زوجة على حماتها فالحياة لا تشكو الزوجة إلى ابنها وإنما هي تشكوها إلى الشيخ حمدان .

ورجال القرية جميعاً لا يعرفون ملاذاً لهم إلا الشيخ حمدان ، فإن نضب الماء فالشيخ حمدان ، وإن عدا جار على جار فالشيخ حمدان ، وإن عتا موظف فظلم فالشيخ حمدان ، بل العمدة نفسه يلجأ إلى الشيخ حمدان كلم استعظم عليه أمر أو تعقدت أمامه مشكلة . . الشيخ حمدان على صلة وثيقة باهل الحل والربط ، فهو يعرف مأمور المركز ، وبلغ به الشأن أنه عرف في يوم ما الحكمدار وهويعرف أطباء المستشفى ووكلاء النيابة . . ومفتش الصحة ومعاوني الزراعة . .

نعم أعرفهم جميعا ولكن ماذا يعود على من معرفتهم . بل ماذا يعود على من هذا الاحترام وهذا التوقير . . سبجن فظيع من الاحترام هذا الذي يحيطونني به لا أريده . . لا . .

لا أريده . . ولكن هل أستطيع أن أرفضه . . كيف أقول للناس لا تعترمونى . . لا أستطيع . . إنى أمثل عندهم أملاً دائياً . إنهم إذا ألم بهم ضيق ذكرونى فينفرج الضيق . . ماذا أقول لهم ؟ أنا لا أحب هذا التوقير الذي يجرموننى به ولا أطيق منه فكاكا في الوقت ذاته . . أنا في القرية أسير احترامهم ، سجين تكريمهم ، حبيس آمالهم . . ولكنى أيضاً إنسان لي آمالي وأحلامي ولي صبواتي ومزاجى . . لم يكن لي بد إذن من هذا الذي أفعله . لا يهمني شيء ما دمت بعيداً عن عيونهم وعن علمهم . . نعم في المدينة . . في المنصورة ألتقي هناك بصديقي عمران السيد عيونهم وعن علمهم . . الكأس الحلوة تحيطه كل ما تهفو إليه نفسي من جلسة محتمة وحديث . يهم هو يهييء أن ألعب الورق منذ كنت أتلقي علومي ألم هو يهييء أن ألعب الورق ، أنت تعرف طبعاً أنني ألعب الورق منذ كنت أتلقي علومي القرية ، وهو أمام البلدة من ذوي النفوذ الذين القرية ، وهو أمام البلدة من ذوي النفوذ الذين الجياً إليهم إذا حزب أمر أو استعصت مشكلة . وهو في اختياره لزملاء الورق حريص كل الحرص . فهم قلة لا تزيد على النين هو ثالثهم ، أو ثلاثة هو رابعهم . ونشرب ونلعب حتى الحرص . فهم قلة لا تزيد على القرية فيا يشك أهلها لحظة في أنني ركبت السيارة عقب عشق الفجر أسداف الظلام فأعود إلى القرية فيا يشك أهلها لحظة في أنني ركبت السيارة عقب صلاة الفجر مباشرة .

لا أستطيع أن أظل مدين آمال أهل القرية . . ثم إننى بما أتيحه لنفسى من متعة أستطيع أن أحل لهم مشاكلهم ، فلولا هذه المتعة ما صفا ذهنى ولا أصبحت نفسى سمحة كريمة تسمع لهم فتطيل الاستاع ، وتصغى فتحسن الإصغاء في غير ضيق ولا ضجر . . إن الكؤوس التي أشربها من أجلهم هم . . وما أنا ؟ . . الست أملهم . . حلمهم ، وفرجهم عند الضيق ، ويشراهم عند الشدة . . ولكن ما هذا الحديث الذي تسوقه . . ماذا تريد أن تقص ؟ . .

الشيخ لا يعرف ما أريد أن أقص عليك ، ولكن سيعرف عها قريب فلا تعجل عليه ، لنترك الشيخ قليلاً ونلقى نظرة على عمران ، فهو شريك الشيخ فى قصتنا . . عمران السيموظف بمصلحة الطب الشرعى باللقهلية ، وهو من أسرة أغلب أفرادها على ثراء ، وإن كان هو بريئاً من هذا الثراء . . كان يملك فدانين وثيانية قراريط باعها جيماً واكتفى من الحياة بمرتبه وما يكسبه من القيار . . وعمران رجل وجيه يجب أن يصادق الأثرياء ذوى الوجاهة ويجب أن يقترن اسمه بالأعيان وأصحاب الشأن . والغريب أنه استطاع أن يصل إلى هدفه هذا مع الفقر المدقع الذي يعيش فيه .

فعمران حريص دائماً على أن يرتدى حلة نظيفة وقميصاً ورباط عنق أنيقاً ما وسعته الأناقة . ولم يكن وسعه في الأناقة كبيراً . وعمران متزوج وذو أولاد . ولكن الأسرة لم تكن تكلفة من أمره شيئاً فمرتبه جميعاً لمزاجه والأولاد ترعاهم أمهم بالمرتب الذي تتقاضاه من وظيفتها ولكن إذا مرض طفل لها لم يكن عمران في هذه الحالة يستطيع أن يمنع قلبه من هذا

النبض العنيف ، ولا كان يستطيع أن يرد عن نفسه هذه الغصة التي تعتصر المشاعر جميعها . حينئذ كان يبذل ما يستطيع من مال ، ربك هو الذي يستر . آخر جنيه معى دفعته ثمناً للدواء وقعدت في القهوة لا أملك مليباً وكنت أعرف أن زوجتي قد أنفقت ما معها جميعاً على مرض ابننا عمود . فالبيت _ والحمد لله _ ليس فيه مليم وجبيى أكثر فقراً من بيتي وأنا في المقهى على الحميد المجيد لا أملك شيئاً . . نعم أستطيع أن أطلب فنجان القهوة ، فهو على الحساب . بل أستطيع _ إن شئت _ أن أطلب كأس كونياك فهو على الحساب أيضاً . ولكنى لا أستطيع أن أشترى سيجارة ، فالسجائر ليست على الحساب ، وفجأة أقبل الشيخ حمدان فذعرت . . فأنا لا أقبل أبداً أن يطلب لى أحد شيئاً ولا أرده له . وأنا أعرف أن الشيخ حمدان يجب أن يشرب في هذا المقهى كأسين أو ثلاثة من الكونياك في هذه الحجرة البعيدة عن الأنظار . ومعنى هذا أنني سأضطر أن أشترى له من الكونياك قدر ما يشترى لى . . هكذا خلقت . مهها يكن الفقر الذي أعانيه لا أقبل أبداً بحال من الأحوال أن يأتى لى أحد بمشروب _ مهها يكن ثمنه غالياً _ ولا أورده له .

جاء الشيخ حمدان وحيا . .

- ـ لماذا تجلس هنا؟
- _ وأين تريدني أن أجلس؟
 - ــ ألا تعرف ؟
 - _ آه . . تقصد الحجرة ؟
 - ۔ فهمتنی .
- ــ الدنيا حر . . اقعد هنا قليلًا في الهواء .
- ـ أى هواء ياشيخ . قم إلى الغرفة الداخلية . . الهواء فيها أحسن .
 - الهواء أم الكونياك؟
 - ... اسكت . . لا تفضحني .
 - ـ يا عم الشيخ حمدان اقعد وصل على النبي .
- ــ اللهم صلّ عليك يانبي . وهل تظن أنى جئت من ميت ريجان الأجلس في الهواء . . إن كان عن الهواء فهواء ميت ريجان أحسن من هنا ألف مرة .
 - _ ولماذا لا تشرب هذا المدعوق في ميت ريحان وتخلصنا ؟
 - _ هل جننت . . ألا تعرف ماذا أنا هناك؟
 - ــ أعرف . . أعرف .
 - _ قم يا أخى إذن ولا تطل . .

وقمت ودخلنا إلى الغرفة وأنا أدعو الله ألا يطلب الشيخ ريحان أكثر من كأس أو كأسين ولكن المصيبة أن نهمه للخمر في هذا اليوم كان لا نهاية له ولذلك توقفت أنا عن الكأس الثالثة وتركته هو يكمل وحده وشرب . . وشرب وراح يتكلم وأنا أفكر في جيبي الخاوى . . يا أخي فعلا ربك هو الذي يستر . .

- ـ هل جثت خصيصاً من أجل الشرب؟
- لا . . كان عندى شغلة . . إنما قل لى . . هل سنلعب الليلة ؟
 - ۔ نلعب ؟
 - ـ نعم نلعب .

هى فرصة فعلًا . . استطيع أن أستلف من الشيخ حمدان جنيها أو اثنين ألعب بها وأدارى الفقر الذي أعانيه .

- ـ نعم نلعب ولماذا لا؟
 - ــ هيا بنا .
 - إلى أين ؟
 - ـــ نلعب .
 - 9 1869
 - _ وما عيب الآن؟
 - ــ لم يحن الوقت .
 - ـ نتظر إذن ؟
- ــ طبعاً ننتظر . هل معك نقود؟
 - ــ كثيرة .
 - ـ كثيرة ؟
 - _ لا أغرف عددها.
 - لا تعرف عددها؟
 - ـ وشرفك لاأعرف عدها.
 - _ کیف ؟

بعت ذرة وبعت أرزاً وكان معى مبلغ كبير لا أذكر كم . ووضعت الفلوس على بعضها البعض ولم أعد . . الله يسترك يا حموان حد الفلوس لأننى أصبحت لا أستطيع العد .

إلم اقل لك ربك هو الذي يستر . . أخرج من جيوبه ما فيها من جنيهات ورحت أعد . . الرجل سكران وهو لا يعرف ماذا في جيبه وهو سيلعب الورق . أين أجد فرصة مثل هذه في العمر كله . . كان المبلغ أربعهائة وأربعة وسبعين جنيهاً . . صححت المبلغ . . جعلته أربعهائة

وأرجعته له . . وناديت خادم المقهى ودفعت له ثمن الكونياك الذى طلبته فانت تعرف طبعاً أننى لا أقبل مطلقاً أن يشترى لى أحد مشروباً ولا أرده له .

أهذه هي الحكاية التي تريد أن تحكيها ؟ لقد عرفت جزءاً منها ولم تعرف البقية . . ألها بقية يا عم الشيخ ؟ لا بد أن تعرف البقية . .

ذهبنا في هذه الليلة ولعبنا حتى أوشك الصبح أن يطلع فقمت إلى السيارة وأخدتها إلى ميت ريحان ونحت ليلتى وفى الصباح عن لى أن أعد فلوسى فأنا أعرف أن المبلغ الذى كان فى جيبى حوالى خمسين جنيها تنقص جنيها أو اثنين ، وقبضت عربون الذرة ماثتين وخمسة وعشرين جنيها وقبضت عربون الأرز ماثتى جنيه وخسرت فى اللعب ثلاثين جنيها فكان يجب أن يكون معى أربعيائة وخمسة وأربعين جنيها قد تنقص جنيها أو اثنين ، ولكنى وجدت المبلغ ثلاثيائة وسبعين جنيها . طبعاً عرفت أن عمران طمع فى الفرق وأخده . . اتصدق بالله لم أساله . إنه رجل حساس إذا سألته سيغضب وإذا غضب لن أجد من يشاربنى الكاس ولا من يبيىء لى حساس إذا سألته سيغضب وإذا غضب لن أجد من يشاربنى الكاس ولا من يبيىء لى اللعب . . كتمت الأمر لم أقله إلا لك الآن . . ولكن قل لى من أخبرك أنت ؟ لعله عمران . نعم فهو دائياً يجب أن يفخر بأنه لا يمكن أن يسمح لاحد أن يقدم له مشروباً ولا يرده . . إنه فعلاً لابد أن يرد المشروب . . رجل طيب عمران وكريم وحساس ، الله يجازيه .



• السباحة في الرمال



لحظة سمادة

كان سعيداً منشرح الصدر وهو يفكر . . كانت لحظة من هذه اللحظات القليلة التي يشعر فيها الإنسان أن الحياة تعطيه بقدر ما يريد منها أن تعطيه ودون أن يدرى السبب راح يفكر في السبب الذي بث في نفسه هذه السعادة التي يشعر بها وما لبثت هذه الفترة أن بعدت عن مسار تفكيره . . وما لبث أن قال لنفسه اني سعيد لأني سعيد . . . وأخشى ما أخشاه أن أبحث عن أسباب سعادتي وانقلب بفعل يدى تعيساً وأسباب التعاسة دائماً أكثر وفرة من أسباب السعادة . . وهل هذا كلام رجل سعيد . . . إنه كلام أي إنسان ولكنك لست أي إنسان . إنك رجل سعيد . . . حسناً فلأظل سعيداً إذن دون محاولات سخيفة لتعمق أسباب السعادة . . . هل هي قليلة لدرجة أنني السعادة . . . هل هي قليلة لدرجة أنني أقتنصها من الحياة اقتناصاً ولا أحاول حتى أن أبحث أسبابها وما دعت إليه . . .

إنى سعيد بزوجتى . . . ولكن سعادتى بها لا تكون لى لحظات سعادة . . . أنا أحبها وأعلم أنها تحبنى . . . وهى شريفة بحكم تكوينها وهى تعمل دائماً على إسعاد بيتها وليس بينى وبينها إلا هذه المشاجرات التى تدل على أننا أحياء ولو أنها مشاجرات كثيرة وعنيفة فى بعض الأحيان مما ينبىء على أننا أحياء جداً . . . ولكنها جميعاً مشاجرات طبيعية لا بد أن تنشأ بين اثنين نشأ كل منها فى بيت ثم جمعها بيت واحد يعلمان أنها سيقضيان فيه ما بقى لهما من حياة . . . قد تشعر هى بالضيق أحياناً أو قد يشعر هو بالضيق أحياناً وقد تكون هذه الأحيان كثيرة وقد تتلاقى هذه الأحيان من الضيق فتكون مشاجرة لو بحث كلاهما أو أحدهما عن سببها لا تضح على الفور مقدار سخافتها .

لماذا أفكر في كل هذا . . . من أجل لحظة سعادة . . . ألم تكن لى لحظات سعادة كثيرة وأنا طفل . . . لماذا يقول الناس طفولة سعيدة . . . أظن السعادة هنا يقف وراءها الجهل . . إنهم سعداء لأنهم لا يعرفون كيف يكونون تعساء . . . ولكنى مع ذلك أذكر فى طفولتى لحظات سعيدة . . والآن فقط أدرك أننى كان يجب أن أعتبر طفولتى سعيدة . . . يبدو أن الأطفال يعتبرون سعادتهم قضية مسلما بها لا تقبل النقاش . . . فحياتهم مهما تكن سعيدة يعتبرونها هم عادية . ولا يذكرون منها إلا لحظات السعادة الخارقة للعادة ولحظات التعاسة العادية . . كانت لحظات سعادتي هي تلك الأوقات التي أقضيها في قراءة القصص . . . قصص الأطفال . كنت أحس أننى أعيش في عالم آخر غير هذا الذي أعيش فيه .

لماذا يعتبر البعد عن العالم الذي أعيش فيه سعادة . . . لماذا يقول الناس هذا دائماً كلما أحبوا أن يعبروا عن سعادتهم . . . هل العالم الذي نعيش فيه سيىء إلى هذا الحد وإن كان سيئاً أهو هكذا بالنسبة للأطفال . . . لماذا يحبون أن يعبروا إلى عوالم أخرى من قصص علاء الدين والسندباد وعلى بابا والأربعين حرامي وقصص الجان وغيرها وغيرها .

والكبار ... ألا يتشبثون بعالم آخر ... ما الحياة عندنا إذا كانت هي هذه الحياة فقط ... سبحان خالق الناس ... عرف نفوسهم وعرف حياتهم فوعدهم بحياة أخرى يلقون فيها السعادة التي لم يعرفوها من الدنيا ... ولكني الآن سعيد ... لحظة ... أو لحظات ثم تعود الحياة حياة . أقصى ما أطمع فيه منها ألا ترزأن بلحظات تعاسة وتصبح أيام الملل والوتيرة الواحدة سعيدة ... سعيدة لأنها ليست تعيسة ...

إننا نبحث في حياتنا هذه عن السعادة من أي سبيل . . . نرى السعادة في نظرة إلى أبنائنا . . . في أبنائنا . . . في ابتسامة على شفة لهم . . . في ضحكة . . . في مجرد جلوسهم أمامنا مشغولين عنا بالنظر إلى التليفزيون .

ما السعادة التي يهبها لنا أطفالنا . . ما هي ما قبل الرعب الذي يلقون به في نفوسنا . . . الهول المبين الذعر الآخاذ الوبيل . . . إذا مرض أحدهم أو إذا وهمنا أن مرضاً يهدد واحداً . . . وحين يزول المرض وحين يزول الوهم تعود نفوسنا إلى الصفاء وتعود إلينا السعادة . . . ما أعظم الثمن الذي ندفعه لقاء السعادة من أطفالنا .

ويل لى لحظة سعادة واحدة تفعل بى هذه الأفاعيل . . . ماذا أحاول أن أعرف . . . هل فرض على فرضاً أن أبحث عن سبب هذه السعادة . . . ألا يكفيني أني سعيد . . .

لنبحث أولاً . . . ما هي أعراض السعادة التي أعانيها . . . ويلى ألا أعرف أعراض السعادة أهذه أيضاً تحتاج إلى شرح . . . ألا أعرف هذه الإشراقة التي تشيع في النفس فإذا النفس بهجة وإذا هي متطلعة إلى المستقبل الوردي الصافي وإلى الحاضر وكأن سعادة العالم تجمعت فيه . . . هذه هي حالى الآن . . . لماذا . . . وما يهمك لماذا ما دمت سعيداً . . . ألا تخشى أن تفقد سعادتك وأنت تبحث في هدوء دون هذا البحث السخيف . . . ونتفلسف أيضاً

وتريد أن تظل سعيداً . . . يقولون إن الفلاسفة هم السعداء بل يقولون إن السعداء هم الجهلاء . . كلا القولين غير صحيح . . . فأنت سعيد ولست جاهلاً إلى درجة أن يقال عنك جاهل ولست فيلسوف . . . ولكننى لست سعيداً . . . ماذا هم فل فقدت السعادة . . . أقصد أننى لست سعيداً سعادة الفلاسفة ولا الجهلاء . . . كل ما فى الأمر أننى أشعر بلحظة سعادة . . . لعل لقاءك بالأمس مع سهام أمدك بهذه السعادة . . فقد أحسست بالسعادة فعلاً في لقائي معها ولكن اللقاء كان يشغلني عن الشعور بالسعادة . . . وانتهى اللقاء وعدت إلى حياق اليومية ومرت بى لحظات رضى ولحظات ضيق فلا شأن لسعادق الراهنة بلقائي مع سهام . . . هى حبى وهى الوحيدة في هذا العالم التى تستطيع أن تمسح عن المشي خولها وآلامها وأنا أسعد بلقائها وأهب لها كل ما تريد ولكن الحياة تلاقيني بعد ذلك وأرى فيها الشر وأحيا كما يحيا الناس حتى التقى مرةأخرى بسهام . . . فهذه السعادة فيها الخير وأرى فيها الشر وأحيا كما يحيا الناس حتى التقى مرةأخرى بسهام . . . فهذه السعادة التي أحسها إذن سعادة جديدة من نوع آخر يتنابني بلا مقدمات ولهذه أبحث عن أسبابه . . . الغي أحسها إذن سعادة جديدة من نوع آخر يتنابني بلا مقدمات ولهذه أبحث عن أسبابه . . . الغسي أم لما أقدمه لها من مال . . . إنني أقدم المال وأسعد . . . لا شيء يهم بعد ذلك . أم تراه ليفسي أم لما أقدمه لها من مال . . . إنني أقدم المال وأسعد . . . لا شيء يهم بعد ذلك . أم تراه يهم . . . ؟ !

لعلك سعيد لهذه المرافعة الرائعة التي قدمتها في قضية الأمس . . . أهي المرافعة الوحيدة التي رضيت عن نفسي فيها . . . إنني أعمل في المحاماة منذ سنوات طويلة ويقولون إنني محام ناجع وأعرف أنني ناجع ومعرفتي هذه تجعلني ألتقي بكل قضية وأنا أحتشد لها وكأنني محام ناشيء ثم أحتشد لها ووراثي تاريخي الطويل في ساحة القضاء . . . أرى أنك بدأت تترافع . . . طبيعة . . . ماذا أفعل فيها . . . المهم أن لحظة السعادة التي أمرح فيها الآن لا صلة لها بجرافعتي .

اسمع . . . ألا يجوز . . . عجرد فكرة لا تسخر منها . . . ألا يجوز أن يكون حديثك التليفوني مع صديقك إسهاعيل قد أرسل إليك بهذه اللحظة السعيدة . . . أرى أنك بدأت تخرف . . . إننى كثيراً ما أحادث الأصدقاء ولا شك أنهم يرسلون الدفء إلى قلبى ولكن لو أننى شعرت بهذه لمجرد حديث مع صديق لأصبحت حياتى كلها سعادة بلهاء . . . سعادة لا قيمة لها لأنها ستصبح سعادة غبية سخيفة .

اسمع , . . طالما سمعت . . . اسمع ولا تعقب . . . إنك سعيد لأنك سعيد . . . أهذا آخر ما وصلت إليه . . . ما أشد سخفك بل أنت السخيف . . . أرأيت أنك تريد أن تفسد على سعادتي . . .

اسمع إننى لن أبحث عن السبب . . . إنى الآن سعيد وَلَا يهم لماذا . . . إنى سعيد وكفى . . .



السباهة في الرمال

كان البحر هادئاً ولكن الشاب الذى يسبح فيه خائر القوى فهو يرفع رأسه يلقف نفسه ثم تغوص رأسه مرة أخرى فيمد يديه يرفع يديه لا تجدان إلا الفراغ وتهويان مرة أخرى خائرتين إلى المياه ويعود رأسه يشرئب في يأس ويهوى في عجز إلى الماء .

أنا لا أجيد السباحة . لو حاولت أن أنقذه من أنا وهو لا عالة نظرت حولى فوجدت شاباً فتياً يجلس فى زورق على الرمال ويحرك مجدافين فيمسان الرمال فى رفق ثم يرتفعان إلى الهواء والفتى ماض فى عمله هذا وكأنما يجدف فى الماء وكأنما يفضى إلى مكان يعرفه . فإن نظرت إليه خيل إليك أن الهدف أمامه واضح لا شك فيه .

وارتفع صوت الفتى الذى يغرق فى اليم . . . إرتفع فى يأس يطلب النجدة ومزقت صرخته كل نفس ولكن الفتى فى الزورق لم يلتف إليه وظل يجدف وكأنه فى عالم آخر .

- _ ألا ترى هذا الذي يغرق ؟
 - أراه وأعرفه.
 - -- أتعرفه ؟
 - ــ إنه أبي .
 - ـــ أبوك ؟ !
 - وأخ*ى* .
 - ـ وأخوك ؟ ا
 - وأم*ى* .
 - ــ وأمك ؟ !
 - ــ وزوجتي .

```
ـ وزوجتك ؟ ا
```

ــ واېني .

_ وإبنك؟!

ــ وابنتی .

_ وابنتك ؟!

ــ وكل ماضي وكل مستقبلي .

ــ فلماذا لا تذهب إليه بالزورق؟

ــ هذا الزورق لا يسير في الماء .

ـ إن الزورق لم يخلق إلا للماء.

ـ ولكن هذا الزورق لا يسير في الماء .

ـ وأنت الا تستطيع أن تنقذه . . . ألا تستطيع أن تعوم ؟

_ أنا أحسن سباح في العالم .

_ فلماذا لا تنقله ؟

_ أنا لا أسبح إلا في الرمال.

_ إن الرمال لم تخلق للسباحة .

_ وهل تُحلق الماء للسباحة ؟

ـ إن السباحة هي التي خلقت للماء

_ فانقذه _

ـ لا استطيع .

9 13ll _

_ إن أحداً لم يدعني .

_ هانذا أدعوك .

ــ ومن أنت؟

ـ بشر .

_ ولكن ماشأنك ؟

ــ إنسان يغرق.

_ وهل أنت مسؤول عن كل إنسان يغرق.

_ إنني مسؤول عن كل إنسان .

ـ من الذي ألقى عليك هذه المسئولية ؟

_ إنسانيتي .

_ مغرور .

- ــ إنه وقت النقاش .
- _ أبوك وأمك وزوجتك وابنك وابنتك وأخوك وماضيك ومستقبلك جميعهم يغرقون وأنت تناقش .
 - _ أنا لا أعرف إلا النقاش.
 - ــ فأعطني هذا الزورق .
 - ــ قلت لك إنه زورق للرمال فقط.
 - ــ أعطنيه ولا شأن لك .
 - _ لا تستطيع الاقتراب منه .
 - _ سأحاول .
 - ـ لا تحاول .
 - ـ بل لابد أن أحاول.

واقتربت من الزورق ولكن شيئاً جعلني أقف ولا أستطيع الاقتراب من الزورق ورحت أدفع جسمى بكل قوق ولكن بدون جدوى والفتى في الزورق يجدف وكأن شيئاً لا يحدث والفتى في البحر يغرق ويصرخ من حين إلى آخر ولكن بلا جدوى هو الأخر.

- _ أنا لا أستطيع فعلاً أن أقترب منه ولكنك أنت فيه فلهاذا لا تنزل به إلى البحر .
 - _ لقد أجبتك .
 - ... حاول .
 - ــ لا أستطيع .
 - _ ويغرق هؤلاء جميعاً ؟
 - ـ أنا أفعل كل ما أستطيع .
 - ... أنت تجدف في الرمال.
 - ــ هذا هو كل ما أستطيع أن أضنعه .
 - ــ ساصرخ .
 - _ اصرخ .
 - _ لعل أحداً يسمعني .
 - _ سيسمعك الكثيرون ولكن أحداً لن يجيب صراخك .
 - سلاذا . . . ماذا يجرى للناس؟
 - _ إن إنقاذه في يدى أنا وحدى .
 - _ فلمإذا لا تنقذه ؟
 - _ أنا أفعل كل ما أستطيع .
 - ـــ أنت لا تفعل شيئاً .

- _ هذا هو كل ما أستطيع .
- ــ إنه في البحر وأنت عَلَى الشاطيء .
 - ـ هذا قدره رقدری.
 - ـ لا تتكلم عن القدر .
 - ـ إنه قدره وقدرى .
- الجبناء وحدهم الذين يرمون أخطاءهم على القدر .
 - ـ المنطق العادي يحكم أفكارك.
 - ـ وأنت لك منطق ؟
 - ــ إنني أستخدم منطقي هنا .
- ــ وهل منطقك يجعلك تملك الزورق ولا تنقذ به أحداً ؟
 - ــ لأن هذا الزورق خلق للرمال فقط.
 - _ أهذا منطق ؟
 - ــ منطق لا تعرفه .
 - _ منطق جدید ؟
- ـ جديد أو قديم . . . لا أدرى وإنما هذا هو المنطق الذي أعرفه .
 - ـ ويغرق في البحر.
 - ـ لعله ينقذ .
 - _ کیف ؟
 - _ إذا قدر له أن ينقذ فسوف ينقذ .
 - ــ كم كنت أرجو أن أكون قادراً على إنقاذه .
 - _ وما الذي يمنعك؟
 - ــ لا أعرف السباحة . . . أو أنا على الأقل لا أجيدها .
 - ـ **ف**حاول .
 - ـ وإذا غرقت معه ؟
 - . ـ تكون قد أرضيت ضميرك .
 - _ وضميرك أنت؟
 - ـ لاشأن لك بضميرى . . . أرح أنت ضميرك .

وهممت أن أنزل، إلى الماء ولكن ثقتى أننى لا أجيد السباحة ردتنى ونظرت إلى الفتى يغرق ونظرت إلى الفتى يجدف في الرمال وأوليت الجميع ظهرى وانصرفت . . .

حكاية رجل بغيل

نشأ كما ينشأ أمثاله جيعاً من الأثرياء في الريف. فلم يكن ذا شأن في هذا الحين من الزمان فكان بحسب الطفل من هؤلاء أن يختم القرآن في الكتاب وأن يتعلم أصول الحساب وقواعده فإن كان ذا ميل شديد للدراسة أرسله أبوه ليكمل تعليمه في القاهرة فإن لم يكن فهو مقيم بجانب أبيه في القرية يعين أباه في شئون الحقل ويصبح من أعيان قريته فإن كان صاحب عقلية راجحة وكلام منمتى ، وإذا كان كريماً يحسن استقبال الناس ولقاءهم أصبح من أعيان المركز . فإن كان واسع الثراء صاحب شخصية يمكن أن تكون مرموقة أصبح من أعيان المديرية أو من أعيان المديرية أو من أعيان المديرية أو عبلس النواب الميلاد جميعاً إذا رشح نفسه في عجلس شورى القوانين الذي أصبح بعد ذلك عجلس النواب أو عبلس الشعوخ .

وهكذا اكتفى عبد القادر فهمى بأن يختم القرآن فى قريته الهدارة من أعيال مديرية بنى سويف بالصعيد كها تعلم قواعد المحاسبات على يد ميخائيل أفندى شفيق كاتب دائرة والده .

وكان عبد القادر يجد في مكتبة أبيه بعض الكتب القديمة فقرأها أبناء القرية المتعلم منهم وغير المتعلم فاصبح يجسن الإنصات .

وقد اعتمد عليه أبوه في أعمال الحقل والمحاسبة فكان يقوم بعمله خير قيام . فعلى الرغم من سعة الأرض وكثرة المحاسبات كان عبد القادر على علم بكل خافية من شئون الفدادين التي تبلغ ألفى فدان . وما لبث أن أصبح هو وحده القائم بأمر الأرض وكان أبوه يكتفى بأن ياخل الربع آخر العام . وكان أبوه يعطيه راتباً شهرياً خمسين جنيهاً . ولم تمر إلا سنوات أربع حتى فوجىء الأب بابنه يشترى مائة فدان .

ـ من أين دفعت الثمن ؟

- ــ من مرتبى .
- _ ألا تصرف منه شيئاً ؟
 - ــ ولماذا أصرف.
- _ ألا تحتاج إلى شيء ؟
 - ـ الأكل في البيت.
 - _ والملبس ؟
- _ تشتريه أنت في كل عام .
- _ ولكن مرتبك لا يكفى لشراء الأرض؟
- ــ لقد اتفقت مع البائع على أن أسدد له خسين جنيهاً كل شهر.
 - ــ وأنت .
 - _ إن سألتك شيئاً لا تعطه .

ولم يعرف الأب إن كان يفرح بابنه هذا المدبر أم يحزن ولكنه تركه وشأنه وإن كان قد أزمع في نفسه أن يعجل بزواجه فقد حزر أنه لو تركه دون زواج ما تزوج أبداً وخشى فهمى بك عبد المتعال أن تنقطع ذريته لتدبير ابنه ولا يجب أن يقول لنفسه نتيجة لبخل ابنه .

- _ أريد أن أزوجك .
- _ كم سيكلفك الزواج ؟ .
 - _ ليكلف ما يكلف .
- _ أعطني تكاليف الزواج ولا تشغل أنت نفسك .
- ــ هذا ما أخشاه . . . إنك ابني الوحيد فلو تركتك وشأنك ما تزوجت أبداً .
 - _ أنت مصمم إذن ؟
 - ـ كل التصميم .
 - ــ أمرك .

واختار الأب العروس فتاة من أسرة عريفة بالصعيد لابنه وخطبها دون أن يراها هو أو ابنه فقد كانوا في ذلك الحين يتزوجون من الأسرة العريفة ولا يهم أن تكون الزوجة جميلة أو غير جميلة . أما عبد القادر فقد ارتاح للزواج حين علم أن أبا زوجته يملك ألفي فدان وليس للعروس إلا أخ واحد ولم يكن محتاجاً لعلمه الواسع بالمواريث ليعرف أنها سترث عن أبيها إن آجلاً أو عاجلاً ما يقرب من السبعائة فدان فقد كانت أمها متوفية . إلى جانب بيت فخم بالقاهرة . وعد الأب أن يكون من نصيب الابنة لأنه أعد لأخيها قصراً آخر بالقاهرة أيضاً . وتزوج عبد القادر وعاش هو وزوجته نفيسة في بيت أبيه وكانا يذهبان أحياناً إلى بيت أبيها بالقاهرة . وكان الأب يعرف تدبير ابنه فكان هو الذي يعد لسفرهما إذا سافرا وكان الأب يعطى

لنفيسة مبلغاً من المال لتشترى به ما تشاء من القاهرة خوفاً من تدبير ابنه الذى لا يحب أن يسميه بخلاً ـ إذا هو أعطاه المال دون زوجته .

وحتى ذلك الحين لم تكن مواهب عبد القادر قد تكشفت فأبوه هوالذى ينفق عليه وعلى زوجته ولكن نفيسة لاحظت على زوجها عدم عنايته بملبسه فكانت هى التى تعتنى بها كما لاحظت أنه لا يعتنى بنظافة جسمه فكانت تصر أن تفرض عليه النظافة فرضاً ويخضع هو صاغراً . فقد كان ذهنه جميعاً منصرفاً إلى القيام بشأن الأرض وتدبير مبالغ لشراء أرض أخرى .

ولم يطل الأمر بالزوجة فقد توفى أبو الزوجة وأثبت عبد القادر وجوده الرائع فى المحافظة على حقوق زوجته فاستخلصها كامله غير منقوصة واراد أن يبيع بيت القاهرة ليشترى بثمنه أرضاً ولكن زوجته التي بدأت ترى بوادر حقيقته الفذة أصرت أن يبقى لها بيت القاهرة .

- لا تنس إننا ننتظر ابننا وسيحتاج إلى تعليم ولن نبقى فى القرية طول عمرنا . واقتنع . أو هو لم يكن يملك إلا أن يقتنع فقد أصرت الزوجة على موقفها .
 - ـــ وشيء آخر .
 - ـــ ماذا أيضاً .
 - ــ أريد مائة جنيه شهرياً من ريع أرضي .
 - _ ماذا ؟
 - ــ هذا خير من أن أكتب توكيلًا لأخى سلامة ليدير هو الأرض.
 - _ وكأنما هددته بالموت بل لعل الموت بالنسبة إليه أهون من هذا التهديد .
 - ـــ ولك هذا أتريدين شيئاً بعد ذلك؟
 - ــ افعل بعد ذلك ما تريد .

فقد ضمنت هى أن تعيش ولا شأن لها بزوجها بعد ذلك . . . فقد كان كثير الحديث عن رغبته فى التملك وكانت تخشى أن تجوع هى وأولادها فى سبيل أن يزيد عبد القادر من أملاكه . وأنجبت ابنها الأول ورآه فهمى بك واطمأن على أن ذريته باقية ثم مات .

مات وانفرد عبد القادر بالأرض وبدأت مواهبه تظهر على حقيقتها .

- ـ مصاريف البيت ياعبد القادر.
 - _ والمائة جنيه التي تأخذينها؟
 - _ هذا من مالي .
 - ــ وهل لك مال ولى مال؟

- _ اسمع إما أن تدفع خمسين جنيها في الشهر مصاريف البيت أو . . .
 - ـ لا تكملى . . .
 - ــ إذن . . .
 - _ ساخبرهم في الدائرة أن يصرفوا لك خمسين جنيهاً كل شهر .
 - _ ولماذا لا تعطيني أنت؟ .
 - _ وأنت ما شأنك .
 - _ خبايا البيوت لا يجوز أن تعرفها الداثرة .
 - ـ انت تأخذين هذا المبلغ رغم أنفى ويدى لاتطاوعني أن أدفعه .
 - ــ أنت حر .

واصبحت الدائرة تعطى نفيسة خسين جنيهاً فوق المائة وانطلق عبد القادر يبحث عن الأرض رحلة طويلة يقطعها كل يوم يمر بالأرض ويستخلص كل مليم يمكن أن يستخلصه كل ما يهمه ألا يدفع وأن يجمع .

حين مات ميخاثيل كان لا بد له أن يعين كاتباً جديداً .

- _ كم تأخذ يا ابني في الشهر؟
 - _ كم تدفع
 - _ ثلاثة جنيهات .
 - _ وهل هذا معقول ؟
- ... ستسرق أنت عشرة فليكن مرتبك ثلاثة .

المهم ألا يدفع . وقد كان يدرك أن الكاتب سيسرق على كل حال مهما يغدق عليه فى المرتب فليستفد هو من المرتب وليسرق الكاتب بعد ذلك .

كانت الأموال السائلة التى تركها أبوه تكفى لشراء ألف فدان فاشتراها وأصبحت أملاكه فى بنى سويف ثلاثة آلاف فدان وأخذ نفسه ألا ينفق هو على نفسه شيئاً وقد كان رداؤه رداء المشايخ فهو يلبس العمة والجبة والقفطان جرياً على عادة أعيان الصعيد . وقد كان أبوه هو الذى يشترى له الملابس فلما مات أبوه أصبح لا يشترى شيئاً وقد جاهدت نفيسة جهداً شاقاً أن تجعله يشترى لنفسه بعض الملابس فكان جوابه الوحيد والدائم :

- ــ لك المائة والخمسون جنيهاً وليس لك بعد ذلك شيء . وأصبح الأولاد ثلاثة وهو لا شأن له بهم . وضاقت نفيسة بالقرية ويزوجها .
 - _ أريد أن أذهب إلى القاهرة.
 - ــ وأنا .

- _ أنت حر .
- ــ لن تأخذى مليهاً واحداً أكثر مما تأخذين.
- ' ـ لا أريد شيئاً فقط أريد أن أذهب إلى القاهرة .

ومنذ ذلك الحين أصبحت تسلية عبد القادر إذا خلا به الليل أن يفتش عن القمل في ملابسه ويقتله وأن يرتق هذه الملابس حتى لا تبين عها تحتها من قذارة أو حتى يسلى نفسه فها كان يهمه أن يبين منه القذر.

وفى يوم اشترى أرضاً وكان لا بد أن يسجلها بالقاهرة فذهب إلى بيت زوجته وصعد إليها في الطابق الأعلى ورأت هيئته الجديدة فصرخت :

- _ ماذا بك؟
 - ــ ماذا .
- ـ ما هذا الذي تلبسه؟
 - <u>...</u> ملابس .
- _ ألا يغسلها لك أحد.
 - ــ لقد تركتني .
- عشرة قروش لأى فلاحة تغسل ملابسك.
 - _ أنت لاشأن لك بي.
- _ إلى هنا ولى شأن . . . يا محمد . . . يا حسين .
 - وجاء الخادمان . . .
- ــ هذا الشيخ لا يصعد إلى الطابق الأعلى إلا بعد أن يستحم بالطابق الأسفل وتغير له ملابسه .
 - ... لن أشترى أي ملابس.
 - ـ سأشتريها أنا .

ومنذ ذلك اليوم أصبح عبد القادر لا يستحم ولا يغير ملابسه إلا إذا زار بيته فى القاهرة . وقليلا قليلا ماكان يزور بيته فى القاهرة .

_____ (یشتری أرضاً بالمنصورة)

كان لا بد أن يكون لعبد القادر أصدقاء . . . وقد كان له أصدقاء فعلا . . . وقد أحسن اختيارهم انهم السياسرة وقد كان مع السياسرة أميناً في المعاملة لا حباً في الأمانة ولكن حباً في عقد الصفقات الرابحة . وقد كان عبد القادر يعطى السمسار حقه كاملا غير منقوص وغير زائد

أيضاً بطبيعة الحال . وقد دله سمسار على صفقة مع رجل ألمانى يملك أرضاً بعزبة قريبة من المنصورة كان الألمانى مهتماً بها غاية الاهتهام فقد بنى بها بيتاً أرضيته من الخشب الباركيه وبنى بها بيتاً آخر لناظر العزبة وأجرى الماء فيها داخل قنوات من الأسمنت المسلح وبها تروللى يمر على كل

شبر من الأرض وقد كانت العزبة تستطيع أن تجد مشترياً خيراً من عبد القادر فعبد القادر لا يعنى بالبيت المنشأ . ولا يهمه في شيء كيف يجرى الماء ولا يهمه أيضاً أن يلف العزبة راكباً التروللي فإن قدميه عن التروللي .

ولكن استفاد من وجود هذه الأشياء أن صاحب العزبة كان مهتماً بها والواقع أن في إطلاقنا على الأرض كلمة عزبة ظلماً كبيراً لها فهي تفتيش واسع مساحته ألف فدان . والفرصة التي أتيحت لعبد القادر أن صاحب التفتيش يريد أن يبيعه في أسرع وقت وأن يحصل على الثمن كاملاً .

فحين قصد السمسار إلى عبد القادر قصد إليه وهو يعلم أنه يكاد يكون الشخص الوحيد اللي يجد معه المبلغ كاملاً .

كان الفدان يساوى فى ذلك الحين مائتى جنيه ولكن عبد القادر الذى أدرك الموقف استطاع أن يشترى الفدان بمائة جنيه والبائع لم يجد حيلة للمناقشة فأين يجد رجلا يملك مائتى ألف جنيه جاهزة ويريد أن يشترى أرضاً لعله كان يجد له لو كان ملك فسحة من الوقت ولكن لا وقت . وهكذا انقض عبد القادر على الصفقة انقضاض النسر . وسافر فى سيارة المالك الألمانى وطاف بالأرض طوافاً سريعاً ولم يلق أى اهتمام بالبيتين ولا بالتروللي ولا بقنوات الماء . واستطاع أن يخفى فرحته باتساع الأرض فقد كان عبد القادر يملك وجهاً فريداً فى نوعه فإن رأيته خيل إليك . .

أنه يلبس على وجهه قناعاً من المطاط الرقيق لا تبين فيه خلجة فرحة ولا نامة سرور ولا علامة حزن وإنما هو وجه بلا أى تعبير ولولا إفرازات عينيه التي لا تنقطع عن جوانبها لتأكد لدبك أنه يضع هذا القناع اللهم إلا إذا أمسكت بوجهه لتتأكد أنه بشرة آدمية لا صناعة فيها . . . وما أظنك ستفعل فإنه بملابسه التي توحي إليك بمقدار قذارته يمنعك إن كنت بمن يحبون النظافة أن تفعل ولهذا لم يكن غريباً على أحد عظهاء الصعيد ما كان يفعله مع عبد القادر كلها ذهب لزيارته فقد كان يجلس في آخر الحجرة وما يكاد يلوح عبد القادر عند الباب حتى يعاجله عظيم الصعيد بقوله :

ـ عندك وقل ما تريد .

ولم يكن عبد القادر يغضب لكرامته فمسألة الكرامة عنده ليست ذات بال . كان يقف ويقول ما يريد ويقضيه له العظيم أو لا يقضيه حسب الموضوع المطروح .

وكان عبد القادر يسخر من العظيم في نفسه فهو يملك آلاف الأفدنة بينها العظيم مدين مع غناه لأنه كان ينفق أكثر من إيراده على وجاهته

وهكذا طاف عبد القادر بالتفتيش وعاد إلى المقاهرة . وإياك أن تظن أن معنى عودته إلى القاهرة أن يعود إلى بيته . إنه كان يبيت في لوكاندة بسيدنا الحسين تؤجر فيها الغرفة بعشرة قروش وكان يستأجرها الغرفة كاملة لمبيته وكان يجد هذا أوفر من ذهابه إلى البيت فقد تطالبه زوجته بمال . . إنه لن يعطيها ولكن المطالبة نفسها لا يطيقها ثم هو سيواجه على كل حال بهذا الحهام والملابس وقد كان لا يحب أن يلبس هذه الملابس النظيفة لأنها قد توحى للناس بغناه وهذا في ذاته سبب كاف أن يبقى على نفسه هذه الملابس المهلهلة . . . ثم بماذا سيتسلى إن لبس النظيف من الثياب وتركه القمل الذي يجمعه آخر الليل إذا خلا به الليل .

عاد إذن إلى القاهرة وأصبح الصباح فكان هويستقبل إشراق الشمس مع أن موعده مع البائع كان في الرابعة من بعد الظهر . . . نزل من اللوكاندة فأفطر وكان إفطاره رغيفا من العيش وبنصف قرش طعمية ثم دلف إلى مسجد الحسين نتوضاً وصلى الصبح . . وظل جالسا بالمسجد لا يصنع شيئا حتى إذا اقترب موعد صلاة الظهر قام قاصدا مسجد السيدة زينب ليصلى الظهر . وهناك وجد متصدقا يوزع العيش والفول النابت على فقراءالمسجد . . الحمد لله لقد أتانا غداؤنا . . . ولم يكن الموزع ليجد أصلح من عبد القادر في مظهره ليتصدق عليه مما يتصدق به على الفقراء . . وهكذا تناول عبد القادر غذاءه بل وأخذ أيضاً خمسة تعريفة كانت ضمن النذر الذي يوزعه المتصدق . وفلسفته بسيطة لا تحتاج إلى نقاش . . . خير جاء لى من عند ربنا ، هل أرده .

(أول زيارة لتسلم الأرض)

عبد القادر لا يعرف من درجات القطار إلا الدرجة الثالثة وأظن أننا نكون سخفاء لو حاولنا أن نسأله عن الدرجتين الأخريين . . ولكنه يجيب على كل حال . . . ألا تصل الدرجات الثلاث في وقت واحد . في هذه الليلة لم يشأ أن يبيت في اللوكاندة فقد حزم أمره أن يأخذ القطار الأول إلى المنصورة في معنى أن ينفق عشرة قروش في اللوكاندة فلهاذا إذن خلقت هذه الأرائك المنشورة في محطة مصر فإن لذعه البرد فالبركة في الجبة يتغطى بها وينام ليلته في المحطة

ويوفر ثمن اللوكاندة وأجرة تذكرة الترام من الحسين إلى المحطة . . . فوائد كثيرة يجنيها من بياته على هذه الأريكة وقد فعل . ومن المنصورة استقل قطاراً آخر أنزله في أقرب محطة من التفتيش . وأقرب محطة من التفتيش تبعد عنه ثلاثة كيلو مترات يستطيع أن يمشيها . فقد أخذ

درساً من صاحب حمار كان يحاول يوماً أن يستأجره ، كان ذاهباً إلى إحدى تفاتيشه ونزل باقرب عطة من التفتيش وكانت المسافة بعيدة بعض الشيء خمسة كيلو ووجد فلاحاً ومعه حمار فركب الحمار وحين استقر عليه نظر إلى الفلاح .

ـ كم تأخد لتوصلني إلى التفتيش؟

وكان الفلاح يعرفه ويعرف سمعته العريضة.

- ــ خمسة قروش .
 - _ صاغ .
 - _ كثيرة .
- ــ اسمع سأدفع لك ثلاثة تعريفة .

ويبدو أن الفلاح لم يكن معجباً به ولا بما يسمعه عنه فإذا هو يدفعه دفعة قوية تلقيه عن ظهر الحيار ليصبح طريحاً على الأرض ويقول له :

ـ والله لا أوصلك حتى لو دفعت خمسين قرشاً .

ومنذ ذلك تعلم ألا يستأجر حماراً إلا عند الضرورة القصوى . وقد كان يستطيع فى يومه هذا الذى يزور فيه تفتيش الألمانى لأول مرة أن يكلمهم بالتليفون فقد كان بالتفتيش تليفون وكان يستطيع أيضاً أن يرسل لهم تلغرافاً لينتظروه بالحنطور الذى كان ضمن ما اشتراه فى التفتيش ولكن المكالمة التليفونية أو التلغراف كان لا يمكن أن تكون عجاناً أما المشى فإلى جانب أنه رياضة فهو أيضاً لا يمكلف شيئاً .

كان القائم بشأن التفتيش عمدة الناحية وكان رجلا وجيهاً يحب أن يعيش في رغد عيشة كريمة لا بخل فيها فهو محترم في منطقته يحظى بتقدير الفلاحين وأعيان الناحية .

ولم يكن المفتش حاضراً فى المرة الأولى التى جاء فيها عبد القادر ليطوف بالأرض ولكنه طبعا عرف أنباء الزيارة جميعاً ولم ينس من قصوا عليه هذه الأنباء أن يصفوا له المشترى الجديد . ولم يكن محتاجاً لهذا الوصف فقد كان رجل مجتمع وكانت أنباء عبد القادر أو معظمها قد وصلته .

كان المفتش جالساً مع الكاتب والخولى وبعض الفلاحين حين أقبل عليهم عبد القادر في ملابسه الرثة .

- _ السلام عليكم .
- ودون ريث تفكير قال المفتش.
- ـ يعطيك ربنا يا عم الشيخ .

ولم تهتز كرامة عبد القادر فهى قد عودت هذه النظرة ولم يعد صاحبها يهتم بمثل هذه التفاهات للناس أن يقولوا وأن يفعلوا ما يشاءون وله هو أن يتمتع بمتعاته الخاصة كها يشاء .

_ أنا عبد القادر فهمي .

وانتفض الجميع وسارع المفتش الذي كان يغمزه أحد الفلاحين في يده بعد فوات الوقت .

- سه لا مؤاخذة يا سعادة البك اللي ما يعرفك يجهلك .
 - ــ لا مؤاخذة ولا يجزئون هيه كيف الحال .

وجلس وطلب دفاتر الحسابات واستأذن المفتش لحظة ونادى أحد الفلاحين وانتحى به ناحية .

- ـ اذهب إلى البيت واطلب إليهم أن يذبحوا أوزة ويجهزوا الغذاء .
 - _ إنه لا يستحق .
 - ـ يا جدع اخرس إنه صاحب التفتيش.
 - ـ خسارة فيه .
 - ــ اجر ولا تتلكع .

ويذهب الرسول إلى البيت ويعود المفتش إلى مجلسه مع عبد القادر ويبدأ عبد القادر في مراجعة الحسابات وينتهى النقاش بأن يطلب منه المفتش مائة وخمسين جنيهاً قيمة إصلاحات لأدوات زراعية واستهول المبلغ.

ـ ولكن الزراعة محتاجة لهلمه الأدوات.

فظل يناقشهم ويعنف بهم في النقاش حتى نزل بالمبلغ إلى ثلاثين جنيهاً .

وحينئذ كان الغذاء قد أعد ووجد عبد القادر نفسه أمام وليمة هائلة وقد كان أكولاً مع أن فلسفته لا تتفق مع هذه الصفة فيه فقد قال يوماً لأحد الكبراء:

ــ يا باشا يقولون عني بخيل .

فقال الباشا:

- ــ والله يا شيخ عبد القادر نعم يقولون هذا .
 - _ هذا غير صحيح .
 - ــ أتظن ذلك ؟
- ــ البخيل هو الذي تشتهي نفسه الشيء ولا يشتريه أما أنا فنفسي لا تشتهي شيئاً وقد كانت هذه الفلسفة جديرة أن تجعله غير أكول ولكنه ــ والشهادة لله ــ في الولائم ذو فن عريض فهو

عليم بالمأكولات يحسن تذوقها ويتناول منها مقادير لا يمكن أن تتناسب مع جسمه الضئيل الهزيل .

فحين وجد نفسه أمام هذه الوليمة التي أعدها له المفتش هش وسجحت نفسه وهم أن يمد يده ولكنه فجأة تذكر أشياء على جانب كبير من الأهمية . إنه في تفتيشه ولعل هذه الوليمة تظهر له في المرة القادمة بدفاتر الحسابات . وثني يده الممدودة ونظر إلى المفتش .

ــ العزومة دى على حسابي أم على حسابكم .

والواقع أن المفتش كان قد أعد الوليمة على حسابه الخاص ولم يفكر مطلقاً أن يحاسب الشيخ عبد القادر عليها ولكنه أمام هذا السؤال تملكه غيظ شديد فنظر إليه في ضيق وضجر وقال:

- _ على حسابك .
- ــ ومن قال لكم ان معدى تحتمل هذا الأكل؟
 - _ والله لانعرف طبعك .
 - _ لا ، أنا لا آكل إلا اللبن الرائب .
 - _ أمرك .

وأحضروا له اللبن الرائب وراحوا هم يأكلون الوليمة في نهم مغيظ . وحين انتهى الغذاء هم الشيخ عبد القادر بالقيام .

- ـ ألحق القطار.
- _ أمرك ولكنك لم تدفع الثلاثين جنيهاً .
 - ـ آه نسيت خد .

وأخرج من جيبه عشرة تناولها المفتش صامتاً معتقداً أنه سيرسل له باقى المبلغ وأمر بتجهيز العربة واستقلها الشيخ عبد القادر وركب معه المفتش وفي منتصف الطريق فاجأه الشيخ عبد القادر بأن أخرج من جيبه عشرة جنيهات أخرى وأعطاها له فقال في نفسه لعله كان ناسياً أن معه عشرة أخرى وحين وصلوا إلى المحطة فاجأه بأن أعطاه العشرة الثالثة وهو يقول:

صعب أن أخرج ثلاثين جنيها دفعة واحدة .

(هو وزوجته)

ضاقت به زوجته فهو يأبي أن يزيد ما يعطيه لها عن المائة وخمسين جنيهاً وقد أصبح الأولاد خسة ثلاثة أولاد وبنتين والأولاد يتعلمون في الجامعة وهي تريدهم أن يلبسوا أحسن الثياب ما دام أبوهم قادراً والبنتان اقتربتا من سن الزواج ولن يقدم أحد على الزواج بأحدهما وسمعة أبيهما تملأ الأفاق .

وقد انقطع عبد القادر عن البيت تماما منذ عرضت عليه زوجته هذا الحديث. فهو طبعاً لن يزيد مرتبها وهو يعلم أنها قد تهدده بنزع الأرض من تحت يده فوجد أن خبر ما يفعله ان ينقطع تماماً عن البيت. ولكن السيدة زوجته لم تسكت فقد ارسلت في طلب أخيها سلام وسرعان ما جاء كان هو أيضاً يكاد يموت من الخجل مما يسمعه عن زوج أحته وقد كان يتوق أن يذهب إلى أخته ليحادثها في أمره ولكنه كان يمنع نفسه خشية أن تظن أنه طامع في إدارة أموالها كها كان يريد أن يربأ بنفسه أن يتدخل من تلقاء نفسه بين الزوجين. فحين أرسلت إليه أخته وافقت الدعوة هوى نفسه.

- _ ماذا نصنع يا أخى ؟
- _ يا اختى إن لم يكن أصيلًا فيجب أن نكون نحن أصد . .
 - _ أنت لا تحتاج إلى أن أحدثك عن شيء .
 - _ أخباره تملأ الدنيا ويتندر بها الناس في كل مكان .
 - _ يا للفضيحة .
 - ... في الصعيد في القاهرة في المنصورة.
 - _ المصيبة ماذا أصنع مع الأولاد؟
 - _ أنا تحت أمرك .
 - ـ تحت أمرى أيكون أبوهم بهذا الثراء ونأخذ منك مالا .
 - _ ترى ماذا تريدينني أن أفعل ؟
 - ــ المصيبة الكبرى البنتان . . لقد أشرفتا على سن الزواج .
 - ـ اسمعى أنا أستطيع أن أصنع الكثير.
 - ۔۔ اصنع .
 - ـ قبل أى شيء نرسل إليه أتعرفين طريقه ؟
 - ـ أعرف اللى يعرف طريقه ؟
 - ۔ من ؟
 - ـ الحاج أحمد هلال من المنصورة.
 - _ من هذا؟
- ــ سمسار يلازمه أغلب الوقت وقد طلبته مرة فجاء ورجوته أن يكلمه ..
 - _ وبماذا أجاب؟
- ـ عاد الرجل الطيب خجلان لا يعرف ماذا يقول فقد رفض أي حديث في الموضوع .

- ــ ولماذا يلازمه ؟
- ــ والله لا أدرى ولكن يبدو أنه ينتفع منه فهو سمسار وهو الذى يتولى له بيع المحصولات كما يعرض عليه شراء بعض الأراضي كلما وجد فرصة المهم أنه يلازمه أغلب وقته .
 - _ هل تستطيعين أن تستدعى الحاج احمد هلال؟
 - _ إن له محل إقامة على الأقل.
 - _ ألا تقولين إنه يلازمه ؟
 - ــ نعم ولكنه يبيت كل ليلة في بيته ما لم يكن معه في القاهرة .
 - ــ أتعرفين أين يبيت زوجك إن كان في القاهرة؟
 - _ في سيدنا الحسين.
 - ـ في أي لوكاندة ؟
 - _ وكيف أعرف؟
- ــ يبدو أنه لا سبيل إلى الحاج أحمد هلال فليس من المعقول أن نطوف بلوكاندات الحسين نسألهم عن عبد القادر .
 - ـ مل معك غرة الحاج أحمد هلال؟
 - ـ أتيت بها من دفتر المنصورة وقد طلبته منها في المرة الأولى .

وجاء الحاج أحمد هلال وقال سلامة:

- ـ أيرضيك ما يصنعه عبد القادر؟
 - ــ إنه لا يرضي أحداً .
 - ب أنت صديقه ؟
- ــ أولًا يجب أن تعرف سعادتك أنه لا يجب أن يكون له صديق.
 - ــ وأنت ؟
 - ـ أنا أعمل معه .
 - ۔ مجرد عمل .
 - ــ أنا سمسار وهو غني يبيع محصولًا ويشترى أطيانًا .
 - ... فلست صديقاً .
 - ـ صديق . . . اسمع .
 - ۔۔ ماذا ؟
 - _ سأروي لك حكايتين .
 - ۔۔ حکایات ؟
 - _ لتعرف إن كان يمكن لمثله أن يكون له صديق.
 - _ إنك تلازمه .

_ وتلك هى المصيبة . . . فى يوم اجتمعنا حوله ثلاثة سياسرة فى قهوة حقيرة بالمنصورة ننتظر إقفال البورصة لنزايد على الإقفال ويقدم كل منا العلاوة المناسبة لنشترى قطئه . . . أتعرف كم قنطاراً كان يبيعها فى ذلك البوم .

- _ كثير طبعاً .
- ـ ألفي قنطار.
 - _ عظيم .
- ــ تأخر الإقفال .
 - ــ هيه .
- جعنا . . . الساعة قاربت الثالثة .
- ــ لم يفكر طبعاً أن يدعوكم للغداء.
 - ــ انتظر .
 - _ إنى منتظر .
- ــ نحن فى قهوة حقيرة الغداء لن يكلفه أكثر من خمسة قروش أربعة أرغفة بقرشين صاغ ويثلاثة صاغ طعمية . كانت كافية ونحن نعرف أنه بخيل ولم نكن ننتظر أكثر من ذلك .
 - ــ معقول .
- ــ وكلنا كان خبجلًا أن يدعو الآخرين على الغذاء فهذا لا يجوز في وجود رجل في غناه سيبيع في جلستنا ألفي قنطار .
 - _ معقول أيضاً .
 - _ استأذن منا عبد القادر بك وغاب . . .
 - ۔ إلى أين ذهب؟
- انتظر . . . قلت لزملائي إنى أفكر في شيء وأنا واثق منه فالوا ماذا ؟ قلت انتظروا ذهبت إلى المرحاض . . . أتتصور مرحاضاً في قهوة حقيرة . . . رائحته تملأ المنطقة كلها لا القهوة وحدها . . . للمرحاض فتحة مستديرة في أعلى الباب لا أعرف لوجودها سبباً وجدت عبد القادر بك يخرج من جيب الصديرى لفة بها طعميتان ومن الجيب الآخر شقة عيش وأنت تعرف أن نظره ضعيف فلم يرنى وراح يتناول غذاءه هذا في المرحاض حتى لا يضطر لدفع القروش الخمسة التي تكفى غذاءنا وتقول صديق . . .
 - ـ أعوذ بالله . ولماذا تسير معه ؟
 - ـ ألم أقل لك لماذا ؟
 - ــ ألم أعوذ بالله .
 - _ اسمع .

- ـ حكاية أخرى .
- ـ ألعن وأضل سبيلًا .
 - _ ماذا ؟

ــ ذهبت لأبيت معه في لوكاندة بسيدنا الحسين رجوته أن يغيرها فأبي وكنت مضطراً أن ألازمه لأن صفقة هامة كانت تنتظرنا في الصباح الباكر من اليوم التالي . وكانت عينه اليمني ـ مصابة برمد حاد . فحينِ دخلنا اللوكاندة نادى الخادم وقال له اذهب إلى الصيدلية القريبة واشتر قطرة وقطارة وبنكلة قطناً سأله الخادم بنكلة قال نعم بنكلة . ذهب الخادم وعاد بالأشياء ورأيته يعطى الخادم شيئاً فعجبت فليس هذا من عادته . قبض الخادم على ما أعطاه وخرج دون أن ينظر فيه ولم تمر لحظة إلا وفتح الخادم الباب وقال له « مادا أعطيتني يا عم الشيخ » فقال عبد القادر بك « نكلة » فقال الخادم « إذن فإن لم أخطىء لقد اعتقدت أنني أخطأت . خذ يا عم الشيخ النكلة خسارة تنفعك » وخرج الخادم ولم أجرؤ أن أسأله عما فعل ولكنه هو قال « بني آدم لا يملأ عينه إلا التراب . . . ماذا يريد . . . أيريد فداناً لأنه اشترى لي بضعة أشياء من الصيدلية » قلت « الفرق كبير حبتين بين النكلة والفدان » يا عبد القادر بك . قال : « كلكم عجانين تبعثرون من أموالكم في الكلام الفارغ والله لو أعطيته جنيهاً ما قنع « بني آدم لا يملا عينه إلا التراب ، قلت تعال لنرى عينك أولا « وقطرت له في عينه المريضة جففت القطرة بقطعة من القطن وألقيتها إلى الأرض قال « ماذا فعلت » قلت « رميت القطنة » قال « أنت جننت » قلت « لماذا » قال « ألن تقطر في العين الثانية » قلت « نعم » قال « فلهاذا رميت القطنة » قلت « حتى لا تصاب العين السليمة من العين المريضة » فإذا به يقول غاضباً « يارجل حرام عليك خسارة القطن . كلكم مجانين ، . أتستطيع بربك أن تقدر لى ثمن قطنة مقطوعة من قطنة ثمنها نكلة . وتقول أصدقاء في هذا اليوم قال لى حكمة عجيبة . قال إن أحد المليونيرات في الغرب قال راقب الملاليم أما الجنيهات فسوف تراقب نفسها وتقول لى صديق . . . يا سعادة البك زوج أختك لا يعرف معنى كلمة صديق هذه أبدأ.

- _ يا سيدى أنا آسف المهم.
- ــ أنا تحت أمرك في كل شيء إلا في مسألة أختك .
 - الماذاع

ــ حين كلمته فى المرة الفائتة كاد يضربنى والحقيقة أنا أستفيد منه فصفقاته كثيرة وأنا آخد حقى فى السمسرة وأنا لا أضمن أن أجد زبوناً مثله .

- ـ إذن أخبرنا أين نجده ؟
- ـ هو ليس في المنصورة .
 - ــ فاين تظنه يكون ؟
 - ــ لعله في القاهرة .

- _ إذن دلنا على مكانه في القاهرة .
 - ــ هذه سهلة .
- ـ وذهب سلام إليه في اللوكاندة فوجده يمارس هوايته من تنقية القمل من ملابسه .
 - ــ يا رجل اتق الله .
 - _ اسمع أنا لا أريد نصائح أحد.
 - ــ اتق الله في نفسك إن لم تتق الله في أولادك .
 - ــ لا شأن لأحد بي .
 - ـ ماذا تريد أن تصنع بهذا المال؟
 - ـ أنتم مجانين . والمال لم يوجد إلا ليجمع .
 - ـ يسونون إنه موجود ليتمتع به الإنسان .
 - ـ أنا أتمتع بجمعه ما رأيك؟
 - _ أهذه متعتك ؟
 - ــ ولا متعة لي غيرها .
 - ــ إذن اسمع .
 - ہے سمعنا .
 - _ أختى تريد أن تكلمك .
 - ــ قل أنت ما تريد .
 - ـ هناك أشياء لايقولها إلا الزوج .
 - ــ أمرى إلى الله أذهب معك .

ن تنفيسة:

- اسمع يا عبد القادر هذه الحال لا تنفع .
 - هذا آخر ما عندی .
 - إذن على أنا أن أفعل ما يجب على .
 - اعمل كل ما في يدك.
- منذ الغد سأسقط التوكيل عنك وأوكله أخى في إدارة الأرض
 - وبعد غد تصلك ورقة الطلاق.
- هذا يوم المني . . . على الأقل يعرف الناس أنني انفصلت عنك لعل بناتك تتزوج .
 - ولن تبقى بناتك معك .
 - هذا أمر تقرره المحكمة .
 - وأنا أحب المحاكم .

وخرج وفعلاً أسقطت الست نفيسة عنه التوكيل ووكلت أخاها في إدارة الأرض وفعلاً طلق هو زوجته ولم يطالب بضم الأولاد قائلاً في نفسه ما دامت قد استولت على الأرض فلا أقل من أن تنفق هي على الأولاد . ولكن الست نفيسة كانت مليئة منه بالغيظ فرفعت دعوى نفقة وحكمت المحكمة لها بمائة وخمسين جنيهاً شهرياً مع المتجمد من يوم الطلاق .

جن جنون عبد القادر وذهب إلى المحامى .

ــ إن جاءت البنات إلى حضانتي لن يكلفوني أكثر من عشرة جنيهات أو عشرين .

ورفع دعوى الضم بالنسبة للبنتين . أما الأولاد فكانوا قد بلغوا سن الرشد وحكمت المحكمة بالضم وفى يوم تنفيذ الحكم ذهب ومعه الحاج أجمد هلال ليتسلم البنتين وعند باب البيت :

- ـ حاج أحمد . . . هات لنا عربة .
- وذهب الحاج أحمد فأحضر سيارة أجرة نظر إليها عبد القادر.
 - _ ما هذا ؟
 - ــ سيارة أجرة .
 - _ وهل قلت لك سيارة . . . أتريد أن تخرب بيتي ؟
 - _ لماذا ؟
 - _ السيارة ستأخذ أكثر من عشرين قرشاً.
 - ـ فهاذا ترید؟
 - ـ عربة . . . عربة حنطور بخمسة قروش .

وصرف الحاج أحمد السيارة بعد أن دفع أجرتها من جيبه وأحضر عربة ونزلت البنتان وركبتا معه صاغرتين وسارت العربة !

وفجأة لاحت فى الطريق سيارة فاخرة نظرت البنتان فيها فوجدتا أمهها ومعها خالهما فاذا البنتان تقفزان من العربة وتجريان إلى السيارة ويصيح عبد القادر:

- ـ امسك يا حاج أحمد .
 - _ ماذا أمسك ؟
 - _ البنات .
- ــ يا عبد القادر بك بناتك كبيرات أتريد يدى أن نأتي على صدروهن ؟
 - ـــ امسك ولا شأن لك .
- ــ نحن في الشارع يا عبد القادر بك . . . لا يمكن . . . لا أستطيع .

_ وأثناء هذا الحوار كانت البنات قد ركبن السيارة مع أمهها وعاد هو خائباً إلى البيت وظل يدفع النفقة .

(عبد القادر وبائعة الفجل)

كان جالساً أمام باب بيته في بني سويف وكان الوقت رمضان . وكان صائماً بطبيعة الحال حين مرت به باثعة فجل .

- _ بكم الحزمة يا خالة ؟
 - ــ بتعريفة .
- _ هات عينة أربها لهم بالداخل .
- ـ أحسن فجل وشرفك . . . تفضل .

وأخذ حزمة الفجل ودخل إلى منزله وما هي إلا لحظات قلائل وعاد . . .

- _ خذى يا خالة .
 - _ ماذا ؟
- ـ الفجل لم يعجبهم .
 - الأمر الله هات .
- ـ ونظرت المرأة في حزمة الفجل.
 - _ ما هذه ؟
 - ـ الحزمة التي أعطيتها لي .
 - ـ يا رجل يا ضلالي .
 - _ عيب يا خالة اختشى .
- أعطيك حزمة ريانة ناضرة فتستبدلها بحزمة ذابلة بقيت عندك منذ أيام .
 - ــ أنا يا امرأة ؟
 - ــ تعريفة يا ضلالي تريد أن تأكلني فيه .
 - ــ اذهبي يا امرأة أنا صائم ولا أريد وجع دماغ .
 - _ صائم يا ضلالي والله لأخرب بيتك .

واتجهت المرأة إلى نقطة البوليس وقدمت شكواها وانتفل الضابط مع قوة إلى عبد القادر .

- ــ ماذا فعلت لهذه المرأة ؟
 - ــ إنها امرأة مجنونة .

- ــ اسمع إنها تقول انها أعطتك عينة .
 - _ حصل .
- ــ وبالطبع البائع حين يعطى عينة يقدم أحسن ما عنده .
 - _ لقد رددتها لها:
 - _ سنجرى تفتيشاً في بيتك .
 - _ كيف ؟
 - _ مكذا .
 - ـ وإن وجدت فجلًا ببيتي ؟ .
- ــ سنقارنه بفجل المرأة فإن كان مثله فأنت قد استبدلت حزمة الفجل.
 - .. يا حضرة الضابط تكديني وتصدق هذه المرأة.
 - _ أولاً أنت تعملها . . . وثانياً لماذا تتبلى عليك هذه المرأة ؟

وقام الضابط والقوة بالتفتيش ووجدوا حزمة الفجل وقاموا بالمقارنة وأصدروا الحكم في الحال .

- ـ تدفع لهذه المرأة خمسة جنيهات.
 - _ ماذا ؟
 - ـ أو نقدمك إلى النيابة .
- وفي هذه المرة دفع خمسة جنيهات.

(عبد القادر وموظف البنك)

كان معه خمسون ألف جنيه وبات ليلته في لوكاندة الحسين وهي في هذا اليوم بالذات أحسن مكان يبيت فيه فهى المكان الوحيد الذي لا يشك أحد أن شخصاً بحمل خمسين ألف جنيه يبيت فيه .

صلى الفجر في الحسين وقصد ماشياً إلى البنك الأهلى فوجد البنك ما زال مغلقاً فتكوم بجانب الباب في انتظار فتح البنك .

وأقبل الموظف الذى يحمل مفاتيح البنك فوجد هذه الكومة فرق قلبه على هذا المسكين الذى يجلس فى مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح وفى هذا البرد القارس من يناير بباب البنك . . . ولم يكن الموظف غنياً ولكنه كان طيباً فمد يده بقرش تعريفة أعطاه لعبد القادر فأخذه ووضعه فى جيبه وهو صامت .

وبعد قليل جاء موظفو البنك وجاء المدير فدخل إليه عبد القادر وقدم له الخمسين الف جنيه ليودعها في حسابه.

ودق المدير الجرس ودخل أحد الموظفين فقال له المدير:

- ــ هذه خسون ألف جنيه أودعها باسم عبد القادر بك فهمي .
 - ــ ونظر الموظف إلى عبد القادر فهمي وأنعم النظر ثم قال :
 - حضرتك جئت قبل فتح البنك؟
 - ـ نعم .
 - _ سعادتك كنت جالساً بجانب الباب؟
 - ـ نعم .
 - ـ إذن هات التعريفة.

وأخرج عبد القادر التعريفة في صمت وأعطاه للموظف وسأل المدير الموظف فقص عليه ما حدث وضحك المدير وسأل عبد القادر:

- _ لماذا ؟
- ـ أنا لا أرد خيراً أبداً . . . هذا كفر يا سعادة المدير . . . كفر .

(المصير)

طال به العمر وطال لم يغير الزمن منه شيئاً حتى كان قانون الإصلاح الزراعى فإذا عبد القادر يجد ما جمعه كله بدداً . . . سبعة آلاف فدان لم يبق منه إلا ثلاثباتة . . . ترى هل كان يجمع عبد القادر ماله ليرثه أولاده من بعده . . . هراء وإلا لأعطى لأبنائه الفرصة أن يعيشوا . . . لقد كانت متعته في الحياة أن يجمع المال ويمنعه عن الأخرين حتى عمن يستحقونه وأول هؤلاء وعلى رأسهم أولاده الذين لولا أمهم لعاشوا عيشة الشحاذين وأبناء العيل ، إن نكبته في قانون الإصلاح لم تكن في أن الأرض لم يرثها أبناؤه وإنما النكبة الكبرى في أن الأرض لم نتصبح ملكا له . . . وليست في أن إيراده قل فيا كان محتاجاً لإيراد فهو قد أودع باسم ابنه الأكبر ما يقرب من المليون جنيه لأنه كان معجباً بابنه الأكبر الذي حصل على بكالوريوس التجارة العليا وكان شحيحاً . . . طبعاً لم يكن في القمة التي وصل إليها أبوه من الشح ولكنه كان شحيحاً . وهكذا أودع أبوه باسمه هذه الأموال حتى لا تنال الضرائب منها شيئاً إذا وافاه الأجل المحتوم .

الإصلاح الزراعي كان نكبة بالنسبة إليه في أنه انتزع الأرض والأموال باسم الله الأكبر كان فقط يريد أن يحرم ضريبة التركات من حقها هذا كل ما في الأمر ولكنه أبداً لم يكن يفكر في شأن

أبنائه . . . إنها - كها ق ت ، الرغبة في الجمع لنفسه والرغبة في منع الآخرين .

ولكن عبد القادر رغم ضآلة جسمه كان قوياً على الشدائد فاحتمل الصدمة وظل يواصل حياته كان شيئاً لم يحدث . . . طبعاً مسألة الإيراد لم تؤثر فيه على الإطلاق فقد كان إيراد فدان واحد يكفيه العام كله ويفيض ولكن النزع تجميع العمر . . . أمل السنين . . . لعله قال فى نفسه قد تمتعت في الجمع نفسه ولكن ما أظنه قال هذا أيضاً . . . المهم أنه صبر ولا أدرى كيف صبر . . . على أية حال لم يطل به الصبر . . .

مر على قانون الإصلاح الزراعى ما يقرب من الثلاثة شهور . وكان عبد القادر جالساً فى بيته بالصعيد وحيداً يمارس لعبته المفضلة مع القمل حين سمع أصواتاً فى الحجرة التى بها الخزانة . . . كان بالحزانة ثلاثهائة جنيه . . . قام يجرى إلى الحجرة . . . الضوء منبعث من مصباح غازى فهو طبعاً لا يفكر فى الكهرباء . . . ونظر عبد القادر ضعيف ولكن هذا لم يمنعه أن يرى أشباحاً حول الحزانة . . . ثلاثة نفر يتعاملون مع الحزانة معاملة لا ترضى عبد القادر .

ــ ماذا تعمل يا ابني أنت وهو؟

وكانت كلمته الأخيرة التف اللصوص حوله وقتلوه . . .

لقد مات الميتة التي تليق به . لقد عاش عمره يجمع المال ومات في سبيل المحافظة على المال .

اعتبرت الضرائب الورثة يملكون السبعة آلاف فدان فحجزت على الثلاثهائة الباقية وفاء للضريبة المستحقة على وارث سبعة آلاف فدان . . . وحاول الإخوة أن ينالوا من أخيهم شيئاً من المال السائل فابي مدعياً أن جميعه ماله فابلغوا الضرائب أن الأموال التي بالبنك باسم أخيهم من المال السائل فابي مدعياً أن جميعه ماله فابلغوا الضرائب أن الأموال التي بالبنك باسم أخيهم إنما هي ملك لأبيهم فوضعت تحت الحراسة وفاء للضريبة المستحقة . ولم يبق من عبد القادر إلا هذه الصفحات التي أنقلها إليك لو كنت ألفتها لك لكان من حقك أن ترى فيها رأيك حسناً كان أو غير حسن ولكن الحياة هي التي ألفت هذه الصفحات وهي ـ للأسف ـ حين تؤلف لا يهمها كثيراً رأى احد ـ . ومع ذلك فقد رأيت فيها ألفت الحياة شيئاً يستحق أن أرويه لك وفي هذا الرأى تستطيع أنت أن تقول ما تشاء رضي أو سخطاً . . .

النسسايفة

لم يكن يتصور حين أدخل نادية المدرسة الإبتدائية أنه سيطيق دفع المصروفات لها حتى تواصل تعليمها . ومن أين وهو يعمل ساعياً بوزارة الحربية مرتبه عشرة جنيهات . وقد أدخل عمداً ابنه الأكبر إلى المدرسة كها أدخل ابنه الأخر عبد الكريم . وحين جاءت نادية عزم فى نفسه أن تبقى فى البيت لتساعد أمها عيشة على شؤون البيت . ولكنها حين بلغت السابعة كانت عبناً على الأم بدلاً من أن تكون عوناً لها .

- ـ أدخلها المدرسة.
- ــ وبعد المدرسة .
- ـ تقعد في البيت.
- ـ وإن عجبها الحال.
- ... يعلها ألف حلال.
- ــ ولو تعبت من أعمال البيت .
- ــ هي الآن أكثر شيء يتعبني في البيت.
 - ـــ تدخل المدرسة .
 - _ آه . . . تدخل المدرسة .

ودخلت نادية المدرسة . وكأنما كانت شيطنتها وهى فى البيت تنتظر الشرارة لتنفجر فانفجرت . انفجرت مذاكرة فهى الأولى دائماً . ويدلاً من أن تعاند أخويها وتغيظها أنها يتقويان فى دروسها بينها تنتهب هى الدروس انتهاباً كانت تترضى كلا منها وتتخاضع لهما فى الحديث ليشرحا لها ما يعجز المدرس أن يشرحه . فالمدرس لم يكن يشرح شيئاً وهى لم تكن تفهم من المدرس شيئاً والمدرس ونادية كلاهما معذور . فقد كانت المدرسة لا تملك الفصول

الكافية للتلاميد . والوقت المخصص للدراسة من السابعة إلى الثانية عشرة لأن هناك تلاميد آخرين تخصص لهم المدرسة من الثانية عشرة إلى الرابعة . فالمدرس تائه بتلاميذه يبحث لهم عن مكان وهو ملهوف ملوع يريد أن يرمى بدرسه قبل أن يدهمه موعد الجرس وبين اللهفة والقلق لا يفهم التلاميذ شيئاً . ولم تكن نادية إلا واحدة من أولئك التلاميذ الضائعين مع مدرسهم فلم يكن لها موئل إلا أخويها محمد وعبد الكريم يشرحان لها ما في الكتاب . ذلك الكتاب المستكين بين يديها لا يبحث عن مكان يلقى فيه بدرسه ولا يخشى أن يدهمه الموقف وإنما هو ثابت صابر ينتظر من يقرأه ومن يفهمه في هدوء ودعة وأمان .

وكانت نادية تنظر إلى زميلاتها اللواتي قعدن مع أمهاتهن في البيت فيزلزلها الرعب أن تصبح مثلهن . ثياباً متهرئة وشعراً أشعث أغبر وأقداماً مفلطحة من طول ما عاشرت الطريق عارية . وهي تنظر إلى المرآة فترى في وجهها مخايل وسامة وحين تنعم النظر لا تدرى من أين جاءت لها الوسامة فعيناها لا سعة بهها ولا غمتي ووجهها أكثر ميلاً إلى السمرة وفمها أكثر ميلاً إلى السعة وشعرها فيه انسياب ولكنه انسياب ساذج لا التواء به ولا ذكاء ولا حنايا ولا ثنايا . ولكنها مع ذلك كانت ترى في نفسها وسامة وكانت تشفق على هذه الوسامة التي لا تدرى مأتاها أن يغولها البيت والطريق الأغبر والأقدام العارية والملابس المتهرئة فهي الأولى دائماً . ونالت الشهادة الابتدائية وخمل أبوها أن يتكلم في إبقائها بالبيت فهي الأولى وهي أكثر نجابة من ولديه فهي إذن في الإعدادية . ويصرخ الأب:

- ـ تعبت .
- ــ وأنا تعبت .
- مرتبى لم يزد إلا جنيهان .
- ـــ وأنا كبرت وأريد من يساعدني .
 - ــ أتستطيع نادية أن نساعدك؟
 - ـ ولماذا لا تستطيع ؟
 - ـ أصبحت بنت مدارس.
 - ــ ولكنها تستطيع أن تساعدني.
 - ــ كيف نقول لَما ؟
 - _ إنك أبوها ألست كذلك؟
 - _ وأنت أمها ألست كذلك؟
 - . ـ أنت رب البيت .
 - ــ وأنت ربة البيت .
 - _ لا تخالف لك أمراً.
 - _ ولا تخالف لك أمراً .

- ــ يظهر أننا نخاف أن نكلمها .
 - ــ نعم .
 - ـ وبعد .
 - ـ الخبرة فيها اختاره الله .
 - _ والبيت وتعبى .
- _ أصبر أنا على الضنك وقلة المال وتصبرين أنت على عمل البيت وليكن ما يكون .
 - _ تخاف من ابنتك.
 - ــ لا تعيريني ولا أعايرك .

واسنمرت نادية في المدرسة وواصلت نجاحها في المرحلة الثانوية . وفي المرحلة الثانوية راحت أنوثتها تتبلور معها فهي تتفجر في كل يوم عن جديد والفتاة تستقبل أنوثتها في سوق عارم مفتوحة الذراعين تواقة إلى كل نأمة جديدة من أنوثتهاالوافدة . كانت تريد أن ترغم ثيابها على إظهار أنوثتها ولكن ثيابها لم تكن تطيعها فهي ثياب رخيصة وتفصيلها مجانا والأنوثة تحب أن تختار القهاش وتختار التفصيل وبين ضيق ذات اليد من الأب ورغبة نادية العارمة في إظهار أنوثتها تنكمش الثياب خجلة حائرة لا تدرى ماذا تستطيع أن تفعل لترضى صاحبة الأنوثة الجديدة .

كانت نادية تحاول مع ثيابها ما وسعها الجهد فهى تضيق الحزام حتى لتكاد أنفاسها تختنق ولكن لا يهم فإن الحزام حين يشد يسمح للجزء الهام من الصدر أن ينفجر إلى أمام وللجزء الهام من الظهر أن ينفجر إلى وراء ويظهر من الجسم الفتى ما تحاول الثياب أن تطمره في رخصها .

هناك عينان تتبعان نادية في كل يوم حين تذهب إلى المدرسة وحين تعود . بل أن هاتين العينين تراصدانها كليا تبدت في الطريق . كانت العينان نافذتين ولم تكن نادية تستطيع أن تغفل حدة النظرة التي توجه إليها منهيا . كانت ترى فيهيا نوعاً من الجرأة وكأنما كانت العينان تجسان كل مكان في جسمها وكان فيهيا انتظار ولم تكن نادية تفهم سبباً لأى من هذه المعاني التي تتواثب من العينين . فلو كان صاحبهيا شاباً في ريق العمر أو حتى شاباً في أواخر الشباب لكان لهذه النظرات معنى . ولكن أن تصدر هذه النظرات من حسين بائع السجائر الذي يكبر أباها في السن فهذا أمر لم تستطع أن تفهمه أبداً .

- وفي يوم .
- ـ تعالى يا نادية .
- ـ نعم يا عم حسين .
- _ يعنى يا بنتي تفوتين ولا سلام ولا كلام .
 - _ أراك مشغولًا يا عم حسين .
- _ ومهما انشغل يا بنتي هل يمكن أن أنشغل عنك .

```
_ كتر خبرك يا عم حسين .
```

ــ لقد شلتك على كتفى يا نادية .

ــ عارفة يا عم حسين .

ــ كنت قبيحة ولا يحب أن ينظر إليك أحد.

ــ أهكذا يا عم حسين .

... سبحان مغير الأحوال من كان يظن . . . من كان يظن .

ـ ماذا يا عم حسين .

س يا بنت ألا تعرفين ما أريد أن أقول؟

ــ لعلى أعرف وأريدك أن تقول .

ــ آه من البنات اليوم يا عالم .

ــ ماذا فعلن يا عم حسين ؟

ـ مصیری معهن إلى الجنون والله .

_ ومالك ولهن يا عم حسين؟

ــ وهل لي شغلة غيرهن ؟

ــ أنت يا عم حسين .

_ آه أنا . . . وماذا في هذا ؟

ــ لا شيء يا عم حسين ولكن ألا ترى نفسك كبيراً بعض الشيء على بنات اليوم .

۔ یا بنت اصحی .

ــ صاحية وحياتك يا عم حسين .

ـــ لا وشرفك . . . نائمة في العسل نوماً وأين العسل . . . نائمة في البشر نوماً .

ـ لماذا يا عم حسين؟

ـ أهذا يليق .

_ ما هو الذي لا يليق؟

سهذا الجسم المرمري . . . هذا الجهال العجيب يلبس هذه الهلاهيل .

ــ وبعد يا عم حسين . . أنت تعرف البير وغطاه .

ــ ملعون أبو البير على غطاه .

_ وماذا أفعل ؟

ـ اسمعى كلامى.

ــ وهل قلت شيئاً .

ـ لي أصدقاء .

ـ لك أنت ؟!

- ــ يجعلونك تلبسين الحرير . . . لا تلبسين إلا الحرير .
 - ــ أبرد ياعم حسين ٪
 - ـ والصوف الإنجليزي في الشتاء.
 - ــ مكذا مجاناً .
 - _ مجانأ وشرفك .
 - ــ ما دخل شرفی فی الموضوع یا عم حسین .
 - ـ شرفك مصان . . . اسمعى كلامى .
 - _ حرام يا عم حسين .
 - _ إذا غيرت رأيك أنا تحت أمرك.

ونالت نادية شهادة الثانوية العامة . وفي الصيف كانت كليا مرت بعم حسين ألقت إليه ابتسامة وتحية من بعيد . إن هاجساً في نفسها كان يهمس لها ألا تقطع المفاوضات بينها وبين عم حسين .

وأتت أشهر الصيف ودخلت إلى الجامعة . . . إن لها زميلات من المدرسة الثانوية ذهبن معها إلى الجامعة . . . ما هذا الذي يرتدين . . .

- ہے کیف .
- ـ أنت هيلة .
 - ــ هبلة ؟
- ــ ألا تعرفين كيف؟
- ۔ آه فهمت ، فهمت ،
 - ... أخيراً .
 - ــ وعند الزواج .
- ـ بثمن فستان نجري عملية .

وحين عادت في ذلك اليوم وقفت مع عم حسين دقائق . . . لقد كان الهاجس في نفسها صادقاً معها . . . لقد أحسنت صنعاً أنها لم تقطع المفاوضات .



المسموراث

ليس غريباً أن يكون بينها هذا الخلاف الذي وصل إلى أقصى مداء . وليس غريباً أن يكون بينها هذه الكراهية الشديدة وهذا المقت المرير . لقد ورثا الخلاف والكراهية والمقت فيا ورثا عن أبويها . . . وهما الآن وجيهان لكل منها أنصار وأعوان وقد نسى كل منها كما نسى أنصار كل منها قصة الأبوين .

أما أبو الأول الذي أصبح اليوم أسعد بك فقد كان المعلم أنور . بدأ حياته في حي السيدة زينب وقد زحف إليها من الريف حين ضاقت به بلدته وشيبة ، فأصبح لا يجد بها قوت يومه فهي قرية مزدجة يتخاطف أهلها الرزق وهو لا يرى في الزحام طريقاً وحالفه الجوع حتى أصبح لا يأبه كثيراً بالشرف فكان يختطف العيش اختطافاً فيه قسوة أحياناً كثيرة وفيه الحيلة في أحيان قليلة ولكن لم يكن هذا الاجتطاف ليستطيع أن يستمر طويلاً فضاقت به القرية ولم يجد مناصاً آخر الأمر إلا أن يزحف إلى القاهرة . الزحام أشد ولكن هذا الزحام كان بالنسبة إليه كالصحراء البكر . فهناك لن يعرفه أحد وهناك يستطيع أن يمارس اختطافه بالحيلة دون أن يعجزه ضيق المكان أن يجد الفريسة ولم يكن يستبعد أن يستعمل القسوة إذا كان لا بد أن يستعمل القسوة .

غريب في حي السيدة والقاهرة يومذاك بها كثير من الأراضى الخالية فهاذا عليه أن يتخذ من خرابة مسكناً وماذا عليه لو أقام بيته من بعض خشب . ومن أين له الخشب . أدرك أنه لوظهر على حقيقته في أيام إقامته الأولى فلن يلبث شارع الملك الناصر أن ينبذه كها نبذته بلدته شيبة قصد إلى تاجر أخشاب .

_ أعمل عندك .

- ــ وماذا تحسن أن تعمل؟
 - أحمل الخشب.
- ـ لا بأس فإن لك جسماً قوياً .
- فقط أريد بعض خشب مقدماً أقيم به الحجرة التي سأسكن بها .
 - ــ أنت . . .
 - ـ غريب قادم من الريف .
 - ومن يضمن لي أنك ستبقى حتى تفي بثمن الخشب.
 - ـ الخشب نفسه .
 - ــ معقول .

وهكذا بنى حجرته بقطعة أرض وجدها خالية ولم يفكر أن هذه الأرض لا بد أن يكون لها صاحب أو هو فكر ولكن لم يشأ أن يتخذ إجراء معيناً إزاء هذا التفكير. المهم أنه أقام الحجرة وأقام.

كان صاحب الأرض رجلًا عنيفا ذا بطش وسلطان . حتى نما إلى سمعه أن إنساناً تجرأ وبنى حجرة بملكه ، ترفع أن يذهب إليه وإنما أرسل بعض أتباعه .

- _ كيف أقمت هنا؟
- س بنيت هذه الحجرة وأقمت.
- _ ألا تعرف أن لهذه الأرض صاحباً.
 - ـ هل أنت صاحبها ؟
 - ــ أنا تابعه .
 - _ أريد أن ألقاه .
 - ـ لا يلقى أمثالك .
 - س وماذا يضيره أن ألقاه ؟
 - لا يلقى أمثالك .
 - ـ ألا يملك هذه الأرض.
- ـ بل بملك البيوت المحيطة بها جميعاً .
- ـ ألا يسكن في هذه البيوت جميعها فقير مثلي ؟
 - ــ ولكنهم لا يلقونه .
 - ــ اصنع لى هذا المعروف.
 - ــ ولماذاً أصنعه .
 - ـ لعلى أنفعك في بعض الأيام .
 - ۔ انت .

- ... ألا تعرف الفأر الذي خلص الأسد من المصيدة ؟
 - ــ حكاية .
 - ـ لابد سمعتها.
 - _ فأنت تعرف أني أسد.
 - ـــ وأن فار .
 - _ سأجعلك تلقاه .

* * *

- _ ماذا يضير سيادتك أن أقيم بهذه الأرض الخالية ؟
 - ـ يأتي يوم وتدعى ملكيتها .
- ــ بل سأجعلها نظيفة ويوم تريد طردى فيا هي إلا بضعة أخشاب أحملها في يدى وأمضى
 - إلى حال سبيلي.
 - _ تدفع أجرة ؟
 - _ أمرك .
 - ـ عشرة قروش في الشهر.
 - ــ ولكن الأرض خالية .
 - ــ ولو .
 - _ وسأحرسها لك.
 - _ مثلي لا تحتاج أملاكه إلى حراسة .
 - _ ألا تجعلها خمسة .
 - ــ عشرة قروش في الشهر.

* * 4

ومضت الأيام وأحس أنور أنه يستطيع أن يكون كها يريد أن يكون فقد طال مكثه في الحي وثبتت أقدامه وبدأ يعود إلى نفسه التي صحبها معه من القرية .

فوجيء المالك الكبير بأنابيب المياه في بيوته تتفجر كل يوم وأدرك أن أنور هو فاعلها .

- لا أريدك في أرضى.
- ـ أنا تحت أمرك.
- _ أنت لا ترعى الجميل.
 - ــ وأين الجميل ؟

- ـ الم أتركك تسكن في أرضى .
 - _ كنت أدفع أجرأ ،
 - ـ ولكني تركتك تسكن،
 - سە بعرقى .
- _ إذا اعفيتك من الأجرة توقف أعمالك.
 - ـ أنا لم أعمل شيئاً.
- سـ أستطيع أن أضربك كل يوم علقة حتى تترك الحي جميعه .
 - _ ولكني لم أعمل شيئاً .
 - ... لا تعد إلى ما صنعت ولاتدفع الأجرة .
 - ـ شكراً ولكني لم أصنع شيئاً .

- ــ لماذا ضعفت معه ؟
- ــ لو أخذته بالشدة لم آمن أن يظل في تخريبه .
 - ـ تستطيع أن تخرجه من الحي كها قلت .
- _ ويستطيع أن يجىء إليه خلسة فيرتكب جرائمه ويرجع من حيث أتى . هو الأن تحت أعيننا على الأقل .

إذن فالحكاية أثمرت . بهذا إذن يستطيع أن يصنع ما يشاء . ذهب أنور إلى مولد السيدة واصطنع خناقة مع فتوة الحى فأصبح هو الفتوة وأصبح من الميسور عليه أن :

- ــ قطعة الأرض.
- ـ مالها يا معلم أنور؟
- ــ أقبلها هدية من سعادتك .
 - ـ قطعة الأرض جميعها.
- ـ حتى أحافظ على المباني الأخرى.
 - ــ أليس كثيراً يا معلم أنور؟
 - ــ لابد أن أبني لي بيتاً .
 - _ فخذ نصفها.

- _ إذن أحافظ على نصف الأملاك.
 - _ أمرك ... خذها كلها .

وفعلاً بدأ أنور يبنى بيته وحتى يعلو البيت لا بد أن يحفر الأرض وإذا بالأرض تنكشف له عن كنز عظيم وأصبح أنور فى ضربة أرض أغنى أغنياء حى السيدة ولكن المال لم يخلص إليه هكذا سهلاً هيناًوإنما نبت له رجل لا يدرى عنه إلا أنه بنى اللون .

- _ هذا المال ملكى.
 - _ أي مال ؟
- ـ مذا الكنز الذي وجدت.
- _ أنت الذي خبأته هنا ؟
 - _ لا وإنما أجدادي.
 - ۔۔ من ؟
 - ــ أجدادي .
- ـ ولماذا لم يدلك أجدادك على مكان الكنز؟
- _ كان آبائي كلهم يعرفونه ومات أبي دون أن يخبرني به .
 - ـ فمن أدراك إذن أنه كنزك؟
 - ــ إنه في هذه المنطقة.
 - _ وتتوقع منى أن أعطيك إياه .
 - ــ إذا شئت العدل .
 - ـ فإن لم أشأ.
 - ــ فالقوة .

وقتل أنور المطالب بالكنز وثار أهله وقامت المعارك كثبرة بين أنور وأعوانه وبين أهل القتيل ولكن هذا لم يمنع المال أن يظل ملكاً لأنور ولم يمنعه أن يقيم بيتاً رائعاً ويصبح سيداً عظيم الشأن ويتزوج ويأتى ابنه أسعد ليجد نفسه بك .

وحين يشب أسعد عن الطوق يجد هناك عداوة بين أنور أبيه وبين رجب ولم يكن يدرى أسباب هذه العداوة ولكنه ما لبث أن عرفها على مرور السنين واتساع الإدراك وعرف أيضا أنه لا بد أن يكون عدوا لراغب بن رجب لأن طبيعة الأمور تقضى بأن يكون عدواً له .

قدر أنور حين أصبح غنياً أنه لا يليق به أن يكون فتوة فراح ينمى ثروته فأنشأ مصنع خشب أو هو فى الحق اشترى المصنع الذى عمل به حين جاء إلى القاهرة أول ما جاء وأغراه الربح أن ينشىء مصانع أخرى فزاد ثراؤه زيادة فاحشة وأصبح مطمئناً أنه أغنى أغنياء المنطقة جميعها إن لم يكن أغنى أغنياء مصر.

ولكن شيئاً جديداً بدا فى الأفق اسمه رجب . . . كان رجلاً ينتسب إلى العلماء فلم يعره أنور التفاتاً أول الأمر ولكنه فوجىء برجب يجمع حوله المريدين وعلى رأسهم سعيد وفوجىء أنور برجب يقول لا يجوز أن يكون هناك أغنياء وفقراء وإنما المال مال الناس أجمعين قالها هو وقفدها سعيد وأعوانه . وأصبح حى البغالة جميعاً ملكاً لرجب وسعيد وأصبحا ينافسان أنور فى غناه وحلت بينها الكراهية منذ ذلك الحين وقد توثقت الصلة بين رجب وسعيد حتى إن راغب لا يدرى إن كان ابن رجب أم ابن سعيد بل إن أمه نفسها لا تعرف . . . فهو من الناحية النظرية ابن رجب أما من الناحية الفعلية فهو لا يدرى .

دافع الناس عن أموالهم فى حى البغالة فكان الموت مصيرهم . . فشا فيهم سعيد . . . أموالهم أو أرواحهم . . . ومات كثيرون ولكن الأمر استتب له ولرجب وراح سعيد يتولى توظيف الأموال فأنشأ المصانع هو أيضاً بل أنشأ المواخير حتى ينسى الناس ما فقدوه من مال وتاجر فى كل شيء وبالإرهاب يشترى من لا يريد أن يشترى .

وكان رجب وسعيد من الذكاء بحيث لم يفكرا أن يقتربا من حى السيدة وكان أنور من الذكاء بحيث لم يفكر أن يقترب من حى البغالة .

ومضت السنون وأصبح الناس فريقين . فريقاً ينتمى بعواطفه وعقيدته إلى أنور وابنه أسعد والآخر يننمى إلى رجب وسعيد وابنها راغب . وكانت الخلافات تحتدم بين العريقين احتداماً يصل إلى التشابك بالأيدى ثم تطورت فأصبحت معارك تستعمل فيها كل أدوات المعارك وأصحاب الخلاف الأصليون يكتفون بتقديم أدوات المعارك دون أن يشاركوا هم فيها .

وتمضى السنون ويموت رجب ويتبعه سعيد . ويموت أنور . ويظل راغب وأسعد على الحلاف الذي ورثاه عن آبائهما ويتوارث الأتباع أيضاً المعارك فيها يتوارثون عن آبائهم .

وفجأة يجد أسعد ويجد راغب أن هذه الخلافات تشغلهها عن تنمية ثروتيهها وكأنما تكشفت هذه الحقيقة بغتة أمام كليهها في لحظة واحدة فيبدأ كل منها بكلمة لينة عن الآخر وما تلبث هذه الكلمة أن تصبح زيارة من أسعد إلى راغب في بيته تتبعها زيارة من راغب إلى أسعد في بيته ويتم الصلح بين الخصمين القديمين .

ولكن العجيب العجيب أن أنصار كل منها مازال حتى يومنا هذا في عراك قالت مستميت يوتون من أجل اثنين تم بينها الصلح . . .

المتسسايل

لقد كانت المعركة بيننا وبين قبيلة غطفان غاية فى العنف . وقد أصبنا منهم مقتلة عظيمة وما كان هذا إلا لغياب بطلهم الصنديد رافع بن عدى . ولا شك أنهم ينتظرون يوماً قريباً ينالون فيه ثارهم . والقبيلة منذ ذلك الحين مشغولة فيها يمكن أن تصنعه حتى تتهيأ لهذا اليوم المتنظر القريب . وقد اجتمع شيوخ القبيلة يفكرون واجتمع معهم الشباب وراح كل منا يدلى برأى ولكن ما أسرع ما كانت هذه الأراء تواجه بالنقاش .

ــ نهاجر .

ويقول شيخ القبيلة في عظمة واعتزاز .

- حتى نصبح أحدوثة بين العرب . . . نترك ديارنا خوف عدو دحرناه وأنزلنا به الهزيمة الماحقة . . . إذا نحن هاجرنا يكون العدو هو المنتصر . . . ويصبح النصر الذي أحرزناه أعجب نصر في التاريخ . سيكون نصراً ترتبت عليه آثار الهزيمة .

ــ ولكننا إن واجهنا العدو ونيران الثار تغلى في دمائه ومعه البطل الذي كان غائباً عنه فإنه سيصيب منا قتل كثيرين ونخسر النصر والدماء في آن معاً .

- ـــ إن دمائنا لا شيء . . . إنها ما خلقت إلا لتحمى كرامتنا وشرفنا . يا شيخ القبيلة .
 - ... الدماء دماء أب أو أخ أو زوج أو ابن . . . إنها دماء عزيزة .
 - ـ في سبيل النصر يصبح العزيز رخيصا .
 - _ فإن بذلنا الدماء ولم نحقق النصر.
 - _ لحله اجتمعنا .

ويقول رأى آخر ؟

- ــ ما لنا لا نناشد قبيلة عاصم فإن بينها وبيننا أخوة قديمة يقول الشيخ :
- _ وما يجعلها تحارب قبيلة غطفان وليس بينهما عداوة وقبيلة غطفان كثيرة العدد موفورة لخط من القوة والباس .
 - _ أليست الأخوة كافية لتقف قبيلة عاصم إلى جانبنا؟
- ــ كنا جديرين أن ناخذ بهذا الرأى لوكان هناك عداء بين قبيلة عاصم وقبيلة غطفان . . . أما ن تثير قبيلة عاصم العداء عليها بلا داع إليه فهذا ما لا يفعله أحد .

ويقول شيخ من القبيلة في تؤدة ووقار:

ـــ إن ما يلزمنا يا شيخ القبيلة هو فتى فى مثل قوة رافع ابن عدى يجعل انتصارنا على العدو وُكداً .

ويصمت الجميع ويتكلم شيخ القبيلة بعد تريث وتفكير.

ـ بالصواب نطقت ولكن من أين لنا به .

ويصيح شاب من القبيلة .

_ إن العراف . . .

وتقاطعه أصوات كثيرة.

- _ هل ضعفت؟
- _ ما للعراف وهذا .
 - ب إنك تخرف.
- ويقول شيخ القبيلة .
- ــ دعوا الفتى يكمل حديثه .

ويسود الصمت هنيهة ويعود الشاب إلى حديثه .

ــ إن العراف يمر بالقبائل جميعها وهو يعرف من أخبارها ما لا نعرف فلهاذا لا نقصد إليه سأله أن يدلنا على بطل من أبطال العرب يكون كفؤاً لرافع بن عدى .

. . .

ويصمت الشاب ويعود الصمت إلى النحليق ويقول شيخ القبيلة :

-- الرَّأى ما قلت . . . إذا كان الغد نذهب إلى العراف .

وينفض الاجتماع ولكن شابا من شباب القبيلة يمكث حيث هو لا يريد أن ينصرف إنما يظل رانياً إلى شيخ القبيلة في استعطاف ولهفة وأنا أنظر إليهما لا يريد أن أنصرف أو أسمع الحديث بين الشيخ والفتى . فأنا أعرف ما يريد سليهان أن يقول وأريد أن أعرف كيف سيمبيه شيخ القبيلة . يظل الفتى رانياً وشيخ القبيلة بتظاهر بأنه لا يراه وإنما هو يحول عنه بصره فى ضيق حتى إذا فشل سليهان فى أن يجعل الشيخ يسأله ما يريد جمع كل ما فيه من شجاعة وتقدم إلى الشيخ .

- م وبعد ·ياعماه ؟
- ـ وبعد فيم يا سليمان .
 - _ ألا تعرف؟
 - ــ كأني أعرف.
- _ فيا انصرافك عنى كليا أردت أن أكلمك .
 - ... أهذا وقته يا سليمان؟
- ... قبل الحرب كنت تقول بعد الحرب وها قد انتهت الحرب.
 - ـ أترى الحرب قد انتهت .
 - ــ لقد انتصرنا . . . ألم ننتصر .
 - ـ ففيم إذن كان اجتماعنا هذا.
 - ــ لنؤمن النصر ونتأكد منه .
- _ فإذا أمنا النصر وتأكدنا منه يحق لك أن تقول وأن أسمع.
 - ـ يا عياه سنوات ثلاث مررن .
 - ـــ أوعشر ماذا أفعل
 - ــ اعقد لي عليها
 - ــ فهاذا تقول القبيلة ؟
 - ــ تقول زوج ابنته من ابن أخيه .
 - ـ والعدو يتربص بنا .
 - _ وهل لزواجي صلة بالعدو؟
 - _ إنى شيخ القبيلة لا يجوز لى أن أفرح والقبيلة حائفة .
 - ـ إذن .
 - ــ انتظر .
 - ــ إلى متى .
 - _ إلى قريب . . . إلى قريب إن شاء الله .

ويطرق سليهان ثم يلقى بنظره حوله فلا يجد غيرى فيقوم إلى يصحبني إلى عريض الصحراء.

- ـ ما رأيك ؟
- ـ لقد اخترت موعداً لا يصلح لهذا الحديث.
 - _ فأى موعد يصلح ؟
- _ حين ترى الأمن بين القبيلة تقدم بطلبك .
 - ــ ومتى يشيع ؟
- ـ لا أحد يعرف متى يشيع الأمن بين النفوس.
 - ـ لا أحد يعرف؟

**

وقال العراف:

- ـ أعرف فتى لا حديث له إلا الحرب وأفعاله فيها وما خاضه من أهوال .
 - ـ هل شهدته وهويحارب؟
- ـ يا أخا العرب إنني عراف لا أشهد حرب . . . هل رأيتني أجيء إلى قبيلتكم منذ نشبت الحرب بينها وبين غطفان ؟
 - . Y _
- ــ إن عملى فى الحياة هو الحياة والحرب عملها الموت يا أخا العرب إن الموت والحياة لا يجتمعان .
 - -- إذن فمن هذا الفتي اللي يروى عن الحرب؟
 - ـ غضبان بن صخر ،
 - ــ أتعرف مكانه ؟
 - _ أدلكم عليه .

وجاء صخر . . . شاهق هو إلى السهاء عريض الكتفين ضخم راثع التكوين عظيم البنيان . . .

ــ كم شهدت من حروب . . . وإن عملى فيها بسيط . . . فإننى أتولى القيادة دائماً وما هى إلا أن أجيل السيف جولة أو جولتين حتى يدرك الأعداء بلا أمل لهم وما هى إلا إغماضة عين أو انتباهتها حتى تكون الحرب قد انتهت . . . فى يوم من الأيام نشبت الحرب بين قبيلة بهنس

وفزارة . . . وكان البهانسة أصدقائي فأرسلوا إلى رسولًا . . .

وقص غضبان وقص وكنت أحس مع كل قصة من غضبان نوعاً من الأمن والطمأنينة يشيع في نفوس القبيلة فتشرق به وجوههم وسأل شيخ القبيلة :

- _ ما أجرك ؟
- ــ ما نوع الحرب؟
- ــ يريدون أن ينتقموا من يوم هزمناهم فيه .
 - ــ فهي شر أنواع الحرب .
 - ـ فلتكن ما تكون ما أجرك ؟
- ـ اجمعوا لى خمسين ناقة سليمة لاعبب فيها ولا أود.
 - ۔ ویعد ؟
- ــ أرسل النياق إلى أهل بيتي ثم أنيم معكم حتى يوم الكريهة .
 - _ أتأخد النياق قبل الحرب.
 - ــ هكذا تعودت .
 - _ ليكن لك ما أردت.
 - ـ وإن أحب أن أشرب الصبوح والغبوق.
 - ــ وخمر أيضاً .
 - ــ لا أعيش بغيرها .
 - _ ولك ذلك .
- ــ أما إفطاري فقعب من اللبن وإناء من السمن وعشرة أرغفة وغذائي شاة وعشائي . . .
 - ـ وعشاء أيضاً ؟ !
 - _ إن لم آكل فكيف أحارب؟
 - _ وعشاؤك ؟
 - ــ لا أحب أن أثقل في العشاء حتى بحسن نومي . نصف شأة تكفى
 - ... لك ما أردت .
 - _ والنصر مؤكد لكم .

وأقام غضبان بيننا يروى عن أعياله . . . وانصرفت القبيلة جميعها إلى أعهالها فقد آمنوا أن . الحرب لن تنال منهم شيئاً ما دام معهم غضبان ولم يعد حديث الحرب يدور بينهم إلا إذا جلسوا حول غضبان يسمرون ويستمعون إلى أحاديثه عن حروبه التى لا تنتهى وكنت جالساً إلى جانب سليان حين التفت إلى فجأة .

_ لقد شاع الأمن في النفوس.

نظرت إليه ثم قلبت نظرى في وجوه القبيلة . . . نعم لقد شاع الأمن .

- _ نعم لقد شاع الأمن.
- _ لقد صدق قولك . . . لا أحد يعرف متى يشيع الأمن .
 - ــ نعم . . . لا أحد يعرف .
 - _ لقد شاع الأمن مع أن الحرب لم تنته .
 - ـ تستطيع اليوم أن تتقدم إلى عمك .

* * *

كان الفرح عظيمًا واجتمع الحبيبان بعد طول انتظار وفرحت القبيلة باجتهاعها فقد طالت بهم فترة القلق والخوف وكانت النفوس منهم تهفو إلى فرح . . . أى فرح أكان فرح بنت شيخ القبيلة . . . ومرت شهور طويلة على العروسين وبشرت العروس بمقدم طفل يجبو في إثباج الغيب . ورفرفت السعادة على القبيلة لا يذكرهم بالحرب إلا وجود غضبان بينهم يروى عن بطولاته ويتناول مأكله الدسم وإن كان هذا المأكل لم يصبح له وحده وإنما كان يشاركه فيه كثيرون من أبناء القبيلة فقد اتفنح منذ اليوم الأول أنه ليس أكولاً نهما كها أحب أن يتحول إلى لأبناء القبيلة . وإن كان في شرب الصبوح والغبوق يكثر ولكن إكثاره ما يلبث أن يتحول إلى أحاديث يمتع بها مستميعه من أبناء القبيلة . ولعلهم من أجل هذا كانوا يلحون عليه أن يستمر في الشراب كلها أحب أن يكتفى .

لقد نشأ بين غضبان وأبناء القبيلة جميعاً نوع من الألفة والحب والإكبار من جانبهم والإيناس من جانبه .

* * *

حتى كان يوم فوجئنا فيه بنعمان أحد تجار القبيلة يدخل إلى أفناء الخيام يركض فرسه كالسهم النافذ . . . وقبل أن يوقف فرسه صاح :

ـ لقد جاء اليوم .

وما هي إلا لمحة من بصر حتى كانت القبيلة جميعها حوله .

- كنت فى السوق فرأيت جماعة كبيرة من الناس وسمعتهم يذكرون اسم قبيلتنا فلم أشتر شيئاً وجئت أسابق الريح .

- ــ متى تظنهم يصلون ؟
- _ قبل أن تغرب الشمس.

وصاح شيخ القبيلة:

_ يومك يا غضبان.

ونظر الجميع إلى غضبان . . . لم يكن غضبان هذا الذى نرى . . . لقد امتقع وجهه فهو أبيض ناصع البياض . . . وزاغت عيناه فهى هاربة فى حفائرها كأنما تريد أن تغور داخل رأسه . . . بل جسمه الشاهق الضخم أصابته الضآلة فهو بعض من جسم .

غضبان جميعه بعض من إنسان . . . وقال لسانه وهو يتعثر في فمه :

- ـــ بل هو يومكم أنتم .
- ــ يومنا نحن بقيادتك .
- _ أنا لم أحارب في حياتي .
 - ہ ماذا ؟

انطلقت صرخة ذاهلة من الجميع . . . واستغلق الأمر لحظات على شيخ القبيلة ولكنه سرعان ما تماسك ونظر إلى غضبان ثم قال في تؤدة ووقار :

ـ احبسوا هذا الرجل حتى تنتهى الحرب ثم نرى فيه رأينا .

وخف إلى غضبان بضعة فتيان كنت منهم وكان معى صديقى سليهان ولم يلتفت غضبان إلى أحد منا وإنما نظر إلى سليهان وقال في تؤدة :

ــ أما أنت يا سليهان فلا . . . أنت لا أجيز لك أن تقيدني .

وبهت سليهان لحظات ولم يدر ما يقصده غضبان إلا أنه ترك الحبل من يده وتولينا نحن قيد غضبان وألقينا به فى خيمته وقد لا حظت عليه شيئاً غريباً . . . لم يعد ذلك الشخص الذى كانه منذ لحظات . . . لقد بارحه الخوف وعادت إليه الطمأنينة التى عهدناها فيه ولو لم نكن مشغولين بالجيش الوافد ولو وجد مناآذاناً صاغية لراح وهو فى قيده يقص علينا بطولاته فى الحروب التى خاضها .

راح شيخ القبيلة يستعد للحرب فالقبيلة جميعها تهيىء السيوف وتعد الخيل وشيخ القبيلة يحدد لكل منهم موقعه وما عليه أن يفعله . . .

وجاءت الجيوش آخر الأمر . . . وبادرنا نلتقي بها قبل أن تصل إلى الخيام وكانت مفاجأة لم

تخطر لنا على بال . . . لم تكن جيشاً لقد كانوا جماعة من قبيلة عاصم لم يتبين نعمان حقيقتهم فقد هيا له الخوف أنهم جيش غطفان وما لبث شيخ قبيلتنا أن رحب بشيخ قبيلة عاصم ودعاه هو ومن معه إلى الخيام لينال الراحة والضيافة .

لقد جاء شيخ عاصم ليعقد صلحاً بيننا وبين قبيلة غطفان وذكر ما طلبوه من دية وكانت ماثتي بعير ولم ينتظر شيخ عاصم حتى نبحث الأمر بل سارع يقول:

ـ وإنى أقدم من عندى خسين بعيراً هدية منى إليكم حتى يعود السلام إلى الربوع . وقبلنا الصلح فيا أعظم أن ننتصر وندفع ثمن نصرنا هذا العدد من الجال .

ـ فأنت إذن يا غضبان كنت تسرقنا.

ـ أنا يا شيخ القبيلة ؟

_ الست أنت من أخد الخمسين ناقة وأقمت . . .

وقاطعه غضبان:

ـ لا تذكر المأكل والمشرب يا شيخ القبيلة فإنك أكرم من أن تذكر مثل هذا .

وصاح سليهان :

- ليكن . . . فهاذا أنت قائل عن الخمسين ناقة .

وقال غضبان:

_ اسكت أنت يا سليمان .

ـ عجيب أمرك معى . . . رفضت أن أقيدك وأنت الآن ترفض أن أحاسبك . . . ما شأنك معى . ؟

_ إنك أكثر أبناء القبيلة انتفاعاً بما قدمت .

ـــ لم تقدم إلا الأحاديث المزوقة وأخبار الحروب الوهمية التي خضتها والبطولة الزائفة التي ادعيت إنك صاحبها .

ونظر غضبان لحظات إلى سليهان ثم راح يجيل عينيه في أبناء القبيلة فوجد عيونهم جميعاً تنتظرجوابه ونكس رأسه هنيهة ثم رفع رأسه في هدوء وثقة .

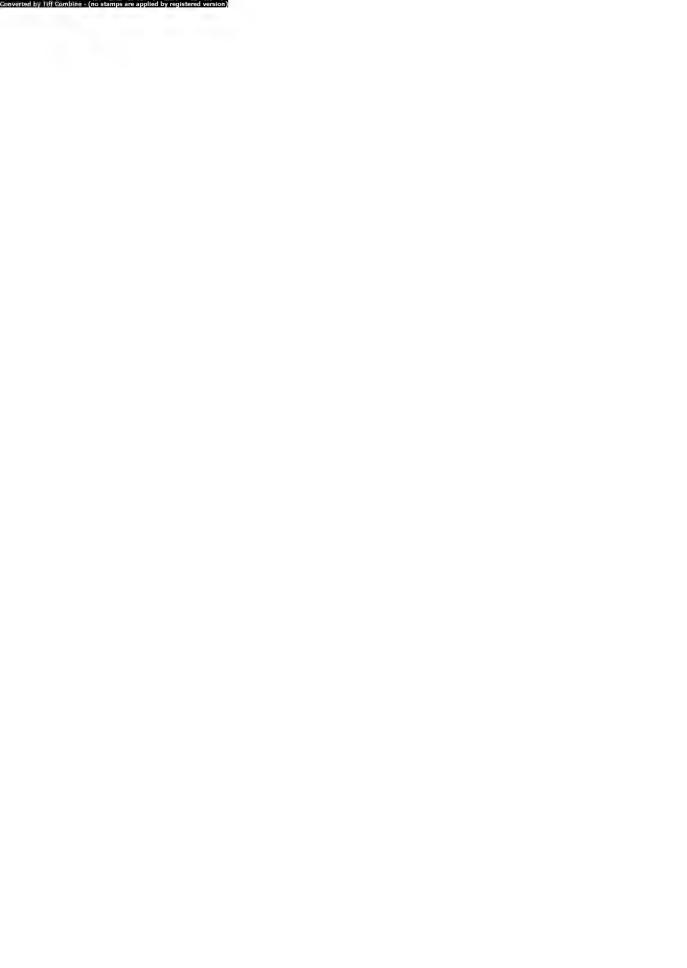
ـ لقد قدمت إليكم بهذه الأحاديث أعظم ماكنتم تفتقدونه ولا تجدونه .

۔ انت ؟

- قدمت إليكم الأمن . . . قدمت إليكم الاطمئنان .

وكأنما كانت هذه الكلمة في واد سحيق بعيد عن أذهان الجميع . . . نظر أبناء القبيلة بعضهم إلى بعض ثم التقت عيونهم جميعاً عند شيخ القبيلة فوجدوه صامتاً صمت المفحم الذي لا يجد ما يقول واستمر غضبان في حديثه موجهاً كلامه إلى سليهان ما يزال :

- بهذا الأمن وهذه الطمأنينة تزوجت يا سليهان وجد الفرح سبيله إلى قبيلة كانت قبل أن أجىء مفزعة فى صباحها ومسائها طعامها قلق وشرابها شغل وتفكير . . . أكثير ما أخذته منكم مقابل ما أعطيتكم . . . لقد نلتم المقابل . . . نلتموه كاملًا . . . أليس كذلك يا سليهان .



تهيحة فحسابرة

كان عدلى يفرح أشد ما يفرح حين يمر بالأطفال فيلقى عليهم التحية فيستقبلونها بالفخر والإعجاب والإكبار، إن عدلى جمعه يلقى عليهم التحية ويعتبرهم رجالاً يستحقون منه هذا الإكرام وكان هذا الشعور بالفرح فى نفوس الأطفال يسكب سعادة مزغردة فى قلب عدلى ويشعره أنه ما زال فتى الليل ذا الصيت الضخم الذى تهتز لذكره أفئدة الناس فى قريته وجميع القرى المجاورة وكان هذا الشعور يسليه عن أنظاره الذى يعلم أنه أصبح ضعيفاً وهو يعلم أنه يجب أن يذهب إلى طبيب يعالج له ما يفقده من بصره ولكنه يخشى أن يسامع الناس بهذا فتسقط هيبته ويزول مجده الذى أصبح فى مهب الرياح منذ توقف عن الأعمال المجيدة التى تعود أن يقوم بها — فهو لم يقتل أحداً منذ ثلاث سنوات وبجده يوشك أن يصبح نسياً، فإنه لولا فرحة الأطفال بتحيته لأصبح بلا مجد أعجاد على الاطلاق.

وهو يخشى أيضاً أن تعرف حبيته هنية أن نظره قد ضعف فينكمش حبها له وتفضل عليه زوجها عبد الباقى فهوإذن يبقى على سره دفيناً فى العميق من صدره لا يطلع عليه أحد .

خرج عدلى من داره فى أول الليل وراح يتحسس طريقه إلى دار عبد الباقى فى ليلة موعد كان عبد الباقى فى الحقل يروى الأرض وسيظل هناك إلى ساعة متأخرة من الليل فالفرصة مواتية لعدلى أن يذهب إلى هنية .

استقبلته هنية في بشاشة ودخلا إلى حجرة النوم .

لم يطل بهما المقام في الحجرة فقد سمعا صوتاً.

- عبد الباقي .

هل ترك الغيط؟

- ـ اخفض صوتك .
 - _ أيهمك أمره .
 - ــ زوجي .
 - ــ وأنا عدلي .
 - ــ إنه زوجي .
- ودهل عبد الباقي بما يرى.
 - _ عدلي .

وأخرج عدلى مسدسه من جيبه ولم يتكلم وأطرق عبد الباقى والثورة توشك أن تمزقه تمزيقاً ولم يجد شيئاً يفعله إلا أن يخرج من البيت هائهاً على وجهه وتاه به الطريق وطال به المسير لا يعرف مكانه من القرية وهى قريته ولا يعرف قدميه على الطريق وهو طريقه وكل آفاق تذكر زوجته الخائنة ومسدس عدلى فيعود إلى الضياع وينسلخ الليل وتطلع الشمس ولكن الظلام ما يزال يحيط به ويتلفت حواليه آخر الأمر فيتين له أن قدميه قد سحبتاه إلى قريب من المدينة .

فى المدينة يعرف طريقه . . . يعرفه فى إصرار وحزم . . . إنه الآن يعرف ما يريد . . . ويعرف الطريق .

- _ بلغني أنك تسلف,
- ـ بفائدة عشرة في المائة .
 - في السنة
 - ــ في الشهر.
- أعطني عثيرة جنيهات .
 - ۔ لکم شهر؟
 - ـ حتى أجمع القطن.
 - ــ لمدة ثلاثة شهور .
 - ــ نعم .
- _ وقع على هذه الكمبيالة .
 - ــ هات الفلوس .
 - ـ توقيعك غير واضح .
 - ــ أوقع ثانية .
 - ــ خذ الفلوس .
 - ــ هذه سبعة جنيهات؟!
 - _ خصمت الفائدة.

ـــ آه . . إذن مزق هذه الكمبيالة واكتب كمبيالة أخرى بخمسة عشر جنيهاً وسار في طريقه . . . إنه يعرف طريقه .

- _ أريد مسدساً .
- _ هل معك رخصة ؟
- _ بكم هذا المسدس.
- ... إن كان معك رخصة فهو بثمانية جنيهات.
 - ــ إن لم يكن معى .
 - ـ فهو باثنی عشر جنيهاً .
 - _ والرصاص؟
 - ـ بجنيه .
- ... اسمع أريد هذا الرصاص مملوءاً بضعفى ما يحمله من بارود.
 - ــ مر على بعد ساعة.

وحين عاد إلى القرية لم يذهب إلى البيت فها عاد له بيت ذهب إلى حقله وبات ليلته في العراء .

وفى الصباح راح يهيم على وجهه عاذراً أن يقترب من بيوت القرية حتى اقتربت الشمس من المغيب فهو يسير إلى بيت مسعود حيث يعلم أن عدلى يسهر كل ليلة وينتظر مترقباً حين خرج عدلى سار خلفه بضع خطوات ثم أخرج مسدسه وأطلق منه رصاصة ونظر إليه عدلى هالعاً فأطلق رصاصة أخرى وثالثة حتى أفرغ رصاص المسدس جميعه وعدلى واقف على قدميه لم يتحرك فهو مسمر إلى الأرض شاخص إلى قاتله لا يكاد يحس بقدميه من الهلع وهذا الرصاص يتدافع من المسدس وعبد الباقى أشد هلعاً ودهشاً من عدلى . إن الرصاص لا يصيب مقتلا . . . وحين ينتهى الرصاص يظل عدلى مسمراً في هلعه ويضيق عبد الباقى إلى موقفه فيسارع بالجرى الخائف المفزع ويظل يجرى ويجرى حتى تجد قدماه الطريق إلى المدينة ويظل يهيم بها شارداً ذاهلاً فها يصبح الصبح وتفتح الأبواب المغلقة حتى يسارع إلى الرجل الذى باعه المسدس .

- _ ما هذا الرصاص؟
- ـ رصاص بلا بارود.
 - ــ لماذا فعلت هذا؟
- _ عرفت أنك تريد أن تقتل.
 - _ وما شأنك ؟
- _ وعرفت أنك لست قاتلًا محترفاً .

- ــ ليس في العالم شيء يستخق أن تفقد من أجله حياتك أو حريتك .
 - _ شرفي .
 - _ طلقها .
 - ـ شرفي .
 - _ إن طلقتها سيصبح شرفها هي وليس شرفك أنت.
- _ ويصمت عبد الباقى حيناً ويجلس ويجتذب من أعهاقه نفساً بعيد الأغوار .
 - ۔ عجیبة .
 - _ ماذا ؟
 - _ أحس الآن بالراحة .
 - _ حقاً ؟
 - _ لقد قتلته .
 - _ هل قتلته ؟
 - ـ أنا قتلته ولكن هو لم يمت .
 - ـ إذا فأنت فعلت ما تريد.
 - ــ لقد قتلته .

ظل عدلى مسمراً وتقاطر الناس إلى صوت الرصاص فوجدوه واقفاً جامداً على موضعه لم ينتقل وراحوا يسألون وهو شارد . . . ذاهل هزوه .

- ــ قتلني .
- ــ ليس بك جرح.
 - ـ ولكنه قتلني .
 - **-** من ؟

وتطايرت القصة في أرجاء القرى جميعاً وأصبح القوم ولا حديث لهم إلا هذا الحادث فإنهم هناك يترقبون مثل هذه الحوادث بشغف ، يتسقطون أنباءها ويمضغون حديثها فإنهم هناك لا يجدون الكثير من وسائل التسلية ولا عزاء لهم عن هذا إلا الحديث . . . لن يتركه عدلى سيجعل من جنته غربالاً . . ستسمع الكثير في الأيام القليلة القادمة . . . وستروى الكثير في الأيام القليلة القادمة . . . وستروى الكثير في الأيام القليلة القادمة . . . ونقول . . ونروى ونتحدث ونتسلى .

وتمر الأيام ويزداد التوقع والتشوق وعدلى يعلم أنه لن يستطيع أن يصنع شيئاً إن يده لا تعرف طريقها إلى الطبق الذي يأكل منه إلا بالتحسس . . . لن يستطيع . . . لن يستطيع . ويمر بالناس فترنو إليه العيون في ترقب وتوقع وفي إكبار أيضاً فهو الرجل الذي تعلقت به آمالهم أن يمدهم بموضوع للحديث يعينهم على الملالة شهراً أو ربما شهرين . . إنهم يتوقعون وهويعلم أنهم يتوقعون ولكن كيف . . . لعله يستطيع أن يستأجر قاتلاً . . . إنها إذن النهاية . . . على الذي عاش عمره جميعاً يستأجره الناس للقتل يستأجر هو الآخر . إذن قد مات عدلي .

وتمر الأيام وتصبح أسابيع ما تلبث أن تصبح شهوراً ويحس الناس بخيبة الأمل فقد فتر حديثهم عن حادثة عبد الباقى وهم يريدون أن يبدأوا حديثهم عن عدلى لقد خاب أملهم . . . خاب أملهم . . ولكن عدلى ما يزال يمر بالناس ويلقى التحية وقد أصبح الرجال يستقبلون هذه التحية بنغمة فاترة فيتظاهر عدلى بأنه لم يلحظ هذا الفتور ويمر الأطفال فيسعد بالنغمة المرحبة المليئة بالإعجاب والإكبار ويسعد ويشعر أنه مازال ذا مجد وشموخ .

حتى كان يوم . . . يا له من يوم .

مر الأطفال وكان من بينهم عمد بن عبده أبو السيد . . . وكانت هذه الشلة من الأطفال قد عودته أن ترد تحيته في إعجاب شديد يزيد على إعجاب الجاعات الأخرى من الأطفال .

ـ السلام عليكم يا رجال .

وتخافتت الأصوات وهي تقول:

_ سلام .

سلام فقط . . . أين إذن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا سيد الرجال إذن الأطفال أيضاً قد أصابتهم عدوى الفتور ، ولكن انتظر ما هذا .

إنه لم يكن يخطو خطوتين حتى سمع صوتاً . . . إنه يعرفه . . يعرف الصوت قال الصوت :

_ جاءتك خيبة يا عدلي .

ويضحك الأطفال ولايملك عدلي نفسه فينقلب إليهم .

- ــ ولد يا محمد كيف تقول هذا ؟
- _ أصلك هايف ولا موآخذه يا عم عدلي .
- _ قتلت ثلاثين رجلًا ولا يمكن أن أنتهى إلى قتل الأطفال .
 - ... تستطيع أن تقتل رجلًا إذا شئت ياعم عدلى .
 - ــ والله لن أقتل إلا أباك.
- ـ أنا شتمتك . . إنما غيرى قتلك ولم تمد إليه يدا جاءتك خيبة يا عم عدلى وثار عدلى

وهاج وعلا صوته وصرخ لقد أعياه الغيظ عن إدراك الموقف فتجمع الناس ووجد القوم آخر الأمر حديثاً يسليهم عن الملالة .

ولكن عدلي لم يطق . . . حياته أهون من ضياع مجده .

انتظر عبد الباقى فى الطريق وتحرى أن يكون ملاحقاً للمكان الذى يمر به عبد الباقى ومر عبد الباقى وأطلق عدلى رصاصة وثنى بأخرى قبل أن يقفز إليه عبد الباقى فيصرعه ويصرخ عبد الباقى ويأتى الناس ويبلغ الحادث إلى الشرطة والنيابة وحين يأتون إلى مكان الحادث يقرر وكيل النيابة حفظ القضية والسبب أن المكان الذى أطلق منه عدلى الرصاص على عبد الباقى لا يسمح بالخطأ فقد كانت المسافة متراً واحداً فالشكوى كيدية يحاولون بها سجن عدلى فالأعمى وهو أعمى لا يمكن أن يخطىء من هذه المسافة القريبة .

ووجد القوم آخر الأمر شيئاً يتحدثون فيه . . وأصبح عدلى آخر الأمر أسطورة خزى وخدلان . . . وبعد شهور كان عبده أبو السيد يسير بحاره فاذا بعدلي يمسك برقبة الحار .

ــ حاول أن يقتلني عتاولة المجرمين يا عبده يا أبو السيد فلم يستطيعوا ولكن ابنك يا عبده أبو السيد قتلني . . . فوضت أمرى إلى الله . . . فوضت أمرى إلى الله .

9

- 1 -

- ــ أريد أن أقول:
- _ قل هل منعك أحد؟
 - ـ أنت دائماً تمنعيني .
 - _ أنا ؟
 - ــ أنت .
 - ــ ما منعتك عمرى .
- _ أنت لا تسمعين ما أقول.
 - ــ اليس المهم أن تقول .
 - ـ بل المهم أن تسمعى .
- _ في هذه المرة أريد أن أقول وأن تسمعي .
 - _ ليس من عادق أن أسمع .
 - ـ لقد سئمت القول بلا سماع .
 - ــ لن تقول شيئاً جديداً .
- _ تزوجنا من زمن بعيد وما عندك طبعاً قلته في الأيام الأولى .
 - _ حدث بیننا شیء .
 - _ لا يهم ما حدث .
 - _ ولكني أريد أن أقول .
 - ــ فقل .

- ـ وتسمعين .
- _ لا شأن لك.
- ـ فلا معنى للقول .
 - _ أنت حر.
- ـ لو كنت حرأ لتكلمت .
- ... إن لك الحرية أن تقول .
- ــ وأنا لى الحرية ألا أسمع .
 - _ ما إصرارك هذا؟
- _ لا أرى فاثلة في قولك ولا في سياعي .
- _ كيف تحكمين على ما سأقول وأنت لم تسمعيه بعد .
 - ــ لقد خرجت من حياتي فكل حديث لا معني له .
 - سه ومع ذلك ليس هناك ما يمنع أن أقول وتسمعي .
 - ــ لقد رأيتكيا .
 - ـ أنا لم أنكر هذا .
 - _ فياذا تريد أن تقول ؟
 - ... فتأة هي . . .
 - _ لا تقل . . . لا تقل .
- _ إذن فسأقول أنا ولك أنت أن تسمعي أو لا تسمعي وهبته حبى ووفائي ويخون .

طفلة كنث حين تزوجنا وبهرني منه حديث منمق وقوام رشيق ووجه وسيم .

وحين عرفت الحياة وجدته بلا ضمير ووجدت حديثه المنمق طلاء وبلا معنى ولا نبض وكانت طفلتى قد جاءت فكان لا يمكن أن أتركه وقبلت أن أعيش معه وهو تافه وسخيف أما أن يصل الأمر إلى الحيانة . . . ولكن ما لى أغضب لحيانته كل هذا الغضب ما دمت لا أحبه فها حرصى على وفائه . لعلنى حريصة على كرامتى وما شأن كرامتى ما دام يخفى عنى خيانته فكرامتى إذن سالمة فم يمسها أحد فحين كشفت ما كان خافياً حينتلا . . .

- إن محام ،
 - ــ کنت .
- _ ومازلت .
- ــ بل كنت .
- _ وللمحامين زبائن .
- _ هل أنت مصمم أن تقول ؟
 - _ كل التصميم .

_ وماذا يضرك ما دمت لا تتعب.

_ أرادت هذه الموكلة أن تلتقى بى خارج المكتب فكان لابد أن ألتقى بها . . . ان المحامى طبيب نفسى عليه أن يشعر زبائنه دائها أنهم فى أمن واطمئنان ماداموا فى مكتبه وفى حمايته القانونية .

كل ما بلغك غير هذا كذب . . . لماذا لا تجيبين . . أى إنسان لا يجوز أن يخبر الزوجة بما يصنعه زوجها حتى لو كانت هذه الأخبار صحيحة . . . إن للبيوت قدسية لا يجوز لأحد أن يحطمها . . . إن هؤلاء الذين كلموك عنى إنما يريدون أن يحطمها البيت الذى بنيناه من أحلام طفولتنا ومن ظلال صبانا ومن أوهام شبابنا ومن حقيقة وجودنا . . . ألا تذكرين . . . وإنما كنت تحمين أن تسمعى الذكريات وكنت تكملينها مالك لا تكملين . . .

أتذكرين يوم كانت دادة حميدة تلقى بنا معاً فى البانيو عرايا ولم نكن نجد حرجاً فى ذلك يومذاك كنا نضحك وأرشك بالماء وتضحكين ثم نستحم ونخرج وكأننا طفلان أو طفلتان لا يفرق بيننا جنس مختلف . . . أنت لا تسمعين لو كنت تسمعين لا حمرت وجناتك فقد كانت وجناتك تحمر دائماً كلما ذكرتك ببانيو دادة حميدة . . . إذا كانت الأيام الطويلة لم تستطع أن تفرق بيننا أتستطيع ألسنة الناس ألا تعرفين معنى مرور الأيام . . . إنها هذه الأيام التى تلقى الشيب إلى الرؤوس وتلقى المغضون على الوجوه والترهل على الأجسام والضعف على الأبدان . . . هذه الأيام نفسها تمر على العلاقات الصادقة الأصيلة فتزيدها أصالة وتغرسها عميقة فى صدر الزمن فاذا الروحان مثلنا يصبحان حياة واحدة تنطلق أنفاسها من مصدر واحد قد اتحدت آمالها فى الحياة واتحدت بينها مصادر الرزق ومصادر الضيق ومصادر الفرح . . . قد اتحدت آمالها فى الحياة واتحدت بينها مصادر الرزق ومصادر الضيق ومصادر الفرد هذه لا لن أحدثك عن ابنتنا . . . إن كانت العلاقة بيننا لا تحتمى إلا بسهير فأنا لا أريد هذه العلاقة . . . لن أقول لك إن طلاقنا سيكون صدمة لسهير فى بيت زوجها . . . أتصدقين هذه الخامسة والأربعين لست صغيراً على كل حال . . . كنت دائماً تجبين سن الخامسة والأربعين لست صغيراً على كل حال . . .

لو علمت لماذا خنتك . . . لن تتصورى الأسباب . . . إنك قاسية إنك تطلبين الكيال من كل من حولك ولا يستطيع من حولك أن يهبوا لك الكيال . . . أعلم أنك قسوت على نفسك وكنت مثالية في كل ما تصنعين ولهذا أردت من الجميع أن يصبحوا في مثل مثاليتك . . . عذبت نفسك بالمثالية فلهاذا لا تعذبين الآخرين . . . ولكننا نحن الذين حولك بشر نريد أن نخطىء كها يخطىء الناس وأن نعيش كها يعيش الناس ونتمتع بالحياة بكل الحياة . بما في الحياة من خطأ

وما فيها من صلاح . . . كرهت عنقك ومحاسبتك على كل صغيرة كرهت هذا فيك وأعجبت به فيك أيضاً . . . أتمنى أن أراه ولا أتمنى أن أكون مثله . . . أتمنى أن أراه ولا أتمنى أن أكونه ليتك تسمعين هذا الكلام ولكن كيف أقوله . . . إن فيه اعترافاً بما فعلت وقد تحصلين منى مع كل شيء ولكنك لن تحصلي على هذا الاعتراف . . .

* * *

وأنت أيضاً لست صغيرة . . . الغيرة لا تتفق مع سنك أصغر منى أعلم ذلك ولكنك لست صغيرة لا إجابة . . . لا إجابة على الإطلاق . . . إن كنت مصممة على الصمت . . . فابتسامة أو تكشيرة أو هزة رأس ، أى شيء يشعرنى أننى هنا إننى أقول شيئاً . . .

سه او كنت حياً لأمتعنى هذا الحديث . . . ما زال لحديثك طلاوته . . . ما زال حديثك يستطيع أن يعيدني إليك .

ـــ لو كنت حياً . . . الست حيا . . .

_ ألا تعلم أنك مت؟

ــ مت . . . ألهذا الحد تكرهينني . . . هل استطاعت الأقاويل أن تجعلني ميتاً في نظرك .

ــ لأنك مت .

_ أنا الآن لست حياً .

ــ أتتصور نفسك حياً ؟

_ أليس هذا حقاً ؟

_ ألا تعرف أنك مت .

ــ لا تقولي هذا .

_ إنها الحقيقة .

ــ الست جالساً الآن أمامك . . . ألا تسمعين حديثي وتجيين .

_ صوت من العالم الآخر .

ــ فأنا ميت إذن .

_ عل تشك في ذلك .

ــ بل إني واثق أني أعيش .

_ إنى حي ولكن لن أحيا معك ما دمت قد هنت عندك إلى هذه الدرجة .

_ علم الله لم تهن ولكنها الحقيقة .

_ إنها أمنياتك أنت ...

ــ إنها الحقيقة . . .

ــ سأجعل منها حقيقة بالنسبة إليك لن أعيش معك لن ترى وجهى بعد اليوم . لن ترى وجهى بعد اليوم .

- 1 -

لعلها كانت تختاره من تلقاء نفسها إذا لم تتعرض لما تعرضت له ... كيف قبل أبوها هذا ... أبوها رجل القانون الذى ظل طول حياته يعلمها أن الحرية هي أثمن ما في الوجود وأن حرية المرء هي حياته فإذا هي في سنها الباكرة تتنسم الحرية مع الهواء الذي تننشقه واثقة أنها تستطيع أن تمارس حريتها في كل صغيرة وكبيرة من حياتها ... وقد عاشت منطلقة سعيدة بحريتها سعيدة بثقة أبيها فيها حريصة أن تؤكد له دائماً أنه يضع ثقته بين يدين جديرتين بها ... فهي نقية دائماً ... تختار لنفسها أكرم مكان بعيدة كل البعد عن مواطن الشبهات لا تكترث كثيراً بتضييق أمها عليها فإنها يجب أن تسيطر عليها دائماً وتحب أن تحد من حريتها المنطلقة هذه في طبيعة لا تكلف فيها وقد عرفت هي هذا في أمها فهي تغفر لها قسوتها وتعيش حياتها كما تحب أن تعيش في حرية نقية صافية .

وهى فى جمالها الرائع الأخاذ كفيلة أن تثير لدى الشباب ألوانا من المطاردة وهى سعيدة بهذه المطاردة وهى أكثر سعادة حين ترى نفسها تردهم جميعاً فى كبرياء وتدفعهم فى عزة لا يعنيها ماذا هى مثيرة حولها بكبريائها.

وحين أصبحت فى الجامعة أحاط بها الزملاء برغباتهم الجامحة وأحاط بها الزميلات بغيرتهم المجنونة فلم تعبأ بالرغبة من الفتيان ولا بالغيرة من الفتيات وظلت كها تحب لنفسها أن تظل مترفعة كريمة على وثام تام مع ضميرها وحريتها .

واستطاعت الرغبة من الشباب والغيرة من الفتيات والكبرياء منها أن تطلق حولها الأقاويل ضاربة مجنونة فمنهم من يقول لها حبيب ولكنها خبيثة عميقة تستطيع أن تخفى أمرها ومنهم من يقول مجنونة متكبرة ومنهم من يقول إنها مبذولة لمن يشاء ولكنها تتظاهر بالعفة . ومنهم من يدعى أنها في أمسها القريب كانت معه وأنه رأى من فجورها ما لم يشهده من المحترفات .

وتجد هذه الأقاويل طريقها إلى أذنيها فالبنات يحببن أن يتظاهرن بالشفقة عليها ويحببن أيضاً أن يتظاهرن بصداقتها فلأن يتظاهرن بصداقتها فلأفويل تصبح صداقتها فى أغلب الأمر شيئاً حبيباً وإلى نفوس الفتيات .

وكانت هذه الأقاويل تصيب من نفسها مكاناً قاسياً ولكنها كانت تستطيع دائهاً أن تتكبر عليها فكأنما الحديث عن فتاة غيرها لا تعرفها .

وإن كان قول الشاب الذى قال إنه كان معها قد أثار فيها غضباً شديداً . . . إنها تعرف هذا الفتى ولكنها لم تكلمه في حياتها أبداً . ولقد حاول أن يتقرب منها بالطريقة الساذجة التي يحاول بها غيره فلم تكلف نفسها عناء صده بالحديث وإنما أشاحت عنه وانصرف دون حديث فهو من ذلك النوع الذى يجب أن يزهو دائماً أن النساء أسيرات إشارته .

عرض الفتاة بضاعة لا حارس عليها . . . يكفى أن يطلق هذا الأفاق قوله الرخيص حتى أصبح أحدوثة بين الطالبات والطلبة . وعن وهم دائياً أكثر ميلاً إلى الهجوم منهم إلى الحق . لا يعنيهم ما يعرفونه عن كبريائي وما يعرفونه عن هذا الفتى من كذب وادعاء . وإنما يعنيهم أنهم أصبحوا أمام قالة جديدة حكاية مثيرة يرويها فتى على أنه بطلها . . . وستصدق الحكاية بلا تحيص ولا تفكير فإن النفوس تريد أن تصدقها وليذهب كبريائي إلى أى جحيم يشاء .

ويتجمع الفتيان والفتيات حول الشاب ويصف وفى كل يوم يزيد فى الوصف ويستطيع فى خبث أن يغمز بعينه ;

- لولا وجود الإنسان لسمعتم ما شئتم من التفاصيل.
 - ۔ أنت كذاب .

صوت انبعث من شاب بينهم والتفتت إليه العيون منكرة عاجبة فقد تعودوا أن يسمعوا هذه الأحاديث من ملقيها هذا دون أن يفكر أحد في وضعها موضوع الاختبار ليحكم عليها آخر الأمر بالصدق أو بالكذب في هذه البعديدة ومنذ متى يفكر واحد منهم في مقدار الحق فيها يسمع.

- _ أنا كذاب؟!
- _ وما شأنك . . .
- ــ أنت كذاب لأن ما تقوله لم يجدب وجيقير لإنه لو كان حصل لكان الأولى بك أن تستره .
 - _ خطبة عظيمة في مكارم الأخلاق .
- ــ الفتاة التي تروى عنها نعرفها جميعاً وهي لم تسمح لأحد أن يأخد عليها إشارة غير كريمة .

فهى حريصة أن تكون سمعتها فى الكلية أحسن سبعة وهي جميلة . . . بل هى أجمل فتاة نعرفها . . . ولو شاءت لوجدت الأصدقاء من كل مكان ومن الطبيعي أنها إذا أرادت أن تلهو فإنها ستبحث عن شاب فى أى مكان غير الكلية التى حرصت دائماً أن تكون فيها شريفة . . . أنت كذاب .

وكأنما أفاق الجمع الملتف حول القصة والحوار إلى هله الحقيقة البسيطة الساذجة . . . إنها حقيقة لو أراد أى شخص منهم أن يفكر فيها يسمع لوصل إليها دون جهد يذكر ونظروا إلى الفتى

الذى كان يروى فوجدوا البهتة على وجهه . . . إنه فى موقف جديد عليه فقد ظل طول عمره يروى فيجد المتعة فى وجوه السامعين ولم يجد معارضة فى يوم من الأيام ونظر حوله فوجد الوجوه جميعها تنتظر جوابه وهى أقرب ما تكون تصديقاً لهذا الهجوم الذى شنه عليه زميله . . . كان ذهنه مشغولاً بخلق القصة ولم ينشغل أبداً فى خلق الحجج التى تدل على صدقها فحين واجهه هذا الإنكار وجد نفسه فى صحراء من الدهشة ولم يجد شيئاً يقوله . . . فغر فمه وحملقت عيناه وانطفاً عن وجهه وهج الحماسة وجف ريقه وراح يدور بعينيه حوله فإذا العيون التى كانت منذ لحظات ساجية مستمتعة بما تسمع تصبح عيوناً متسائلة متهمة قاسية محتقرة . . . كانت تريده أن يكون صادقاً . . . كانت تريده يحمل الدليل على ما يقول حتى تصبح متعتهم حقيقية تريده أن يكون صادقاً . . . كانت تريده يحمل الدليل على ما يقول حتى تصبح متعتهم حقيقية وهذه الحبران وهذا الوجوم الكسيف وهذه الحيات الماطنة وهذا الصمت الذاهل الحيران وهذا الوجوم الكسيف الخزيان . طال صمته فألقي بعينيه إلى الأرض آخر الأمر واستدار للجميع فى يأس قائلاً فى صوت يحاول أن يجمل التهديد فلا يحمل إلا الهزية :

_ طيب . . .

وينصرف لتعلو في سمعه عند الباب قهقهات عالية ساخرة ويلتثم الجمع حول المنتصر فيجدون الفتى غير معتز بانتصاره .

ــ أنتم جميعا شركاؤه والفتيات منكم خاصة . . . كيف تأمن أى واحدة منكن أن يقول عنها مثل هذا القول . . .

وينصرف الفتى المنتصر فى غضب وينتقل الحديث جميعه إليها فتجد فى نفسها راحة واطمئنانا . . . إن الدنيا ليست بالسوء الذى كانت تتصوره . إن هذا الفتى الذى دافع عنها حاول أن يقيم معها صداقة فردته هو أيضا ولكنه شريف . . .

وتمر الأيام ولا يحاول أن يتقرب منها . . . إنها تعرف أنه يحس بنظراتها الشاكرة تلقيها إليه من بعيد ويروغ هو من هذه النظرات فقد قال ما يعتقد أنه الحق وهو لا يريد منها شكراً . . . وتأبي هي أن تقدم شكرها في حديث فهي لا تريد أن يرى زملاؤها أن بينها وبينه أي علاقة ولو كانت هذه العلاقة مجرد حديث . . .

ودون أن تحس هى ودون أن يحس نشأت العلاقة . . . فيها إكبار من الناحيتين وفيها شكر من جانبها . . . بل فيها من جانبها معنى أكبر من مجرد الشكر . . . لقد أحست أن هذا الشاب قد أعاد إليها ثقتها في الناس . إن فيهم سوءاً ولكنهم ليسوا جميعاً أشرار . . . أحبته من ومضات خاطفة في عينيه أحست أنه يحبها . . . فهى لم تدهش حين تقدم إلى أبيها يريد أن يخطبها ولكنها دهشت أن أباها لم يسالها عن رأيها وإنما عرفت أنه صرفه دون قبول . . . تقول

أمها انه فقير لا يملك إلا مرتبه حين يعين . تلك الحجة الني يراها الآباء دائماً مقنعة والتي يراها الأبناء دائماً سخيفة . . .

كان رفض أبيها مؤلماً بالنسبة لها . . . كيف ينهار هذا التمثال الذي أقامته له في نفسها . . . لقد ظل طول حياتها يعلمها أن الحرية هي أثمن ما يملكه الإنسان ثم هو في لحظة واحدة يسلبها كل حريتها وهي أهم ما يعرض لفتاة في حياتها . . إنهار تمثال أبيها . . . إنها تعلم أنه يلين أمام أمها في أمور كثيرة ولكنه من المبادىء الأساسية التي يؤمن بها لا يلين فكيف قبل أن يعتسف حق ابنته في اختيار شريك حياتها وكيف قبل أن يرده دون أن يسالها . . .

إن هذا الذى رده أبوها هو الشخص الوحيد الذى تريد بحريتها الكاملةأن تتزوج منه وشباب الدنيا جميعها بعد ذلك سواء . . . ما دامت لن تتزوج هذا الشاب فليكن الزوج من يكون .

وحين أقبل زوجها هذا :

- ـــ ما رأيك ؟
- ـ لا رأى لى .
- _ فأنت إذن موافقة .
- ـ إذا كان عدم إعطاء الرأى موافقة فأنا موافقة .

واعتبرت أمها هذا الحديث القصير موافقة وتمت مراسيم الزواج وأبوها بعيد عن الموضوع جميعاً وكان لا يعنيه . . .

وحين أصبحت في بيت زوجها تبينت هول ماحدث لها . . . لقد قضي عليها . . .

- ــ قالت لى أمك انك وافقت .
 - _ هل سألتني أنت .
- _ وهل تكذب أمك في مثل هذا .
- _ إنك علمتنى الحرية وسلبتها منى ليتك لم تعلمها لى حتى لا أفجع فيها وفيك وأنت تسلبها منى .
 - _ هل سلبت حريتك ؟
 - ـ منذ رفضت زميلي الذي جاء يخطبني .
 - _ إنها أمك .
 - ــ وأنت أبي .
 - _ حسبت أنه لا يهمك أن أرفضه .
 - ــ ولماذا لم تسأل؟

- ــ. كنت فى شقاق مع أمك وخشيت أن تظن أنني أقف إلى جوارك للخلاف الذى بيننا .
 - ــ وأنا الضحية .
 - ... لم أتصور أن في الأمر تضحية.
 - ـ ولماذا لم تسأل؟
 - ــ اخطات .
 - ــ وحياتي هي الثمن.
 - ـ ألا تقبلين اعتذاري .
 - ــ وماذا يفيد الآن ؟
 - ـ قد نستطيع أن نصلح ما فسد .
 - ب كيف وقد متُ .
 - ــ أنا مت .
 - _ ألم تمتّ . . .
 - _ من هذا الذي يحدثك.
 - ـــ وهم أو شيح .
 - ــ حتى أنت . . . حتى أنت . . . حتى أنت . . . لقد أعطيتك كل حبى .
 - ــ وأعطيتك كل حبى .
 - ــ لم تطلبي شيئاً إلا قدمته .
 - _ كنت سعيداً وأنت تقدم لي ما أريد .
 - ــ وكنت سعيدة وأنا أقدم لك ما تريدين .
 - ـ كنت أحب أن أجد حبى صدراً عندك.
 - ـ ولكنك كنت كثيراً ما تشك في .
 - _ كنت أخشى أن يكون حبك لى مبعثه البحث عما أقدم لك .
 - ــ هناك من هو أغنى منك ولم أقدم له حبى .
 - ـ إن الغيرة هي الثمن الذي يدفعه المحب في مقابل هنائه بحبه .
 - ــ ولكن على حساب ثقته بمن يحب.
 - ــ أكنت تريدينني محباً لايغار .
 - ـ كنت أريد حبيباً يهب الثقة ثم يخاف.
 - ـ أهذا ما أغضبك .

- _ لا . . . لقد تعودت منك هذه الوساوس .
- ـ إن الصلة بيننا لم يكن يحميها إلا الحب.
 - ـ وهل هناك أقوى من الحب؟
 - ـ القلوب تتغير.
 - _ فهل تمنع الغيرة تغيرها .
 - ــ والمرأة تتغير .
 - ــ وهل تمنع الغيرة تغيرها .
 - .. أنا لا أملك الوساوس تثور في نفسي .
 - الواثق بنفسه يملك وساوسه .
 - _ هل يريد أحد أن يخاف؟
 - ــ القوى يتحكم في طبائعه :
 - _ لكل إنسان ضعفه .
 - _ تستطيع دائماً أن تثق بنفسك .
 - _ وبعيرى ؟
 - _ إذا وثقت بنفسك وثقت بغيرك.
 - ـ بكل الناس.
 - ــ بمن تحب .
 - ـ فإن أحببت من لا يحبني .
 - ـ فأنت غبي .
 - ـ هل أنا غبى ؟
 - ـ إذا أحببت من لاتحب فأنت غبي .
- _ أعظم أذكياء العالم أحبوا من لا يحبونهم .
 - ــ لم يكونوا يعرفون أنهم غير محبوبين .
 - ـ خادعوا أنفسهم .
 - _ كنت أخاف أن أخادع نفسي .
 - ــ ان تخادع نفسك خير من أن تثيرها .
 - _ أحببتك بجنون .
 - ـ وأنت تعلم أنني أحببتك بجنون.
 - _ لقد جئت لي كموكلة .
 - ـ كانت سمعتك كمحام كبير.
 - _ وكسبت قضيتك .

- ـ لقد كنت على حق .
- ـ فأنا لست بارعاً إذن .
- ـ كنت بارعا في اختيارك لي .
 - ـ أحسس أنك في فراغ .
- ــ حين يتوفى الزوج تصبح الزوجة فى فراغ .
 - _ ولكنى أنا أيضاً كنت فى فراغ .
 - ــ كان فراغاً عاطفياً .
 - _ كنت محتاجاً إليك .
 - ــ وكنت محتاجة إليك .
 - ــ قضیت معك أروع لحظات حیاتی .
 - ـ وإنها أروع لحظات حياتي .
 - _ لقد وهبت لي الكثير .
 - ـ وأنت وهبت لي الكثير ثم . . .
 - ــ ثم ماذا .
 - ــ مللتني .
 - ــ أنا .
 - _ تركتني بين الموت والحياة .
 - _ كان لابد أن أسافر في عمل.
 - ـ وحياتي .
- إن عملى يتوقف عليه مصائر الأخرين . . . إنها مسألة ضمير .
 - ألم يعاتبك ضميرك في أمرى ؟
 - ـ تركتك بين يدى الأطباء .
 - ــ ولكنى وحيدة .
 - ـ وماذا كنت أصنع ؟
 - ـ وأنا وحيدة بسببك .
 - ـ طبيعة حياتنا تحتم عليك الوحدة .
 - ـ ألم تفكر في أمرى ؟
 - ـ ماذا كنت أصنع .
 - ـ سؤال العاجزين .
 - ـ فأجيبي أنت .
 - ــ كنت تستطيع على الأقل أن تأتى لى بممرضة .

- ُــ لماذا لم تقولي ؟
- ــ مثل هذا لا أقوله أنا .
- إنك دائماً كنت تطلبين ما تريدين .
 - . |K akl .
 - ــ لماذا ؟
- ــ إنها صحتى وحياتي بجب أن ترعاها أنت دون أن أقول .
 - ــ كنت مشغولًا بعملي ولم يخطر لي هذا ببال .
 - ــ لو كان أمرى يعنيك لخطر هذا ببالك .
- ــ لا يجوز أن تحاكميني على فكرة خطرت لك ولم تخطر لي .
 - ـ ثم عدت من السفر.
 - ــ لست أدرى أي شيطان أخبر زوجتي بعلاقتنا .
 - ـ فهو حرصك على زوجتك إذن .
 - ـــ بيتي وكياني وسمعتي .
 - _ وحبك .
 - _ كنت أطمئن عليك .
 - ـ وهل اطمئننت ؟
 - لقد كنت دائهاً حريصة على بيتى .
 - _ كنت أحسب حيال عندك غالبة .
 - ـ أنت تعرفين أنها غالية .
 - _ كنت أحسب.
- ـ ومع هذا فقد سمحت زوجتي للمجلات أن تتكلم في الموضوع.
 - ــ وهل يهمك هذا؟
 - ـ سمعة المحامى في غاية الأهمية .
 - _ كل شيء مهم عندك إلا صحتى .
 - ـ ألا يمكن أن تكون أشياء كثيرة مهمة في وقت واحد .
 - _ على أن تكون صحتى أهم شيء عندك.
 - ـ أنت تعرفين أنها أهم شيء عندي .
 - ـ تركتني وأنا بين الموت والحياة .
 - ــ ظروف قاسية .
 - _ عذر الضعاف.
 - _ ألا ترحمين؟
 - _ وماذا تفيد رحمتي الآن؟

ألا تعرفين ماذا تفيد؟ لقد فات الأوان. لم يفت . لعلى كنت أقبل عذرك. لو لم تكن . . . لو لم أكن ماذا ؟ لقد مت. أنا مت ؟ لقد مت . أهى مؤامرة مدبرة . الموت لا يحتاج إلى تُدبير المؤامرات. إذن فأنا ميت . ميت ؟ أنت ترين هذا . إنها الحقيقة . الحقيقة ؟ ! . . . ميتاً أو حياً لن أراك ولن تريني بعد اليوم .

- ٤ -

هو الملجأ الأخير ليس لى غيره لا يستطيع هو الآخر أن يدعى موقى . . . أنا الذى صنعته السهر الطويل والجهد الشاق والضمير اليقظ والعلم والدراسة والفن . . صنعته وجعلت على كل لسان . . . مكتبى . . . إذا ذكر اسمه للمتهم فهو أمن ولصاحب الحق فهو عدل بل فيه قضية إلا كنت راضى الضمير عنها . . . فارغ هو الآن . . . موعد المكتب لم يأت . . . الوكيل لم يأت والزبائن لا تجيء إلا بعد موعد المكتب بساعة أو أكثر . . . ما أعظم ما ، به . . . هذه القضايا القديمة كلها تحمل الأعمال الرائعة التى قدمتها في ساحة العدالة وفى لمحاماة وفي خدمة الحق . بل إلى أن القضايا التي لم أقبلها كانت أعظم وأضخم . لا أنسى القضية التي اجتمع فيها خسة شباب ليقتلوا رجلاً عجوزاً وجاءن أخو أحدهم يدعون افعة عن أخيه وقرأت القضية ووجدت الظروف جميعاً تشير إلى موكلي بالاتهام . . . كان المرافعة في القضية مهماً بالنسبة لى فقد كنت في ذلك الحين عامياً ناشئاً يبحث عن القضايا قد ليصنع بها اسمه في سجل كبار المحامين وقد جاءني هذا الموكل لصلة كانت تربط بيني

وبين أسرته وكان طامعاً ألا أغلو في الأتعاب وقد كنت خليقاً ألا أتقاضى شيئاً على الاطلاق. فمثل هذه القضايا يدفع فيها المحامون أتعاباً ولم تكن أصابع الاتهام التي تشير إلى موكلي تهمني في شيء كل ما كان يهمني هو الحقيقة . . . لقد أحسست أن موكلي اشترك في الجريمة . . . , أحسست بهذا إحساساً اقترب من اليقين فحين جاء الأخ بسألني إن كنت سأقبل القضية سألته ذلك السؤال الذي لا يجوز لمحام أن يسأله لمتهم أو قريب لمتهم . . . ذلك السؤال المباشر الصريح القاطع :

ـ هل ارتكب أخوك الجريمة ؟

وأطرق الأخ لحظة كأنما كان السؤال لكمة عنيفة موجهة إليه ثم رفع رأسه في حزن وأسى .

_ نعم .

وهدمت نعم كل آمالي أو معظمها فقد أردت أن أخاطب الأمانة في نفس هذا الأخ .

_ لقد أقسمنا اليمين ألا نكذب فدفاعى عن أخيك سيكون قائماً على طلب التخفيف بناء على الشهادات التى قدمت للمحكمة لإثبات الجنون وأعتقد أن هذا هو خير سبيل للدفاع . . . أنا لن أدعى أن أخاك برىء . . . إن رأيت أن أسير في الدعوى على هذا النحو فأنا تحت أمرك وإن رأيت أن نبحث عن محام آخر يحاول نفى التهمة جميعاً فهذا إليك .

وصمت الأخ قليلًا في تلعثم وهو يقول:

_ سر فى الدعوى على النحو الذى يرضيك وفرحت يومذاك ولكن ما لبث فرحى أن تبدد فقد علمت أن الأخ قد وكل محامياً آخر . . . تبدد فرحى ولكن ما أسرع ما ملكنى شعور بالسعادة الطاغية . . . ذلك الشعور الذى يمتلك من قدم تضحية فى سبيل مبدأ . . . شعور رائع كثيراً ما أحسست به وأنا أقيم صرح هذا المكتب .

شعرت به كلما رفضت قضية كهذه وشعرت به كلما حاول أحدهم أن يجعل من المحاماة مهنة وساطة رخيصة .

لعل هذا النوع من الشعور أعظم فى إسعاده من كسب قضية . . . فكسب القضية يقترن فيها الجهد بالفرح . . . وتوقع الكسب مع الجهد يجعل الكسب نتيجة قريبة الاحتمال بالفرح بها لا يكون كبيراً أما مغالبة النفس وهى أعظم عدو للإنسان ورفض المال الذى نحتاج إليه . رغم حاجتك إليه .

أما هذا فإنه يشيع فى النفس نوعاً من الرضا والسعادة والاطمئنان إلى نفسك والثقة بها . . . وأهم ما يحتاج إليه المرء في حياته أن يطمئن إلى نفسه ويثق بها . . . يثق بأنها تستطيع

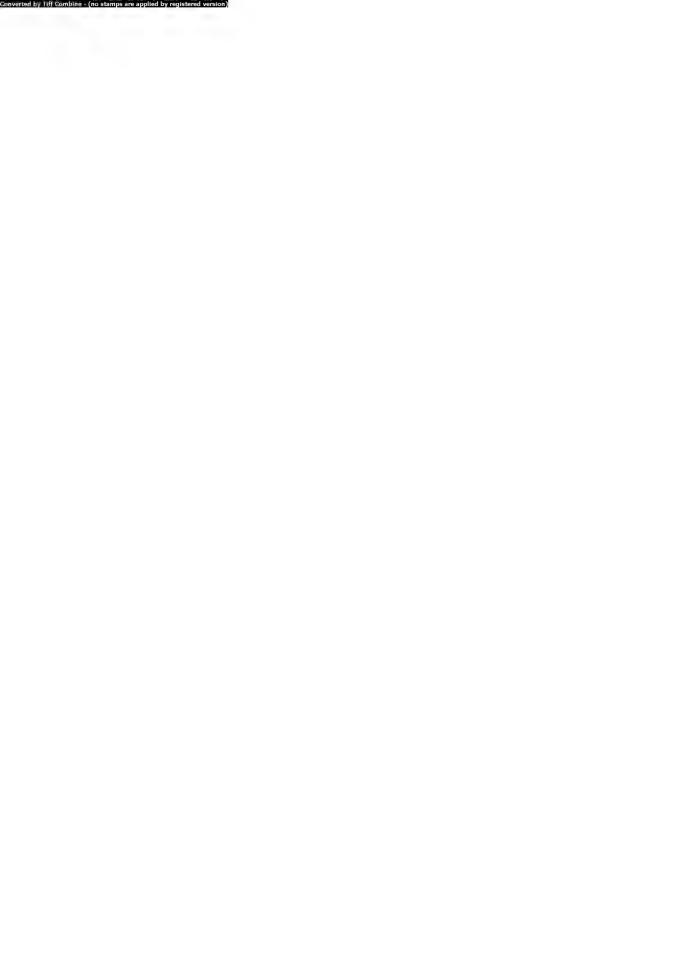
داثيًّا أن تكون أبية مترفعة فيها كبرياء القناعة واعتزاز أصحاب المبادى. . . .

ماذا حدث لى حتى بدأت أترافع عن نفسى ... لا أدرى ماذا حدث ... لا أريد أن أذكره وهل أملك إلا أن أذكره ... وماذا يهمه . فيا دام مكتبى هذا باقياً لى فكل ما عدا ذلك عبث ... أستطيع أن أعيد إلى حياتى كل هؤلاء الذين رفضوا حياتى فهم أيضاً قد صنعتهم بمكتبى وأستطيع أن أعيد صنعهم إذا شئت .. زوجتى ــ السنبن الطويلة والطريق الذى قطعناه مع الأمال الهشة الواهنة حتى أصبحت الأمال حقائق وهى فى شموخها الصاعد وفى ترفعها الأبى مثاليتها الرائعة القاسية . وإنى أحبها وأكبرها وأجلها فى كل لحظة فى حياتى إنى أعتزبها أمثل هذه أستطيع أن أعيد صنعها ؟ أن أعيد صنع الحياة التى قطعتها معها ... ابنتى نبض قلبى وحبى وضعفى وقوتى ... فى ثقتها بنفسها وبحبها لى تقطع الحياة حرية ونقاء . كيف استطعت أن أجعلها ترفض حياتى ... كيف ... ؟ كيف ... وكيف تعود إلى مثل هذه البنية .

حبيبتى . . . لحظات السعادة المزغردة الطاغية ، لحظات المتعة الوضيئة فى حياتى القلب والقلب ينبض واحد والمخاطرة والخاطرة تتآلفان لهم خاطرة واحدة . . . مخاوفي عندها أمن وآلامي عندها إلى زوال . . . ومع ذلك بقى لى مكتبى . . .

ماذا حدث ... ؟ لقد أوغل الليل ولم يأت الوكيل . ولم يأت الزبائن ... لعل الوكيل فى مكتبه ولعله لا يعرف أننى بحجرتى . أبداً إنه لم يأت . لم يأت والحجرات فارغة ... لا أحد فى الأوراق على مكتب الوكيل . إنها ليست أوراقاً إنها مجلات ... مجلات . فضيحة شائنة زوجة محام كبير تطلب الطلاق لأن زوجها يخونها . زوجة محام كبير ترفض البقاء مع زوجها الحائن . . . زوجة محام كبير فى قضايا الجنايات . . .

إنه من أسهل الأمور على أن أعرف على الفور إن كنت حياً أو كنت ميتاً ولكن . . . إذا كان هؤلاء يرون أننى ميت فالأمر بعد ذلك سواء . . . لا حاجة بى إلى البحث . . . الأمر سواء . . .



رحطة العمودة

أصدر حاكم الكوفة أمره إلى عماله أن يلزموا أصحاب المحال التجارية بدفع خسة دنانير فى الشهر مقابل من يحمى لهم متاجرهم من اللصوص والغاصبين . كما أمر أن يدفع الزراع عشر محصولهم مقابل أن يحمى لهم التسعة أعشار الباقية . وأصاب الناس اضطراب شديد . وراح الأفراد يتجمعون ويتهامسون ولكن سرعان ما يتفرقون ويصبح الهمس هواء مع الهواء . وقد يفيد الهواء ولكن هيهات لهمسهم أن يفيد .

وكان أحد شوارع الكوفة مزدهماً بالتجار فكأن الهمس في هذا الشارع يعلو بعض الشيء عن الشوارع الأخرى ولكن مهما يكن الهمس عالياً فانه ينداح آخر الأمر مع الهواء فلا يفيد .

وكان أحد الوارقين جالساً إلى كتبه ينظر إلى رجل عنده مهيب يقرأ فى كتاب من كتب المكتبة بنهم واستغراق .

- _ قل لي أيها الشيخ .
- _ هل أنت مصمم على أن أقول لك؟
 - _ مجرد سؤال م
 - ــ يا ليت .
 - _ مجرد سؤال
 - ـ لا يمكن .
 - _ فانتظر حتى ترى .
- _ إن كل حديث يبدأ بكلمة قل لى هذه السخيفة . وقد يتبعها مجرد سؤال ثم تتوالى الأسئلة فلا تنتهى وأنا أريد أن أقرأ .

_ حسناً لماذا تقرأ؟

_ لأتعلم .

ــ ولماذآ تتعلم .

ـ لأعرف كيف يصاغ الكلام.

_ ئم بعد .

أرأيت لم يكن مجرد سؤال إذن إنها مؤامرة كاملة .

ـ لو كنت أجبتني إجابة شافية لما احتجت أنا إلى كل هذه الأسئلة .

ـ بماذا أتريدني أن أجيبك.

ــ لماذا تقرأ ؟

_ لقد قلت لك.

ــ لم تقل شيئاً

ــ إنني أقرأ لأنني أريد أن أقول .

ـ فالقول إذن صناعتك.

ــ إنه صناعتي .

_ صناعتك أن تقول.

... نعم .

فلماذا لا تقول ؟

ــ وماذا تريدني أن أقول ؟

_ أن تقول للظالم أنت ظالم .

ــ أين هو الظالم؟

... أتستطيع أن تقول للظالم أنت ظالم .

ـ إنها صناعتي .

- ألم تسمع بالأحكام الأخيرة التي أصدرها الحاكم؟

_ هذا عمله .

ـ أن يفرض علينا الأتاوات.

ـ إذا لم تدفعوا هذه الأتاوات كها تسميها فمن أين تتفق الدولة .

ــ لو أنها أخذت من أجل الدولة ما تكلمنا .

ـ ومن أين تعرف السبب الذي من أجله أحذت.

ــ اسمع أيها الشيخ . إنني واخواني لإ نعارض في دفع ما تزيده الدولة فقط لنا مطلب .

_ لكم أن تقولوا مطالبكم .

حين يمتنع الحاكم عن إقامة الولائم كل يوم مرتين مرة فى الغداء ومرة فى العشاء . وحين يمتنع الحاكم عن الحاكم عن اقتناء الجوارى باذلا فى سبيل ذلك الألوف المؤلفة من الدنانير . وحين يمتنع الحاكم عن أن ينفق فى سعة ليرتدى الملابس موشاة بالذهب والماس وحين يمتنع الحاكم عن أن يعطى من خزانة بيت المال لأهله وذويه والمقربين إليه بغير حساب . وحين يمتنع الحاكم عن أن يقذف بالمال تحت أقدام الشعراء الذين يمدحون فى خسة والمغنين الذين ينافقون فى صغار . حين يمتنع الحاكم عن هذا جميعه ويحتاج بعد ذلك إلى أموال لبيت المال فاننا نرحب أن نقدم كل ما يطلبه منا .

_ إذن فأنت تريد في بساطة أن يبدأ الحاكم بنفسه .

بوركت لقد ظللت أتكلم وأتكلم فقلت أنت ما أريد في كلمة واحدة .

- ـ الكلام صناعتي .
- أترى لصناعتك هذه فائدة إن لم تقل بها كلمة حق .
 - ـ إنك على حق ولقد اقتنعت بقضيتك .
- ــ أتذهب إذن إلى الحاكم فتجعله يقتنع بما اقتنعت أنت به .
 - ــ أما أنا فلا مانع لدى ولكن ؟
 - _ أتخاف ؟
 - _ ليس لدى ما أخاف عليه .
 - _ حياتك .
- أخاف عليها ولكن ما أظن أن الحاكم سيستولى عليها لمجرد أنني نقلت إليه رأيا .
 - ـ فها لكن هذه .
 - ـ ولكن ذهابي وحدى لن يفيد شيئا .
 - _ إن الكلام صناعتك .
 - ــ لست وحدى من انخذ الكلام صناعة في الكوفة .
 - ــ إذن فأنت تريد جماعة من الناس حتى تكون مطمئنا بوجودهم .
- أولا لا عيب فى ذلك فمن خصال الانسان أن يخاف وثانيا ذهاب الجماعة حير من ذهاب الفرد فان الحاكم حين يرى جمعا منا يعرف أننا نعبر عن رأى قوم كثيرين . أما أن رأى فردا فقد يستخف به ويرميه بالتدخل فى غير شأنه .

- _ أليس شأنك أن تقول .
- _ في هذه الحالة لن يعترف الحاكم أن من شأني أن أقول .
 - ـ لا بأس فمن تريد معك .

إنك وراق وتعرف كل من يتخذون الكلام صناعة .

- ــ فمتى تحب أن تذهب ؟
- ــ متى تستطيع أنت أن تجمع الذاهبين ؟
 - ــ في أقرب وقت .
 - ـــ وأنا مستعد .

وتجمع صُناع الكلام وقصدوا إلى قصر الحاكم . فاستقبلهم الحاجب .

- ـــ من أنتم ؟
- فقال كبيرهم .
- _ نحن أهل الكلمة .
- ــ ومن أهل الكلمة .
- أولئك الذين وهبهم الله موهبة الكلام .
 - ــ وماذا تريدون ؟
 - _ نريد أن نلقى الحاكم .
 - _ ولماذا ؟
 - _ عندنا كلمة نريد أن نقولها له .
 - ــ ألا يمكن أن تقال لى .
 - _ إنها لا تقال إلا للحاكم .
 - ــ أهى بشرى طيبة ؟
 - _ إنها ليست بشرى .
 - فهى إذن نبوءة سيئة .

- ـ يا أخا العرب نحن لسنا من علماء الفلك .
 - ــ فماذا تريدون إذن .
 - _ أن نلقى الحاكم.
- ـ لن تقلوا الحاكم إلا إذا عرفت أنا ما تريدون.
 - ــ لقد جئنا نكلمه في شأن التجار والزراع .
 - _ آه .
 - ۔۔ أعرفت ؟
 - ـ أهده هي الكلمة ؟
 - ـ تلك يا أخى البداية .
 - ــ أهناك شيء آخر .
- ــ إنك لم تعرف إلا رأس الموضوع فقط أما الكلام الذي نريد أن نقوله للحاكم فأنت لا تعرفه ونحن نحب أن نقوله له .
 - ــ ولماذا لا تقولونه لي ؟
 - _ أنت حاجب الخليفة ألست كذلك ؟
 - ـــ إنى هو .
 - ــ فابلغه أمرنا وأنظر بماذا يجيبك .
 - ودخل الحاجب فيا هي إلا أن عاد .
 - سه تعالوا معي .
 - ــ إلى الحاكم .
 - ــ ستلقون الحاكم .
 - الآن أليس كذلك ؟
 - ــ الآن نعم . . . اتبعوني .
- ـ يا أخا العرب . . . إنك دخلت إلى الحاكم من هذا الباب فمالك تقصد بنا إلى باب آخر ؟

ـــ إنه سيلقاكم فى حجرة أخرى . . . اتبعونى . · . وتبعوه .

ــ وهل رأيتموني أدخلكم السجون وأقفل دونكم الأبواب .

ــ فما مجيئنا إلى السجن .

ــ إنه الطريق إلى الغرفة التي ينتظركم فيها الحاكم .

- آه . . . وما هذا ؟

-لاشيء.

... رجل معلق من قدميه في الهواء ورأسه موضوعه في الماء ثم لأشيء.

_ عملية تنشيط للذاكرة .

_ أي ذاكرة ؟

ــ الدَّاكرة التي تنسى أحيانا أن الحاكم لابد أن يطاع .

_ فان كسلت الذاكرة يموت .

ــ إنه لن يموت .

ــ الموت أهون . . . وهذا .

_ مثله .

ــ ولكنه لا يعامل مثله .

ــ وسيلة أخرى لتنشيط الذاكرة .

_ ولكن النار في قدميه .

ــ إن الدماء إذا سخنت في الأقدام وصلت إلى الرأس حارة فتنشط الذاكرة .

_ وهذا ؟

_مثله .

_ وهذا ؟

- مثله
 - مثله ؟
- _ مثله .

أيطول بنا الطواف هنا ؟

- ــ إننا في الطريق إلى الحاكم . . . اتبعوني .
 - وتبعوه .
- ــ ما هذا أيها الحاجب لماذا تقيد أيدينا وراء ظهورها ؟
- ــ لا تخافوا حين نخرج من هذه الغرفة سنفك أيديكم .
 - ــ ولكن لماذا ؟
 - ــ ستعرفون . . . حالا ستعرفون .

ودخلوا إلى حجرة كلها رفوف من الأرض إلى السقف وكل الرفوف مليئة بالماس والياقوت والزبرجد والزمرد أما الذهب فكان أكواما وصاح كبير القوم :

- _ ألهذا قيدتم أيدينا ؟
- _ إنها أوامر صادرة إلى حراس الغرفة .
- _ إننا نحتج . . . أنحن لصوص ؟ سنبلغ الحاكم هذه الإهانة التي ألحقتموها بنا .
 - ــ إنها أوامر الحراس .
 - ــ ولكنها إهانة فيا نحن لصوص .
- على كل حال لا تغضب فانكم ستعودون من هذه الغرفة فان كان الحاكم راضيا عنكم فانكم ستمرون بهذه الحجرة وأيديكم مطلقة .
 - _ أهكذا .
 - ـ على شرط .
 - ــ ما الشرط؟
 - ــ ألا تسرفوا في أخذ الجواهر حتى تتبعج جيوبكم ويراكم الحراس .
 - ــ شرط معقول .

خرجوا من الغرفة إلى بهو فأطلقت أيديهم وقال لهم الحاجب :

ــ انتظروني هنا أستأذن لكم على الحاجب.

وحين تركهم نظر أحدهم إلى كبيرهم .

_ ماذا أنت قائل ؟

... ما تريدون أن أقول ؟

- أتعرف ما نريد أن نقول ؟

ــ كل المعرفة .

وحين دخلوا إلى الحاكم بدأ كبيرهم ؟

_ يا مولاى الحاكم لقد أرسلنا التجار والزراع لنشكر لك هذا القرار الحكيم العادل الذى تفضلت فأصدرته فقد جعلتهم يشعرون أنهم يشاركون حقا فى بناء بلدهم ولو لم تصدر هذا القرار لأرسلونا إليكم لنرجوكم أن تصدروا هذا القرار . ولكن نفاذ بصيرتكم ونبل معدنكم وأصيل فظنتكم ورفيع فكركم وراثع تدبيركم كل هذا كان أسبق منا وأنتم دائها بالفضل أسبق وبالخير أوثق وبالمجد أخلق .

وفى العودة مر أصحاب الكلمة فى غرقة الجواهر والذهب وكانت أيديهم مطلقة . والمفاجأة التي كانت تنتظرهم أن هناك طريقا يفضى إلى خارج القصر دون أن يمر بالسجن . . . وقد دهشوا لذلك أى دهشة .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● وبقي شيء



وإسقسي شديء

أخذ طريقه في الحياة وهو يعلم ألا سبيل له غير اجتهاده . كيف استقر هذا المعنى في نفسه . إنه لايدرى . كان الشباب يتفجر في داخله وكان اخوانه يمزقون الحياة بشبابهم ولم تكن نفسه عازفة عما يصنعون وإنما كان يتوقى إلى ملاعبهم وتهفو إليها خواطره ورغباته ، وكان يريد أن يكون خنجرا في صدر الليالي يعتصر رحيقها أحمر في لون الخمرة الحمراء أو في لون دماء العذراء وكانت نفسه تحن إلى الليالي التي لا تعرف بداية أو نهاية ولكنه كان يقمع كل ما تمور به رغباته وينصرف إلى الدرس والمذاكرة . شيء واحد ضعف أمامه ولم يستطع أن يرد نفسه عنه هو المسرح .

وقد جعل دهابه الى المسرح فى كل يوم خيس هو جائزته عها بذله من جهد فى أيام الأسبوع السبقة الأخرى . وقد كان منتظها مع المسرح كها كان منتظها مع المذاكرة .

أخلف موعده مع المسرح في مرات قلائل ذهب فيها مع رفاقه وتمتع بما يتمتعون به وبهرته حياتهم ولكنه مع ذلك استطاع أن يمنع انبهاره أن يميل إلى طريق الرفاق.

فالحياة التى كان يشاركهم فيها يوم الخميس كانوا هم يعيشون فيها كل أيام الحياة وربما استثنى بعض منهم شهرا أو شهرين قبيل الامتحان ، ولكن الحياة الطبيعية كانت هذه المتعة التى يعيشون بها ولها والتى خاف بهجت أن يشاركهم فيها بأيام الخميس فتصبح كل أيامه خميسا .

ليس يدري من أين واتته هذه الحكمة التى لا تتفق مع طبيعة الشباب والتى تختلف بالذات مع طبيعته هو , فقد تنسجم مع فتى غير راغب فى العربدة أما هو فيعبد هذه العربدة ومع ذلك استطاع أن يكون هذا الفتى المثابر فى المذاكرة والحريص على النجاح .

ولايدرى أيضا من أين جاءه حبه للتمثيل هذا الحب الذى جعله يواظب على حضور

المسرح كل يوم خميس في أيام المذاكرة وكل يوم في أيام الاجازة .

وقد حاول أن يحلل هذا الشغف بالمسرح فعجز وأسلم نفسه إليه في نشوة وبغير تحفظ .

ربما كان حرصه على المذاكره وليد ما كانت أمه تنبهه إليه . فقد مات أبوه وهو بعد في المراحل الاولى من الدراسة وقد كان أبوه غنيا واسع الغنى ولكنه كان يريد هذا الغنى أن يتسع ويزداد ولا تقف به نهاية فكان يدخل في مشروعات مالية لا آخر لها ، ونجحت بعض هذه المشروعات فكان جنون المال عنده يزداد . وهكذا أصبح المال عند أبيه غاية لا وسيلة فكان عنده ما يستطيع أن يحيا به في خفض من العيش وفي بحبوحة ورغد . وكان عنده ما لو تركه لولده لاصبح من الأغنياء اللين تذكر أسهاؤهم اذا ذكر الغنى . ولكن لم يكن هدف شاكر أن يصيب المال ليأمن الفقر ولا أن يصيب المال ليهيىء لابنه أمانا من الحياة . لقد أصبح جمع المال في ذاته هو الغاية والهدف . وحين يصبح الأمر كذلك يصبح من الطبيعى أن يندفع شاكر منتهبا أيام عمره في تحقيق هذا الهدف وهو لايدرى مايدريه كل الناس أن هذا هدف لا يكن أن يتحقق فإنه لا نهاية للأرقام .

ومثلها تستطيع هذه الأرقام أن ترسل الأمن والنشوة الطاغية المتفجرة إلى النفوس تستطيع أن ترسل الألم المرير واليأس القاتل وتستطيع أن تصبح ركاما من الثلوج بلا دفء ولا رحمة . فالأرقام التي لا تعرف النهاية لا تعرف الرحمة أيضا .

وحين مات الاب كانت ثروته كلها قد استنزفت في محاولة انشاء ثروة أضخم وبقى لزوجته بعض مال يشكل فقرا أكثر مما يشكل سترا وبقى لها أيضا بهجت في أول حياته فمستقبله جميعا عبء على أكتافها وعلى أكتاف هذه الصبابة الضئيلة التي بقيت لها من أموال زوجها.

وكانت تفيدة تعلم أنه لا أمل لها فى أن تنال شيئا من عون خيرى عم بهجت وأخى زوجها . فقد كان الأخوان متنافرين وربما كان سعار شاكر فى جمع المال يرجع إلى غنى أخيه الفاحش . فقد كان تاجرا يحسن العمل فى تجارته ولم يكن يتجاوز مجال نجاحه هذا إلى أى مجال

آخر ، فقد كان يتاجر فى الفاكهة والموز بوجه خاص وقد اشترى من تجارته أرضا زراعية واسعة ولم يزرع فيها إلا الموز فهو فى زراعته وتجارته خبير قل أن يلحق به لاحق . وقد حاول شاكر أن يشاركه ولكنه أبي عليه هذا مدعيا أنه تعود أن يكون منفردا بتجارته وبرأيه فيها ويخشى إذا شارك احداً حتى ولو كان أخاه أن يتعثر به الرأى . ولم يكن هذا الطلب من شاكر وهذا الرفض من خيرى هو أول الخلاف ولا كان آخره وإنما هو خلاف نشب بينهما منذ الطفولة ونما معهما واشتد مع الزمان وكانه كائن حى تزيده الأيام قوة وصلابة وكانت تفيدة على ثقة من أن شاكر لو كان قدر له أن يعيش حتى يبلغ الشيخوخة لما استطاع وهن الشيخوخة أن ينال من عنف الخلاف بين الأخوين فهو خلاف من ذلك النوع الذى تغذيه الأبام وتزيده مرارة وشرا وقتامة .

أدركت تفيدة منذ بدأت تفكر بعد موت زوجها وهو مفلس أن ليس لها الا هذا المال القليل الذي خلفه لها ولابنها . وحين زارها خيرى لينبئها أنه تحت أمرها لم تحاول أن تطلب منه شيئا فهى تعرف أن الأخ الذي يريد أن يقدم عونا لا يعرض قولا وإنما عملا وما دام لم يفعل فالأمر اذن كيا توقعته .

واجهت الأيام ونشأ بهجت فى هذه الضائقة وكان يعرف ماتعانيه أمه وما كان له الا يعرفه . وكيف وهو لا يسمع من أمه إلا عن هذا العناء . ولعله فى نفسه البعيدة كان يرد نفسه عها تشتهيه حتى لايزيد عب، أمه أعباء .

وحيث إنها سمحت له بالذهاب إلى المسرح إلا أنه لم يكن يقول لأمه إنه في أغلب الأيام التي يذهب فيها الى المسرح كان يشاهد روايات سبق له أن شاهدها مرات ومرات وكان في أول هوايته يعجب من نفسه ومن جنونه هذا الذي يجعله يذهب ليرى شيئا شاهده وعرف كل أسراره بل إنه في بعض الروايات كان يسبق الممثلين بجمل الحوار وراح بمعن النظر في شأن نفسه فتخادعه نفسه عن نفسه ولا يدرى سر هوايته . ولكن سرعان ماتكشفت له الحقيقة . إنه يجب المسرح . انه يتمنى أن يكون ممثلا . ولاشك في هذا كانت نفسه تطوى عنه هذه الحقيقة ولم تكن تعترف بها حتى حين يعود من المسرح ويقف أمام المرآة ليمثل الأدوار حتى أدوار النساء والحدم .

أمل لا سبيل الى تحقيقه . فهذه مهنة قد يعترف بها مثقف ولكن هيهات أن تقبلها أمه له لقاء ما عانت من حرمان وشظف عيش .

انها ستقول أهذا جزائى . وفكر أن يحاول . وخاف واستجمع بعض شجاعته ثم لم يستطع . كان امتحان الثانوية العامة قد اقترب وكان قد اختار القسم الأدبي لان كان يعرف أنه أقوى في المواد النظرية . وكانت أمه دائها تقول إنها تحب أن تراه وكيل نيابة وقاضيا فلم تكن تسأله عن الكلية التي يريد الالتحاق بها مفترضة أنها الحقوق فها تعود أن يخذل لها رغبة فكيف به إذا كانت أمنية .

للأمومة عند تفيدة لحظات تفيض فيها وتنسى أن ابنها أصبح شابا وتحب أن تحتوى هذا الابن وتجلسه على ركبتيها وتهزه بهها وكأنه مازال ذلك الطفل الوليد وكانت تفيدة فى كثير من الأحيان تحب أن تزيل عن ولدها ما كانت ترسبه فى نفسه من مشاعر فقر وحاجة . تربت ظهره وتقبله وتنظر اليه ويسمع من عينيها أن هذه النظرة حبها من الدنيا وأنها تجد فيها أعظم مكافأة على مابذلت من سنوات عمر شداد .

فى مرة من هذه المرات ظن بهجت أن الأمومة تستطيع أن تقبل منه أى شيء حتى رغبته فى أن يكون ممثلا

- _ هل أعجبك الفيلم الذي شاهدناه؟
 - _ متى ؟
 - _ الشهر الفائت.
 - _ ولماذا تذكرته ؟
 - _ فقط أسأل ،
- _ لقد قلت لك إنه أعجبني ساعتها .
 - _ ألم يعجبك المثل؟
- _ وكيف لايعجبني إنه أحسن ممثل في مصر وربما في الشرق الأوسط.
 - _ أريد أن أكون مثله .
 - _ لقد كان يمثل دور طبيب وأنت أدبي .
 - _ أريد أن أكون ممثلا .

لوكان قد أخرج مسدسا ووضع فوهته أمام عينيها ما أصابها هذا الذي طفح على وجهها . أخذت . صمت . انفتحت عيناها حتى أوشكتا أن تنفجرا إنها بركانان صغيران بل كبيران هاتان العينان . . وجهها صفرة ، جبهتها غضون ، الابتسامة صارت يأسا ، الحنان أصبح هلعا ، نور الصباح انقلب في سمتها ظلاما قاتماً . . لحظات ، وطفرت دموع أمسكت بها لن تسيل فيرتد البكاء إلى صوتها لتقول ، فينحبس القول وتبتلعه فيستعصى وبهجت يتمنى لو لم يكن قال ما قال ويهم بأن يدعى شيئا يزيل هذا الهول الذي ألم بها فتردعه نفسه . لقد قال فلينتظر إلى أي مدى تصل به تجربته . واستجمعت الأم نفسها آخر الأمر وصرخت في صوت مكبوت الاترتفع نبراته وان كان الصياح منه يطرق أبواب الساء .

_ لو عرفت الأيام التى عشتها أو التى منها من أجلك . الذعر من الغد واليأس بحسك به بعض الأمل فاننا بينها خرقة ممزقة منهرئة لاترتاح إلى اليأس فتسقط وتنتهى ولا تتعلق من الأمل بأسباب تتيح لها أسباب البقاء حياتى خوف راجف بعض منه يزلزل الجبال والحياة حولى مناهة كبيرة لا أجد أحدا أسأله الطريق بل لا أجد أحدا أشكو له التيه . أخاف عليك الشناء يأتى فلا أكسوك وأخاف عليك أن يجرحك زميل بامتهان . طفولتك شيخوختى وأنا فى ربيع الشباب وشبابك أعبائى وأنا فى ربيع الشباب

أكل الذي بذلت. لتكون ممثلا! . آمالي ونفسي وطمأنينتي من أجل .

- ــ كفي . . كفي . . وهل أصبحت ممثلا فعلا ؟
 - ــ يكفى أن تريد .
 - _ كلمة جرها حديث.
 - ـ بل أنت الذي خلقت الحديث.

- _ ربما أردت أن أمزح.
- _ ليس في القتل مزاح .

طوى أمله في ذلك المكان من نفسه الذي تعود فيه أن يكبح رغباته . ولو أن هذا الأمل كان جاعا لا يتيح له أن يهدأ أو يراح إلى يأس.

دخل كلية الحقوق وسار حياته كها تعود أن يسيرها واطمأنت أمه فلم تصبح تخشى عليه أن يذهب إلى المسرح في كل أسبوع كما تعود . وانتهت السنوات حتى صار إلى السنة النهائية ثم حدث حادث .

كان عمه يزور مزرعته ومعه زوجته وابنه الوحيد عاصم وكان لابد للعم أن يعود إلى القاهرة في المساء وكانت السهاء تمطر ذلك المطر المصرى الهين الذي يجعل الطريق صعيدا زلقا والذي يجعل السيارات معرضة لخطورة بالغة . ولولا أن خيري كان واثقا من مهارة سائقه لاتخذ في السفر وسيلة أخرى غير السيارة ولكن كيف إذن تنقلب حياة بهجت . . انقلبت سيارة خيرى في النيل ومات الأربعة جميعا وفجأة أصبح بهجت الوارث الوحيد لعمه .

لو لم يكن في نهاية الطريق في كلية الحقوق لكان فكر أن يكتفي ولكن لم ير بأسا من أن يكمل دراسته . وانتهز الفرصة من هذه الأشهر التي كانت تفصل بين الثروة المفاجئة التي هبطت عليه وبين الامتحان ليعد الخطة التي يريد أن يختطها . في أناة وروية أعد خطته وبغير أي تسرع ونجح بهجت في الامتحان.

- _ هل تصرين أن أكون وكيل نيابة ؟
- هذا شيء أحبه لك ولكن أنت في ذلك حر، فها دمت قد نلت الليسانس فأنت.
 - _ اذن فاسمعي ما أقوله لك جيدا ولا تغضبي .
 - _ قل .
 - ــ المال الذي تركه لي عمي.
 - _ ماله ؟
 - _ أولا أنا سأصفى التجارة.
 - _ ولماذا ؟
 - _ أتريدين أن أصبح مثل أبي ؟
 - _ وكيف؟
- ــ لو تاجرت فسأصبح مثله كها تعرفين لا أدرى من شأن الموز شيئا إلا أنه فاكهة يأكلها الناس بعد أن يقشروها وتقول الأمهات لأولادهن لا ترموا القشر في الطريق حتى لا يُتسبب في وقوع الناس.

- وإلى هنا وتنتهي معلوماتي عن الموز .
- _ هذا عن التجارة . فهاذا عن الزراعة ؟
- ـ ان عرفت عن الموز جملة ، فأنا لا أعرف في الزراعة حرفا .
 - ـ فستبيع الأرض اذن ؟
 - ــ لا وصَّلت إلى طريق .
 - _ ما هو ؟؟
- ــ سأؤجر الأرض إلى خبراء وقد سألت فعرفت القيمة المناسبة ولن أكون مظلوما في الإيجار
 - ـ تفكير لا بأس به .
- ـــ وعلى هذا فرأس المال سيبقى ولن يمسه أحد حتى ولو انتحرت . فلا شك أننى سأتزوج ولا أحب لزوجتى أن تعانى ما عانيت أنت معى
 - _ عين العقل .
- _ وأيضا سأعتبر ما أحصل عليه من تصفية التجارة من ضمن رأس المال وسأشترى به أسها باسمك حتى لا أمسها .
 - _ أنا لا أريد شيئا.
 - _ أنا الذي يريد أن يكبل نفسه.
 - ــ وهو كذلك .
 - ــ المال السائل بعد ذلك أنا حر فيه .
 - ــ وماذا ستفعل ؟
 - _ هذا شأني .
 - _ ألا تقول لي ؟
 - ـ ستعرفين .
- ـ وعرفت . كانت آمال المتعة مازالت تداعب نفسه ولكن الأمل في أن يكون ممثلا كان أكبر ، ليس من السهل أن ينشىء مسرحا ، فهو يعلم أن أحد لم يسمع به . وأن أحدا لن يرى مسرحه . وستكون التجربة غير مقنعة بالنسبة إليه .
- فهو يريد أن يعرف رأى الناس ولن يأتي هؤلاء الناس للمسرح أبدا مادام هو منشئه ، كان قد أعد الخطة .
- سيعتمد في أول الأمر على مشاهير الممثلين . وسيمثل الى جانبهم الروايات العالمية إنه يريد أن يمثل عطيل ويسأل ديدمونة عن المنديل .
 - وفيدرا . .
 - وأوديب الملك . ويخرج عينيه ويصبح أعمى .

وصلاح الدين ويحارب . .

وأنطونيو وكليوباترا ويحب ويخون بلاده ثم يموت في سبيلها،

أهل الكهف لتوفيق الحكيم.

وكل الأدوار.

يريد أن يكون ممثلا كوميديا أيضا فيجمع إلى بطولة المأساة بطولة الإضحاك وهو يعلم أن موهبته بقدر مايريد .

أنشأ المسرح

ويدأ التمثيل وكان لابد من البروفات وكان المخرج أمينا . ولكنه وجد نفسه وجها لوجه أمام رجل صاحب مال ولكنه يقف لأول مرة على المسرح فانتحى به جانبا .

- ... أستطيع أن أقول لك انك أعظم عمثل في العالم
 - ـ غير معقول
- ــ أنت صاحب المال والمفروض أن صاحب المال هو أعظم كل شيء في العالم .
 - _ ولكنك أمين
- ـــ ليس فقط لأنني أمين ولكن أيضا أعلم أن كلبي سينكشف منذ اللحظة الأولى التي سيرفع فيها الستار عنك .
 - _ وماذا ترى؟
 - ـ ماذا ترى أنت؟
 - ــ أمرك
 - ـ أمرى أن تؤجل افتتاح المسرح عاما كاملا؟
 - _ عاما كاملا ؟
 - ـ أعلمك فيه التمثيل.
 - ۔ وهل عندی موهبة ؟
- أكذب أيضا لو قلت إننى أعرف . . فكثيرا ما انتظرنا أن يصبح تلميذ من تلاميذنا أحسن ممثل في العالم ثم لايقبله الجمهور والعكس صحيح نجح من كنا نتوقع لهم الفشل الذريع .
 - ـ ولكني أعبد المسرح.
 - ـ المسرح لايهتم كثيرًا بمن يعبدونه أو لايعبدونه .
 - ــ وكيف أعرف ؟
 - أستطيع بعد فترة من تمرينك أن أخبرك ولكن الحكم ليس لي .
 - ـ للجمهور .

ـ انه لايهمه أن تكون صاحب مال أو لا تكون ولا يهمه أن تكون صاحب موهبة أو لا تكون هو يقبلك وهو لا يقبلك دون سبب وهو لا يحتاج أن يبدى أسبابا .

ــ والنقاد ؟

ــ لا شأن للجمهور بالنقاد فقد يصفقون ويشقون حناجرهم بالهتاف للرواية أو للمسرحية أو للمؤلف أو للممثل ولا يقبل الجمهور وقد يكيلون الصفعات ويقبل الجمهور.

۔ اذن

_ الأمر لك

_ لیکن ماترید

وبدأ العام واستطاع صحفى ذكى أن يتعرف على بهيت واستطاع أن يجعل من نجربته هذه مادة صحفية فيها طرافة وفيها جد وفيها أيضا شهرة سبقت بهجت إلى المسرح وأقبل عليه مصورو الصحف يلتقطون صورته وهو يتعلم التمثيل ويجرون معه الأحاديث فيخبرهم عن الكتب التي يقرأها في هذا الفن واستطاع المخرج فعلا أن يجمع له برنامج المعهد العالى كله في عام واحد ، أما الامتحان فهو لم يكن في حاجة إليه . وكانت المجلات والصحف تضع عناوين مثيرة للتجربة . المحامى يترك ساحة القضاء إلى خشبة المسرح . بهجت شاكر لايستعجل الشهرة وإنما يعد نفسه للفن الصحيح . والمجال واسع والصحفيون في إنشاء العناوين لامثيل لهم .

وانقضى العام وكان بهجت ذكيا فلا يقبل أن يكون هو بطل الرواية وانما قدم أحد عمالقة المسرح ونخبة متألقة من نجومه ليقف في ظله وظلها .

ونزلت الإعلانات في بذخ الأسهاء الكبيرة أحمد فؤاد وسهام سامي ويالخط الكبير الضخم وتحتها في تواضع ، بهجت شاكر .

أحمد فؤاد ، ممثل أصبحت شهرته تملأ العالم العربي أجمع ، واستطاع من خشبة المسرح أن يكون نجيا سينهائيا شهيرا .

وسهام سامى فتاة فى ريعان العمر ، متألفة الجهال قفزت هى الأخرى إلى السينها وأصبح تمثيلها على المسرح حدثًا فنيا من شأنه أن يحقق النجاح .

وكانت الليلة الأولى .

ويرى الجمهور لأول مرة في حياته ويراه الجمهور .

كانت الليلة ناجحة نجاحا باهرا . فالمدعوون يملأون المسرح وليس الجمهور ، والمدعو فرح دائما لأنه تفلت إلى المسرح مجانا فهو كثير التصفيق . ولم يدر المصفقون ماذا صنعوه بتصفيقهم هذا لبهجت. لقد جن به الجنون وراح يجوب الطرقات ماشيا تاركا سيارته أمام المسرح لقد حقق الأمل الأكبر في حياته ولقد أصبح ممثلا.

وفى الليلة التالية عرف المخرج وعرف الممثلان الكبيران أن المسرحية فشلت ولم يدرك بهجت هذه الحقيقة إلا فى اليوم الخامس حين تقلص المدعوون وأصبحت الصالة لا تحوى الا المشترين ، لم يفكر فى خسارته المادية ولكنه أحس أن أمله بعيد وأنه مازال بينه وبين هذا الأمل مدى بعيد . كان هذا أمله الوحيد بعد سوسن وقد ضاع أيضا .

أدرك هذه الحقيقة على رغم مقالات النقاد التي أمطرته بوابل من المديح والتمجيد .

كان قبل تجربته يظن أن أقلام النقاد هى رأى الجهاهير ثم روعته الصالة الخاوية التى تمثلت له هوة من الفراغ واليأس وأدرك أن النقاد جمهور مستقل بذاته لاصلة بينه وبين الجمهور الذى يصنع النجوم ، ان هذا الجمهور يحكم بلا حيثيات ويصدر حكمه فى قسوة واضحة بلا رحمة وبلا محاولة للتلطف فى التعبير أو ابداء الرأى ، انه ببساطة لا يشترى التذكرة وبهذا التوقف عن الشراء يصدر الحكم .

- حاول الصحفى ذكرى لطيف:
- ــ ليست التجربة الأولى هي كل شيء
- ـ بل هي كل شيء اذا لم أعرف العيب حتى أصححه
 - ــ الرواية أرفع من مستوى الجمهور
- ــ ان عدم اقبال الجمهور لايعطينا الحق أن نشتمه . لقد أقبل على روايات أعلى مستوى عا قدمت .
 - _ مسألة حظ
- حجة عاجز . لماذا يخدم الحظ غيرى ولا يخدمني ، وقد هيأت له كل الفرص ليمشي في
 ركابي ؟
 - _ الحظ لا يسأله أحد
 - ــ ألا تجرب مرة ثانية ؟
- ــ أو أدرى فيم أخطأت في الأولى . ؟ ولم يجد ذكرى شيئا يقوله ورن جرس التليفون في بيت بهجت
 - ــ آلو . . من ؟
 - ــ أنا سهام
 - سهام سامی ؟
 - هل تعرف غیرها ؟!
 - **ــ** أهلا

ــ ماذا تفعل الليلة ؟

ــ أمثل

ـ اقصد بعد التمثيل

ــ أنام

_ بل لاتنم

۔ خیر؟

ـ أريدك أن تتعشى عندى

ــ أمرك

وسألته أمه عيا تريده منه سهام فأخبرها

ـ ما المناسبة ؟

ــ لا أدرى . . يبدو أنها تريدني في شيء هام

_ وماذا بينك وبينها ؟

_ زملاء

_ هل أصبحت مثلها؟

_ على كل حال هي تعمل عندي الآن

ـ ليست هذه لغة فنون ولكنها لغة صاحب مال

ــ يبدو أن هذه هي الحقيقة

_ فلهاذا لاتقتنع بها؟

ــ حين أتأكد سأقتنع

ــ أتريد أن تتأكد ؟

ـ لقد علمني الفقر كثيرا

_ مثل ماذا؟

ـ مثل أن أواجه الحقيقة مها تكن مرة

ـ فواجهها

ـ حين أراها بعيني سأواجهها

ـ ألم ترها؟

ــ ليس بعد

ــ سأتركك حتى تراها

ــ لو كنت رحبت بفكرة أن أكون ممثلا يوم عرضتها عليك أيام الفقر لأخذت رأيك اليوم بلا أى تفكير ولكنك لو رأيت نفسك يومذاك والى أى حد ذعرت لعلمت أننى على حق حين أرفض رأيك أو على الأقل أتحفظ في الأخذ به . ــ أرجو أن أكون مخطئة وتكون محقا . . وفي العشاء وجد بهجت نفسه مع سهام سامى وأحمد فؤاد ووجد معهم ثالثا يعرفه بالشهرة ولم يكن قد التقى به قبل ذلك . إنه سالم خليل المخرج السينهائي .

قال أحمد:

ـ عدم نجاح تجربة المسرح يجعلنا نبحث عن الطويق السليم

ــ وما هو ؟

_ مارأيك في الانتاج السينهائي؟

ــ لا خبرة لى فيه

ــ ولم تكن لك خبرة بالمسرح

ــ لقد أخلت أحسن العناصر التي تعمل في المسرح

ـ وستختار أحسن العناصر التي تعمل في السينها

ــ لم أنجح في التجربة الأولى

ــ وقد تنجح في التجربة الجديدة

_ هل عندك قصة ؟

ــ سالم خليل هو الذي اختارها

... هي قصة لكاتب معروف لم يسقط له عمل قبل اليوم

ــ هل أنت واثق منها؟

ــ أستاذ بهجت إن لي اسما لابد أن أحافظ عليه

_ هل ممك القصة ؟

سد معى

_ أقرأها

ــ اذا شئت فأنت رجل مثقف وتستطيع أن تحكم

ــ لم أستطع أن أصل في المرة السابقة

ـ كم من فشل أعقبه نجاح

_ أستاذ سالم أتعرف لماذا قدمت هذه المسرحية ؟

ــ حبا للفن

ــ أنا أريد أن أمثل . لا أريد ما لا فمندى ما يكفيني ولكنني أريد أن أمثل

_ وهذا وحده سبب معقول

_ وأحب المسرح

ــ لعلمك اذا نجمت في السينها تستطيع أن تنتقل الى المسرح

ــ آخذ الطريق من آخره

- ــ المهم أن تصل
- _ أجرب . . ولكن هل رأيت المسرحية ؟
 - ــ نعم . . نعم
 - ـ لماذا فشلت ؟
- ــ لا أدرى . . كثيرا ما تكون الأعمال جيدة ولاتنجح
 - ـ لاشك فيها
 - ــ وأنت يا استاذ أحمد ؟
 - ــ فعلا
 - ــ وأنت يا سهام ؟
 - ـ ألم تلاحظ أنني لم اتكلم من أول الليلة ؟
 - _ لاحظت
 - _ فاسمح لى اذن أن أكمل الليلة بالأحلام
 - الا تخبريني على الأقل برأيك في موهبتي؟
- ــ لو قلت رأيي لقلت كل شيء . . إن لي معك كلاما آخر
 - ــ أمرك
 - _ متى ستقرأ الرواية ؟
 - _ سأتصل بك في مدى يومين
- _ أحمد يعرف كيف يجيء بى . . فهو يمثل معى الآن . . حين تنتهى من القراءة قل له وأنا تحت أمرك
 - ب وهو كذلك

ليس يدرى لماذا فكر وهو فى السيارة فى قصة حبه الكبيرة . انها تلح عليه . منذ اللحظة الأولى التى عرف فيها سوسن . منذ هما يتقدمان معا للجامعة وهى بجالها الهادىء القوى تقف عاجزة لا تدرى ماذا تفعل وكأنما توسمت أن تجد عنده عونا . وقام عنها بالإجراءات . لقد كانت فى طريقها إلى كلية الحقوق مثله وتعارفا وأحبها حبا عنيفا جارفا حتى لقد قرر فجأة :

- ــ لابد أن أتركك
- ـــ المفروض ألا اسألك لماذا . فتركك لى امتهان وسؤالى إمعان في هذا الامتهان ولهذا فأنا أسألك لماذا ؟
 - ـ لأننى أكبرك وأحبك وأحبك
 - ــ تخاف من المستقبل
 - فقر وضياع وذل وهوان . وأنظر إليك فأجد أنك ليس لهذا خلقت

ـــ أنت فى السنة الثانية من كلية الحقوق . ومن يدرى ماذا سيحدث حتى نتخرج بعد سنتين

_ آما ما سیحدث لی فلاشك فیه . وأما مایحدث لك فان أمره اذن سیكون بلا شك خیرا من حیاتك اذا ما ارتبطت بی

_ ومن يدريك ؟

_ طبائع الأشياء

ــ الایکفی ان تحبنی وان . . احبك ؟

ـ يكفى لو كنا سنؤلف قصة لابيتا

ـ وماذا ترید منی ؟

ـ اذا جاءك خاطب فلا ترفضي

۔ هذا أمر؟

ــ هذا انتحار

ـ ومن أنباك أنني أقبل لك هذا ؟

ــ لابد أن تقبليه . أرجوك

ـــ وتلع أيضا

ـ سعادتك عندى تستحق هذا الالحاح

_ كلام عجيب لم أسمع مثله من قبل

_ لأنك عرفت الحب من كتاب سخفاء يكتبون القصص ولا يكتبون الحياة

- لحلا السخف تحب أن تعيش؟

_ ولكن الحياة لاتحب أن تعيش به

ـــ لو لم أكن أدرى مقدار حبى لك الذى يجعلنى أثق بمقدار حبك لى لظننت أنك تريد أن تتخلص منى

ــ سوسن الحياة التي تنتظرني شاقة والعبء فيها ثقيل إذا تزوجتك

ـ سأعمل ولن أكون عبئا عليك

ـ انك تستحقين خيرا من هذا

ــ لماذا تضحى أنت ولا أضحى انا؟

ـ ولو كنت أستطيع الزواج بعد تخرجي لضحينا معا ولكن لا أستطيع

ـ وفيم العجلة ؟

ـ ستكون حياتي جحيها وأنا أعرف أنك تنتظرين موعدا لا أدرى متى إنجازه

ـ لقد جاءني الخاطب

ــ ورفضته

- _ أنا رفضته
- _ ولكن أباك لم يبلغه الرفض
 - _ لم يبلغه فهو معجب به
 - _ أغنى هو؟
- _ وهل ينظر أبي إلى غير هذا ؟
 - ــ اقبليه
 - _ هل أنت واثق؟

ولم يجب وانما سارع يبتعد خفيا دمعاته . كانت قد تعودت أن تعنف به ويقبل عنفها امتنع عن الصخب مع الرفاق وامتنع عن ملذات الشباب وامتنع عن متع كثيرة يعلم أن فقره لايتيحها له . ولكن ما فرضه على نفسه مع سوسن كان أبعد الجراح غورا وحين جاءت ثروة عمه كانت سوسن قد أنجبت طفلها الأول .

وحين التقى بها فى الكلية بعد أن سمعت بغناه المفاجىء نظرت اليه نظرة طويلة ، ولم يجد شيئا يقوله أو يعمله الا أن يغمغم

- ۔۔ لم اکن أدرى
- _ وابتسمت في مرارة
- ــ لقد أصدرت حكمك على المستقبل دون أن تقرأ صحيفة الدعوى
 - ــ لاتزيدى آلامى
 - ــ انها بعض آلامي
 - _ أسعيدة أنت ؟
 - ـ تريد أن تطمئن على تضحيتك
 - ـ أريد أن أطمئن عليك
 - ـ لاتطمئن
 - ــ. اتركيه
 - _ وماذا أقول لابني حين يصبح في مثل عمرنا ؟
 - _ الا سبيل ؟
- ــ الأحكام التي تصدرها الحياة لايجوز إعادة النظر فيها لسابقة الفصل في الدعوى
 - ـ بلا استئناف؟
 - ـ فات موعده
 - ـ لا تطعن

_ انت لم تخطىء فى تطبيق القانون ولكنك أخطأت فى وجهة النظر لانقض عادام القانون قد طبق .

- تسدين على المالك

... أنا فقط أبقى عليها مسدودة كيا أردتها

ــ أهذا ما كنت أريد ؟

- أحببت أن ترى نفسك بعلا . . افرح لقد أصبحته

- أجببت أن تعيش في سعادة

ـ هيهات أتعرف أنت أين سعادتك أو أين سعادي

... خيل إلى . . ظننت

... الأحكام في الحياة لاتبني على ظنون

ـ الا ترجين ؟

_ إنى راجة لأنى أعرف دوالعك

ــ لعلها تغفر لي عندك

۔ لقد غفرت لك عندى منذ دمعاتك الى أخفيتها ؛ وانصرف عنها إلى الآبد وهو يخفى - دموعه عنها برة أشوى .

ما الذي جعله يذكر هذا ؟ لايدري أفي نفسه حب جديد . . ربيا د حين ذهب إلى البيت أمسك بالرواية ونظر اليها بضع دقائق . . قلب صفحاتها . كانت المرة الأولى التي يقرأ فيها صيناريو كان الوقت متأخرا فالقى بها إلى جانبه وانصرف يهيىء نفسه إلى النوم » .

في المِيباح كان أول شيء سمعه دعوي تليفونية من سهام سامى

ب هل قراب الرواية ؟

ب لم أبدا بعد

_ مِل يُكِن أَنْ أَمُولُ لِكِ رِأَيا ؟

_ ياضح أنك دعوتني من أحل هذا

بر أنت رجل مستقيم

_ أرجو أن أكون كذلك

_ ولكن اتجب الرأى المستقيم ؟

ــ كينت أرجو أن تكون عرفتني أكثر من مِذَا

ب اذن اسمع

ـ أنا أسمع

ــ حرام أنّ تضيع مالك ووقتك

- - ــ اعبده كها تشاء ولكنك بلا موهبة
 - ـ مكذا مرة واحدة
- اسمع أنا لست أستاذة في المعهد ولا تسمح لى سنى أن أكون خبيرة ولكن لى حاسة وقد تدربت هذه الحاسة فأصبح لما حكم في هذا الوحش الذي يسمى التمثيل ولى أيضا أصدقاء قالوا لى ما لا يستطيع أحد أن يقوله لك أو ما يحب الكثيرون أن يخفوه عنك لمساخهم الحاصة ابتعد عن هذا الوحش إنه فتاك يمتص فريسته ويخدعها ويسلط عليها غرورها حتى تصبح نفاية بشرية .
 - _ الحكم غاية في القسوة
 - _ بعد سنوات قلائل ستدرك أنه غاية في الرحة
 - _ ولماذا تقولين لي هذا ؟
- ـــ لو كان غيرك ما قلت له شيئا . فهذا الفن يجعل بعض العاملين فيه يتحاسدون ولو كنت أعلم الك من هذا الصنف لمنعت نفسى أن أصارحك حشية أن نظن أنني أخشى على مستقبلى منك .
 - _ ما هذا الكلام الفارغ . . أنت في مجلك هذا تخشين ناشئا ؟
- ــ قل أن يدرك ناشيء أنه ناشيء وهو يبحث دائماً عن سبب مثل هذه النصيحة غير أن تكون خالصة فليظمئن نفسه أن المثلة التي بلغت من شهرة تخاف على نفسها منه ولهذا تنصحه أن يبتعد عن التمثيل.
- ــ واذا تخلصت منه أليس من الطبيعي أن يأتي آخر يكون صاحب موهبة حقا ؟
- ــ الفاشلون يعمون عن كل الحقائق فلا يدركون مثلا أن لكل نجم فى التمثيل فترة . وأن النجم لابد له من نجوم حتى يؤكدوا وجوده . . وكل هذا يغيب عن تفكيرهم ليؤكدوا لأنفسهم أنهم أصحاب مواهب .
 - ـ وما رأيك في الإنتاج السينائي؟
 - ــ مريح جدا لمن يفهمه وخراب للهواة أمثالك
 - ـ ولكنك مع ذلك لم تجيبي على سؤالي
 - ۔ لقد نسیته
 - ــ لماذا تقولين هذا لي ؟
 - ــ أخشى على نفسي منك
 - ــ هذه فهمناها وماذا أيضا
 - ــ أخشى عليك من نفسك

- هل تقدمین نصیحتك لأی أنسان تخشین علیه من نفسه
 - _ لاشأن لك سذا

انهم يحتفلون اليوم بعيد ميلاده الستين . تحتفل به ابنته اخلاص وابنه فتوح ويحتفل أيضا به زوج ابنته سعيد مجدى المحامى . ويحتفل أيضا أبناء ابنته الهام ويهجت . والجميع يلتفون حول الممثلة السابقة والجدة الحالية سهام سامى .

سنوات مرت وسنوات وقطع من العمر طريقا طويلا ومن النجاح طريقا اطول فلم يكن أمامه أن يعود إلى المحاماة وكان قد تعود الجد الذي أرغم عليه في أول حياته فنجح نجاحا ساحقا.

وأصبحت شهرته تشمل العالم العربي أجمع بل إنه تولى قضايا دولية خارج العالم العربي .

ولكن العجيب أنه مع كل هذا النجاح بقى له شيء هام من هوايته القديمة فهو يمثل فى كل تصرف يعمله . يمثل فى المحكمة . . يمثل مع أبنائه . . يمثل مع أحفاده والغريب ، الغريب أنه يمثل مع الممثلة الشهيرة زوجته وكانوا جميعا يضحكون فيها بينهم على طريقة تمثيله ويزدادون له حبا من أجلها . لم تمر به هوايته عبثا .

لقد بقى منها شيء . . بقى منها شيء كثير .



وإن كنت تمبت

- _ لا أرى أى فائدة في التجديف
 - ــ ومع ذلك لابد أن تجدف.
- _ الأَمواج تتصرف بالقارب غير عابثة بهذا التجديف
 - _ ومع ذَّلك لابد أن أجدف
 - الذاع
 - _ هذا عملي
 - ــ وان كان بلا فائدة ؟
 - ـ ليس هناك عمل بلا فائدة
 - ــ أتراك توجه القارب بتجديفك هذا ؟
 - _ أنا لا أدرى ولكن لابد أن أجلف
 - ــ فاذا كنا تحت رحمة الأمواج ؟
 - ــ ولكن لا يستوى من يجدف ومن لا يجدف
 - ۔ کیف عرفت؟
 - ـ انظری حولٰكِ الجميع يجدفون
 - _ أترى الجميع ؟
 - ـ أرى من حولي
 - _ رَبُّمَا كَانَ هَنَاكُ آخرُونَ لَا يَجِدَفُونَ
 - ــ أولئك لا شك قد توقفوا في الطريق
 - _ أنت تستنتج ؟
 - ـ بل أنا أعرف

- _ كيف عرفت؟
 - نے وعرفت معی
- ـ تقصد هذا الذي يقوله لنا الأخرون؟
 - ــ نعم
 - _ أتصدقه ؟
 - _ ولماذا أكذبه ؟
 - _ أنا لا أصدق شيئا لا أراه
- ـــ ومع ذلك فأنت تعرفين أن ابنك يجدف هو الآخر مع زوجته . وأنت وابنتك في قارب زوجها الذي يجدف هو بها ويطفيه .
 - _ ما شأن هذا بما قلت ؟
 - ــ أنت لا ترينهم دائيا ومع ذلك تعرفين أنهم موجودون
 - ـ موجودن طبعا
 - ... أن تصدقي ما تريدين أن تصدقيه وترفضي ما لا تحيين
 - ـ ريما كان تجديفهم عبثا هم أيضا
 - ــ وليكن ولكن لابد أن نجدف
 - ربما اذا توقفت عن التجديف بعض الشيء يتواثب السمك إلى قاربنا
 - بل السمك لا يثب إنما ينبغي أن نقتنصه بالشباك
 - ـ وأنت تعلمين ذلك
 - _ ومع ذلك فهو يثب أحيانا
 - _ الأستثناء ليس القاعدة
 - ـ ألا تذكر السمكتين اللتين وثبتا معا الى قاربنا دون جهد؟
 - ــ مرة
 - _ ولكن السمك يثب الى قوارب أخرى أفواجا
 - ـ ومع ذلك فأصحاب هذه القوارب يصيدون بالشبك هم أيضا
 - ــ هواة متاعب
 - ـ يفعلون ما يجب أن يفعلوا
 - لو كنت مكانها لاكتفيت بالسمك الذى يثب إلى القارب
 - من يدرى ربما اذا توقفوا عن الصيد توقف السمك عن الوثوب إليهم
 - ــ فليجربوا
 - ـ ليس لدينا وقت للتجارب
 - ــ من تقصد؟

```
    نحن جميعا . . جميع الذين يجدفون يجربون أن يتوقفوا
```

س أخثى أن تتعب

ــ ولماذًا لا تخافين على زوجة أبنك ؟ ﴿

س إن من واجبها أن تجدف مع زوجها

سه اليس هو نفس الواجب بالنسبة لابنتك ؟

_ صحتها ضعيفة

سارى صحتها أحسن من صاحة زوجة ابنك

۔ آیامنا لم نکن محدف

- الأيام تتغير . . أين نحن وأين هم ٢

س نعم . . بيننا مسافة بعيدة إ

- والمسافة بيننا وبين آبائنا أبعد

- بل يخيل الى أننا نقترب منهم

س ليس إلى الحد الذي تتصورين

۔ الی این نحن ذاہبان ؟

الى أبي وأبيك وأهى وأمك ·

ــ منذ زمن بعيد لم نرهما

حلها افترينا إليهها زاد شوقناً لرؤيتهها

۔ تعبث

س فتوقف

- لا استطيع

ــ ألا ترى الموج يسير بنا حتى وان لم تجدف.

ـ لابد أن أساعده

س يخيل إلبك أنك تساعده

ـ بل يعرف أنني أساعده . . على الأقل حين أجدف أحس أنني أتقدم .

ـ. وهم

ــ بل الوهم أن أتوقف وأترك للموج كل شيء.

_ إن كل شيء في يده

ــ ولكنه مع ذلك يريدن أن أجدف

_ أقال لك مذا؟

۔ کثیرا

ــ أبينك وبينه حديث؟

ـ لا تسمعينه

- حسبت أنني وحدى التي أكلمه

ـــ وانما نظن أننا ننفرد بأشياء . . غرور ·

_ لابد منه

9 13U _

ـ لنتحمل الرحلة الطويلة

ـ ألا تحتمل الا بالغرور؟

ــ وبأشياء أخرى

ــ مثل ماذا ؟

ــ مثل التجديف

_ وماذا ؟

ــ وهذا الكلام الفارغ

... ولا أدرى .. ربما أيضا بشعورنا أننا لابد أن نحتمل

- وإن لم؟

ــ لا يهم . . سواء عند الموج أن نحتمل أو لا نحتمل فالرحلة ستتم

- أعلم . . أتذكر متى بدأنا الرحلة ؟

ـ لم أعد أذكر شيئا

_ ولا أنا

ــ هذا حسن

۔ لاذا ؟

_ ربما معناه أننا اقتربنا

۔ أتريدنا أن نقترب ؟

¥ _

_ ولا أنا

_ مع أنك تعبت؟

_ مع أن تعبت



لم يتسع الوتت

حين تقرر أن يسافر الى السعودية لأعمال الشركة البولندية التى يعمل بها لم يفكر فى شىء آخر الا أن يزور الأراضى المقدسة ويطوف حول الكعبة المكرمة ويقف أمام شباك النبى .

ولم يكن توقه إلى العمرة عن أى شعور بالإيمان بل كان كل ما يفكر فيه هو تحدى هذه الرواسب التى تسيطر على أفكارالمسلمين والتى يرى أن انصياعهم لها ما هو الا تعلق ببقايا الأبوة وعهود الصبا والطفولة . وكان واثقا أن الانسان المتحضر لايمكن أن يؤمن بفكرة الدين أو التعلق بأوهامه .

هو واثق من نفسه ومن أفكاره وقد ازداد بها وثوقا حين اختار المداهب الشيوعية مذهبا وانسلك في قالبه وواجه كل ما واجهه أصحاب المذهب من عقاب كما نال كل ما ناله هؤلاء من ثواب .

والوظيفة التي يرتع فيها الآن ماهي الانهر من فيض البحر الذي انسكب على أبناء مذاهبه فيا كانت الشركة البولندية لتعينه لو لم يكن شيوعيا غارقا في الشيوعية يهب لها نفسه وإلحاده ويقدم إليها أيضا فقره لترده عليه غني ووفرة ورفاهية ورخاء.

وقد استطاعت الشيوعية أن توفر له مالم تستطع الرأسيالية أن توفره لأحد من أمثاله . فسيارته كاديلاك من آخر طراز . . نعم السيارة رأسيالية ولكن مادام الشيوعي قد استخدمها فان سيارته هذه الكاديلاك بالذات تصبح شيوعية بالتخصيص .

ومنزله من أفخم منازل الزمالك وأثاث بيته غالى الثمن غلاء فاحشا لايهم من بعد إن كان يتسم بالذوق السليم أو لايتسم فكل ما يهمه أن يكون غالى الثمن.

أما ملابسه فهى فى الحق مضحكة لأنه فيها يبدو مصاب بعمى الألوان فتراها تختلط على جسمه كقصة غير معقوله أو كموسيقى صاخبة يعزفها قوم لاقائد لهم ولانوتة تجمع بينهم . ولكن كل وحدة من وحدات ملابسه ثمينة فى ذاتها . واضع أنه بذل فيها المال الكثير . فقد كان يعنيه دائها أن يبذل المال الكثير فيها يركب أو يسكن أو يلبس .

وكان يتيه دائها بين الناس بأنه لايمد يده لأى دولة شيوعية وأنه شيوعى بالمبدأ لا بالجيب وهو بطبيعة الحال يرى أن وظيفته هذه التى يشغلها والتى تسكب عليه هذا المال حق طبيعى له لاصلة لها بالشيوعية . هو يرى ذلك أمام الناس وحين يخاطبهم ولكنه فى دخيلة نفسه يعرف تماما أنه لو لم يكن شيوعيا لما زاد دخله عن دخل زملائه الذين تخرجوا معه واللين يعملون فى الوظائف العادية والذين يعجز مرتبهم أن يطاول عشر مرتبه .

هو واثق كل الوثوق أن ذلك الخير الذى يمرح فيه سببه الوحيد الذى لاسبب غيره أنه شيوعى ويعلم أن الكلية التي تخرج فيها قد منحت الحياة الآلاف من أمثاله أغلبهم أكثر منه علما ودربة على العمل وإتقانا له .

ولكن الشيوعيين وحدهم من هؤلاء الآلاف اللين يستطيعون أن ينالوا ماتهبه لهم الحياة من خطوة . وأصحاب الجرأة فيهم هم اللين يستطيعون أن يواجهوا الناس إنهم لايمدون يدهم لأى بلد أجنبى . وهو من أصحاب الجرأة هؤلاء .

حين نزل الى جدة قصد الى فندق الرياض حيث كانت شركته قد حجزت له حجرة فاخرة ذات غرفة ملحقة وتليفزيون . وبعد أن أودع الحجرة حقيبته ونظر إلى المرآة واطمأن على القصة غير المعقوله التى يضعها على نفسه نزل الى بهو الفندق ينتظر أصحاب العمل الذى جاء من أجله .

ولكنه فوجيء بصديقه رفعت جالسا في البهو . .

- _ أنت . . . أنت في السعودية ؟
 - _ عمل
 - _ فقط ؟
- ـ طبعا سأعمل هذه العمرة التي تحكون عنها في دينكم .
 - ـ وأنت؟ ألك دين آخر؟
 - ـ أنت تعرف
 - ــ فعلا . . أنت مسكين . . أنت بلا دين على الإطلاق
 - أحمد الله على ذلك
 - بل احمد الشيطان إن شئت

- _ المهم أنت ماذا تفعل هنا؟
- ــ أنا جثت من أجل هذه العمرة التي نؤمن بها نحن المسلمين
 - _ وهل قمت بالعمرة ؟
 - _ ليس بعد . أنا على موعد مع الأصدقاء أن نقوم بها
 - _ أذهب معكم
 - _ الا تخاف؟
 - _ أخاف مم ؟
- _ ألا تخاف أن تؤمن . ؟ إن للكعبة روعة وإن لقبر الرسول ضياء لاتراه العين وانما ينفذ إلى القلب وإلى حنايا المشاعر فيرج الانسان رجا عميقا وترى روحك محلقة الى عليين تطوف مع النبى في رحلة آخر دين أرسل إلى الناس وتراه معلبا في سبيل عقيدته ثم تراه في خطبة الوداع أتم دينه وبشرنا أن الله رضى لنا الإسلام دينا يخطب في أصحاب عام حجه أن دماءكم وأموالكم حرام بينكم حرمة يومكم هذا في شهركم هذا في عامكم هذا . ويهتف بهم وهو يختم رسالته إلى البشرية اللهم هل بلغت ويصيحون نعم . ويهتف مرة أخرى اللهم فاشهد .

اتحتمل هذا جميعه ؟

- _ قد لايحتمله السلج من أمثالك أما أنا فاحتمله وإنى واثق.
- ــ لكم أخشى أن أجدك أكثر سداجة مني ومن أصحابي المؤمنين
 - _ لقد جربت نفسي مع الإيمان
 - __ حقا ؟
 - _ ووجدت نفسي غير قابل للايمان على الاطلاق
 - _ هل أنت واثق؟
 - _ كل الثقة
 - وكيف عرفت ؟
 - تعرضت لمحنة فلم أذكر الله
 - _ ما نوع المحنة ؟
 - _ هل يهمك هذا؟
 - _ كل الأهمية
- كنت راكبا سيارق وغفت عيني لأجد نفسي غائصا بسيارق في الماء حاولت أن أفتح باب السيارة فاستعصى على ورحت أحاول وأنفاسي تختنق بى تشدنى إلى الموت في جلب آسر عنيف ولم أجد أمامي إلا أن أحاول الخروج من شباك السيارة فرحت أدفع جسمى خلالها دفعا ثم لم أع بعد ذلك من أمر نفسي شيئا.

- _ انقذت وانت مغمى عليك ؟
 - ــ نعم
- ــ ومتى كنت تريد أن تذكر الله . . ؟

إننا نحن المؤمنين نذكر الله حين نصبح عاجزين فان الله يأمرنا أن ندبر نحن أمر أنفسنا ونتوكل عليه ولا نتواكل.

وقد كن أنت مشغولا بإنقاذ نفسك وحين جاءت اللحظة التي يجب أن تقول فيها أشهد أن لا إله الأ الله وأن محمدا رسول الله كان مغمى عليك . ياصديقي إن هذه تجربة لاتصلح دليلا تطمئن إليه . . إنك محصن ضد الإيمان .

- ۔ أترى ذلك ؟
- _ لاشك في ذلك . . هيه . . أتاتي معنا ؟
 - _ لا سأذهب وحدى

وأثار الحديث الكثير من الوساوس فى ضميره . ما مصيرى اذا اهتزت مشاعرى من الإيمان واستيقظت من سباتها تلك البدرة القديمة التى ألقى بها فى نفسى أبواى وسقتها البيئة والتقاليد وتاريخ أجدادى الطويل فى ظل العقيدة .

وما الباس أن أؤمن وأظل في عمل . . هراء إن عمل متوقف على إلحادى . . ولماذا ألقى بنفسى إلى صراع أنا في غنى عنه ومالى لا أبعد مشاعرى عن هذا الامتحان ؟ قد أجوزه وأظل على إلحادى أوقد أرسب وأدعو إلى الإيمان . ويومثذ وداعا للكاديلاك والملابس الأنيقة والعيش السعيد .

- وبعد أيام التقى الصديقان في بهو الفندق:
 - _ أراك تنبى اقامتك بالفندق
 - _ عائد إلى بيتي
 - _ هل أديت العمرة ؟
 - _ لم يتسع الوقت

سينزيف والصخرة

جاء في الأساطير أن الآلهة قضت على سيزيف بالصعود الى أعلى الجبل وهو يدفع أمامه صخرة . وقضت الآلهة ألا تستقر هذه الصخرة في أعلى الجبل أبدا . فكليا صعد بها سيزيف تعود فتنزل الى السفح ، ويعود سيزيف فيدفعها أمامه الى أعلى الجبل .

وفى يوم صعد سيزيف إلى أعلى الجبل دافعا أمامه الصخرة وتركها وعاد لينام وكان قد تعود أن يستيقظ مع فجر كل يوم ليجد الصخرة التى وضعها على القمة فى أمس قد عادت إلى السفح مع الفجر . ومع انبثاق النور يعود سيزيف فيدفع الصخرة الى أعلى الجبل ويستغرق منه هذا الجهد اليوم جميعه حتى الهزيع الأول من الليل .

وفي هذا اليوم صعد كشانه وترك الصخرة . ونزل لينام ولينتظر الصخرة لتعود فيدفعها في باكر الصباح .

وأشرق الفجر . ولا يدرى سيزيف لماذا راح ينظر حواليه فوجد أنه يعيش في أجمل مكان في العالم فحوله الجداول الرقراقة والأشجار اليانعة والحداثق الغناء والطيور تستقبل النهار بجوسيقى سياوية وتودعه بمواكب حافلة من الأنغام . وتعجب سيزيف أنه لم يلتفت إلى هذه الجنان حواليه إلا في يومه هذا وأسف لهذا القضاء الذي فرضة عليه قدره وتمني أن تتاح له الفرصة أن يستمتع بهذا الهناء الذي يرف حواليه ولا يصيب هو منه شيئا حتى ولا متعة النظر . كان قد مر عليه عشر سنوات وهو راضخ لقدره طائع له مستسلم غير متبرم به ولا هو ضجر . ولكنه في يومه هذا كان يتمنى لو كان قدره أكثر رفقا به .

قام إلى الصخرة ومد يديه دون أن يكلف نفسه عناء النظر ولكن يديه بالهواء استقبلتا ونظر فاذا الصخرة ليست في السفح وتشوف القمة فاذا الصخرة راسخة هناك لم تنزل . جن جنونه ١٦٣

من الفرح وصعد الحبل وثبا وفي مثل اللمحة الخاطفة كان واقفا هناك. الصخرة ثابتة حيث تركها في الأمس. اذن فقد أفرجت عنه الآلهة.

جرى إلى الجدول الرقراق وراح ينقع نفسه فيه ويصب ماء صبا . وغسل ثوبه فاذا هو يعود جديدا كأنما لم تعمل فيه السنون بيديها . وبحث عن حجر وراح يسنه حتى أصبح قاطعا وراح يحلق ذقنه فهى ناعمة . ثم استقبل الجنة التى حواليه وراح يأكل مما بها من فواكه راثعة .

وما أن غذ في السير حتى وجد أطفالا يلعبون عليهم ثياب نظيفة وفي وجوههم مرح ونعيم وسألهم :

- _ ماذا تعلمون هنا؟
 - ہ نلعب
 - _ ألكم بيت؟
 - _ طبعا
 - _ ایسن ؟
- _ في هذه القرية هناك

اذن فيجانبه قرية أيضا قصد إليها فاذا من بها يلتفون حوله

- _ من أنت ؟
 - _ سيزيف
- _ صناحب الصخرة ؟
 - _ نعم
 - ـ لست به
 - ــ بل إنني هو
- _ سيزيف أشعث أغبر قذر الثياب طويل اللحية مكثر لا يعرف الضحك طريقا إلى

4

- ــ لقد عفت عنى الأقدار
 - ــ والصخرة ؟
 - _ في أعلى الجبل
 - _ ولم تنزل ؟
- _ بل هي باقية حيث أرسيتها بالأمس
 - _ اذن لنقيمن لك عيدا
 - _ ولكنكم لا تعرفونني
- _ بل نعرفك . كنا نرقبك طوال السنوات الماضية
 - _ لم أر أحدا منكم

- ــ كنت مشغولا عن الدنيا جميعا
- ب اذن فهل أطبع أن أكون واحدا منكم ؟
 - ۔ کیپن
- يب وأقيم العيد وضبح المكان بالموسيقى والرقص . . وفى أثناء الرقص وقعت عينا سيزيف على فتاة كانيت تبدو أمامه كنجمة مجنحة هبطت من السياء فيها إشعاع حلوريان ينساب جسمها كجعلم وسناني وهى ترقص كملاك وتبتسم كأمل وتغنى وكأنها أمنية بتبحقق .
 - ب ما ایسمال ؟
 - بيغيليا
 - ــ زوجة أنت لا شك ؟
 - ـ بل لست زوجة
 - ـ كيف . . أهذا الجهال جميعه لم يجد الزوج .
 - يبدو أن السياء تريدني لغير من طليني
 - ــ ترى أترضي بى السهاء زوجا لك ؟
 - إن أرضى
 - إذن فالساء ترضي

وكان الزواج وعاش سيزيف أجمل الترات جياته وأنجب من سيفليا ابنا وابنة وكان دائها يسأل أجمل قريته .

- س عيلا
- ب ولكن لا عمل لك
 - ب أبدا ؟
- لقد وزعنا الأعيال من قبل مجيئك وهكذا ضاق سيزيف بالفراغ ووجد نفسه يذهب إلى الصخرة يدفعها عن الجبل ولكنها كانت ثابتة لا تريد حراكا فأتى بفأس وراح يضرب حواليها حتى وهنت جذورها ودفعها فسقطت إلى السفح ومنذ ذلك اليوم أصبح عمله كل يوم أن يدفع لصخرة إلى القمة طوال اليوم وفي اليوم الثاني يدفعها الى أسفل ثم يعود فيصعد بها إلى أعلى .
 - وعجب أبله وابنته . فتشجع ابنه وسأله :
 - أب ماذا تفعل ؟
 - س أعمل
 - ـ ولكن بلا فائدة
 - وكيف تقول هذا؟

converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا أرى نتيجة لعملك
 النتيجة الوحيدة أننى أعمل
 أليس لكل عمل فائدة ؟
 أريد أن يوجد العمل أولا
 يوجد العمل أولا

_ حتى ولو كان بلا هدف ؟

_ لو فكرت يابني قليلا . . لو فكرت لوجلت الهلك . . أتراك وجلته . . لايهم . . موف تجله . .

المصان الذي نفق

لم يكن يسرى فقيرا فى القرية ولكنه كان تائها فى زحامها ، محتقرا بين أهلها لا يشعر به أحد رغم جهده الجهيد أن يشعر الناس به . فقد كان لا يترك وسيلة يذكر بها الناس أنه حى ، وأنه يسعى بينهم وأنه ليس نكرة من النكرات إلا سعى إليها حثيثا ، وقد كان يحصل دائيا على هزاء الناس والسخرية به إلا أنه لم يستطيع قط أن يحصل منهم على مايريد من شعور بوجوده وأنه

ولم يكن غناه فادحا ، ولكنه مع ذلك كان يدعو إلى الولائم في كثير من الأحيان . وكان الناس يلبون دعوته ، ولكنهم ما أن يأكلوا ويتركوا بيته ، حتى ينسوا أمره ، وكأنه لم يكن .

ولم يكن يسرى مؤمنا بالله ، وما كان يصلى ، ولكنه مع ذلك حريص على أن يشهد صلاة الجمعة مرتديا أجل ما عنده من الملابس ، لاينسى أن يلبس رباط عنقه الأحمر ، مقتنعا أن اللون الأحر أكثر الألوان استرعاء للأنظار لكن الأنظار مع ذلك ـ كانت تأخذه فهو موجود بغير وجود ، حاضر خير منه الغائب .

وكان يسرى يحرص أيضا على أن يخطب الناس بعد كل صلاة جمعة . ولم يكن طبعا يستطيع أن يحدثهم عن عدم إيمانه . فهو مع كل حرصه على أن يذكر الناس بوجوده ، أكثر حرصا على أن يظل على قيد حياة . . أية حياة ولو أنه أطلع الناس على ما يعتمل فى نفسه من عدم إيمان ، لأصبح موته بأيديهم أمرا محققا .

وانما كان يسرى يخطب الناس فى وجوب إعطاء الفقراء والمساكين والإحسان إليهم ، ولكن لم يقدر له أبدا أن يكمل خطبة إلى النهاية التى يريد أن ينتهى إليها ، فها هى إلا جملة وأخرى ، حتى يصبح المسجد فارغا من الناس أجمعين . فيا كان أحد من أهل القرية ليلقى إليه سمعا ، وهم يعلمون أن الاحسان عنده كلام ، والشفقة بالمساكين عنده شقشقة ، وكفاهم دليلا على ذلك ما يعانيه منه عبد السميع ومحمدين وشفيق الذين يستأجرون أرضه . فان أحدا في القرية لا يعاني من الفقر والذلة والهوان والقهر ما يعانيه هؤلاء الثلاثة الذين قدر لهم أن يكونوا أجراء عنده . ويا طالما عرضوا أنفسهم على الملاك الآخرين ، ولكن أحدا لم يستطع أن يغيثهم . فالمستأجرون في القرية يرثون الأرض عن آبائهم ولا يستطيع مالك ، بل ولا يحب أن يخرج أحداً من أرضه ليعطيها إلى آخر .

وقد ضاق عمدين بمالك أرضه يسرى ، وضاق بالقرية جيعا فتركها الى أرض الله ، ولم تعد القرية تعليم عنه شيئا .

وظل عبد السميع وشفيق يستأجران أرض يسرى وجدهما ، بعد أن حاول أن يجد مستأجرا . آخر بدلا من محمدين فذهبت محاولاته سدى .

فالكلام منه اذن عن وجود الإحسان خليق أن يجعل أهل القرية ينصرفون عنه ، حتى إن لم يتوافر هذا السبب فقد كان أهل القرية سينصرفون عنه أيضا ، لأنهم لا يشعرون أن له وجودا أو مكانا .

كان هذا الشعور بالضياع والإهمال يملاً نفس يسرى ، ويجبل نفسه تفيض مرارة وحقدا ، فهو حاقد على كل عنى له بين القرية توقير واحترام ، وهو حاقد على كل متعلم يقول فيسمع الناس في اقتناع واحترام . وهو أشد حقدا على المحترمين في القرية دون أن يكون لاحترامهم سبب ظاهر الا أنهم محترمون . فقراء هم ولعل بعضهم لم يصب من العلم إلا قليلا ، ولكن أهل القرية يحترمونهم ، ويقصدون إليهم إن طلبوا الرأي ، وينزلون عندما يشيرون به ,

نار من الحقد تفتك به . . نار من داخله . لاسبيل أن يصل إليها شيء إلا ما يزيدها أوارا واشتعالا .

يخرج يسرى فى كل يوم إلى ظاهر القرية ، وينظر إليها فى كره شديد ، وألم عميق ، ومرارة قاتلة . ويظل قابعا منزويا كوحش كسير يحاول أن يتربص بأعدائه المصائب ، فتخذله الدلة . ويقعد به الهوان .

وبينها هو كذلك ، سمع جوادا يركض ، ويهز الأرض بأقدامه . واقترب الصوت واقترب ، من الحصان وراكبه . . أما الحصان فمجنون أرعن ، وأما صاحبه فخائف هالع .

- _ أين أنا؟
- ـ لا أدرى

- ـ ألا تعرف اسم القرية التي أثت منها؟
 - ــ المنشية . . من أين أنت قادم ؟
- ـ لا شأن لك . . أتشترى هذا الحصان ؟
 - _ ماذا ؟
 - ألم تسمع . . لا وقت عندى للدلع -حصان . . أيشترى هو حصانا ؟

وما البأس . . وأى شيء سيجعل أهل القرية يحسنون به خيرا من هذا الحصان . . الحصان خعب . . الحصان ذهب . . ليس فى القرية من يملك حصانا . . ولكنهم لن يقولوا يسرى جاء أو ذهب . . الحصان فقط لا بأس أيضا . . يكفى أن يذكرهم الحصان به .

- ولكن هذا الحصان غيف . أراه لا يكف عن الحركة العنيقة
 - ــ هذا دليل الحيوية .
 - ـ الكثير منها يقتل
 - ـ أنت صاحبه . . اخدمه يخدمك
 - ـ ولكن لماذا تريد أن تبيعه ؟
 - ــ أهو تحقيق ؟
 - ــ لعلك سرقته .
 - ــ وافرض .
 - ـ قد يراه صاحبه فأخسره.
 - ـ اسمع . الأمر المؤكد أن صاحبه لن يحاول أن يسترده .
- ــ هانذا ً . . أركبه أمامك ، وأعرضه عليك ، ولا وقت عندى للكلام الكثير ، أتشترى أم أمشى
 - ـ كم تريد فيه ؟

واشترى يسرى الحصان . وحاول أن يركبه فنفضه الحصان نفضة عنيفة إلى الأرض أحس معها أن عظامه تنسحق ، فسحب الحصان ومشى يتكفأ حتى بلغ منزله في عتمة من الليل .

وأدخل الحصان إلى حجرة نومه الخاصة . وذهب إلى حيث السكر ، فأحضر جميع ما في البيت منه .

وبعد أسبوع استطاع يسرى أن يركب الحصان ، بعد أن أنس إليه . وفعلا بدأت القرية تتكلم عن الحصان ، ولكنها ـ كها توقع يسرى ــ لم تتكلم عن يسرى . كان يسرى يربط الحصان فى الغيط مع جاموسته ، ويذهب إلى ما يبتغى من أعمال . وبينها هو جالس فى بيته . . اذا بشخص يعدو إليه .

- _ يسرى .
 - _ نعم .
- _ حصانك قتل عبد السميع .
 - _ ماذا ؟

حاول عبد السميع أن يركبه فجرى حتى ألقاه فى الترعة و أغرقه، وأصبحت الحكاية أحدوثة فى القرية لفترة طويلة . ويسرى سعيد كل السعادة بموت عبد السميع الذى جعل الناس يتحدثون عن حصانه كل هذا الحديث .

كان الحادث فى القرية شيئا عظيها . فهو ربح شديدة العصف تمر على الماء الراكد من أثر الملالة . فالناس لا يجدون فى القرية ما يتحدثون عنه . فإذا مر بحياتهم حدث كهذا أصبح تاريخا يعتبر الذين عاصروه خالدين فى حياة القرية وتاريخها .

ولكن حصان يسرى لم يترك لهم فرصة طويلة يلوكون فيها حادث القتل الذي ارتكبه . بل هو يعاجلهم .

- _ يسرى .
- ـ نعم .
- ـ حصانك .
 - **_** ماله ؟
- _ فقأ عين عبد الشافعي بن سعيد أبو عرابي .
 - _ ماذا ؟

وفى هذه المرة يذهب سعيد إلى يسرى . ويمسك بخناقه . مقسما بأغلظ الأيمان أنه قاتل الحصان ، أو قاتل يسرى . ويتجمع الناس ويحولون بين سعيد ويسرى ، وتبدأ المفاوضات . ويسرى سعيد فقد أحس الناس به هو أخيرا . وها هم أولا يجتمعون حوله ، ويفاوضونه ويفاوضهم .

وتتوالى أحداث الحصان . فهو يقطع حبله ، ويعتدى على برسيم الأخرين وهو ينطلق فى القرية فى جنون أحمق يكسر أرجل الناس وأبوابهم ، أو يوقع ما يعرشون به على بهائمهم . أو يعتدى على هذه البهائم فيجعل أصحابها يعودون بها إلى السكن . ولعل أشد ما آلم الناس من الحصان وصاحبه ما فعله الحصان بالمصلى التى أقامها أجداد أجدادهم هناك عند مجرى النيل . الحصان وصاحبه ما فعله الحصان بالمصلى التى أقامها أجداد أجدادهم هناك عند مجرى النيل . فقد دخلها الحصان . فهدم قواعدها . ومزق الحصير فيها . ولعل هذا الحادث بالذات هو

أسعد ما سعد به يسرى . حتى لقد أغدق في مساء هذا الحادث على حصانه من السكر قدرا لم يشهده الحصان من قبل .

أصبح يسرى هو شغل القرية الشاغل ، وأصبح الناس يبتعدون عن مكان الحصان قدر جهدهم . وألقى الحصان على القرية ظلا من الرعب ثقيلا . وليس أفتك بالانسان من الحوف ، ولا يزرى بالانسان شيء قدر شعوره أن الذعر والهلع يحيطان به من كل جانب وما أشد الهول حين يكون العدو حيوانا أعجم ، لا يعقل ولا يفهم وإنجا يخرب لوجه الحراب بلا هدف ولا فكرة ولا غاية ينتهى إليها ، ويسرى سعيد . فليمت الناس من الحوف أو من الغضب . فلقد أصبح هو شبئا يذكر . ومقصدا يسعى إليه .

وفى يوم صحا يسرى من نومه . وذهب مسرعا الى حصانه . . مجده وعزه وأمله الذى تحقق وذكره الذى ذاع واسمه الذى انتشر ماذا . . ؟ ما الذى جعل الحصان فى هذا الشكل الذى هو عليه لا يمكن . . غير معقول . . لقد مات الحصان . . مات كيف . . لا يهم أمسموما مات . . لا يهم . . هل مات من كثرة السكر . . لا يهم . . لقد مات . . أحس يسرى أن اسمه هو هذا المدد حسدا من غير روح . . وعيا قريب يصبح عدما بلا جسد ولا روح . . لا يمكن . . غير معقول . . إن حصانى لا يموت . . إنه لا يموت . . لا يموت . .

وفجأة انتفضت في جسم يسرى المرارة التي اخترنها قبل أن يعرف الحصان وانتشر في جسده الحقد الذي دفنه فيه طوال عهد الحصان ، ووجد نفسه يجمل الحصان الميت ، ويخرج به من المبيت ، محطها باب البيت ، صارخا في الناس ، وهو يعدو في كل متجه . . إنه لم يمت إن حصاني لم يمت إن حصاني لا يموت . . لا يموت .

وماهى الا صرخات قليلة . . وخطوات أقل من العدو الأحمق العربيد المجنون حتى انهار يسرى ومن فوقه الحصان يكتم أنفاسه القليلة الباقية .

واختلط الجسدان حتى لا يستطيع أحد أن يستبين أحدهما من الآخر . وقبل أن يدركه أحد تلحق روحه روح الحصان الذى نفق ، ويتجمع حوله أهل القرية . ولا تلتقى نظرات ولا كلمات ، وإنما يشيع أمن انسانى فارق الانسان فيهم حينا ثم عاد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

.

1

•

.

.

•

لحظة بعادة

كان سعيدا منشرح الصدر وهو يفكر . . كانت لحظة من هذه اللحظات القليلة التي يشعر فيها الانسان أن الحياة تعطيه بقدر ما يريد منها أن تعطيه ودون أن يدرى السبب راح يفكر في السبب الذي بث في نفسه هذه السعادة التي يشعر بها وما لبثت هذه الفترة أن بعدت عن مسار تفكيره . . وما لبث أن قال لنفسه إني سعيد لأني سعيد . . وأخشى ما أخشاه أن أبحث عن أسياب سعادتي وأنقلب بفعل يدى تعيسا وأسباب التعاسة دائها أكثر والرة من أسباب السعادة . . . وهل هذا كلام رجل سعيد . . . إنه كلام أي انسان ولكنك لست أي انسان . · انك رجل سعيد . . . حسنا فلأظل سعيداً إذن دون محاولات سخيفة لتعميق أسباب السعادة . . . هل هي قليلة لحظات السعادة هذه الى هذا الحد . . هل هي قليلة لدرجة أنني أقتنصها من الحياة اقتناصا ولا أحاول حتى أن أبحث أسبابها وما دعت إليه . . . إني سعيد بزوجتي . . ولكن سعادت بها لا تكون لي لحظات سعادة . . . أنا أحبها وأعلم أنها تحبني . . وهي شريفة بحكم تكوينها وهي تعمل دائيا على إسعاد بينها وليس بيني وبينها إلا هذه المشاجرات التي تدل على أننا أحياء ولو أنها مشاجرات كثيرة وعنيفة في بعض الأحيان مما ينبيء على أننا أحياء جدا . . . ولكنها جميعا مشاجرات طبيعية لابد أن تنشأ بين اثنين نشأ كل منهما في بيت ثم جمعها بيت واحد يعلمان أنها سيقضيان فيه ما بقي لها من حياة . . . قد تشعر هي بالضيق أحيانا أو قد يشعر هو بالضيق أحيانا وقد تكون هذه الأحيان كثيرة وقد تتلاقى هذه الأحيان من الضيق فتكون مشاجرة لو بحث كلاهما عن سببها لاتضم على الفور مقدار سخانتها .

لماذا أفكر في كل هذا . . . من أجل لحظة سعادة . . ؟ ألم تكن لى لحظات سعادة كثيرة وأنا طفل . . . لماذا يقول الناس طفولة سعيدة . . . أظن السعادة هنا يقف وراءها الجهل . . إنهم سعداء لأنهم لايعرفون كيف يكونون تعساء . . . ولكنى مع ذلك أذكر فى طفولتى لحظات سعيدة . . والآن فقط أحرك أننى كان يجب أن أعتبر طفولتى سعيدة . . . يبدو أن الأطفال يعتبرون سعادتهم قضية مسلما بها لاتقبل النقاش . . . فحياتهم مهما تكن سعيدة يعتبرونها هم عادية . ولايذكرون منها إلا لحظات السعادة الخارقة للمادة ولحظات التعاسة العادية . . كانت لحظات سعادتي هي تلك الأوقات التي أقضيها في قراءة القصص . . قصص الأطفال . كنت أحس أننى أعيش في عالم آخر غير هذا الذي أعيش فيه .

لماذا يعتبر البعد عن العالم الذي أعيش فيه سعادة ؟ لماذا يقول الناس هذا دائماً كلما أحبوا أن يعبروا عن سعادتهم . . هل العالم الذي نعيش فيه سيىء إلى هذا الحد وإن كان سيئا أهو هكذا بالنسبة للأطفال . ؟ لماذا يحبون أن يعبروا الى عوالم أخرى من قصص علاء الدين والسندباد وعلى بابا والأربعين حرامي وقصص الجان وغيرها وغيرها .

والكبار ... ألا يتشبثون بعالم آخر .. ؟ ما الحياة عندنا اذا كانت هى هذه الحياة فقط ... سبحان خالق الناس ... عرف نفوسهم وعرف حياتهم فوعدهم بحياة أخرى يلقون فيها السعادة التى لم يعرفوها من الدنيا .. : ولكنى الأن سعيد ... لحظة .. أو لحظات ثم تعود الحياة حياة . أقصى ما أطمع فيه منها ألا ترزأن بلحظات تعاسة وتصبح أيام الملل والوتيرة الواحدة سعيدة ... سعيدة لأنها ليست تعيسة ...

إننا نبحث في حياتنا هذه عن السعادة من أي سبيل . . . نرى السعادة في نظرة الى أبنائنا . . . في ابتسامة على شفة لهم . . . في ضحكة . . . في مجرد جلوسهم أمامنا مشغولين عنا بالنظر الى التليفزيون .

ما السعادة التي يهبها لنا أطفالنا . . هي ما قبل الرعب الذي يلقون به في نفوسنا . . . الهول المبين المدعر الآخاذ الوبيل . . . إذ مرض أحدهم أو اذا وهمنا أن مرضا يهدد واحدا . . . وحين يزول المرض وحين يزول الوهم تعود نفوسنا إلى الصفاء وتعود إلينا السعادة . . . ما أعظم الثمن الذي ندفعه لقاء السعادة من أطفالنا .

ويل لى لحظة سعادة واحدة تفعل بى هذه الأفاعيل . . . ماذا أحاول أن أعرف . . ؟ هل فرض على فرضا أن أبحث عن سبب هذه السعادة . . . ألا يكفيني أبي سعيد . . .

لنبحث أولا . . . ما هي أعراض السعادة التي أعانيها . . . ويلي ألا أعرف أعراض السعادة أهذه أيضا لاتحتاج إلى شرح . . . ألا أعرف هذه الإشراقة التي تشيع في النفس فاذا النفس بهجة وإذا هي متطلعة إلى المستقبل الوردي الصافي وإلى الحاضر وكأن سعادة العالم تجمعت فيه . . . هذه هي حالي الآن . . . لماذا . ؟ وما يهمك لماذا مادمت سعيدا . . . ألا تخشى أن تفقد سعادتك وأنت تبحث في هدوء دون هذا البحث السخيف . ؟ ونتفلسف أيضا

وتريد أن تظل سعيدا . . . يقولون أن الفلاسفة هم السعداء بل يقولون أن السعداء هم الجهلاء . . كلا القولين غير صحيح . . . فأنت سعيد ولست جاهلا إلى درجة أن يقال عنك جاهل ولست فيلسوف الى درجة أن يقال عنك فيلسوف . . ولكننى لست سعيدا . . . ماذا هل فقدت السعادة . . . أقصد أننى لست سعيدا سعادة الفلاسفة ولا الجهلاء . . . كل ما في الأمر أننى أشعر بلحظة سعادة . . .

لعل لقاءك بالأمس مع سهام أمدك بهذه السعادة ؟ لقد أحسست بالسعادة فعلا في لقائى معها ولكن اللقاء كان يشغلني عن الشعور بالسعادة ... وانتهى اللقاء وعدت إلى حياق اليومية ومرت بي لحظات رضا ولحظات ضيق فلا شأن لسعادتي الراهنة بلقائي مع سهام ... هي حبى وهي الوحيدة في هذا العالم التي تستطيع أن تمسح عن نفسي خمولها وآلامها وأنا أسعد بلقائها وأهب لها كل ما تريد ولكن الحياة تلاقيني بعد ذلك وأرى فيها الخير وأرى فيها الشر وأحيا كما يحيا الناس حتى التقي مرة أخرى بسهام ... فهذه السعادة التي أحسها اذن سعادة جديدة من نوع آخر ينتابني بلا مقدمات ولهذا أبحث عن أسبابه ... ألابد أن تبحث ... خالصة رجعنا ثانية إلى هذا الحديث . وهل السعادة مع سهام خالصة أتحبني لنفسي أم لما أقدمه لها من مال . ؟ إنني أقدم المال وأسعد ... لا شيء يهم بعد ذلك . أم تراه يهم .. ؟ !

لعلك سعيده لهذه المرافعة الرائعة التي قدمتها في قضية الأمس ... أهى المرافعة الوحيدة التي رضيت عن نفسى فيها ... انني أعمل في المحاماة منذ سنوات طويلة ويقولون إنني عام ناجح وأعرف أنني ناجح ومعرفتي هذه تجعلني ألتقى بأى قضية وأنا أحتشد لها وكانني عام ناشىء ثم أحتشد لها ووراثي تاريخي الطويل في ساحة القضاء ... أرى أنك بدأت تترافع ... طبيعة ... ماذا أفعل فيها ... المهم لحظة السعادة التي أمرح فيها الآن لا صلة لها بمرافعتي .

اسمع . . . ألا يجوز . . . عجرد فكرة لا تسخر منها . . . ألا يجوز أن يكون حديثك التليفونى مع صديقك اسباعيل قد أرسل إليك بهذه اللحظة السعيدة . . . أرى أنك بدأت تخرف . . . إننى كثيرا ما أحادث الاصدقاء ولاشك أنهم يرسلون الدفء إلى قلبى ولكن لو أننى شعرت بهذه لمجرد حديث مع صديق لأصبحت حياتي كلها سعادة بلهاء . . . سعادة لا قيمة لها لأنها ستصبح سعادة غبية سخيفة .

اسمع ... طالما سمعت .. اسمع ولا تعقب ... إنك سعيد لأنك سعيد ... أهذا آخر ما وصلت إليه .. ؟ ما أشد سُخفك بل أنت السخيف .. أرأيت أنك تريد أن تفسد على سعادتي ...

اسمع إنني لن أبحث عن السبب . . إن الآن سعيد ولايهم لماذا . . إن سعيد وكفي . . .



الفهرس

	الأيام الخضراء	0
٥	الأيام الخضراء	
. 14	أحببت وهمى	
19	أخلفت الموعد	
40	ملاعب الصباملاعب الصبا	
44	لقاء ولاوداع	
44	فوق السعادة	
٤٥	الطابق الأعلى	
۳٥	حان وهوی	
71	على الطريق	
٦٧	حديث ولقاء	
٧٣	وظيفة دائمة	
٧٩	وأنا ما ذنبي	
٨٥	هو الله	
41	سياء ولا أرض	
	الرحمة القاسية	
	عودة السيد سكر	
	ذكريات بعيدة	•
114	ذكريات بعيدة	
141	•	
149	رواجنواج	
147	خطابان	
184	عودة الزغاريد	
189	وجهات نظر ۲۰۰۰،۰۰۰،۰۰۰،۰۰۰،۰۰۰،۰۰۰،۰۰۰،۰۰۰،۰۰۰،۰۰	
100	أستغفر الله	

171						•																															نق	٠	ے اا	بوا	>	ۣق	طو	
177					,	•														•																						بع	رب	
۱۷۳																																				ود	نع	, ,	Jf		٠ (ب ری	ولا	
179						•	•											•	. •,																	, ,				,	ر	ظا	انة	
۱۸٥					,															٠																	,	ياء	 الأ	•	غ) , .	عإ	
198																																							يام					
199																																							، پ يا					
														•			•	•				•	•	•	-	•	•	•	•	•	•	•	•	•		•	,	ب						
																																							بة	لع	1	ذه	۵	0
4.0	•			٠,				•		•		•						•			•			•		•	•		•						•	•			بة	لعا	IJI	ذه	ها	
117			•	,			•		•				•		•																	•	•								4	ظل	ال	
410		•	•	•			•	•			•							•		è							•	•		•	•				, ,						2	حلة	ر-	
414	•		•		,	•												į	•													•									2	حة	فر	
440					,																								•						, ,				يب	لط	4	ر پر	تق	
444	•				,	•	•											•																				ی	فند	ŧ,	إن	غبو	رۈ	
744				, ,															,																					بها	بجب	نه	Ý	
717						•												•																					إء	ارو	الد	ىن	ئە	
700																																							شة			_		
771																																									į	رلة	ماد	
777																																							بة		. و	و ار	ش	
																																				Ĺ	زال	ليز	ر ا	ىيار	£ (عين	_	•
444																					•												•					•	ميد		ں '	کن	ول	
۲۸۳			,						•																				•		•										ل	ىقو	2,0	
987			,									•						1		•											•			•						ی	رء	تد	Y	
790																																												
۳٠١		•																•																						أنا	وأ	نتی	أخ	:
۳.۷																																												
۳11																																							_	_				

	مزق هذا الخطاب		414
	قصاصات		441
	حلم العمر		440
	نوع من الحب		444
	لا لا تعودي		449
	ثمن المشروب		450
•	السباحة في الرمال		
	•		*** - ***
	لحظه سعادة	• • •	404
	السباحة في الرمال		401
	حكاية رجل بخيل		421
	النابغة		۳۸۱
	الميراث		۳۸۷
	المقابل		794
	تحية عابرة		8.4
	وحدة		1.4
	رحلة العودة		240
•	و بقی شیء		
	وبقی شیء		٤٣٥
			204
	وإن كنت تعبت		
	لم يتسع الوقت	٠.,	109
	سيزيف والصخرة	٠	274
	الحصان الذي نفق		£7V
	لحظة سعادة		274
			- · ·





